أعلام القضاء

إعداد

دكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت



بطاقة فهرسة

مكتبة كنوز المعرفة

اسم الكتاب: أعلام القضاء

إعـــــداد: دكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت

رقم الإيداع:

الطبعة الأولى ٢٠١١



شارع جيهان - أمام بوابة الجامعة ت: ٠١٠٠٠٠٤٠٤٦

Tokoboko_5@yahoo.com

المقدمة

الحمد لله القديم بلا غاية والباقي بلا نهاية الذي علا في دنوه ودنا في علوه فلا يحويه زمان ولا يحيط به مكان ولا يؤوده حفظ ما خلق ولم يخلقه على مثال سبق، بل أنشأه ابتداعا وعدله اصطناعا فأحسن كل شيء خلقه وتمم مشيئته وأوضح حكمته فدل على ألوهيته فسبحانه لا معقب لحكمه ولا دافع لقضائه تواضع كل شيء لعظمته وذل كل شيء لسلطانه ووسع كل شيء فضله لا يعزب عنه مثقال حبة وهو السميع العليم.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده إلها تقدست أسماؤه، وعظمت آلاؤه، وعلا عن صفات كل مخلوق، وتنزه عن شبيه كل مصنوع، فلا تبلغه الأوهام، ولا تحيط به العقول ولا الأفهام، يعصى فيحلم، ويدعى فيسمع، ويقبل التوبة من عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تفعلون.

وأشهد شهادة حق وقول صدق بإخلاص نية وصحة طويلة أن محمد بن عبد الله عبده ونبيه وخالصته وصفيه ابتعثه إلى خلقه بالبينة والهدى ودين الحق فبلغ مألكته، ونصح لأمته، وجاهد في سبيل الله لا تأخذه في الحق لومة لائم، ولا يصده عنه زعم زاعم ماضيا على سنته موفيا على قصده حتى أتاه اليقين فصلى الله على محمد وعلى آل محمد.

أما بعد..

فالقدوة الحسنة عنصر هامّ في كل مجتمع، فمهما كان أفراده صالحين فهم في أمس الحاجة لرؤية القدوات، وكما قيل: جالسوا من تذكّركم بالله رؤيتُهم، كيف لا وقد أمر اللهُ نبيَه بالاقتداء فقال:{أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ} [الأنعام: ٩٠].

وتشتدّ الحاجة إلى القدوة كلما بَعُد الناس عن الالتزام بقيم الإسلام وأحكامه، وتتأكد الحاجة بل تصل إلى درجة الوجوب إذا وُجدت قدواتٌ سيئةٌ فاسدةٌ تُحْسِن عرضَ باطلها.

إن القدوةَ - سواءً أكانت حسنةً أو سيئة - أكثرُ أثرًا وإقناعًا من الكلام النظري مهما كان بليغًا ومؤثرًا، ولعل هذا هو السرُ في إرسالِ اللهِ رسلاً من البشر عبر التاريخ مع أنه تعالى قادر - وهو الذي لا يعجزه شيء - على أن يلهم الناس شرعه، خاصة أن بشرية الرسل تعلَّلَ بها الجاحدون لرفض الإيمان كما قال تعالى:{ وَمَامَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤۡمِنُوٓاْ إِذۡ جَآءَهُمُ ٱلۡهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرٗا رَّسُولٗا ﴿٩٤﴾} [الإسراء: ٩٤]، لكن الذي قال عن نفسه:{أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ} [الملك: ١٤]، اقتضت حكمته إرسال الرسل من البشر؛ ليكونوا منارات هدى وقدوات حسنةً عبر التاريخ، فهم التطبيق النموذجي لشرع الله في كل عصر، وتطبيقهم حجةٌ على العباد ودليلٌ على واقعيةِ الشرع.

وأوضح دليل على هذا الأثر ما وقع في يوم الحديبية، ففي صحيح البخاري قال عمر: فلما فرغ من قضية الكتاب - أي: بنود الصلح - قال رسول الله لأصحابه:《قوموا، فانحروا ثم احلقوا》، قال: فوالله، ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة ﷺ: يا نبيّ الله، أتحبّ ذلك؟ اخرُج لا تكلم أحدًا منهم كلمةً حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلّم أحدًا منهم حتى فعل ذلك، نحر بُدْنه ودعا حالقه فحلقه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلق بعضًا، حتى كاد بعضُهم يقتل بعضًا.

إنّ هذا التأثيرَ القويَ والمباشرَ للقدوة يرجع إلى عدة أسباب منها:

أن الإنسان مفطور على حب التقليد، وكثيرًا ما يكتسب معارفه وخبراته ومهاراته بالتقليد والمحاكاة، انظر إلى الطفل كيف يحاكي أباه ويتقمص شخصيته؛ لأن التعلم بالرؤية والمشاهدة أسهلُ وأيسر بل وأسرع، والنفس بطبعها تحبّ الحصولَ على الشيء بأسهل الطرق وأسرعها ولو كان محرّمًا، لكن الشرع والعقل يضبطها.

وقوعُ الإنسان - مهما كان كسولاً أو مقصرًا - أسيرًا للقدوة، فيحمله ذلك الإعجابُ على التقليد والمحاكاة، وهنا تكمن خطورةُ الموضوع؛ لأنّ القدوةَ إما أن تكون حسنةً لها بريقها الذاتي فتَنجذبُ إليها النفوسُ تلقائيًا وتتأثر بها إيجابيًا، وإمّا أن تكون قدوةً سيئةً زخرفت وزينت بالأصباغ والألوان الخادعة، وسُلّط عليها الأضواءُ الإعلاميةُ الباهرة، وأُضفيَ عليها عباراتُ الثناء والتمجيد الكاذبة لإثارة إعجاب المخدوعين، وحقًّا منهم من يقع في حبائلهم وشراكهم، حتى إذا فحصه عن قرب أدرك أنه كسراب بقيعة يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا، بل تبين له الوجهُ الحقيقيُّ، فما كان إلا إثارةً للغرائز والشهوات وتمجيدًا للكفرةِ والفساق والفجار باسم الفن والأناقة والرقص والغناء، وترويجًا للمنكرات والفواحش والرذائل باسم الترويح والسياحة، ومحاربةً للفضائل والحياء باسم الحرية والحضارة، وتنفيرًا من دين الله باسم التأخر والجمود، وتهجينًا لأحكامه باسم الكبت والقسوة،{وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾} [النور: ٤٠]، وتحقيرًا لدعاته باسم التطرف والإرهاب. نعم، هذا هو البديل عند غيابِ أو تغيّبِ القدواتِ الصالحة الحسنة.

وللأسف فإنّ دعاةَ الشر وشياطينَ الفساد استطاعوا أن يغزونا في عُقْرِ دارنا بهذه القدوات السيئة الفاسدة المفسدة عبر فضائياتهم، وبدأ المخطط - ولمّا يمضي عليه سنوات - يؤتي أكله الفاسد بمباركة

الشيطان، فوُجد في فتياننا وفتياتنا من يقلّد أعداء الإسلام والساقطين في كل شيء، في مظهرهم وملبَسِهم، بل حتى في القضايا الجبلّية من أكل وشرب ومشي.

إنّ هذه المظاهرَ الشاذةَ لهي دليلٌ قويٌ على الشعور بالنقص والانهزام النفسي، وصدق ابنُ خلدون في قوله: " المغلوب مولعٌ بتقليد الغالب أبدًا في شعاره وزيه ونحلته وسائر أحواله وعوائده ".

أيها الأحبة، في هذه الأيام وفي هذه الظروف المحيطة بنا ما أحوجنا إلى الأسوة الحسنة والقدوة الصالحة، فهي محطّ آمال العقلاء وغاية أمانيهم؛ لأنها نهج راشد وطريق مستقيم لا اعوجاج فيه ولا التواء.

وإن في طليعة من يجب أخذ الأسوة الحسنة منهم والاقتداء بأفعالهم وأقوالهم وكريم شمائلهم رسلَ الله صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، فهم الصفوة من خلق الله، المهتدون بهداية الله، المسارعون إلى فعل الخير والحرص عليه، قال الله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۖ وَكَانُوا۟ لَنَا خَٰشِعِينَ } [الأنبياء: ٩٠]. وقد أمر الله تعالى رسوله الكريم بالاقتداء بهم والسير على نهجهم حيث قال:{أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ } [الأنعام: ٩٠].

أيها المسلمون، إذا كان الحبيب محمد مأمورًا بأخذ الأسوة والقدوة من سلفه رسل الله فنحن أحرى أن نأخذها منه، كما وجهنا إلى ذلك ربّ العزة. وفي هذا التوجيه الرباني دعوة إلى كل ذي عقل رشيد أن يضع نصب عينه أخذ الأسوة والقدوة من سيد الخلق أجمعين، في أقواله وأفعاله، وفي مناهجه وشمائله وأخلاقه وسلوكيّاته، فهو المثل الكامل للإنسانية.

وقد سار أصحابه رضوان الله عليهم على نهجه، فلم يحجموا عن مكرمة أو يقصروا عن شيء من فعل الخير، ويأتي بعد ذلك أخذ الأسوة والقدوة الحسنة من خيار الأمة، وفي طليعتهم أهل القرون المفضّلة المشهود لهم بالهداية من التابعين وتابعي التابعين، قال:﴿خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم﴾.

وهكذا في كل زمان يجب أخذ الأسوة الحسنة من أهل الفضل، ومن العلماء العاملين بعلمهم، المخلصين لدينهم، الذين يتقون الله في سرهم وعلانيتهم، الذين يقولون كلمة الحق بدون خوف أو وجل، لا تأخذهم في الله لومة لائم، الذين لا يلحدون في آيات الله، ولا يحرّفون الكلم عن مواضعه، الذين لا ينافقون ولا يجاملون. فهؤلاء العلماء ممن هدى الله وشرح صدورهم للإيمان، ففي السير على هدايتهم والاقتداء بأفعالهم فلاح وفوز في الدنيا والآخرة.

ولكي ندرك خطورة وأهمية القدوة الحسنة في تاريخ الأمة؛ فلنتأمل هذه القصة:

يروي أن أبا جعفر الأنباري صاحب الإمام أحمد عندما أخبر بحمل الإمام أحمد للمأمون في الأيام الأولى للفتنة؛ عبر الفرات إليه فإذا هو جالس في الخان، فسلم عليه، قال: يا هذا أنت اليوم رأس والناس يقتدون بك، فوالله لئن أجبت إلى خلق القرآن ليجيبن بإجابتك خلق من خلق الله، وإن أنت لم تجب ليمتنعن خلق من الناس كثير، ومع هذا فإن الرجل - يعني المأمون - إن لم يقتلك فأنت تموت، ولابد من الموت فاتق الله ولا تجبهم إلى شيء. فجعل أحمد يبكي ويقول: ما قلت؟ فأعاد عليه فجعل يقول: ما شاء الله، ما شاء الله.

وتمر الأيام عصيبة على الإمام أحمد، ويمتحن فيها أشد الامتحان ولم

ينس نصيحة الأنباري، فها هو المروزي أحد أصحابه يدخل عليه أيام المحنة ويقول له: يا أستاذ قال الله تعالى:{وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ} [النساء: ٢٩]. فقال أحمد: يا مروزي اخرج، انظر أيّ شيء ترى!! قال: فخرجت على رحبة دار الخليفة فرأيت خلقًا من الناس لا يحصى عددهم إلا الله والصحف في أيديهم والأقلام والمحابر في أذرعتهم، فقال لهم المروزي: أي شيء تعملون؟ فقالوا: ننظر ما يقول أحمد فنكتبه، قال المروزي: مكانكم. فدخل إلى أحمد بن حنبل فقال له: رأيت قومًا بأيديهم الصحف والأقلام ينتظرون ما تقول فيكتبونه فقال: يا مروزي أضل هؤلاء كلهم!! أقتل نفسي ولا أضل هؤلاء ".

فمن أبرز أسباب أهمية القدوة أنها تساعد على تقويم الفرد المسلم دونما توجيه خارجي وهذا بالتالي يساعد علي خلق أجيال صالحة لقيادة العالم.

أيها المسلمون، أما الأسوة السيئة التي تَبَثها المجتمعات الإسلامية في العصر الحاضر وفي كل مجالات الحياة فهي في الواقع وفي الحقيقة نكسة في الظاهرة الدينية والأخلاقية، يجب أن يترقع عنها المسلم حفاظًا على دينه وإيمانه، وصونًا لأخلاقه، حتى ولو انتشرت هذه الأسوة السيئة بين الناس، وشملت جميع الطبقات والفئات، حيث أصبح العلماء الذين لا يعملون بعلمهم، ولكن يقصدون به المنصب والجاه والسلطان، وأصبح يمثلها أيضًا الوعّاظ والمرشدون الذين لا يأتمرون بما يأمرون به، والذين يصفون الدواء للأمراض التي هم بها مصابون، فمخبَرهم لا يطابق مظهرهم، فبئست الأسوة والقدوة بهم، قال الله تعالى: {أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ} [البقرة: ٤٤].

ورد في الأثر الذي رواه أحمد بسند حسن من حديث ابن مسعود رضي الله عنه

موقوفاً عليه قال: (من كان مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، أولئك أصحاب محمد ﷺ، كانوا أفضل هذه الأمة، وأبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً، اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم على آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم وسيرهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم).

والحقيقة أن كل مجتمع مهما بلغ من الفضل والاستقامة لا بد له من طائفة تتمثل فيها المُثُل العليا، تحفظ للمجتمع وجوده المعنوي المتمثل في صلاح عقيدته وحسن أخلاقه وأدب تعامله، على حد قول الله عزَّ وجلَّ: {وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾} [آل عمران: ١٠٤].

إنهم طائفة تمثل الخيرية في المجتمع، وتحافظ عليها وتحميها.

إن في أرواحها من التوهج، وفي نفوسها من الحيوية ما يجعل هم مجتمعها هو همها الأكبر، فيسعد بها المجتمع، إذ تحفظ عليه توازنه واستقامته، وعناصر استمراره وبقائه.

إنهم فئة من المجتمع مسموعة الصوت، واضحة التأثير، تملأ الفراغ، وتملك من التأثير ما يجعل جادة الحق واضحة، وطريق الصواب بارزة، ومسالك الخير بينة، فتستمر سُنَّة المدافعة بين الحق والباطل.

إنهم{أُو۟لُوا۟ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِى ٱلْأَرْضِ } [هود: ١١٦]، مشاعل وسرج يصلحون ما أفسد الناس، بدين الله قائمون، وعلى الحق حراس، يدعون من ضل إلى الهدى، ويبصرون من العمى، ويصبرون على الأذى، همهم - أثابهم الله وأعظم أجورهم - إقامة دين الله، وإعلاء كلمته، وإعزاز أوليائه.

إنهم صمام الأمان بإذن الله، وسبب نجاة الأمة من الهلاك.

وهكذا القدوة الصالحة من السلف الصالح ﵃ كانوا روحا نابضة، وقوة متجددة، وصفحة مشرقة لم تزدها الأيام إلا قوة ومضاء ولا الأحداث إلا نصوعا وإشراقا، فكانوا يبادرون إلى كل خير ويتنافسون في الاستباق إليه، ويكفيهم فخرا وعزا أنهم - على رغم ما مروا به من ظروف قاسية - سطروا أروع الأمثلة وأنصعها في بلوغ الكمال الإنساني، إذ من السابقين المضحين منهم تكون نواة لمجتمع رباني نما واتسع فيما بعد بسرعة فائقة حتى عم خيره بقاع الدنيا بأسرها، ولا تزال آثاره باقية بفضل الله تعالى.

فهذا الذي فعلوه وحققوه ليس ضربا من ضروب الأحلام، أو الخيال، أو المحال، لا بل هو مثال واقع محسوس في دنيا الناس وعلى أرضهم، وسنة سنوها وحازوا سبقها فنالوا أجرها وأجر من تبعهم فيها.

وأخيرا فلئن كانت حياة هؤلاء الصالحين - رحمهم الله جميعا - كلها مليئة بالصور المضيئة المشرقة فإنني لأرجو أن أكون قد وفقت في عرضي لجانب من هذه الجوانب المشرقة من حياتهم، وذلك تذكيرا بجهادهم وسبقهم وتنويها بمنزلتهم وفضلهم.

سائلا الله أن يجزيهم عنا خير الجزاء، وأن يمتن علينا بحسن الاتباع والاقتداء.

تشـــبهوا إن لم تكونـــوا مثلـــهم ::: إن التشـــبه بـــالكرام فـــلاح

وأسأل الله عز وجل أن ينفع بهذا العمل وأن يتقبله مني ويثيبني عليه.

رب تقبل عملي ولا تخيب أملـــي ::: أصلح أموري كلها قبل حلول الأجل

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

الفقير إلي عفو ربه ومغفرته ورضوانه

رجب محمود إبراهيم بخيت

* * *

أهمية العدل والقضاء العادل في حياة الناس

ضعف الدين في النفوس، وغاب عنها وازع الإيمان والخوف من الله جل وعلا إلا من رحم الله فساءت الأخلاق وقست القلوب وضاقت النفوس، فلم تعد ترى إلا ذاتها أنانية مفرطة، وجشع وطمع وتطلع إلى حقوق الآخرين والاستيلاء عليها بالحيلة والمكر، والخداع والتحايل، أو بالقوة والظلم والغصب.

فكثرت الخصومات وضجت المحاكم والنيابات بالقضايا والنزاعات، وهناك تزداد الحيل ويكثر الزور وتتعقد الأمور وكل خصم يسعى جاهداً للغلبة والانتصار على خصمه وإبطال دعواه بالحق والباطل وتكون المغالبة والعناد هو الوقود والدافع الذي يؤجج الصراع ويديمه ويطيل القضايا في نزاع غير متناهي، حيث تدفع الأموال ويتنصب المحامون الذين قد يسهموا في تضليل القضاء وإطالة أمد المشكلات.

إن سبب ذلك كله هو ضعف الإيمان أو انعدامه في الخصوم وأحياناً في القضاة وأحياناً في المحامين. إن القاسم المشترك هو نسيان الله جل وعلا، وعدم اليقين في لقائه والوقوف بين يديه للجزاء والحساب إذ لو وجد الخوف من الله واستشعار عظمته واستيقان الحساب يوم الدين لكانت الحالة غير التي نعيشها اليوم.

ذكروا أن أبا بكر الصديق ﷺ ولى عمر بن الخطاب ﷺ القضاء، فمكث في منصبه سنة لم يترافع إليه اثنان، إذ كل واحد قد علم الحق الذي له والحق الذي عليه فتناصف الناس فيما بينهم بالحق والعدل، يدفعهم إلى ذلك خوفهم من الله واستعدادهم للقائه لا يبغون علواً في الأرض ولا فساداً. فلما انقضى العام جاء عمر ﷺ أبا بكر يطلب منه أن يعفيه من هذا المنصب الذي لا يحتاج إلى متفرغ له لقلة

الخصومات أو انعدامها في زمن الصديق رضي الله عنه.

إن الناس يخطئون ويذنبون وتغرهم الحياة ويخدعهم الشيطان فهم في حاجة ماسة إلى من يذكرهم بربهم وينصحهم ويعظهم، فقد كان القضاة الربانيون طوال تاريخ الإسلام الممتد عبر القرون كانوا يعظون الخصوم ويذكرونهم بالله وبلقائه ويرغبونهم في العدل وفيما عند الله، ويحذرونهم من الظلم وسوء عاقبته في الدنيا والآخرة، كل ذلك كان يتم قبل صدور الأحكام، وكان الكثير من المتخاصمين يستيقظ عندهم الإيمان فيتوبون ويعترفون بالحق ويندمون، فيستريحون ويريحون.

فأين نحن اليوم من هذا المنهج السديد الرشيد وأين منه الحكام والقضاة؟{أَلَا يَظُنُّ أُولَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥﴾ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾} [المطففين: ٤ - ٦].

ألا إن الخوف من الله والإيمان بوعده ووعيده هو طريق النجاح والفلاح والنجاة في الدنيا والآخرة، خوف الله هو عربون النصر والتمكين وإهلاك الظالمين، قال تعالى:{ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمۡ لَنُخۡرِجَنَّكُم مِّنۡ أَرۡضِنَآ أَوۡ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَاۖ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ رَبُّهُمۡ لَنُهۡلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنُسۡكِنَنَّكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾} [إبراهيم: ١٣ - ١٤].

ولأهمية القضاء العادل في حياة الشعوب عامة والمسلمون منها خاصة كانت فكرة هذا الكتاب الذي يتعرض لأعلام القضاء وأهم المواقف في حياة القضاة والحكام وعامة المسلمين.

والحقيقة أنه بالعدل قامت السماوات والأرض؛ فالعدل أساس الملك والحكم. قال الله:{لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ

وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَـٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾} [الحديد: ٢٥].

وإن الحضارات الإنسانية لا تبلغ أوج عزها، ولا ترقى إلى عز مجدها إلا حين يعلو العدل تاجها، ويتلألأ به مفرقها. تبسطه على القريب والبعيد، والقوي والضعيف، والغني والفقير، والكبير والصغير. والعدل جاءت به جميع الشرائع، ورضيته العقول الحكيمة، وتعلقت به الفطر السوية. وتباهى به ملوك الأمم وقادتها، وعظماؤها وساستها، ومدحوا به.

لقد دلت الأدلة الشرعية وسنن الله في الأولين والآخرين أن العدل دعامة بقاء الأمم، والدول، وبه تمتد الأمن، وتعلو أبنية العز والمجد، ويكون النصر والتمكين.

حسن العدل وحبه مستقر في الفِطر، فكل نفس تنشرح لمظاهر العدل مادام بمعزلٍ عن هوى يغلبها في قضية خاصة تخصها.

القسط والعدل هو غاية الرسالات السماوية كلها:

بالعدل قامت السماوات والأرض، وللظلم يهتز عرش الرحمن. العدل مفتاح الحق، وجامع الكلمة، ومؤلف القلوب.

إذا قام في البلاد عمَّر، وإذا ارتفع عن الديار دمَّر. إن الدول لتدوم مع الكفر مادامت عادلة، ولا يقوم مع الظلم حقٌ ولا يدوم به حكم.

العدل في حقيقته تمكين صاحب الحق ليأخذ حقه. في أجواء العدل يكون الناس في الحق سواء لا تمايز بينهم ولا تفاضل، رجاؤه، وبالعدل يهون أمر القوي وينقطع طمعه{لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ} [البقرة: ٢٧٩].

وإن أمة الإسلام هي أمة الحق والعدل، والخير والوسط، نصبها ربها قوامةً على الأمم في الدنيا، شاهدةً عليهم في الآخرة، خير أمةٍ أخرجت للناس، يهدون بالحق وبه يعدلون، يتواصون بالحق والصبر، ويتنافسون في ميادين الخير والبر، ويتسابقون إلى موجبات الرحمة والأجر.

أمةٌ أمرها ربها بإقامة العدل في كتابه أمرًا محكمًا وحتمًا لازمًا:{إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾} [النساء: ٥٨].

{يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ إِن يَكُنۡ غَنِيًّا أَوۡ فَقِيرٗا فَٱللَّهُ أَوۡلَىٰ بِهِمَاۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلۡهَوَىٰٓ أَن تَعۡدِلُواْۚ وَإِن تَلۡوُۥٓاْ أَوۡ تُعۡرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٗا ﴿١٣٥﴾} [النساء: ١٣٥].

لا أعدل ولا أتم ولا أصدق ولا أوفى من عدل شريعة الله، فهي مبنية على المصالح الخالصة أو الراجحة، بعيدة عن أهواء الأمم وعوائد الضلال، لا تعبأ بالأنانية والهوى، ولا بتقاليد الفساد. إنها لمصالح النوع البشري كله ليس لقبيلة أو بلد أو جنس.

{فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ وَقُلۡ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٖۖ وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴿١٥﴾} [الشورى: ١٥].

إن الإسلام صدقٌ كله، خيره وحكمه عدلٌ:{وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿١١٥﴾} [الأنعام: ١١٥].

عدل الإسلام يسع الأصدقاء والأعداء، والأقرباء والغرباء، والأقوياء والضعفاء، المرؤوسين والرؤساء. عدل الإسلام ينظم كل ميادين

الحياة ومرافقها ودروبها وشؤونها. في الدولة والقضاء، والراعي والرعية، والأولاد والأهلين. عدلٌ في حق الله. وعدل في حقوق العباد في الأبدان والأموال، والأقوال والأعمال. عدلٌ في العطاء والمنع، والأكل والشرب. يُحق الحق ويمنع البغي في الأرض وفي البشر: ﴿كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته﴾ [(١)].

وروي في الحديث الآخر: ﴿ما من أحد يكون على شيء من أمور هذه الأمة فلم يعدل فيهم إلا كبه الله في النار﴾ [(٢)].

وإن من أولى ما يجب العدل فيه من الحق حق الله سبحانه في توحيده وعبادته، وإخلاص الدين له كما أمر وشرع خضوعًا وتذللاً، ورضًا بحكمه وقدره، وإيمانًا بأسمائه وصفاته. وأظلم الظلم الشرك بالله عز وجل، وأعظم الذنب أن تجعل لله ندًا وهو خلقك.

ثم العدل في حقوق العباد تُؤدى كاملة موفورة، ماليةً أو بدنية، قولية أو عملية. يؤدي كل والٍ ما عليه مما تحت ولايته في ولاية الإمامة الكبرى ثم نواب الإمام في القضاء والأعمال في كل ناحية أو مرفق.

في الحديث الصحيح: ﴿إن المقسطين عند الله على منابر من نور عن يمين الرحمن - وكلتا يديه يمين - الذين يعدلون في حكمهم وفي أهلهم وما ولوا﴾ [(٣)].

وإن ولاة أمور المسلمين حق عليهم أن يقيموا العدل في الناس. وقد جاء في مأثور الحكم والسياسات: لا دولة إلا برجال، ولا رجال إلا بمال، ولا مال إلا بعمارة، ولا عمارة إلا بعدل.

---

(١) رواه البخاري: رقم (٨٩٣، ١٨٢٩).
(٢) أخرجه الحاكم..
(٣) أخرجه مسلم (١٨٢٧).

حكم كله عدل ورحمة في خفض الجناح ولين الجانب، وقوة الحق، عدلٌ ومساواة تكون فيه المسؤوليات والولايات والأعمال والمهمات تكليفًا قبل أن تكون تشريفًا، وتبعات لا شهوات، ومغارم لا مغانم، وجهادًا لا إخلادًا، وتضحيةً لا تحليةً، وميدانًا لا ديوانًا، وأعمالاً لا أقوالاً، وإيثارًا لا استئثارًا. إنصافٌ للمظلوم، ونصرة للمهضوم، وقهرٌ للغشوم، وردع للظلوم، رفع المظالم عن كواهل المقروحة أكبادهم، ورد الاعتبار لمن أذلهم البغي اللئيم، لا تأخذهم في الحق لومة لائم، ولا تعويق واهم، وإن حدًا يقام في الله خير من أن يمطروا أربعين صباحًا.

وفي مثل هذا صح الخبر عنه أنه قال:**﴿أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مقسط متصدق موفق، ورجلٌ رحيمٌ رقيق القلب لكل ذي قربى، ومسلم عفيف متعفف ذو عيال﴾** [1].

أما نزاهة القضاء ونقاء ضمائر القضاة فحسبك به من عدل وقسط، صاحب الحق في جو القضاء العادل يشعر بالثقة والأمان، في أروقة المحاكم وفي دواوين القضاء، مطمئنٌ إلى عدالة القضية ونزاهة الحكم وشرف سرائر الحكام. والمتهم بريء حتى تثبت إدانته، ولأن يخطئ الحاكم في العفو خيرٌ من أن يخطئ في العقوبة، هذا تعرفه دنيا الحضارات ودين أهل الإسلام. القاضي العادل يواسي الناس بلحظه ولفظه، وفي وجهه ومجلسه، لا يطمع شريف في حيفه، ولا ييأس ضعيف من عدله، لا يميل مع هوى، ولا يتأثر بود، ولا ينفعل مع بغض. لا تتبدل التعاملات عنده مجاراةً لصهر أو نسب، ولا لقوة أو ضعف، يزن بالقسطاس، وبالعدل يقضي. يدني الضعيف حتى

(١) أخرجه البخاري، (٦٦٠)، ومسلم (١٠٣١).

يشتد قلبه وينطلق لسانه، ويتعاهد الغريب حتى يأخذ حقه، وما ضاع حق غريب إلا من ترويعه وعدم الرفق به.

جاء في الخبر عنه: ﴿إن الله مع القاضي ما لم يجر فإذا جار تخلى الله عنه ولزمه الشيطان﴾ (١).

هذا هو العدل العالمي الذي جاء به محمد ﷺ منذ أكثر من أربعة عشر قرنًا عدلٌ يتم فيه ضبط النفس والتحكم في المشاعر. إنه القمة العليا والمرتقى الصعب الذي لا يبلغه إلا من رضي بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمدٍ نبيًا ورسولاً، وبدينه دستورًا وحكمًا. إنه عدل محمد، مكيالٌ واحدٌ وميزانٌ واحدٌ.

إن أممًا الآن في أرض الله، مثل أمريكا وروسيا، آتاها الله بسطة في القوة والسيطرة فما أقامت عدلاً، ولا حفظت حقًا، ويلٌ لهم وما يطففون، إذا اكتالوا لأنفسهم يستوفون، وإذا كالوا لغيرهم أو وزنوهم يخسرون. ولكن هدي محمد ﷺ يأبى إلا الحق:

{وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ} [الشورى: ١٥].

إن الأمة لا تصل إلى هذا القدر من السمو ونصب ميزان العدل إلا حينما تكون قائمةً بالقسط لله خالصةً مخلصة، بلباس التقوى: {ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ} [المائدة: ٨].

والفئة الباغية إذا فاءت إلى أمر الله ودخلت في الطاعة فإن حقها في العدل محفوظ: {فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: ٩].

وكما يكون العدل في الأعمال والأموال فهو مطلوب في الأقوال

(١) حسن: أخرجه الترمذي (١٣٣٠).

والألفاظ:

{وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ} [الأنعام: ١٥٢]. ولعل العدل في الأقوال أدق وأشق. وصاحب اللسان العدل يعلم أن الله يحب الكلام بعلم وعدل، ويكره الكلام بجهلٍ وظلم:

{قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْيَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُواْ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الأعراف: ٣٣].

لقد أعلن النبي ﷺ حكمه على كلمة قالها شاعر حال كفره حين قال عليه الصلاة والسلام: «**أصدق كلمة قالها شاعر كلمة لبيد: ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[١].

ثم هاهو صاحبه عثمان بن مظعون ﷺ يسمع البيت كاملاً؛ يترسم النهج في نفسه في التقويم والعدل فُيحق الحق ويقول القسط، فقال في شطره الأول صدقتَ، ولما قال الشطر الثاني: (وكل نعيم لا محالة زائل) قال: كذبت، نعيم الجنة ليس بزائل. فلم يكن كذب الشاعر في الشطر الثاني بمانع عثمان ﷺ من أن يقر له بالصدق والحق في شطره الأول.

وهذا علي ﷺ يقاتل من خرج عليه، فلما سئل عنهم: أمشركون هم؟ قال: هم من الشرك فروا. قيل: أفمنافقون هم؟ قال: إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً. قيل: فما هم يا أمير المؤمنين؟ قال: هم إخواننا بغوا علينا فقاتلناهم ببغيهم.

ومن لغير هذا العدل من القول غير أبي الحسن ﷺ وعن ذريته الطيبين الطاهرين؟! وهل بعد هذا الإنصاف من إنصاف؟!

---

(١) أخرجه البخاري (٣٨٤١)، ومسلم (٢٢٥٦).

والنووي رحمه الله يقول: وينبغي ذكر فضل أهل الفضل ولا يمنع منه شنآن أو عداوة. والعبد إذا رزق العدل وحب القسط علم الحق، ورحم الخلق، واتبع الرسول، واجتنب مسالك الزيغ والبدع، هكذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

إذا ساد العدل حُفظت الحقوق، ونصر المظلوم وولت الهموم، وأدبرت الغموم.

أما حينما يتجافى الناس عن العدل ويقعون في حمأة الظلم ينبت فيهم الحقد والقطيعة والفرقة وذهاب الريح.

ومن تجافى عن العدل دخل دائرة الظلم، يأخذ ولا يعطي، ويطلب ولا يبذل، يأخذ الذي يستحق، ويمتنع عما يحق، تغلبه مسالك المنافقين:

{قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ} [آل عمران: ١٥٤]، {وَإِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن يَكُن لَّهُمُ ٱلْحَقُّ يَأْتُوٓاْ إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ ﴿٤٩﴾} [النور: ٤٨، ٤٩].

إن الظلم وسلب الحقوق وإهدار الكرامات مبعث الشقاء ومثار الفتن. إن قومًا يفشو فيهم الظلم والتظالم، وينحسر عنهم الحق والعدل إما أن ينقرضوا بفساد، وإما أن يتسلط عليهم جبروت الأمم يسومونهم خسفًا، ويستبدون بهم عسفًا، فيذوقون من مرارة العبودية والاستذلال ما هو أشد من مرارة الانقراض والزوال. إن الظلم خراب العمران، وخراب العمران خراب الأمم والدول.

وأحق الناس بالعدل أبناؤك. فمن ابتغى بر أبنائه وبناته يحبونه في حياته ويترحمون عليه بعد مماته وتصفو قلوبهم فيما بينهم فليتق الله وليقم العدل فيما بينهم، يساوي بينهم في العطية والمعاملة والنظرة والابتسامة. وليتق الله أولئك الذين يحرمون بعض المستحقين من

الذرية في عطية أو وصية فذلك حرام وجور وظلم، والوصية به وصية ظلم وجنف، مخالفة للعدل والحق لا يجوز نفاذها، فتلك أفعالٌ شنيعة، وظلمٌ مهلك، تقوم به الخصومات، وتثور به الأحقاد، وتقع به المظالم، وتتقطع به الأرحام.

عن النعمان بن بشير ﷺ أن أباه أتى به رسول الله ﷺ فقال: إني نحلت ابني هذا غلامًا كان لي. فقال رسول الله:﴿**أفعلت هذا بولدك كلهم؟**﴾ قال: لا. قال:﴿**اتقوا الله واعدلوا في أولادكم**﴾. قال: فرجع أبي فردَّ تلك الصدقة [(١)].

والإمام العادل سابع سبعةٍ يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله.

والعدل في المعاملات الزوجية فرضٌ وحقٌ واجبٌ في النفقة والكسوة والمعاملة والعشرة كما يفعل الكرماء من ذوي العقل والدين والمروءة والكمال. تطعمها مما تطعم، وتكسوها مما تكتسي.

وفي الحديث عن أبي هريرة ﷺ أن رسول الله قال:﴿**من كانت عنده امرأتان فلم يعدل بينهما جاء يوم القيامة وشقه ساقط**﴾ وفي رواية:﴿**وشقه مائل**﴾.

أيها الإخوة، حينما تتشرب النفوس العدل فيكون سجية لها فإنه يقودها إلى محاسن الأخلاق ومكارم المروءات، عدل في السلوك كله، وسط بين الإفراط والتفريط، جود وسخاء من غير سرف ولا تقتير، وشجاعة وقوة من غير جبن ولا تهور، وحلم وأناة من غير غضب ماحق أو مهانة مردية. وكل تعامل فقدَ العدل فهو ضرر وإضرار، وفساد وإفساد:{وَلَا تَبْخَسُواْ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْاْ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿١٨٣﴾} [الشعراء: ١٨٣].

---

(١) البخاري: (٢٥٨٦)، ومسلم (١٦٢٣).

القضاء في اللغة:

أصل القضاء قضاي؛ لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف الزائدة قلبت همزة، وأهل الحجاز يقولون: القاضي القاطع للأمور المحكم لها.

قال ابن منظور (م سنة ٧١١ هـ): القضاء الحكم، والجمع الأقضية، والقضية مثله، والجمع القضايا، وقضى عليه يقضي قضاء وقضية - الأخيرة مصدر كالأولى - والاسم القضية فقط. واستقضى فلان: جعل قاضيا يقضي بين الناس، وقضى الأمير قاضيا كما تقول أمر أميرا. والقضايا الأحكام، واحدتها قضية. ورجل قضي: سريع القضاء أي الحكم.

وقال الزهري: القضاء في اللغة على وجوه مرجعها إلى انقطاع الشيء وتمامه، كل ما أحكم عمله أو تم، أو ختم، أو أدى أداء، وأوجب، أو أعلم، أو أنفذ، أو أمضى فقد قضى.. إلخ [١].

وفي تاج العروس شرح القاموس للزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) قضى عليه يقضي قضيا - بالفتح - واستقضاه السلطان: طلبه للقضاء، والمقاضة مفاعلة من القضاء بمعنى: الفصل والحكم، وقاضاه رافعه إلى القاضي، وعلى مال صالحه عليه. وتقاضيته حقي فقضاني أي طالبته فأعطاني، أو تجازيته فجازانيه. واقتضيت ما لي عليه أي: أخذته وقبضته، وقضى الرجل ساد القضاة وفاقهم، والقضيان كعثمان بمعنى القضاء لغة عامية [٢].

(١) لسان العرب، فصل اتفاق حرف الواو والياء (٢٠ / ٤٧) الطبعة الأولى بالمطبعة الأميرية ببولاق.
(٢) تاج العروس، فصل القاف من باب الواو والياء (١٠ / ٢٩٦ - ٢٩٧).

وفي المصباح المنير للفيومي [١] المتوفى سنة (٧٧٠ هـ) استقضيته: طلبت قضاءه. ومما تقدم يظهر أن لفظ القضاء يأتي على معنيين [٢].

١ - الصفة الحكمية التي توجب لموصوفها نفوذ حكمه الشرعي في حدود اختصاصه أي الولاية والخطة والمنصب، كما في قولهم: ولي القضاء: أي حصلت له الصفة المذكورة.

٢ - أن القضاء اسم للحكم في الواقعة، كما في قولهم: قضى القاضي بكذا أي: حكم وفصل.

ففي قولهم: قضاء القاضي حق أو باطل أي حكمه فالمقصود المعنى الثاني. وفي قولهم: استقضى السلطان فلانا: أي جعله قاضيا يقضي بين الناس يكون المقصود المعنى الأول، أي المنصب والولاية، أو الخطة في لغة أهل المغرب، يقول الشيخ أبو الحسن النباهي المولود سنة (٧١٣ هـ) في كتابه (تاريخ قضاة الأندلس): وخطة القضاء في نفسها عند الكافة من أسنى الخطط، أي من أعظم الولايات والمناصب شأنا.

القضاء في القرآن:

لم يرد لفظ القضاء في الكتاب العزيز وإنما وردت مشتقاته في مواضع مختلفة ومعان متعددة [٣] منها: -

ا - الحكم، قال تعالى:{ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ

---

(١) (٣ / ١٦٦).
(٢) وقد أشار إلى ذلك - إمام المالكية في عصره - أبو عبد الله بن محمد بن محمد بن عبد الرحمن المغربي المعروف بالحطاب (٩٠٢ - ٩٥٤) في شرحه على مختصر خليل. (٦ / ٨٦).
(٣) انظر: مختار الصحاح ص ٥٤٠ - ٥٤١ مواهب الجليل (٦ / ٨٦) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٥ / ٣٨٥).

فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾} [النساء: ٦٥].

٢ - الحتم واللزوم، ومن هذا قوله تعالى:{ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ } [سبأ: ١٤]، الآية أي: حتمناه عليه وألزمناه به.

٣ - الأمر، ومن وروده بهذا المعنى قوله تعالى:{وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ } [الإسراء: ٢٣]، الآية والمعنى: أن الله تعالى أمر أمر إيجاب، وشرع ووصى بعدم عبادة غيره. وهذا من القضاء الشرعي الديني إذ لو كان قضاء كونيا لما عبد غيره تعالى.

٤ - الإنهاء والإبلاغ، كما في قوله تعالى:{وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ } [الإسراء: ٤]، الآية. وقوله تعالى:{ وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ﴿٦٦﴾} [الحجر: ٦٦].

٢) أي: أنهينا إليه ذلك وأبلغناه إياه لأن الخبر ينتهي إلى من يبلغه.

٥ - ويأتي بمعنى البيان، قال الله تعالى:{وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰ إِلَيْكَ وَحْيُهُ} [طه: ١١٤]، الآية. أي يبن لك بيانه كقوله في سورة القيامة:{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾} [القيامة: ١٦ - ١٩]، أي: ثم علينا أن نقرأه.

٦ - الخلق والصنع والتقدير، ومنه قوله تعالى:{فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ} [فصلت: ١٢]، الآية. أي صنعهن وخلقهن ومنه القضاء والقدر.

٧ - الفراغ من الشيء والانتهاء منه، ومنه قوله تعالى:{قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ} [يوسف: ٤١]، أي: فرغ منه وانتهى.

٨ - والقضاء بمعنى العمل، قال تعالى:{فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ }

[طه: ٧٢]، الآية. أي: اصنع ما أنت صانع واعمل ما أنت عامل. قال أبو ذؤيب الهذلي:

وعليهما مسـرودتان قضـاهما ::: داود أو صـنع السـوابغ تبـع

الصنع الحاذق بالعمل، وتبع من ملوك حمير كانت تنسب إليه الدروع التبعية.

٩ - ويأتي القضاء في القرآن بمعنى القتل والهلاك، ومنه قوله تعالى: {فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ} [القصص: ١٥]، الآية، أي قتله، وقوله: {فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ} [الأحزاب: ٢٣]، أي: هلك، وأصل النحب النذر واستعير للموت لأنه كنذر لازم في رقبة كل حيوان.

١٠ - بلوغ الشيء ونيله: ومنه قوله: {فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا} [الأحزاب: ٣٧]، الآية، أي: نال منها حاجته.

١١ - ويأتي بمعنى المضي، كما في قوله تعالى: {ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ} [يونس: ٧١]، أي: امضوا ما في أنفسكم ولا تؤخروه، ويمثل لذلك - أيضا - بقوله تعالى: {فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ} [طه: ٧٢]، أي امض ما أنت ممضيه.

١٢ - ويكون بمعنى الإرادة كقوله تعالى: {إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ} [مريم: ٣٥].

١٣ - ويكون بمعنى العهد، كقوله تعالى: {وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِىِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ} [القصص: ٤٤]، مما تقدم يظهر أن هذه المعاني يمكن أن يتصف بها القضاء فيكون اللفظ من قبيل المشترك المعنوي، فكلها ترجع إلى إتمام الشيء أو الفراغ منه قولا أو فعلا أي: إمضاؤه وإحكامه، وبيان ذلك:

- أن القضاء بمعنى الحكم في الواقعة بتقدير شيء أو تقريره وإثباته

أو منعه ونفيه بما يفصل المنازعات وينهي الخصومات

- ولا بد في حقيقة القضاء من الإلزام بالحكم.

- يأمر به القاضي إذ القضاء أمر بالمعروف ونهي عن المنكر.

- وينهيه إلى المحكوم عليه، ويبلغه إياه مشافهة.

- بلفظ صريح ينطق به في مجلس الحكم ويبين بيانه أي: يقرأه.

- بأسلوب محكم إحكاما، ومتقن اتقانا يوضح فيه الأسباب والحيثيات والمستند في الحكم.

- وبهذا يكون الحكم قد انتهى وفرغ منه، لأن القاضي ينهي الأمر ويفرغ منه.

- وهذا كله عمل من القاضي، يبذل جهده، واستفراغ وسعه في بحث المسألة.

- واستقصاء المشكلة للوصول إلى الحق، ووضعه في نصابه لتنفيذه.

- وذلك برد الحقوق إلى أصحابها، ورد المظالم إلى أهلها؛ ذلك لأن الإلزام هو تنفيذ القول على المحكوم عليه رضي أو أبى، إذ لا خير في حق لا نفاذ له.

وبهذا يكون صاحب الحق قد بلغ مقصوده ونال غايته وحقق مطلبه.

- فيكون الحكم ماضيا لا يتعرض له القاضي اللاحق حسب القاعدة الفقهية (لا يحق لقاض لاحق النظر في حكم سابق). وهذه خاصية من خصوصيات الحكم القضائي. وهي حيلولته دون إثارة النزاع المحكوم فيه مرة أخرى أمام القضاء بين نفس الخصوم، وهذه الخاصية تسمى حجية الأحكام.

القضاء في السنة:

من ذلك قوله ﷺ :﴿**اقض فإن اجتهدت فأصبت فلك عشرة أجور، فإن اجتهدت فأخطأت فلك أجر واحد**﴾ (١)، وقوله ﷺ :﴿**إني أقضي بينكم برأيي فيما لم ينزل علي فيه وحي**﴾ (٢)، وقوله ﷺ لمعاذ بن جبل حينما أراد أن يبعثه قاضيا:﴿**كيف تقضي إذا عرض لك قضاء**﴾، وقوله ﷺ للخصمين اللذين ترافعا إليه:﴿**والذي نفسي بيده لأقضين بينكما بكتاب الله**﴾ (٣).

ومن تحليل هذه النصوص، وتفسيرها نتوصل إلى الحقائق الآتية:

أولا - أنه لا يجوز التحاكم في كل المنازعات والقضايا إلا إلى شريعة الإسلام{فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ} [النساء: ٥٩] الآية، أي فردوه إلى كتاب الله، فإن لم تجدوه في كتاب الله فإلى سنة رسول الله، فإن لم تجدوه فإلى الاجتهاد، كما في حديث معاذ ﷺ حينما بعثه النبي ﷺ واليا وقاضيا لليمن. فالقرآن هو الأصل الذي ينبغي الرجوع إليه في الأحكام، وبعده سنة رسول الله، ثم ما يئول إليهما من إجماع أو قياس.

وهذه هي القاعدة الأولى التي أقرتها الشريعة الإسلامية في التنظيم القضائي في الإسلام، وما سواها فهو باطل وطاغوت{أَلَمۡ تَرَ

---

(١) صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن أبي داود، سنن ابن ماجه، مسند أحمد بن حنبل.

(٢) صحيح البخاري، صحيح مسلم، سنن الترمذي، سنن النسائي، سنن أبو داود، سنن ابن ماجه، مسند أحمد بن حنبل.

(٣) صحيح البخاري الشروط (٢٥٧٥)، صحيح مسلم - الحدود (١٦٩٨)، سنن الترمذي الحدود (١٤٣٣)، سنن النسائي آداب القضاة (٥٤١١)، سنن أبو داود - الحدود (٤٤٤٥)، سنن ابن ماجه - الحدود (٢٥٤٩)، مسند أحمد بن حنبل (١١٥/٤)، موطأ مالك - الحدود (١٥٥٦)، سنن الدارمي - الحدود (٢٣١٧).

إِلَى ٱلَّذِينَ يَزۡعُمُونَ أَنَّهُمۡ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا ﴿٦٠﴾} [النساء: ٦٠]، ولقد سار كبار المجتهدين على هذا الأساس في فهم الشريعة الإسلامية، ومقاصدها السامية، واستدلوا بنصوص الكتاب، والسنة، وإجماع العلماء في اجتهاداتهم، وتنزيل النوازل والقضايا عليها، ولما كانت النصوص متناهية، والحوادث متجددة، استدلوا بالقياس فيما ليس فيه نص، وقاموا بالتخريج على القواعد العامة المستفادة من مجموع النصوص في جميع الأحوال، وغير ذلك من الأدلة التي لا تخرج في حقيقتها، ولا تتعارض مع جوهر الشريعة الإسلامية ونصوصها، ومقاصدها التي تدل عليها التعليلات المنصوصة.

كل حركة اجتهادية، أو تقنينية من أي مجتهد أو مقنن في أي عصر أو زمان يجب أن لا تخرج عن دائرة الكتاب والسنة، وأن لا تعارض نصا من نصوصها، أو أصلا من أصولها، وإلا كان اجتهادا فاسدا، وعملا مردودا باطلا.

ثانيا: أن التحاكم أمر مرتبط بالإيمان بما أنزل الله، وهو أمر كما يشمل الخصوم يشمل الحكام والقضاة أيضا{وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ } [المائدة: ٤٤]، و{هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ } [المائدة: ٤٧]، فليس في الإسلام قضاء ديني يخضع لأحكام الشريعة، وقضاء آخر مدني أو زمني يخضع لأحكام وضعية مخالفة، كما هو عند أصحاب الديانات الأخرى، وقلدهم في ذلك بعض أبناء هذا الزمن ممن ينتسبون للإسلام، بل كل القضاء في كافة الأمور والأحوال يجب أن يستند إلى الحكم الشرعي المبلغ من عند الله على لسان رسوله محمد بن عبد الله وأن الاحتكام إلى خلافه مناف لعقيدة الإيمان، بل قد يكون

مخرجا لصاحبه عن دائرة الإسلام، إذ لا يتفق مع صحة الإيمان أن يرى مؤمن أن ما فكر فيه بشر مثله أحكم وأصلح مما قضى به رب العالمين {أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ} [المائدة: ٥٠].

تطور القضاء :

وكان الرسول ﷺ في دولة المدينة يتولى بنفسه القضاء بين الناس، فلم يكن للمسلمين قاض سواه، يصدر عنه التشريع، ثم يشرف على تنفيذه، فكان يجمع بين التشريع والتنفيذ والقضاء.

وباتساع الدولة عهد الرسول ﷺ إلى بعض الصحابة بالقضاء، فبعث علياً كرم الله وجهه إلى اليمن للقضاء بين الناس، وبعث إليها أيضاً معاذ بن جبل ﷺ. وولى عتَّاب بن أسيد أمر مكة وقضاءها بعد فتحها.

وسار الخلفاء الراشدون على هذا المنهج، فتولى عمر القضاء في عهد أبي بكر فظل سنتين لا يأتيه متخاصمان، لما اشتهر عنه من الحزم والشدة. وتم في عهد عمر بأمره فصل القضاء عن الولاية الإدارية، وعين القضاة في أجزاء الدولة الإسلامية في المدينة ومكة والبصرة والكوفة ومصر [(١)].

فكان عمر هو أول من وضع أساس السلطة القضائية المتميزة، كما كان أول من وضع الدواوين كما عرفنا، وأول من وضع دستور القضاء في رسالته المشهورة إلى أبي موسى الأشعري [(٢)]، وأول من استحدث نظام السجون، وكان الحبس في الماضي هو ملازمة المتهم

(١) القضاء في الإسلام - لعارف النكدي: ص ٧٩.
(٢) انظر أعلام الموقعين - لابن قيم: ١/٨٥ وما بعدها، الأحكام السلطانية - للماوردي: ص٦٨.

من قبل المدعي أو غيره في منزل أو مسجد، وكان قضاء القضاة المستقلين عن الخليفة محصوراً في المنازعات المدنية المالية. أما الجنايات الموجبة للقصاص أو الحدود فبقيت في يد الخليفة، وولاة الأقاليم ذوي الولاية العامة. وأما ولاة الإمارة الخاصة، فلهم فقط حق استيفاء الحدود المتعلقة بحقوق الله تعالى المحضة كحد الزنى جلداً أو رجماً، أو المتعلقة بحقوق الأشخاص إن طلب طالب منهم ذلك.

وكان عثمان ﷺ أول من اتخذ داراً للقضاء، بعد أن كان القضاء في المسجد.

وكان للقضاة أجور من بيت مال المسلمين منذ عهد عمر مقابل تفرغهم للقضاء.

ويتم إصدار الحكم باجتهاد القاضي وفراسته بالاعتماد على مصادر التشريع الأربعة: وهي القرآن والسنة والإجماع والقياس.

ثم تطور القضاء في عهد الأمويين والعباسيين باستقرار الدولة، فتحددت سلطات القاضي واختصاصاته وتنوع القضاء، وكان القضاة مستقلين في أعمالهم غالباً، وبدأ تسجيل أحكام القضاء في بدء العهد الأموي، واستحدث في عهد العباسيين منصب قاضي القضاة الذي كان أول من تولاه أبو يوسف تلميذ أبي حنيفة، وكان بمثابة وزير العدل يعين القضاة، ويعزلهم، ويراقب أعمالهم وأحكامهم، وظهر أيضاً قضاة المذاهب، فوجد في كل إقليم قاضٍ مذهبي، ففي العراق يعمل بالمذهب الحنفي، وفي الشام والمغرب على وفق المذهب المالكي، وفي مصر على وفق مذهب الشافعي.

واتسع سلطان القاضي تدريجياً، فأصبح ينظر بالإضافة إلى المنازعات المدنية في أمور إدارية أخرى كالأوقاف وتنصيب

الأوصياء. وقد يجمع القاضي بين القضاء والشرطة والمظالم والحسبة ودار الضرب وبيت المال.

وكان نظام التحكيم معمولاً به بجانب القضاء. وانفصل قضاء المظالم وولاية الحسبة عن القضاء.

إلا أن القضاء العادي كان أسبق نشأة من غيره عندما تولاه الرسول ﷺ في المدينة وهو يفترض وجود اعتداء على حق شخصي وقيام خصومة بين شخصين. ثم ظهر نظام الحسبة في زمن المهدي للنظر في الاعتداءات الواقعة على المصالح العامة التي تمس أمن الجماعة وإن لم يوجد فيها مدع شخصي لحماية حق خاص به. ثم وجد قضاء المظالم لحماية الحقوق والحريات من جور الولاة والحكام واستبداد الأقوياء حينما توسعت الدولة وضعف الوازع الديني وامتدت أطماع القواد إلى أموال الرعية. ومن أجل إقرار العدالة وإحقاق الحق لا بد من توافر الأسس التالية للقضاء في الإسلام:

أولاً - اعتماده على العقيدة والأخلاق: لتربية الضمير والوجدان، وتهذيب النفس، وإعداد الوازع الديني والخلقي المهيمن على سير الدعوى. وهو مطلوب في اختيار القاضي، وعند رفع الدعوى، وفي معاملة الخصوم، وفي إصدار الأحكام وتنفيذها، وفي الإثبات الشرعي والتزام أحكام الشريعة ونحوها.

ثانياً - ضرورته في كل دولة: القضاء أمر لازم لكل دولة، كما اتضح من ممارسة الرسول ﷺ له، ومتابعة الخلفاء سنته واهتمامهم بتنظيمه. فهو إذن يحتل مركزاً مهماً في الدولة، ويعد أحد سلطاتها الضرورية لوجودها وبقائها: «العدل أساس الملك» بل ويستمد قوته من الدولة في التخاصم وإصدار الأحكام، واستيفاء الحقوق.

استقلال السلطة القضائية والفصل بين السلطات:

كان القضاء في عهد الرسول وخلافة أبي بكر وجزء من خلافة عمر يقوم به الولاة الإداريون، ثم أمر عمر بفصل أعمال القضاة عن أعمال الولاة، فعين القضاة في المدينة وسائر المدن الإسلامية، وجعل سلطة القضاء تابعة له مباشرة. وبه تحقق فصل السلطة القضائية عن بقية سلطات الدولة [١].

المساواة أمام القضاء:

ولا يعرف الإسلام في أحكامه وقضائه ومحاكمه التفرقة بين مسلم وغير مسلم، فالكل أمام الحق والعدل سواء، ولا محاباة لمسلم على حساب غير المسلم في أي مظهر أو وضع من مظاهر القضاء وأوضاعه.

والدليل القاطع على هذا: ما نزل في القرآن الكريم في شأن يهودي أراد المنافقون أن يلصقوا به تهمة سرقة ارتكبها بعضهم، وهي أن طعمة ابن أبيرق من بني ظفر، سرق درعا من جار له في جراب دقيق، فجعل الدقيق ينتثر من خرق فيه، وخبأها عند زيد بن السمين من اليهود، فالتمسوا الدرع عند طعمة، فلم يجدوها وحلف بالله ما أخذها، فساروا في أثر الدقيق حتى انتهوا إلى منزل اليهودي، فأخذوها، فقال: دفعها إلي طعمة، - وكان من المنافقين - وشهد له أي لليهودي ناس من اليهود بذلك، ولكن طعمة أنكر ذلك، فقالت بنو ظفر: انطلقوا بنا إلى رسول الله، فسألوه أن يجادل عن صاحبهم، وقالوا إن لم تفعل هلك وافتضح وبرئ اليهودي، فهمّ النبي ﷺ أن

---

(١) أ. د. وَهْبَة الزُّحَيْلِيّ، الفِقهُ الإسلاميُّ وأدلّتُهُ الشَّامل للأدلّة الشَّرعيَّة والآراء المذهبيَّة وأهمّ النَّظريَّات الفقهيَّة وتحقيق الأحاديث النَّبويَّة وتخريجها، دار الفكر - سوريَّة - دمشق، ٨/ ٣٥٢.

يفعل، وأن يعاقب اليهودي، فنزلت آيات تسع في هذه الحادثة، وأما طعمة فهرب إلى مكة وارتد، وقد سقط عليه حائط في سرقة، فمات.

هذه الآيات من سورة النساء هي قوله تعالى:{إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُۥ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيٓـَٔةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِۦ بَرِيٓـًٔا فَقَدِ ٱحْتَمَلَ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُۥ لَهَمَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ أَن يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ۖ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِن شَىْءٍ ۚ وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾} [النساء: ١٠٥ - ١١٣].

وتشتمل هذه الآيات على موضوعات أربعة: أولها تقرير مبدأ الحق والعدل المطلق، لأن العدل لا يتجزأ، ولا ينحاز القاضي المؤمن الحر النزيه إلى أحد الخصمين، حتى ولو كان متفقا معه في الدين، أو قريبا أو أبا أو ابنا أو زوجا، وفي ثنايا تقرير مبدأ العدل هذا عتاب للنبي ﷺ على ما همّ عليه وتصحيح لموقفه، وتأنيب ما على قبول ما رفع إليه في أمر بني أبيرق بسرعة دون تثبت. وهذا يقتضي طلب الاستغفار منه على ما همّ عليه، وتحذيره من الجدال أو الدفاع عن القوم من بني أبيرق الذين يخونون أنفسهم بالمعاصي. والله لا يخفى عليه شيء من نواياهم وتآمرهم وتبييتهم ما لا يرضى الله من القول

الباطل، واتهام الأبرياء لرفع التهمة عنهم.

والموضوع الثاني: تنديد وتوبيخ للذين يدافعون عن غيرهم بالباطل وهم أقارب طعمة، فإذا جادلوا عن المتهم بغير حق في الدنيا، فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة، ومن يجرأ أن يكون يوم القيامة محاميا وكيلا أمام الله الذي يعلم الحقائق ولا تنطلي عليه الحيل والأكاذيب.

والموضوع الثالث: ترغيب وترهيب: ترغيب المسيء أو الظالم بالعدول عن إساءته وطلب المغفرة من الله على تورطه بالخطايا والذنوب، فإن وبال الذم أو الإثم على نفسه، وترهيب من محاولة إلصاق التهمة بالأبرياء، فذلك أعظم البهتان (أي الكذب) وأوضح الإثم والمعصية.

والموضوع الرابع: بيان واضح لعصمة النبي ﷺ من الوقوع في الخطأ القولي والعملي فضلا من الله ورحمة، ومنع أذى الأشرار الذين يحاولون إضلاله وتلبيس الحق بالباطل وإخفاءه عليه، فالله محبط تآمرهم وراد كيدهم وكاشف حيلهم، والواقع أنهم لا يضرون إلا أنفسهم، فإن نبي الله معصوم من كل مكروه، أنزل الله عليه القرآن والحكمة: وهي فقه مقاصد الدين وأسراره، وعلّمه ما لم يكن يعلم، وفضل الله عليه عظيم جدا، لأنه رسول للناس كافة وخاتم الأنبياء والمرسلين [(١)].

والعدل هو الغاية من رسالات الله: إن العدل قيمة من القيم الاسلامية العليا. ذلك أن إقامة الحق والعدل هي التي تشيع الطمأنينة، وتنشر الأمن، وتشد علاقات الأفراد بعضهم ببعض، وتقوي الثقة بين الحاكم والمحكوم، وتنمي الثروة، وتزيد في الرخاء، وتدعم الأوضاع، فلا تتعرض لخلخلة

(١) التفسير الوسيط للزحيلي، ١ /٣٧٧.

أو اضطراب، ويمضي كل من الحاكم والمحكوم إلى غايته في العمل، والإنتاج، وخدمة البلاد، دون أن يقف في طريقه ما يعطل نشاطه، أو يعوقه عن النهوض. وإنما يتحقق العدل بإيصال كل حق إلى مستحقه والحكم بمقتضى ما شرع الله من أحكام ويتجنب الهوى بالقسمة بين الناس بالسوية.

وما كانت مهمة رسل الله إلا القيام بهذا الأمر وإنفاذه.

وما كانت وظيفة أتباع الرسل إلا السير على هذا النهج كي تبقى النبوة تمد الناس بظلها الظليل:{لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا رُسُلَنَا بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلۡنَا مَعَهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلۡقِسۡطِ} [الحديد: ٢٥].

ومن أهم الوسائل التي يتحقق بها القسط وتحفظ الحقوق وتصان الدماء والأعراض والأموال هي إقامة النظام القضائي الذي فرضه الإسلام وجعله جزءا من تعاليمه وركيزة من ركائزه التي لابد منها ولاغنى عنها.

اللهم إنا نسألك خشيتك في الغيب والشهادة، وكلمة الحق في الغضب والرضا، ونسألك القصد في الفقر والغني، ونسألك الرضا بعد القضاء، ونسألك برد العيش بعد الموت ونسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة، اللهم زينا بزينة الإيمان، واجعلنا هداةً مهتدين استجب اللهم يا رب العالمين.

* * *

الحسن البصري

أعــلام القضــاء

الحسن البصري

إنه علم من أعلام الصالحين، وإمام من أئمتهم ورجلاً من رجالاتهم، ما إن يذكر اسمه إلا ويذكر الزهد - وما إن يذكر الزهد إلا ويذكر اسمه.

رجل هو الزهد، والزهد هو، لم يدرك النبي ﷺ وإنما كان على درجة من الفطنة والزكاء، والخشية والإنابة والعقل والورع، والزهد والتقوى ما جعله يشبه الصحابة الكرام بل قال عنه علي بن زيد لو أدرك أصحاب رسول الله ﷺ وسلم وله مثل أسنانهم ما تقدّموه.

قال عنه أحد العلماء: كان جائعاً عالماً عالياً رفيعاً فقيها ثقة مأموناً عابداً ناسكاً كبير العلم فصيحاً جميلاً وسيماً.

قال عنه أحد الصحابة: لو أنه أدرك أصحاب رسول الله: لاحتاجوا إلى رأيه.

كانت أمه خيرة مولاة لأم سلمة زوج النبي ﷺ وكان مولده قبل نهاية خلافة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب بسنتين.

وكانت أمه تخرج إلى السوق أحياناً فتدعه عند أم سلمة فيصيح جوعاً فتلقمه أم سلمة ثديها لتعلله به، إلى أن تجيء أمه - وإذا برحمة الله تنزل على الثدي فيدر لبناً فيرضع الطفل حتى يرتوي.

فإذا هو يرتوي حكمة وفصاحة وتقى، فما إن شب الحسن إلا وينابيع الحكمة تنبع من لسانه وجمال الأسلوب ورصانة العبارة وفصاحة اللسان تتحدر من كلامه.

إنه الحسن بن أبي الحسن يسار، الإمام شيخ الإسلام أبو سعيد البصري المشهور بالحسن البصري، يقال: مولى زيد بن ثابت، ويقال: مولى جميل بن قطبة.

وأمه خيرة مولاة أم سلمة، نشأ إمامنا في المدينة النبوية وحفظ القرآن في خلافة عثمان. وكانت أمه وهو صغير تخرجه إلى الصحابة فيدعون له، وكان في جملة من دعا له عمر بن الخطاب.

قال: اللهم فقهه في الدين، وحببه إلى الناس.

فكان الحسن بعدها فقيهاً وأعطاه الله فهماً ثابتاً لكتابه وجعله محبوباً إلى الناس.

فلازم أبا هريرة وأنس بن مالك وحفظ عنهم أحاديث النبي ﷺ، فكان كلما سمع حديثاً عن المصطفى ازداد إيماناً وخوفاً من الله.

إلى أن أصبح من نساك التابعين ومن أئمتهم ومن وعاظهم ودعاتهم، وصار يرجع إليه في مشكلات المسائل وفيما اختلف فيه العلماء، فهذا أنس بن مالك، سُئل عن مسألة فقال: سلوا مولانا الحسن، قالوا: يا أبا حمزة نسألك، تقول: سلوا الحسن؟ قال: سلوا مولانا الحسن. فإنه سمع وسمعنا فحفظ ونسينا.

وقال أنس بن مالك أيضاً: إني لأغبط أهل البصرة بهذين الشيخين الحسن البصري ومحمد بن سيرين.

وقال قتادة: وما جالست رجلاً فقيهاً إلا رأيت فضل الحسن عليه، وكان الحسن مهيباً يهابه العلماء قبل العامة، قال أيوب السختياني: كان الرجل يجالس الحسن ثلاث حجج (سنين) ما يسأله عن مسألة هيبة.

وكان الحسن البصري إلى الطول أقرب، قوي الجسم، حسن المنظر، جميل الطلعة مهاباً.

قال عاصم الأحول: قلت للشعبي: لك حاجة؟ قال: نعم، إذا أتيت

البصرة فأقرئ الحسن مني السلام، قلت: ما أعرفه، قال: إذا دخلت البصرة فانظر إلى أجمل رجل تراه في عينيك وأهيبه في صدرك فأقرئه مني السلام، قال فما عدا أن دخل المسجد فرأى الحسن والناس حوله جلوس فأتاه وسلّم عليه.

وكان الحسن صاحب خشوع وإخبات ووجل من الله، قال إبراهيم اليشكري: ما رأيت أحداً أطول حزناً من الحسن، وما رأيته قط إلا حسبته حديث عهد بمصيبة.

وقال علقمة بن مرثد: انتهى الزهد إلى ثمانية من التابعين، فأما الحسن بن أبي الحسن البصري. فما رأينا أحداً من الناس كان أطول حزناً منه، وكان يقول أي الحسن: نضحك ولا ندري لعل الله قد اطلع على بعض أعمالنا.

فقال: لا أقبل منكم شيئاً، ويحك يا ابن آدم، هل لك بمحاربة الله طاقة؟ إن من عصى الله فقد حاربه، والله لقد أدركت سبعين بدرياً، لو رأيتموهم قلتم مجانين، ولو رأوا خياركم لقالوا ما لهؤلاء من خلاق، ولو رأوا شراركم لقالوا: ما يؤمن هؤلاء بيوم الحساب.

قال مطر الوراق: الحسن كأنه رجل كان في الآخرة ثم جاء يتكلم عنها، وعن أهوالها. فهو بخبر عما رأي وعاين.

وقال حمزة الأعمى: وكنت أدخل على الحسن منزله وهو يبكي، وربما جئت إليه وهو يصلي فأسمع بكاءه ونحيبه فقلت له يوماً: إنك تكثر البكاء، فقال: يا بني، ماذا يصنع المؤمن إذا لم يبكِ؟ يا بني إن البكاء داع إلى الرحمة. فإن استطعت أن تكون عمرك باكيا فافعل، لعله تعالى أن يرحمك.

ثم ناد الحسن: بلغنا أن الباكي من خشية الله لا تقطر دموعه قطرة

حتى تعتق رقبته من النار.

وقال حكيم بن جعفر: قال لي من رأى الحسن: لو رأيت الحسن لقلت: قد بث عليه حزن الخلائق، من طول تلك الدمعة وكثرة ذلك النشيج.

قال يزيد بن حوشب: ما رأيت أخوف من الحسن وعمر بن عبد العزيز، كأن النار لم تخلق إلا لهما.

وعن حفص بن عمر قال: بكى الحسن فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: أخاف أن يطرحني غداً في النار ولا يبالي.

لله ما أطهر هذه القلوب، ولله ما أزكى هذه النفوس، بالله عليك قل لي: هل أرواحهم خلقت من نور أم أطلعوا على الجنة وما فيها من الحور أو عايشوا النار وما فيها من الدثور أم إنه الإيمان يكسى ويحمل فيكون كالنور نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء.

سبحان الله لا إله إلا الله، ما الذي تغيّر هل لهم كتاب غير كتابنا أم أرواح غير أرواحنا أم لهم أرض غير أرضنا، لا والله لكنها القلوب تغيرت والنفوس أمنت والأجساد تنعمت، غيرتها الذنوب وقيدتها المعاصي حتى أصبحنا لا نرى هذه الصور الإيمانية ولا النفوس القرآنية وصرنا نذكرها كفقير يذكر غناه أو بئسٍ ينادي فرحة دمناه، أين إخبات الصالحين، أو خشوع المؤمنين أو دموع التائبين أو أنين الخائفين.

أين أهل الإيمان، كمدتُ ألا أراهم إلا في كتاب أو تحت تراب.

كان الحسن البصري صاحب مواعظ وتذكير، ولكلامه أثر في النفوس وتحريك للقلوب.

قال الأعمش: ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها.

وكان أبو جعفر الباقي إذا ذكره يقول: ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء.

ولما أراد الوالي عدي بْن أرطاة أن يوليه القضاء فاجتمع به مطولا، ثم خرج من عنده، وهو كئيب حزين، خبيث النفس، فقال للناس: إن هَذَا الرجل أجلسني للناس قاضياً فأعلمنه كبر سني، وضعفي، فإنه لا طاقة لي بالقضاء، فقال: أعني أياماً حتى أقعد مكانك رجلاً.

وقد تولي القضاء في خلافة عمر بن عبد العزيز علي مضض منه.

و لما ولي الحَسَن القضاء، أتاه خصمان فجلسا بين يديه، فرفع أحدهما صوته على الآخر، فبكى الحَسَن، وقال: ارحماني، فإني شيخ كبير، يعني: إن رضيت فهو جور في الحكم.

ولم يكن يتقاضي علي القضاء أجرا فقد أرسل إليه عدي بْن أرطاة بمائتي درهم، فردها فزاده، فقالَ: الحَسَن: إني لم أردها استقلالاً لها ولكني لا آخذ على القضاء أجراً.

وروي عنه أنه قال: أكره أن آخذ على القضاء أجراً [١].

ومن كلامه رحمه الله:

- روى الطبراني عنه أنه قال: إن قوماً ألهتهم أماني المغفرة، رجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة.

- يقول أحدهم: إني لحسن الظن بالله وأرجو رحمة الله، وكذب، ولو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة (الصحراء) من غير زاد ولا ماء أن يهلك.

(١١) أَبُو بَكرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْن حَيَّانَ بْن صَدَقَة الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، أخبار القضاة، ٢ / ٨.

- عن حميد قال: بينما الحسن في المسجد تنفس تنفساً شديداً ثم بكى حتى أرعدت منكباً ثم قال: لو أن بالقلوب حياةً، لو أن بالقلوب صلاحاً لأبكتكم من ليلةٍ صبيحتها يوم القيامة، إن ليلة تمخض عن صبيحة يوم القيامة ما سمع الخلائق بيوم قط أكثر من عورة بادية ولا عين باكية من يوم القيامة.

- وجاء شاب إلى الحسن فقال: أعياني قيام الليل (أي حاولت قيام الليل فلم أستطعه)، فقال: قيدتك خطاياك.

- وجاءه آخر فقال له: إني أعصي الله وأذنب، وأرى الله يعطيني ويفتح علي من الدنيا، ولا أجد أني محروم من شيء فقال له الحسن: هل تقوم الليل فقال: لا، فقال: كفاك أن حرمك الله مناجاته.

- وكان يقول: من علامات المسلم قوة دين، وجزم في العمل وإيمان في يقين، وحكم في علم، وحسن في رفق، وإعطاء في حق، وقصد في غنى، وتحمل في فاقة (جوع) وإحسان في قدرة، وطاعة معها نصيحة، وتورع في رغبة، وتعفف وصبر في شدة.

لا ترديه رغبته ولا يبدره لسانه، ولا يسبقه بصره، ولا يقلبه فرجه، ولا يميل به هواه، ولا يفضحه لسانه، ولا يستخفه حرصه، ولا تقصر به نغيته.

- وقال له رجل: إن قوماً يجالسونك ليجدوا بذلك إلى الوقيعة فيك سبيلاً (أي يتصيدون الأخطاء).

فقال: هون عليك يا هذا، فإني أطمعت نفسي في الجنان فطمعت، وأطعمتها في النجاة من النار، فطمعت، وأطمعتها في السلامة من الناس فلم أجد إلى ذلك سبيلاً، فإن الناس لم يرضوا عن خالقهم ورازقهم فكيف يرضون عن مخلوق مثلهم؟

- وسُئل الحسن عن النفاق فقال: هو اختلاف السر والعلانية، والمدخل والمخرج، ما خافه إلا مؤمن (أي النفاق) ولا أمنة إلا منافق، صدق من قال: إن كلامه يشبه كلام الأنبياء.

يا بن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا:

- قال الحسن البصري رحمه الله: يا بن آدم بع دنياك بآخرتك تربحهما جميعا، ولا تبع آخرتك بدنياك فتخسرهما جميعا، يا بن آدم إذا رأيت الناس في الخير فنافسهم فيه وإذا رأيتهم في الشر فلا تغبطهم عليه، الثواء ها هنا قليل، والبقاء هناك طويل، أمتكم آخر الأمم، وأنتم آخر أمتكم، وقد أسرع بخياركم، فماذا تنتظرون المعاينة فكأن قد هيهات هيهات ذهبت الدنيا بحاليها، وبقيت الأعمال قلائد في أعناق بني آدم، فيا لها موعظة لو وافقت من القلوب حياة، أما إنه والله لا أمة بعد أمتكم ولا نبي بعد نبيكم، ولا كتاب بعد كتابكم، أنتم تسوقون الناس والساعة تسوقكم، وإنما ينتظر بأولكم أن يلحقه آخركم، من رأي محمدا فقد رآه غاديا ورائحا لم يضع لبنة على لبنة، ولا قصبة على قصبة رفع له علم فشمر إليه، فالوحاء الوحاء والنجاء النجاء علام تعرجون أتيتم ورب الكعبة قد أسرع بخياركم وأنتم كل يوم ترذلون فماذا تنتظرون إن الله تبارك وتعالى بعث محمدا عليه الصلاة والسلام على علم منه اختاره لنفسه وبعثه برسالته وأنزل عليه كتابه وكان صفوته من خلقه ورسوله إلى عباده ثم وضعه من الدنيا موضعا ينظر إليه أهل الأرض وآتاه منها قوتا وبلغة ثم قال:{ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ } [الأحزاب: ٢١].

فرغب أقوام عن عيشه وسخطوا ما رضي له ربه فأبعدهم الله وأسحقهم.

يا بن آدم طإ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك:

- يا بن آدم طإ الأرض بقدمك فإنها عن قليل قبرك واعلم أنك لم تزل في هدم عمرك منذ سقطت من بطن أمك رحم الله رجلا نظر فتفكر وتفكر فاعتبر وأبصر فصبر فقد أبصر أقوام ولم يصبروا فذهب الجزع بقلوبهم ولم يدركوا ما طلبوا ولم يرجعوا إلى ما فارقوا يا بن آدم اذكر قوله:{ وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾} [الإسراء: ١٣ - ١٤] عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك، خذوا صفا الدنيا وذروا كدرها، فليس الصفو ما عاد كدرا ولا الكدر ما عاد صفوا، دعوا ما يريبكم إلى ما لا يريبكم، ظهر الجفاء، وقلت العلماء، وعفت السنة، وشاعت البدعة، لقد صحبت أقواما ما كانت صحبتهم إلا قرة العين وجلاء الصدور، ولقد رأيت أقواما كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم من سيئاتكم أن تعذبوا عليها، وكانوا فيما أحل الله لهم من الدنيا أزهد منكم فيما حرم الله عليكم منها، ما لي أسمع حسيسا ولا أرى أنيسا، ذهب الناس وبقي النسناس لو تكاشفتم ما تدافنتم تهاديتم الأطباق، ولم تهادوا النصائح، قال ابن الخطاب: رحم الله امرأ أهدى إلينا مساوينا، أعدوا الجواب، فإنكم مسؤولون، المؤمن من لم يأخذ دينه عن رأيه ولكنه أخذه من قبل ربه، إن هذا الحق قد جهد أهله وحال بينهم وبين شهواتهم وما يصبر عليه إلا من عرف فضله ورجا عاقبته فمن حمد الدنيا ذم الآخرة وليس يكره لقاء الله إلا مقيم على سخطه.

يا بن آدم الإيمان ليس بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في القلوب وصدقه العمل.

ستعلم يا لكع:

- وكان إذا قرأ:{أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١} [التكاثر: ١]، قال عم ألهاكم عن دار الخلود وجنة لا تبيد هذا والله فضح القوم وهتك الستر وأبدى العوار تنفق مثل دينك في شهواتك سرفا وتمنع في حق الله درهما ستعلم يا لكع الناس ثلاثة مؤمن وكافر ومنافق فأما المؤمن فقد ألجمه الخوف وقومه ذكر العرض وأما الكافر فقد قمعه السيف وشرده الخوف فأدعن بالجزية وسمح بالضريبة وأما المنافق ففي الحجرات والطرقات يسرون غير ما يعلنون ويضمرون غير ما يظهرون فاعتبروا إنكارهم ربهم بأعمالهم الخبيثة ويلك قتلت وليه ثم تتمنى عليه جنته.

رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله:

- وكان يقول: رحم الله رجلا خلا بكتاب الله فعرض عليه نفسه فإن وافقه حمد ربه وسأله الزيادة من فضله وإن خالفه أعتب وأناب وراجع من قريب، رحم الله رجلا وعظ أخاه وأهله فقال: يأهلي صلاتكم صلاتكم زكاتكم زكاتكم جيرانكم، جيرانكم إخوانكم إخوانكم مساكينكم مساكينكم لعل الله يرحمكم فإن الله تبارك وتعالى أثنى على عبد من عباده فقال:{ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ۝٥٥} [مريم: ٥٥]، يا بن آدم كيف تكون مسلما ولم يسلم منك جارك وكيف تكون مؤمنا ولم يأمنك الناس.

فلا تحقرن شيئا من الخير وإن صغر:

- وكان يقول لا يستحق أحد حقيقة الإيمان حتى لا يعيب الناس بعيب هو فيه ولا يأمر بإصلاح عيوبهم حتى يبدأ بإصلاح ذلك من نفسه فإنه إذا فعل ذلك لم يصلح عيبا إلا وجد في نفسه عيبا آخر ينبغي له

أن يصلحه فإذا فعل ذلك شغل بخاصة نفسه عن عيب غيره وإنك ناظر إلى عملك بوزن خيره وشره فلا تحقرن شيئا من الخير وإن صغر فإنك إذا رأيته سرك مكانه ولا تحقرن شيئا من الشر وإن صغر فإنك إذا رأيته ساءك مكانه.

رحم الله عبدا كسب طيبا وأنفق قصدا:

- وكان يقول رحم الله عبدا كسب طيبا وأنفق قصدا وقدم فضلا وجهوا هذه الفضول حيث وجهها الله وضعوها حيث أمر الله فإن من كان قبلكم كانوا يأخذون من الدنيا بلاغهم ويؤثرون بالفضل ألا إن هذا الموت قد أضر بالدنيا ففضحها فلا والله ما وجد ذو لب فيها فرحا فإياكم وهذه السبل المتفرقة التي جماعها الضلالة وميعادها النار أدركت من صدر هذه الأمة قوما كانوا إذا جنهم الليل فقيام على أطرافهم يفترشون خدودهم تجري دموعهم على خدودهم يناجون مولاهم في فكاك رقابهم إذا عملوا الحسنة سرتهم وسألوا الله أن يتقبلها منهم وإذا عملوا سيئة ساءتهم وسألوا الله أن يغفرها لهم يا بن آدم إن كان لا يغنيك ما يكفيك فليس ها هنا شيء يغنيك وإن كان يغنيك ما يكفيك فالقليل من الدنيا يكفيك يا بن آدم لا تعمل شيئا من الحق رياء ولا تتركه حياء.

لا أذهب إلى من يوارى عني غناه ويبدي لى فقره ويغلق دوني بابه:

- وكان يقول إن العلماء كانوا قد استغنوا بعلمهم عن أهل الدنيا وكانوا يقضون بعلمهم على أهل الدنيا ما لا يقضي أهل الدنيا بدنياهم فيها وكان أهل الدنيا يبذلون دنياهم لأهل العلم رغبة في علمهم فأصبح اليوم أهل العلم يبذلون علمهم لأهل الدنيا رغبة في دنياهم فرغب أهل الدنيا بدنياهم عنهم وزهدوا في علمهم لما رأوا من سوء

موضعه عندهم وكان يقول لا أذهب إلى من يوارى غني غناه ويبدي لى فقره ويغلق دوني بابه ويمنعني ما عنده وأدع من يفتح لي بابه ويبدي لي غناه ويدعوني إلى ما عنده.

وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله

- وكان يقول: يا بن آدم لا غنى بك عن نصيبك من الدنيا وأنت إلى نصيبك من الآخرة أفقر مؤمن مهتم وعلج اغتم وأعرابي لا فقه له ومنافق مكذب ودنياوي مترف نعق بهم ناعق فاتبعوه فراش نار وذبان طمع والذي نفس الحسن بيده ما أصبح في هذه القرية مؤمن إلا أصبح مهموما حزينا وليس لمؤمن راحة دون لقاء الله الناس ما داموا في عافية مستورون فإذا نزل بلاء صاروا إلى حقائقهم فصار المؤمن إلى إيمانه والمنافق إلى نفاقه أي قوم إن نعمة الله عليكم أفضل من أعمالكم فسارعوا إلى ربكم فإنه ليس لمؤمن راحة دون الجنة ولا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت المحاسبة من همه.

فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابوا:

- وقال في يوم فطر وقد رأى الناس وهيئاتهم إن الله تبارك وتعالى جعل رمضان مضمارا لخلقه يستبقون فيه بطاعته إلى مرضاته فسبق أقوام ففازوا وتخلف آخرون فخابو فالعجب من الضاحك اللاعب في اليوم الذي يفوز فيه المحسنون ويخسر فيه المبطلون أما والله أن لو كشف الغطاء لشغل محسن بإحسانه ومسيء بإساءته عن ترجيل شعر أو تجديد ثوب [١].

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت، ٢ / ٤٩٠.

لأن يتعلم الرجل باباً من العلم:

- عن الحسن البصري قال: لأن يتعلم الرجل باباً من العلم فيعبد به ربه فهو خير له من أن لو كانت الدنيا من أولها إلى آخرها له فوضعها في الآخرة.

إن كنتَ على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم:

قيل للحسن البصري: سبقنا القوم على خيلٍ دُهمٍ ونحن على حمر معقرة! فقال: إن كنتَ على طريقهم فما أسرع اللحاق بهم.

- الرجاء والخوف مطيتا المؤمن.

- الصبر كنز من كنوز الخير لا يعطيه الله إلا لعبد كريم عنده.

- قال يوسف بن عطية الصفار: رأيت الحسن البصري قاعداً في الشمس يفُتُّ لُبابَ الخبز للنمل.

- قيل للحسن البصري: ما حسن الخلق؟ قال: بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه.

- اللهم لا تجعلني ممن إذا مرض ندم، وإذا استغنى فُتِن وإذا افتقر حزن.

- قيل للحسن البصري: كيف ترى الدنيا؟ قال: شغلني توقع بلائها عن الفرح برخائها.

- نعمت الدار كانت الدنيا للمؤمن وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها إلى الجنة؛ وبئست الدار كانت للكافر والمنافق؛ وذلك أنه تمتع ليالي وكان زاده منها إلى النار.

اللهم رَبّ هذه الأجساد البالية والعِظام النّخرة:

- وكان الحَسَن البَصريّ إذا دخل المقبرة قال: اللهم رَبّ هذه الأجساد

البالية والعِظامِ النّخرة التي خَرَجت من الدُّنيا وهي بك مؤمنة أدخِل عليها رَوحاً منك وسَلاماً منَّا.

- كانوا يقولون: موت العالم ثلمة في الاسلام لا يسدها شيء ما اختلف الليل والنهار.

- إنما غلبهم عمر ﷺ بالصبر واليقين؛ لا بالصوم والصلاة.

بين مخافتين:

- إنَّ المؤمنَ يُصبحُ حزيناً ويمسي حزيناً، ولا يسعُهُ غيرُ ذلكَ، لأنهُ بين مخافتين: بين ذنب قد مضى لا يدري ما اللهُ يصنعُ فيه، وبين أجلٍ قد بقي لا يدري ما يُصيبُ فيه منَ المهالك.

إن المؤمن يصبح حزيناً:

- إن المؤمن يصبح حزيناً ويمسي حزيناً وينقلب باليقين في الحزن، ويكفيه ما يكفي العنيزة، الكف من التمر والشربة من الماء.

لَمَنْ يعلم أنَّ الموتَ موردُهُ:

- يحقٌّ لمَنْ يعلم أنَّ الموتَ موردُهُ وأنَّ الساعة موعدُهُ وأنَّ القيامَ بين يدي اللهِ تعالى مشهدُهُ: أنْ يطولَ حزنُه.

وحق للمؤمن أن يحزن وجهنم أمامه:

- ذكر الحسن ذات يوم قول أهل الجنة:{ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ} [فاطر: ٣٤]، فقال: أحزان أهل الدنيا يقطعها الموت، لكن أحزان الأخرة! وحق للمؤمن أن يحزن وجهنم أمامه مسيرة ثلاثة آلاف سنة؛ ألف سنة في هبوط، وألف سنة على متنها، وألف سنة في الصعود.

يا عجباً ممن يلغُ في دماء المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث:

- يروى عن أبي بكر الهذلي قال: كنا عند الحسن البصري إذ أقبل وكيع بن أبي أسود فقال: يا أبا سعيد ما تقول في دم البراغيث يصيب الثوب أيصلى فيه؟ فقال الحسن: يا عجباً ممن يلغُ في دماء المسلمين كأنه كلب ثم يسأل عن دم البراغيث فقام وكيع ينخلج في مشيته تخلج المجنون فقال الحسن: لله في كل عضو منك نعمة، اللهم لا تجعلنا ممن يتقوى بنعمتك على معصيتك.

يعارض جبار السماوات والأرض!!:

- العجب لابن آدم يغسل يده بالخرء مرتين ثم يتكبر!! يعارض جبار السماوات والأرض!!.

- يا ابن آدم كيف تتكبر وأنت خرجت من سبيل البول مرتين؟!!

إذا هانت عليك صلاتك؟!:

- ابن آدم أي دينك يعز عليك إذا هانت عليك صلاتك؟! وإذا هانت عليك صلاتك فهي على الله أهون.

- الصلاة خير موضوع، من شاء استقل، ومن شاء استكثر.

- إذا قمت إلى الصلاة فقم قانتاً كما أمرك الله وإياك والسهو والالتفات أن ينظر الله إليك وتنظر إلى غيره، تسأل الله الجنة وتعوذ به من النار وقلبك ساه ولا تدري ما تقول بلسانك.

- الصلاة إذا لم تنه عن الفحشاء والمنكر لم تزد صاحبها الا بعداً.

- قعد الحسن ليلة حتى الصبح فقيل له، فقال: غلبتني نفسي عن الصلاة فقلت لها: فاقعدي! فلم يدعها تنام حتى الصبح.

ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟:

قيل للحسن: ما بال المتهجدين من أحسن الناس وجوهاً؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره نوراً.

قال الحسن: نعم الشتاء للمؤمن، ليله طويل يقومه، ونهاره قصير يصومه.

ما الحج المبرور؟:

- سئل الحسن البصري: ما الحج المبرور؟ فقال: أن تعود زاهداً في الدنيا راغباً في الآخرة.

- من علامة إعراض الله عن العبد أن يجعل شغله فيما لا يعنيه، خذلاناً من الله عز وجل.

- لولا البلاء ما كان في أيام قلائل ما يهلك الرجل نفسه.

فما بقى من المروءة إذاً؟!

- قال عبد الأعلى السمسار: قال الحسن: يا عبد الأعلى أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة؟ قلت: لا والله ولا دانق واحد؛ فقال الحسن: إنْ هذه الأخلاق فما بقى من المروءة إذاً[1]؟!

- قال: وكان الحسن يقول: لا دين إلا بمروءة؛ وباع بغلة له فقال له المشتري: أما تحط لي شيئاً يا أبا سعيد؟ قال: لك خمسون درهماً، أزيدك؟ قال: لا، رضيت؛ قال: بارك الله لك.

- ذكر مبارك أن الحسن قلع ضرسه فأعطاه درهماً، قالوا له: إنه

(١) ذكر ابن كثير في البداية والنهاية (٩/٢٦٨) أن عبد الأعلى السمسار قال: قال الحسن: يا عبد الأعلى أما يبيع أحدكم الثوب لأخيه فينقص درهمين أو ثلاثة؟ قلت: لا والله ولا دانق واحد، فقال الحسن: إنْ هذه الأخلاق فما بقى من المروءة إذا؟ قال: وكان الحسن يقول: لا دين إلا بمروءة؛ وباع بغلة له فقال له المشتري: أما تحط لي شيئاً يا أبا سعيد؟ قال: لك خمسون درهماً، أزيدك؟ قال: لا، رضيت؛ قال: بارك الله لك.

بنصف درهم؛ فقال: أعطوه درهماً فإن المسلم لا يقاسم المسلم درهماً.

- قال الزبير الحنظلي: قلت للحسن: صليت يا أبا سعيد؟ قال: لا، قلت: إن أهل السوق قد صلوا؛ قال: إن أهل السوق لا خير فيهم؛ بلغني أن أحدهم يمنع أخاه الدرهم.

يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟!:

- بعث الحسن البصري قوماً من أصحابه في قضاء حاجة لرجل، وقال لهم: مروا بثابت البناني فخذوه معكم؛ فأتوا ثابتاً فقال: أنا معتكف، فرجعوا إلى الحسن فأخبروه فقال: قولوا: يا أعمش أما تعلم أن مشيك في حاجة أخيك المسلم خير لك من حجة بعد حجة؟! فرجعوا إلى ثابت فترك اعتكافه وذهب معهم.

مواقف من حياة الحسن البصري:

إن الله يمنعك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله:

لما ولي عمر بن هبيرة الفزارى العراق وذلك في أيام يزيد بن عبد الملك استدعى الحسن البصري ومحمد بن سيرين والشعبي سنة ثلاث ومائة فقال لهم إن يزيد خليفة الله استخلفه على عباده وأخذ عليهم الميثاق بطاعته وأخذ عهدنا بالسمع والطاعة وقد ولاني ما ترون فيكتب إلي بالأمر من أمره أعرف في تنفيذه الهلكة فأخاف إن أطعته غضب الله وإن عصيته لم آمن سطوته فما ترون، فقال ابن سيرين والشعبي قولا فيه تقية وكان ابن هبيرة لا يستشفي دون أن يسمع قول الحسن فقال: قل ما عندك يا أبا سعيد فقال: يا بن هبيرة خف الله في يزيد ولا تخف يزيد في الله إن الله يمنعك من يزيد وإن

يزيد لا يمنعك من الله وأوشك أن يبعث إليك ملكا فيزيلك عن سريرك ويخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك ثم لا ينجيك إلا عملك يا بن هبيرة إن تعص الله فإنما جعل الله هذا السلطان ناصرا لدين الله وعباده فلا تركبن دين الله وعباده بسلطان الله فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك:

وفي رواية أخرى قال: أقول والله إنه يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك فلا يغني عنك ابن عبد الملك شيئا وإني لأرجو أن الله عز وجل سيعصمك من يزيد وإن يزيد لا يمنعك من الله فاتق الله أيها الأمير فإنك لا تأمن أن ينظر الله إليك وأنت على أقبح ما تكون عليه من طاعة يزيد نظرة يمقتك بها فيغلق عنك باب الرحمة واعلم أني أخوفك ما خوفك الله سبحانه حين يقول:{ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم: ١٤]، وإذا كنت مع الله عز وجل في طاعته كفاك بوائق يزيد وإن كنت مع يزيد على معصية الله وكلك الله إلى يزيد حين لا يغني عنك شيئا، فبكي عمر بن هبيرة بكاء شديدا ثم أجازهم وأضعف جائزة الحسن فقال الشعبي لابن سيرين سفسفنا له فسفسف لنا.

فضحتم القراء فضحكم الله:

وفي الخبر أن الحسن البصري مر على باب ابن هبيرة وعليه القراء فسلم ثم قال: ما لي أراكم جلوساً قد أحفيتم شواربكم وحلقتم رؤوسكم وقصرتم أكمامكم وفلطحتم نعالكم؟! أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا فيما عندكم ولكنكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم، فضحتم القراء فضحكم الله!.

أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا فيما عندكم:

وقال أبو القاسم عبد الرحمن بن إسحاق الزجاجي النحوي البغدادي [١] قال: مرّ الحسن البصريّ رحمه الله بباب عمر بن هبيرة، وعليه القرّاء، فسلمّ ثم قال: ما لكم جلوساً قد أحفيتم شواربكم، وحلقتم رؤوسكم، وقصرتم أكمامكم، وفلطحتم نعالكم؟ أما والله لو زهدتم فيما عند الملوك لرغبوا فيما عندكم ولكنّكم رغبتم فيما عندهم فزهدوا فيما عندكم فضحتم القرّاء فضحكم الله؛ قال عبد الرحمن يعني ابن أخي الأصمعي: قلت لعمي: ما المفلطح؟ قال: هو الشيء يعرض أعلاه ويدقّ أسفله، ومنه قيل: رأسٌ مفلطحٌ، والعامة تقول مفرطحٌ.

وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم؟!:

وقال السيوطي: أخبرنا خلف بن تميم عن أبي همام الكلاعي، عن الحسن أنه مر ببعض القراء على بعض أبواب السلاطين، فقال: أقرحتم جباهكم، وفرطحتم نعالكم، وجئتم بالعلم تحملونه على رقابكم إلى أبوابهم؟! أما إنكم، لو جلستم في بيوتكم لكان خيراً لكم، تفرقوا فرق الله بين أعضائكم.

اتق الله في نفسك وإياك والأماني:

وأحضر النضر بن عمرو وكان واليا على البصرة الحسن البصري يوما فقال يا أبا سعيد إن الله عز وجل خلق الدنيا وما فيها من رياشها وبهجتها وزينتها لعباده وقال عز وجل:{وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ} [الأعراف: ٣١]، وقال عز من قائل:{قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا} [الأعراف: ٣٢]، فقال الحسن: أيها الرجل اتق الله في نفسك وإياك

(١) كتاب الأمالي، ص٣.

والأماني التي ترجحت فيها فتهلك إن أحدا لم يعط خيرا من خير الدنيا ولا من خير الآخرة بأمنيته وإنما هي داران من عمل في هذه أدرك تلك ونال في هذه ما قدر له منها ومن أهمل نفسه خسرهما جميعا إن الله سبحانه اختار محمدا ﷺ لنفسه وبعثه برسالته ورحمته وجعله رسولا إلى كافة خلقه وأنزل عليه كتابا مهيمنا وحد له في الدنيا حدودا وجعل له فيها أجلا ثم قال عز وجل:{ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ } [الأحزاب: ٢١]، وأمرنا أن نأخذ بأمره ونهتدي بهديه وأن نسلك طريقته ونعمل بسنته فما بلغنا إليه فبفضله ورحمته وما قصرنا عنه فعلينا أن نستعين ونستغفر فذلك باب مخرجنا فأما الأماني فلا خير فيها ولا في أحد من أهلها فقال النضر: والله يا أبا سعيد إنا على ما فينا لنحب ربنا فقال الحسن لقد قال ذلك قوم على عهد رسول الله فأنزل الله تعالى عليه:{ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ } [آل عمران: ٣١]، فجعل سبحانه اتباعه علما للمحبة وأكذب من خالف ذلك فاتق الله أيها الرجل في نفسك وايم الله لقد رأيت أقواما كانوا قبلك في مكانك يعلون المنابر وتهتز لهم المراكب ويجرون الذيول بطرا ورياء الناس يبنون المدر ويؤثرون الأثر ويتنافسون في الثياب أخرجوا من سلطانهم وسلبوا ما جمعوا من دنياهم وقدموا على ربهم ونزلوا على أعمالهم فالويل لهم يوم التغابن ويا ويحهم:{يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾} [عبس: ٣٤ - ٣٧].

فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفاني وترك الباقي:

ودخل عليه يوما آخر فقال: أيها الأمير أيدك الله إن أخاك من نصحك في دينك وبصرك عيوبك وهداك إلى مراشدك وإن عدوك من غرك ومناك أيها الأمير اتق الله فإنك أصبحت مخالفا للقوم في الهدى

والسيرة والعلانية والسريرة وأنت مع ذلك تتمنى الأماني وترجح في طلب العذر والناس أصلحك الله طالبان فطالب دنيا وطالب آخرة وايم الله لقد أدرك طالب الآخرة واستراح وتعب الآخر واخترم فاحذر أيها الأمير أن تشقى بطلب الفاني وترك الباقي فتكون من النادمين واعلم أن حكيما قال:

أين الملوك التي عن حظها غفلـــت ::: حتى سقاها بكأس الموت ســـاقيها

نعوذ بالله من الحور بعد الكور ومن الضلالة بعد الهدي لقد حدثت أيها الأمير عن بعض الصالحين أنه كان يقول: كفي بالمرء خيانة أن يكون للخونة أمينا وعلى أعمالهم معينا.

أما أهل السماوات فقد مقتوك وأما أهل الأرض فقد لعنوك:

وروي أن الحجاج بني دارا بواسط وأحضر الحسن ليراها فلما دخلها قال: الحمد لله إن الملوك ليرون لأنفسهم عزا وإنا لنرى فيهم كل يوم عبرا يعمد أحدهم إلى قصر فيشيده وإلى فرش فينجده وإلى ملابس ومراكب فيحسنها ثم يحف به ذباب طمع وفراش نار وأصحاب سوء فيقول انظروا ما صنعت فقد رأينا أيها المغرور فكان ماذا يا أفسق الفاسقين أما أهل السماوات فقد مقتوك وأما أهل الأرض فقد لعنوك بنيت دار الفناء وخربت دار البقاء وغررت في دار الغرور لتذل في دار الحبور ثم خرج وهو يقول إن الله سبحانه أخذ عهده على العلماء ليبينه للناس ولا يكتمونه.

وبلغ الحجاج ما قال فاشتد غضبه وجمع أهل الشأم فقال: يأهل الشأم أيشتمني عبد من عبيد أهل البصرة وأنتم حضور فلا تنكرون ثم أمر بإحضاره فجاء وهو يحرك شفتيه بما لم يسمع حتى دخل على الحجاج فقال: يا أبا سعيد أما كان لإمارتي عليك حق حين قلت ما

قلت فقال: يرحمك الله أيها الأمير إن من خوفك حتى تبلغ أمنك أرفق بك وأحب فيك ممن أمنك حتى تبلغ الخوف وما أردت الذي سبق إلى وهمك والأمران بيدك العفو والعقوبة فافعل الأولى بك وعلى الله فتوكل وهو حسبنا ونعم الوكيل فاستحيا الحجاج منه واعتذر إليه وأكرمه وحياه.

وفي رواية أخرى فلما دخل قال له الحجاج ها هنا فأجلسه قريبا منه وقال ما تقول في علي وعثمان قال: أقول قول من هو خير مني عند من هو شر منك قال فرعون لموسى:{فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ ۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ﴿٥٢﴾} [طه: ٥١ - ٥٢]، علم علي وعثمان عند الله قال أنت سيد العلماء يا أبا سعيد ودعا بغالية وعلف بها لحيته فلما خرج تبعه الحاجب فقال له ما الذي كنت قلت حين دخلت عليه قال: قلت: يا عدتي عند كربتي ويا صاحبي عند شدتي، ويا ولي نعمتي، ويا إلهي وإله آبائي إبراهيم وإسحق ويعقوب ارزقني مودته واصرف عني أذاه ففعل ربي عز وجل.

أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر:

لما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة كتب إلى الحسن أن يكتب إليه بصفة الإمام العادل فكتب إليه الحسن رحمه الله اعلم يا أمير المؤمنين أن الله جعل الإمام العادل قوام كل مائل وقصد كل جائر وصلاح كل فاسد وقوة كل ضعيف ونصفة كل مظلوم ومفزع كل ملهوف والإمام العادل يا أمير المؤمنين كالراعي الشفيق على إبله الرفيق الذي يرتاد لها أطيب المرعى ويذودها عن مراتع الهلكة ويحميها من السباع ويكنفها من أذى الحر والقر والإمام العدل يا أمير المؤمنين كالأب الحاني على ولده يسعى لهم صغارا ويعلمهم كبارا يكتسب لهم في حياته ويدخر لهم بعد مماته والإمام العدل يا

أميـر المـؤمنين كـالأم الشـفيقة البـرة الرفيقـة بولـدها حملتـه كرهـا ووضـعته كرها وربتـه طفلا تسـهر بسـهره وتسكن بسكونه ترضـعه تارة وتفطمه أخرى وتفرح بعافيتـه وتغتم بشكايته والإمـام العـادل يـا أميـر المـؤمنين وصـي اليتـامى وخـازن المسـاكين يربـي صـغيرهم ويمون كبيرهم والإمام العدل يـا أمير المؤمنين كالقلب بين الجوانح تصلح الجوانح بصلاحه وتفسد بفساده والإمام العدل يا أمير المؤمنين هو القائم بين الله وبين عباده يسمع كلام الله ويسمعهم وينظر إلـى الله ويريهم وينقاد إلى الله ويقودهم فلا تكن يـا أمير المؤمنين فيمـا ملكك الله كعبد ائتمنه سيده واستحفظه مالـه وعياله فبدد المال وشرد العيـال فأفقر أهلـه وفرق مالـه واعلم يـا أمير المؤمنين أن الله أنـزل الحـدود ليزجر بها عن الخبائث والفواحش فكيف إذا أتاها من يليها وأن الله أنزل القصاص حياة لعباده فكيف إذا قتلهم من يقتص لهم واذكر يـا أمير المؤمنين الموت ومـا بعده وقلـة أشياعك عنده وأنصـارك عليـه فتزود لـه ولما بعده من الفزع الأكبر.

واعلم يا أمير المؤمنين أن لك منزلا غير منزلك الذي أنت فيه يطـول فيه ثواؤك ويفارقك أحباؤك يسلمونك في قعره فريدا وحيدا فتزود لـه مـا يصـحبك يـوم يفر المـرء مـن أخيـه وأمـه وأبيـه وصـاحبته وبنيـه واذكـر يـا أميـر المـؤمنين إذا بعثـر مـا فـي القبـور وحصـل مـا فـي الصـدور فالأسـرار ظـاهرة والكتـاب لا يغـادر صـغيرة ولا كبيـرة إلا أحصـاها فـالآن يـا أميـر المؤمنين وأنـت فـي مهل قبل حلول الأجل وانقطاع الأمل لا تحكم يا أمير المؤمنين في عباد الله بحكم الجـاهلين ولا تسـلك بهـم سـبيل الظـالمين ولا تسـلط المسـتكبرين علـى المستضعفين فإنهم لا يرقبون في مؤمن إلا ولا ذمـة فتبـوء بـأوزارك وأوزار مع أوزارك وتحمل أثقالك وأثقالا مع أثقالك ولا يغرنك الذين

يتنعمون بما فيه بؤسك ويأكلون الطيبات في دنياهم بإذهاب طيباتك في آخرتك لا تنظر إلى قدرتك اليوم ولكن انظر إلى قدرتك غدا وأنت مأسور في حبائل الموت وموقوف بين يدي الله في مجمع من الملائكة والنبيين والمرسلين وقد عنت الوجوه للحي القيوم.

إني يا أمير المؤمنين وإن لم أبلغ بعظتي ما بلغه أولو النهى من قبلي فلم آلك شفقة ونصحا فأنزل كتابي إليك كمداوي حبيبه يسقيه الأدوية الكريهة لما يرجو له في ذلك من العافية والصحة والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته.

الفائز من حرص على السلامة في دار الإقامة:

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز رحمهما الله اكتب إلي يا أبا سعيد بموعظة فأوجز فكتب إليه أما بعد يا أمير المؤمنين فكأن الذي كان لم يكن وكأن الذي هو كائن قد نزل واعلم يا أمير المؤمنين أن الصبر وإن أذاقك تعجيل مرارته فلنعم ما أعقبك من طيب حلاوته وحسن عاقبته وأن الهوى وإن أذاقك طعم حلاوته فلبئس ما أعقبك من مرارته وسوء عاقبته واعلم يا أمير المؤمنين أن الفائز من حرص على السلامة في دار الإقامة وفاز بالرحمة فأدخل الجنة.

فالرخاء فيها موصول بالشدة والبلاء:

وكتب إليه عمر بن عبد العزيز اكتب إلي يا أبا سعيد بذم الدنيا فكتب إليه أما بعد يا أمير المؤمنين فإن الدنيا دار ظعن وانتقال وليست بدار إقامة على حال وإنما أنزل إليها آدم عقوبة فاحذرها فإن الراغب فيها تارك والغني فيها فقير والسعيد من أهلها من لم يتعرض لها إنها إذا اختبرها اللبيب الحاذق وجدها تذل من أعزها وتفرق من جمعها فهي كالسم يأكله من

لا يعرفه ويرغب فيه من يجهله وفيه والله حتفه فكن فيها يا أمير المؤمنين كالمداوي جراحه يحتمي قليلا مخافة ما يكره طويلا الصبر على لأوائها أيسر من احتمال بلائها واللبيب من حذرها ولم يغتر بزينتها فإنها غدارة ختالة خداعة قد تعرضت بآمالها وتزينت لخطابها فهي كالعروس العيون إليها ناظرة والقلوب عليها والهة وهي والذي بعث محمدا بالحق لأزواجها قاتلة فاتق يا أمير المؤمنين صرعتها واحذر عثرتها فالرخاء فيها موصول بالشدة والبلاء والبقاء مؤد إلى الهلكة والفناء.

أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر:

واعلم يا أمير المؤمنين أن أمانيها كاذبة وآمالها باطلة وصفوها كدر وعيشها نكد وتاركها موفق والمتمسك بها هالك غرق والفطن اللبيب من خاف ما خوفه الله وحذر ما حذره وقدر من دار الفناء إلى دار البقاء فعند الموت يأتيه اليقين الدنيا والله يا أمير المؤمنين دار عقوبة لها يجمع من لا عقل له وبها يغتر من لا علم عنده والحازم اللبيب من كان فيها كالمداوي جراحه يصبر على مرارة الدواء لما يرجو من العافية ويخاف من سوء عاقبة الدار والدنيا وايم الله يا أمير المؤمنين حلم والآخرة يقظة والمتوسط بينهما الموت والعباد في أضغاث أحلام وإني قائل لك يا أمير المؤمنين ما قال الحكيم

فإن تنج منها تنج من ذي عظيمة ::: وإلا فإني لا إخالك ناجيا

ولما وصل كتابه إلى عمر بكى وانتحب حتى رحمه من كان عنده وقال: يرحم الله الحسن فإنه لا يزال يوقظنا من الرقدة وينبهنا من الغفلة ولله هو من مشفق ما أنصحه وواعظ ما أصدقه وأفصحه.

إن لم يتقوا استحيوا، وإن لم يستحيوا تكرموا:

وكتب عمر إلى الحسن: أعِنّي بأصحابك، فأجابه الحسن: من كان من أصحابي يريد الدنيا فلا حاجة لك فيه، ومن كان منهم يريد الآخرةَ فلا حاجة له قِبَلَكَ، ولكن عليك بذوي الأحساب فإنهم إن لم يتقوا استحيوا، وإن لم يستحيوا تكرموا.

اتقوا الله فإن عند الله حجاجين كثيراً:

كان الحسن البصري إذا ذكر الحجاج قال: يتلو كتاب الله على لَخْمٍ وجُذام ويعظ عظة الأزارقة ويبطش بطش الجبارين؛ وكان يقول: اتقوا الله فإن عند الله حجاجين كثيراً.

لا بد للناس من تنفيسات:

قيل للحسن: إنك تقول: الآخِر شرٌّ من الأول، وهذا عمر بن عبد العزيز بعد الحجاج!! فقال الحسن: لا بد للناس من تنفيسات.

ما كان أغره بالله:

كان رجل من الخوارج يغشى مجلس الحسن فيؤذيهم فقيل للحسن: يا أبا سعيد ألا تكلم الأمير حتى يصرفه عنا؟ فسكت عنهم فأقبل ذات يوم والحسن جالس مع أصحابه فلما رآه قال: اللهم قد علمت أذاه لنا فاكفناه بما شئت، فخر الرجل من قامته فما حمل إلى أهله إلا ميتا على سرير فكان الحسن إذا ذكره بكى وقال: البائس! ما كان أغره بالله[١].

خير الناس وشر الناس!:

(١) وهذه رواية أخرى: كان رجل من الخوارج يغشي مجلس الحسن البصري فيؤذيهم فلما ازداد أذاه قال الحسن: اللهم قد عملت أذاه لنا فاكفناه بما شئت؛ فخر الرجل من قامته؛ فما حمل إلى أهله إلا ميتاً على سريره. أنظر: جامع العلوم والحكم ص٣٦٨.

والتقى الحسن والفرزدق في جنازة، فقال الفرزدق للحسن: أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ قال: وما يقولون؟ قال: يقولون؟: اجتمع في هذه الجنازة خير الناس وشر الناس! فقال الحسن: كلا، لست بخيرهم، ولست بشرهم، ولكن ما أعددت لهذا اليوم؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستون سنة، وخمس نجائب لا يدركن - يعني الصلوات الخمس - فيزعم بعض التميمية أن الفرزدق رئي في النوم، فقيل له: ما صنع بك ربك؟ فقال: غفر لي. فقيل له: بأي شيء فقال: بالكلمة التي نازعني فيها الحسن [١].

فإني لا أحبسه لك حتى يكد على نفسه وعياله

عَن غالب القطان؛ قالَ: شهدت الْحَسَن، وهو قاض، أقر عنده رجل بدين، فقال: أحبسه لي قال: هَلْ تعلم له مالاً فتأخذه فنعطيك، أو شيئاً له يبيعه فندفع إليك ثمنه؟ قالَ: لا قال: فإني لا أحبسه لك حتى يكد على نفسه وعياله.

ما الصلح أردتما

عَن طلحة القصاب عَن الْحَسَن؛ أنه تقدم إليه حَيْثُ استقضى رجلان من ثقيف يختصمان إليه؛ فقالَ: الْحَسَن: وأنتما أيضاً في أسنانكما، وقرابتكما تختصمان؛ فقالا: يا أبا سعيد إنما أردنا الصلح، قال: فنعم أذا، فتكلما فوثب كل واحد منهما على صاحبه بالتكذيب، قال: يقول الْحَسَن: كذبتما ورب الكعبة قالَ: الله: إن يريد إصلاحاً يوفق الله بينهما، ما الصلح أردتما.

(١) محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م، ١ / ١٠١.

فما ذنبي إن كان ما عندك مثل الهدبة

عَن أشعث، قال: خاصمت إلى الحَسَن في بنت مؤذن لنا ادعت أن زوجها لا يقدر أن يدخل بها، وقالَ: هو: بلى قد دخلت بها، فقالَ: الحَسَن: فما ذنبي إن كان ما عندك مثل الهدبة [1] فأجله سنة يتداوى.

فاذهب مع أيهما شئت

قال أبُو عتبة شريك أبي عونة: هلك أبي في طاعون، فكفلته ظئري[2]حتى إذا قاربت جاء عمي فخاصمها فيّ فارتفعنا إلى الحَسَن، وهو على القضاء قاعد في المسجد، ظهره إلى المنارة، فقال: يا غلام هَذا عمك، وهذه ظئرك، فاذهب مع أيهما شئت فذهبت مع ظئري.

ذلك عملك بنفسك:

عَن سوار بْن مسعود أبي سهل اليربوع، قال: خاصمت إلى الحَسَن فجاء شهود، فشهدوا علي، منهم موسى بْن سالم، وصالح بْن هرمان، فقالَ: الحَسَن: ما تقول في هؤلاء؟ فقالَ: عدول مرضيون، فقضى علي، فقلت والله لقد قضيت علي بجور، قال: ذلك عملك بنفسك، شهدت أنهم عدول مرضيون [3].

كلمات حكيمة للحسن البصري:

- احذر من نقل إليك حديث غيرك فإنه سينقل إلى غيرك حديثك أيها الناس إنكم لا تنالون ما تحبون إلا بترك ما تشتهون ولا تدركون ما تأملون إلا بالصبر على ما تكرهون

(١) الهُدْبة والهُدُبةُ الشَّعَرةُ النَّابتةُ على شُفْر العَيْن والجمع هُدْبٌ.
(٢) قيل للمرأة الحاضنة ولد غيرها ظئر وللرجل الحاضن ولد غيره ظئر.
(٣) وكيع، أخبار القضاة، ٢ / ١٤.

الصبر صبران صبر عند المصيبة وصبر عن المعصية فمن قدر على ذلك فقد نال أفضل الصبرين أفضل الجهاد جهاد الهوى لا تكن ممن يجمع علم العلماء وحكم الحكماء ويجري في الحق مجرى السفهاء من خاف الله أخاف الله سبحانه منه كل شيء، ومن خاف الناس أخافه الله من كل شيء لولا ثلاثة ما طأطأ ابن آدم رأسه الموت والمرض والفقر وإنه بعد ذلك لوثاب احذروا العابد الجاهل والعالم الفاسق فإن فيهما فتنة لكل مفتون ترك الخطيئة أهون من معالجة التوبة لا تكن شاة الراعي أعقل منك تزجرها الصيحة وتطردها الإشارة المؤمن تلقاه الزمان بعد الزمان بأمر ووجه واحد ونصيحة واحدة وإنما يتبدل المنافق ليستأكل كل قوم المؤمن صدق قوله فعله وسره علانيته ومشهده مغيبه لا يزال العبد بخير ما كان له واعظ من نفسه وكانت الفكرة من عمله.

والذكر من شأنه والمحاسبة من همته ولا يزال بشر ما استعمل التسويف واتبع الهوى وأكثر الغفلة ورجح في الأماني الحق مر لا يصبر عليه إلا من عرف حسن العاقبة ومن رجا الثواب خاف العقاب حادثوا هذه القلوب فإنها سريعة الدثور واقدعوا هذه النفوس فإنها طلعة وإنكم إلا تزعوها تنزع بكم إلى شر غاية يا بن آدم نهارك ضيفك فأحسن إليه فإنك إن أحسنت إليه ارتحل يحمدك وإن أسأت إليه ارتحل يذمك وكذلك ليلك إنما أنت أيها الإنسان عدد فإذا مضى لك يوم فقد مضى بعضك وقيل له: يا أبا سعيد من أشد الناس صراخا يوم القيامة فقال رجل رزق نعمة فاستعان بها على معصية الله وكان يقول لو قمت الليل حتى ينحني ظهرك وصمت النهار

حتى يسقم جسمك لم ينفعك ذلك إلا بورع صادق وسمع رجلا يكثر الكلام فقال: يا بن أخي أمسك عليك لسانك فقد قيل ما شيء أحق بسجن من لسان وكان يقول لو لم يكن من شؤم الشراب إلا أنه جاء إلي أحب خلق الله إلى الله فأفسده لكان ينبغي للعاقل أن يتركه يعني العقل ويقول: ما أطال أحد الأمل إلا أساء العمل وما أساء العمل إلا ذل.

- وقال: يا عجبا لقوم قد أمروا بالزاد وأوذنوا بالرحيل وأقام أولهم على آخرهم فليت شعري ما الذي ينتظرون وقال اجعل الدنيا كالقنطرة تجوز عليها ولا تعمرها وقال ليس العجب ممن عطب كيف عطب إنما العجب ممن نجا كيف نجا وقال: من أخلاق المؤمن قوة في دين وحرص على العلم وقناعة في فقر ورحمة للمجهود وإعطاء في حق وبر في استقامة وفقه في يقين وكسب في حلال.

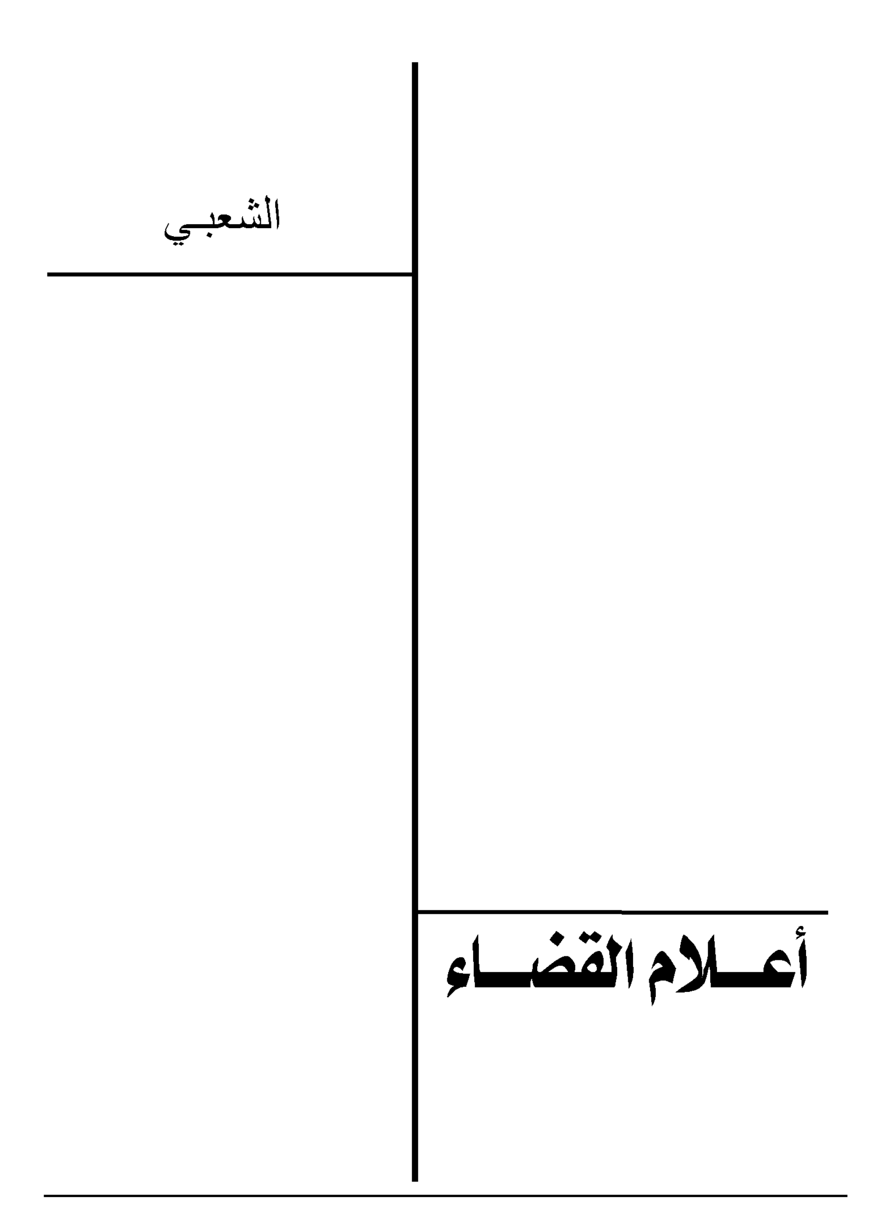
وفاة الحسن البصري:

- توفي الإمام الحسن البصري وعمره ٨٨ سنة عام عشر ومائة في رجب منها. بينه وبين محمد سيرين مائة يوم.

عن ثابت البناني قال: انصرفت من جنازة الحسن فقلت لبنتي: والله ما رأيت جنازةً قطُّ اجتمع فيها من الناس مثل ما اجتمع فيها، وإن كان الحسن لأهلاً لذلك، فقالت لي: يا أبة ما ذاك إلاّ لستر الله عليه، فصغرت والله نفسي [(١)]. رحمه الله رحمة واسعة وأدخله فسيح جنانه وجمعنا وإياه في دار كرامته.

* * *

(١) طبقات ابن سعد ٧ / ١٥٦، طبقات خليفة ت ١٧٢٦، الزهد لأحمد ٢٥٨، تاريخ البخاري ٢ / ٢٨٩، المعارف ٤٤٠، المعرفة والتاريخ ٢ / ٣٢ و٣ / ٣٣٨، أخبار القضاة ٢ / ٣، ذيل المذيل ٦٣٦، الجرح والتعديل القسم الثاني من المجلد الأول ٤٠، الحلية ٢ / ١٣١، ذكر أخبار أصبهان ١ / ٢٥٤، فهرست ابن النديم ٢٠٢، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨٧، الحسن البصري الفرج بن الجوزي، تهذيب الأسماء واللغات القسم الاول من الجزء الاول ١٦١، وفيات الأعيان ٢ / ٦٩، تهذيب الكمال ص ٢٥٦، تاريخ الإسلام ٤ / ٩٨، تذكرة الحفاظ ١ / ٦٦، تذهيب التهذيب ١ / ١٣٣ آ، البداية والنهاية ٩ / ٢٦٦ و٢٦٨، غاية النهاية ت ١٠٧٤، تهذيب التهذيب ٢ / ٢٦٣، النجوم الزاهرة ١ / ٢٦٧، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٢٨، خلاصة تذهيب التهذيب ٧٧، طبقات المفسرين ١ / ١٤٧، شذرات الذهب ١ / ١٣٦.


الشعبي
أعلام القضاء

الشعبـي

والشـعبي: هـو عـامر بـن شـراحيل الكـوفي عـالم أهـل زمانـه، وكـان حافظـاً علامـة ذا فنـون، كـان يقـول: مـا كتبـت سـوداء فـي بيضـاء، وأدرك خلقاً كثيراً من الصحابة، وعاش بضعاً وثمانين سنة.

وكان رحمـه الله تعـالى من نـوادر الحفـاظ، مـا يسمع شيئاً إلا حفظـه، حتـى إنـه كـان إذا دخـل السـوق يضـع فـي أذنيـه كرسفاً - أي: قطنـاً - ويقول: حتى لا أسمع أقوال الناس فأحفظها؛ لأنه كان كلما سمع شيئاً حفظه، ولهذا لم يكن يكتب، ولا يحتاج إلـى الكتابة؛ لأنـه كـان يستمع الشيء فيحفظه، وهذا من النوادر التـي يقل وجودهـا فـي النـاس، أي: الحافظة الخارقة، وله نظراء من الحفاظ المعروفين.

مر ﷺ برجل يغتابه فأنشد:

هنيئـــاً مريئـــاً غـــير داء مخـــامر ::: لعزة من أعراضنا مـــا اســـتحلت

وكان يقول: إياكم والقياس في الدين فإن من قاس فقد زاد في الـدين، وكان يقول: لأن أقيم في حمام أحب إلي من أن أقيم بمكة قال سفيان ﷺ: إعظاماً لها وخوفاً من وقوع ذنب فيها، وكان يقول: اتقوا الفـاجر من العلماء، والجاهل من المتعبدين، فإنهما فتنة لكل مفتون، وكـان ﷺ يقـول: لـم يحضـر وقعـة الجمـل مـن أصـحاب رسـول الله ﷺ إلا أربعـة علـي وعمـار وطلحـة والزبيـر فـإن جـاءوا بخـامس فأنـا كـاذب وقيل له مرة يا فقيه فقال: لست بفقيه، ولا عالم إنمـا نحـن قـوم سـمعنا حديثاً فنحن نحدثكم بما سمعنا، وإنما الفقيه من تورع عـن محـارم الله عز وجل، والعالم من خشي الله تعالى بالغيب، وكان رضـي الله تعالى عنـه يقـول: تعـايش النـاس بالـدين زمنـاً طـويلا حتـى ذهـب الـدين، ثـم تعايشـوا بـالمروءة زمنـاً طـويلا حتـى ذهبـت المـروءة، ثـم تعايشـوا بالحياء زمناً طويلا حتى ذهب الحياء، ثم تعايشوا بالرغبـة والرهبـة،

وسيأتي بعد ذلك ما هو أشد منه.

وكان يقول: ليتني لم أتعلم علماً وددت أن أخرج من الدنيا كفافاً لا علي ولا لي وكان ﷺ يقول: ما بكينا من زمان إلا وبكينا عليه وكان ﷺ يقول: أدركنا الناس وهم لا يعلمون العلم إلا لعاقل ناسك وصاروا اليوم يعلمونه لمن لا عقل له ولا نسك.

ولد ونشأ ومات فجأة بالكوفة. اتصل بعبد الملك بن مروان، فكان نديمه وسميره ورسوله إلى ملك الروم. وكان ضئيلا نحيفا، ولد لسبعة أشهر. وسئل عما بلغ وهو من رجال الحديث الثقات، استقضاه عمر بن عبد العزيز. وكان فقيها، شاعرا.واختلفوا في اسم أبيه فقيل: شراحيل وقيل: عبد الله. نسبته إلى شعب وهو بطن من همدان.

روي أن ابن عمر ﷺ مر به يوماً وهو يحدث بالمغازي فقال: شهدت القوم وإنه أعلم بها مني. وقال الزهري: العلماء أربعة: ابن المسيب بالمدينة، والشعبي بالكوفة، والحسن البصري بالبصرة، ومكحول بالشام. ويقال إنه أدرك خمسمائة من أصحاب رسول الله ﷺ.

وحكى الشعبي قال: أنفذني عبد الملك بن مروان إلى ملك الروم، فلما وصلت إليه جعل لا يسألني عن شيء إلا أجبته، وكانت الرسل لا تطيل الإقامة عنده، فحبسني أياماً كثيرة حتى استحثثت خروجي، فلما أردت الانصراف قال لي: من أهل بيت المملكة أنت فقلت: لا، ولكني رجل من العرب في الجملة، فهمس بشيء، فدفعت إلي رقعة وقال لي: إذا أديت الرسائل إلى صاحبك فأوصل إليه هذه الرقعة، قال: فأديت الرسائل عند وصولي إلى عبد الملك وأنسيت الرقعة،، فلما صرت في بعض الدار أريد الخروج تذكرتها، فرجعت فأوصلتها إليه، فلما قرأها قال لي: أقال لك شيئاً قبل أن يدفعها إليك

قلت: نعم، قال لي: من أهل بيت المملكة أنت قلت: لا، ولكني من العرب في الجملة. ثم خرجت من عنده، فلما بلغت الباب رُددت، فلما مثلت بين يديه قال لي: أتدري ما في الرقعة قلت: لا، قال: اقرأها، فقرأتها فإذا فيها " عجبت من قوم فيهم مثل هذا كيف ملكوا غيره "، فقلت له: والله لو علمت ما حملتها، وإنما قال هذا لأنه لم يرك، قال: أفتدري لم كتبها قلت: لا، قال: حسدني عليك، وأراد أن يغريني بقتلك، قال: فتأدى ذلك إلى ملك الروم فقال: ما أردت إلا ما قال.

وكان أعرابي يجالس الشعبي ويطيل الصمت، فقال له الشعبي يوماً: ألا تتكلم فقال: أسكت فأسلم وأسمع فأعلم؛ إن حظ المرء في أذنه له، وفي لسانه لغيره.

وقال رجل للشعبي كلاماً أقذع فيه فقال له: إن كنت صادقاً غفر الله لي وإن كنت كاذباً غفر الله لك.

وكان موسراً يشتري اللحم في كلّ جمعة بدرهم واحد، وكان يقول: لدرهم أعطيه في النوائب أحبُّ إليَّ من خمسة أتصدق بها. - مرّ على قوم وهم ينالون منه ولايرون، فلما سمع كلامهم قال " من الطويل ":

هنيئاً مريئاً غير داء مخامرٍ ::: لعزَّةَ من أعراضنا ما استحلتِ

وسئل الشعبي عن الرجل يعسر عن الأضحية ولا يجد ما يشتري فقال: لأن اتركها وأنا موسر أحب إلي من أن أتكلفها وأنا معسر.

وقال الشعبي: كانت درة عمر ﷺ أهيب من سيف الحجاج؛ وقال أيضاً: من زوج كريمته من فاسق فقد قطع رحمها.

ولما ولي عمر بن عبد العزيز استعمل على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، فاستقضى عبد الحميد الشعبيَّ بأمر

عمر، فقضى سنةً ثمّ استعفاه فأعفاه.

ولما ولي عمر بن عبد العزيز الخلافة الأموية واستعمل على الكوفة عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، فاستقضى عبد الحميد الشعبيَّ بأمر عمر، فتولي القضاء مدة سنةً ثمّ إنه لم يطل به المقام في القضاء وطلب الإعفاء فأعفي من القضاء.

مواقف من حياة الشعبي:

واجْعَلْ بدل المدح لي صوابَ الاستماع مني:

لما أفْضى الأمر إلى عبد الملك بن مروان تَاقتْ نفسُه إلى محادثة الرجال والأشراف على أخبار الناس، فلم يجد مَنْ يصلح لمنادمته غير الشَّعْبي، فلما حُمِل إليه ونادمه وحَظِيَ عنده قال له: يا شعبيُّ لا تساعدني على ما قبح، ولا تردَ علي الخطأ في مجلسي، ولاتكلفني جواب التشميت والتهنئة، ولا جواب السؤال والتعزية، ودع عنك كيف أصبح الأمير وكيف أمسى، وكلمني بقدر ما أستطعمك واجْعَلْ بدل المدح لي صوابَ الاستماع مني، وأعلم أن صواب الاستماع أكثر من صواب القول، وإذا سمعتني أتحدَّثُ فلا يفوتنَكَ منه شيء، وأرنِي فهمك في طرْفك وسمعك، ولا تجهد نفسك في تَطْرية جوابي، ولا تَستَدْعِ بذلك الزيادة في كلامي، فإن أسْوَأ الناس حالاً من استكد الملوك بالباطل، وإن أسوأ حالاً منهم من استخف بحقهم، واعلم يا شعبي أن أقل من هذا يذهب بسالف الإحسان، ويسقط حتى الحرمة فإن الصمت في موضعه ربما كان أبلغ من المنطق في موضعه، وعند إصابته فرصة.

من أين تهب الريح؟:

وقال عبد الملك للشعبي يوماً: من أين تهب الريح. قال: لا علم لي يا أمير المؤمنين قال عبد الملك: أما مهبُّ الشمال فمن مطلع بنات نَعْش إلى مطلع الشمس، وأما مهبُّ الصَّبَا فمن مطلع الشمس إلى مطلع سُهَيْل، وأما الجنوب فمن مطلع سَهَيْل إلى مغرب الشمس، وأما الدَّبُور فمن مغرب الشمس إلى مطلع بنات نَعْش.

يامُفوّت الحاجات!:

وكان الشعبي يتحدث فيقول: إن للحديث سكتات وإشارات وموافقات وتعريجات، فمواضع يتوقف فيها ومواضع يطوى فيها طيّاً، وليس كلّ أحدٍ أعطي ذلك ويحسن ذلك. - وكان يقول له ابن شبرمة: يامُفوّت الحاجات! لما كان يشغل جلساءه بحسن حديثه عن حوائجهم.

وكان لايقوم من مجلسه حتى يقول: أشهد أن لاإله إلا الله وحده لاشريك له، وأشهد أنّ محمداً عبده ورسوله ﷺ، وأشهد أنّ الدين كما أمر، وأشهد أنّ الإسلام كما وصف، وأشهد أنّ الكتاب كما بلَّغ، وأشهد أنّ القول كما حدث، وأشهد (أنَّ اللهَ هُوَ الحقُّ المُبينُ)! فإذا ذهب ينهض قال: ذكر الله محمداً منا بالسلام.

إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك!

وسمع رجلاً يشتمه فقال: إن كنت صادقاً فغفر الله لي، وإن كنت كاذباً فغفر الله لك! ثمّ تمثّلَ:

ليست الأحلامُ في حال الرضى ::: إنما الأحلامُ في حال الغضَبْ

والله ماكان شيءٌ من هذا:

وهجاه رجلٌ قضى عليه لزوجته فقال:

فَــــــتنَ الشــــــعبيُّ لّمـــــا ::: رفـــــعَ الطَــــرْفَ إليهــــا
فتنتـــــه حــــين ولَّــــت ::: ثمّ هــــــزَّت منكبيهــــــا
فتنتــــــــه بقــــــــوامٍ ::: وبخطَّــــــي حاجبيهــــــا
وبنــــــان كالمــــــداري ::: وبحســــــن معصــــــميها
مــــن فتــــاةٍ حــــين قامــــت ::: رفعــــــت مأمتيهــــــا
كيــــف لــــو أبصــــر منــــها ::: نحرهــــــا أو ســــــاعديها
لصــــبا حــــتى تــــراه ::: ســــاجداً بــــين يــــديها

قال للجلواز: قدمها وأحضر شاهديها

فقضــى جــوراً علــى الخصــم ::: ولم يقــــض عليهــــا
بنـــتِ عيســـى بـــن جـــرادٍ ::: ظَلَــــمَ الخصــــم لــــديها
مــا علــى الشــعبي لم يــوُ ::: فِ الــذي كــان عليهــا

فلما سمع الشعبي الأبيات ضحك وقال: لا والله ماكان شيءٌ من هذا.

أما إنه يحبه الرجالُ ويكرهه مؤنثوهم!:

قال الشعبي: ماأروي شيئاً أقلَّ من الشعر، ولو شئتُ أن أنشد شهراً ولا أعيد شيئاً لفعلت. - وقال أبو بكر الهُذَلي للشعبي: أتحبّ الشعر؟ قال: نعم! قال: أما إنه يحبه الرجالُ ويكرهه مؤنثوهم!

ألا يستحي مثلك يقول هذا؟!:

قال أبو بكر الهذلي لابن سيرين: إذا أتيت الكوفة فالزم الشعبيَّ واستكثر من حديثه! فلقد رأيته يستفتي وأصحاب محمد ﷺ لأحياءٌ. - وسئل عن شيء فقال: لاعلم لي بهذا! فقال: ألا يستحي مثلك يقول هذا؟! فقال: إنّ الملائكة لم تستحي من قولهم: " لا علم لنا " أستحيي أنا!؟

هذا منَّا أو منكم؟!:

قدم الشعبيُّ أيَّام عبد الله بن الزبير البصرة، فجلس إلى أناس في مسجدها فيهم الأحنف بن قيس، فتذاكروا أهل الكوفة وأهل البصرة، ولم يزل بهم الحديث حتى قال قائلٌ من أهل البصرة: وما أهل الكوفة، هل هم إلا خولنا؟ استنقذناهم من عبيدهم! قال الشعبيّ: فعرض في قلبي قولُ أعشى همدان فقلتُ " من الرمل ":

أفخَرْتم أن قتلتم أعْبُداً ::: وهزمتم مرّةً آلَ عَزَلْ
نحن سُقناهم إليكم عنوةً ::: وجمعنا أمركم بعد الفشل
فإذا فاخرتمونا فاذكروا ::: ما فعلنا بكمُ يومَ الجملْ
بين شيخٍ خاضب عثنونه ::: وفتىً أبيضَ وضَّاحٍ رفلْ
جاءنا يهدرُ في سابغةٍ ::: فذبحناهُ ضُحىً ذبح الحملْ
وعفونا فنسيتم عفونا ::: وكفرتم نعمة الله الأجلْ

فضحك الأحنف ثمّ قال: ياأهل البصرة، فخر عليكم الشعبيُّ، فأحسنوا مجالسته! ثمّ قال: ياجاريةُ، هاتي الصحيفة الصفراء! فرمى بها إلى الشعبي، فإذا فيها من المختار: " من أبي عبيد إلى الأحنف بن قيس مورد قومه سقر، حيثُ لايستطيع لهم الصدر، وإني لاأملك لهم ما خُطَّ في القدر، وقد بلغني أنكم تكذبونني وتكذبون رُسُلي، ولعمري لقد كذبت الأنبياء قبلي وأوذوا، وإن كنتُ لستُ بخيرٍ من نبي منهم، والسلامُ على من اتبع الهدى. " ثمّ أقبل عليَّ فقال: هذا منّا أو منكم؟! فغلبني وهو ساكت.

فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيتُ كلَّ رجل منهم قد أعطي ماسأل:

وقال الشعبيُّ: رأيتُ عجباً، كنَّا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن عمر وعبد الله بن الزبير ومصعب بن الزبير وعبد الملك بن مروان، فقال القومُ: ليقمْ كلُّ رجلٌ منكم فليأخذ بالرُكن اليماني وليسأل الله حاجته

فإنه يُعطى، قمْ، ياعبدالله بن الزبير! فإنك أولُ مولود ولد في الهجرة. فقام فأخذ بالركن اليماني فقال: اللهّمَّ إنك عظيمٌ تُرجى لكلّ عظيم، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عرشك وحرمة نبيك ﷺ ألا تميتني حتى توليني الحجاز ويُسلِّم عليَّ بالخلافة! وجاء فجلس، وقالوا: قُم، يامصعب! فقام حتى إذا أخذ بالركن اليماني فقال: اللهمَّ إنك ربُّ كلّ شيء، وإليك يصير كلُّ شيء، أسألك بقدرتك على كلّ شيء ألا تميتني حتى توليني العراقين وتزوجني سكينة بنت الحسين! وجاء فجلس، وقالوا: قم، ياعبد الملك! فقام فأخذ الركن وقال: اللهم ربّ السماوات السبع وربَّ العرش العظيم ربَّ الأرض ذات النبت بعد القفر، أسألك بما سألك عبادك المطيعون لأمرك، وأسألك بحرمة وجهك، وأسألك بحقك على جميع خلقك، وأسألك بحق الطائفين حول بيتك ألا تميتني حتى توليني شرق الأرض وغربها، ولاينازعني أحدٌ ألا أُتيتُ برأسه! ثمّ جاء فجلس، ثمّ قالوا: قم، ياعبد الله بن عمر! فقام حتى أخذ بالركن ثمّ قال: اللهمَّ إنك رحمان رحيم، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك، وأسألك بقدرتك على جميع خلقك إلا تميتني حتى تُوجب لي الجنة! - قال الشعبيّ: فما ذهبت عيناي من الدنيا حتى رأيتُ كلَّ رجل منهم قد أعطي ماسأل. وبُشر عبد الله بن عمر بالجنة.

وكتب عبد الملك بن مروان إلى الحجاج: إنه ليس شيءٌ من لذة الدنيا إلا وقد أُصبتُ به ولم يبق لي من لذة الدنيا إلا مناقلة الإخوان للحديث، وقبلك عامرٌ الشعبيُ، فابعث به إليه ليُحدثني! فجهزه الحجَّاج وبعث به إليه. قال: فدخلتُ فإذا عبدُ الملك جالسٌ على كرسي وبين يديه رجلٌ أبيضُ الرأس واللحية على كرسيّ، فسلمتُ فردّ السلام، ثمّ أومى إليّ بقضيبه فقعدت على يساره، ثمّ أقبل على الذي

بيد يديه فقال: من أشعر الناس؟ قال: أنا! قال الشعبيّ: فأظلم عليَّ ما بيني وبين عبد الملك، ولم أصبر أن قلتُ: ومن هذا، ياأمير المؤمنين، الذي يزعم أنه أشعر الناس؟ قال: فعجب عبد الملك من عجلتي، ثمّ قال: هذا الأخطل! قلتُ: ياأخطلُ، أشعر منك الذي يقول:

هــذا غُــلامٌ حَسَــنٌ وجهــهُ ::: مُقتبــلُ الخــيرِ ســريعُ التمــامْ
للحارثِ الأكبر والحــارث الــــ ::: أصغر والحارث خير الأنامْ أســرعَ
ثمّ لهنــــدٍ ولهنــــدٍ وقــــد ::: في الخــيراتِ منــه إمــامْ
ســتّةُ أمــلاكٍ هُــمُ مــا هُــمُ ::: هُمْ خيرُ من يشربُ صوب الغمامْ

فقال عبد الملك: رُدَّها عليَّ! فرددتها عليه حتى حفظها، فقال الأخطل: من هذا، ياأمير المؤمنين؟ قال: هذا الشعبيُّ! قال: والجِلَوز، ما أستعذت بالله من شر هذا! صدق والله، النابغة أشعر مني! قال الشعبيّ: ثمّ أقبل عليَّ عبد الملك فقال: كيف أنت؟ قلتُ: بخير، ياأمير المؤمنين! فلا زلتَ به! ثمّ ذهبت لأضع معاذير لي لما من خلافي على الحجاج مع عبد الرحمان ابن محمد بن الأشعث، فقال: مه، فإنا لانحتاج إلى هذا المنطق، ولا تراه منا في قول ولافعل حتى تفارقنا. ثمّ أقبل عليَّ فقال: ما تقول في النابغة؟ قلتُ: ياأمير المؤمنين، قد فضلّه عمرُ بن الخطاب في غير موطن على جميع الشعراء! خرج عمرُ وببابه وفد غطفان، فقال: يامعشر غطفان، أي شعرائكم الذي يقول:

حلفتُ فلم أترك لنفســك ريبــةً ::: وليس وراء الله للمــرء مــذهبُ
لئن كُنت قد بُلغتَ عــني رســالةً ::: لمبلغك الواشي أغشُّ وأكذبُ على
ولســتُ بمســتبقٍ أخــا لاتلمــهُ ::: شــعثٍ أيُّ الرجــال المُهــذَّبُ

قالوا: النابغة، ياأمير المؤمنين! قال: فأيكم الذي يقول:

لي ابن مُحــرقٍ أعملــتُ نفســي ::: وراحلتي وقــد هــدت العُيــونُ

أتيتــك عاريــاً خلقــاً ثيــابي ::: على خــوفٍ تُظــنُّ بي الظُنُــونَ
وألفيــتُ الأمانــةَ لم تخنــها ::: كــذلك كــان نُــوحٌ لايخُــونُ

قالوا: النابغة، ياأمير المؤمنين! قال: فأيكم الذي يقول:

فإنك كالليل الذي هــو مــدركي ::: وإن خِلْتُ أن المنتأى عنك واســعُ
خطاطيفُ حُجْنٌ في حبــالٍ متينــةٍ ::: تَمُــدُّ بهــا أيــدٍ إليــك نــوازعُ

قالوا: النابغة، ياأمير المؤمنين! قال: هذا أشعرُ شعرائكم. فأقبل على الأخطل فقال: أتحبُ أنك قلته؟ قال: لا، والله إلا أنني وددتُ أني كنت قلتُ أبياتا قالها رجلٌ منا، كان والله - ماعلمتُ - مغدف القناع قليل السماع قصير الذراع. قال: وما قال؟ فأنشده قصيدته " من البسيط ":

إنَّا مُحيّوك فاســلم أيهــا الطلــلَ ::: وإن بليت وإن طالن بك الطيــلَ
ليس الجديدُ بــه تبقــى بشاشــته ::: إلا قلــيلاً ولا ذو خلــةٍ يصــلُ
والعيشُ لاعــيشُ إلا مــاتقرُّ بــه ::: عينٌ ولاحال إلا ســوف تنتقــل
إن ترجعي من أبي عثمان منجحــةً ::: فقد يهون على المستنجح العمــلُ
والناسُ من تلق خيراً قــائلون لــه ::: ما يشتهي ولأم المخطــئ الهبــلُ
قد يُدرك المُتــأني بعــض حاجتــه ::: وقد يكون مع المســتعجل الزلــل

قال الشعبيُّ: قلت: والقُطامي قال أفضل من هذا! قال: وماقال؟ قلتُ:

طرقتُ جنوب رحالنا من مطــرقٍ ::: ماكنتُ أحســبها قريــبَ المعنــقِ

حتى أتيت على آخرها، فقال عبد الملك: ثكلت القطامي أمه! هذا والله ألشعر. قال: فالتفت إليَّ الأخطل فقال: ياشعبيُّ، إنّ لك فنوناً في الأحاديث، وإن لنا فنّاً واحداً، لاأعرض لك في شء من الشعر أبداً، فأقلني هذه المرة! قال: من يكفل بك؟ قلتُ: أمير المؤمنين! فقال عبد الملك: هو عليَّ أن لايعرض لك أبداً! ثمّ قال: ياشعبيُّ، أيُّ شعراء نساء الجاهلية كانت أشعر؟ قلت: خنساء! قال: ولم فضلتها؟ قلتُ: لقولها:

وقائلةٍ والنعشُ قد فات خطوها لتدركه ::: يا لهــف نفســي علــى صــخرِ
ألا ثكلتْ أمُّ الــذين غــدوا بــه ::: إلى القبر ماذا يحملــون إلى القــبرِ

فقال عبد الملك: أشعرُ منها واللهِ ليلى الأخيلية حيث تقول:

مهفهفُ الكشح والسربال منخرقٌ ::: عنه القميصُ لسيرِ الليــل محتقــرُ
لايأمن الناس ممســاه ومصــبحه ::: في كل فــجٍ وإن لم يغــزُ ينتظــرُ

ثمّ قال: ياشعبيّ، لعله شقَّ عليك ماسمعت؟! قلت: إي والله، ياأمير المؤمنين، أشدَّ المشقة! إني إنما أعلمتك هذا لأنه بلغني أن أهل العراق يتطاولون على أهل الشام، يقولون: إن كانوا غلبونا على الدولة فلم يغلبونا على العلم والرواية، وأهل الشأم أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق. - ومكثت عنده سنتين، بعثني إلى أخيه عبد العزيز بن مروان بمصر وكتب إليه: ياأخي، إني قد بعثت إليك بالشعبيّ، فانظر هل رأيت مثله؟! وقيل: لما دخل الشعبي على عبد الملك خطَّأه في مجلس ثلاث مرات، سمع الشعبيُّ منه حديثاً، فقال: اكتبنيه! فقال: نحن معاشر الخلفاء، ما نكتب أحداً! وذكر رجلاً فكنَّاه، فقال: من هذا، ياأمير المؤمنين؟ فقال: الخلفاء لاتسأل عن جلسائها وهم يسألون!

فأنا أحق به

عَن طارق بْن عَبْد الرحمن، قال: جاء سائل من السؤال الذين يكونون في المسجد، إلى عامر؛ وهو قاض؛ فقال: إنك ظلمتني، قال: بأي شيء؟ قالَ: جلست في المجلس الذي كنت أجلس فيه، قال: عامر هَذَا مجلس شريح الذي كان يقضي فيه، فأنا أحق به.

فيك أعظم من ذلك الشرك

عَن طارق بْن عَبْد الرحمن؛ أن الشعبي أتى بنصراني قذف مسلماً،

وقذف المسلم النصراني، فجلد النصراني للمسلم مائتين، ولم يجلد المسلم للنصراني شيئاً، وقالَ: فيك أعظم من ذلك الشرك.

ثم أحلفه بما يحلف به أهل دينه

قال إسحاق بْن ميسرة بنو الغصين: جاء مسلم بنصراني إلى الشعبي فقالَ: النصراني: أنا أحلف، فقالَ: الشعبي: اذهب فادخله البيعة، ثم أحلفه بما يحلف به أهل دينه.

ابعث إليَّ بأجمع رجلٍ عندك!:

وقال قتادة: كتب عبد الملك إلى الحجاج أن ابعث إليَّ بأجمع رجلٍ عندك! فبعث إليه بالشعبيّ. فلما قدم عليه قال له عبد الملك: علم بني ستَّ خصال، ثمّ شأنك بعد تأديبهم! علمهم صدق الحديث كما تعلمهم القرآن، وعلمهم الشعر ينجدوا ويمجدوا - يعني أنهم يكونوا أسخياء وفرساناً - وجُزَّ شعورهم تشتد رقابهم، وأطعمهم اللحم تصح قلوبهم، وجنبهم الحشم فإنه مفسدة لهم، وجالس بهم علية الرجال يناقضونهم الكلام فإنه خيار الناس! وقال عبد الملك للشعبي: لله در ابن قميئة حيث يقول:

كأني وقد خلفتُ تسعين حجةً ::: خلعتُ بها عني عذار لجامي
رمتني بنات الدهر من حيث لا أرى ::: فكيف بمن يُرمى وليس برامي
فلو أنها نبلٌ إذا لاتقيتها ::: ولكنني أرمى بغير سهام

فإن نقصت واحدة كانت وصمة

قال الوليد بْن سريع،: وجهني عَبْد الحميد بْن عَبْد الرحمن إلى عُمَر ابْن عَبْد العزيز بتقدير ديوان أهل الكوفة؛ فقال: من قاضيكم اليوم؟ قلت: عامر الشعبي، قال: أصاحب عَبْد العزيز بْن مروان؟ قلت: نعم، قال: إن القاضي ينبغي أن يكون فِيْهِ خلال خمس، فإن نقصت واحدة

كانت وصمة، العلم بما قبله، والحكم عند الخصم والتنزهة عند المطمع، والاحتمال للأئمة، ومشاورة ذوي العلم.

أفتدري لم أدخلناك؟!:

قال الشعبي: دخلت المسجد فإذا أنا بمصعب بن الزبير على سرير جالس والناس عنده فسلمت ثم ذهبت لأنصرف فقال لي: ادن فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه ثم قال إذا قمت فاتبعني فجلس قليلا ثم نهض فتوجه نحو دار موسى بن طلحة فتبعته فلما طعن في الدار التفت إلي فقال ادخل فدخلت معه ومضى نحو حجرته وتبعته فالتفت لي فقال: ادخل فدخلت معه فإذا حجلة وإنها لأول حجلة رأيتها لأمير فقمت ودخل الحجلة فسمعت حركة فكرهت الجلوس ولم يأمرني بالانصراف فإذا جارية قد خرجت فقالت يا شعبي: إن الأمير يأمرك أن تجلس فجلست على وسادة ورفع سجف الحجلة فإذا أنا بمصعب بن الزبير ورفع السجف الآخر فإذا أنا بعائشة بنت طلحة قال فلم أر زوجا قط كان أجمل منهما مصعب وعائشة فقال مصعب يا شعبي هل تعرف هذه فقلت نعم أصلح الله الأمير قال ومن هي قلت سيدة نُساء المسلمين عائشة بنت طلحة قال لا ولكن هذه ليلى التي يقول فيها الشاعر

ومازِلتُ من ليلى لَدُنْ طَرّ شـــاربي :: ....

وذكر البيتين ثم قال: إذا شئت فقم فقمت

فلما كان العشي رحت واذا هو جالس على سريره في المسجد فسلمت فلما رآني قال لي: ادن فدنوت حتى وضعت يدي على مرافقه فأصغى إلي فقال: هل رأيت مثل ذلك لإنسان قط؟ قلت: لا والله قال:

أفتدري لم أدخلناك قلت لا قال لتحدث بما رأيت ثم التفت إلى عبد الله ابن أبي فروة فقال أعطه عشرة آلاف درهم وثلاثين ثوبا فما انصرف يومئذ أحد بمثل ما انصرفت به بعشرة آلاف درهم وبمثل كارة القصار ثيابا وبنظرة من عائشة بنت طلحة.

لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء:

وكان عامر بن شراحيل الشعبي ممن خرج علي الحجاج وكان قتيبة بالري، وسأل الحجاج عن الشعبي فأخبره يزيد بن أبي مسلم، مولى الحجاج، بمصيره إلى قتيبة، فكتب إلى قتيبة بإشخاصه فلما قدم به استشار ابن أبي مسلم في أمره فقال: ما أدري ما أشير به، غير أن أعتذر ما استطعت، فلما دخل على الحجاج سلم بالإمرة ثم قال: أيها الأمير إن الناس أمروني أن اعتذر إليك بغير الحق، وايم الله لا قلت في مقامي هذا إلا حقاً، قد والله سعرنا عليك الحرب واجتهدنا كل الجهد فما ألونا، ولقد نصرك اله علينا وظفرك بنا، فإن سطوت علينا فبذنوبنا وما كسبت أيدينا، وإن عفوت فبحلمك عنا وبعد الحجة علينا.

فقال: أنت والله أحب إلي قولا ممن يدخل علينا وسيفه يقطر من دمائنا فيقول والله ما فعلت ولا شهدت، فقد أمنت عندنا يا شعبي فانصرف، قال الشعبي: ثم دعاني فارتعت حتى ذكرت قوله أنت آمن عندنا فاطمأننت، فلما دخلت عليه قال: هيه يا شعبي. فقلت: أصلح الله الأمير، أوحش الجناب وأحزن المنزل ونبا بنا، واستشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر، واستحلسنا البلاء، وفقدنا الصالحين من الإخوان - أو قال صالحي الإخوان - وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء، وما أعتذر إلى الأمير ألا أكون شيعت عليه، وقد كنت أكتب إلى يزيد بن أبي مسلم بعذري وأعلمه حالي فصدقه يزيد. فقال الحجاج: قد قبلت عذرك يا شعبي، وأمر بعطائه فرد عليه

وقال: انصرف مصاحباً.

حدثنا يوسف بن موسى القطان عن جرير عن مغيرة قال: دخل الشعبي على الحجاج فقال له: ما الذي نقمت؟. قال: لا يسألني الأمير ما نقمت ولكن ليسلني لم بطرت.

عن عيسى الحناط قال: لما ظهر الحجاج على ابن الأشعث، جعل يؤتى بالناس فأتي بالشعبي فقال: هيه يا شعبي. قال: أصلح الله الأمير، أجدب الجناب واعترانا السهر، وامتلأنا رعباً، وأتينا فتنةً لم نكن فيها أبراراً أتقياء ولا فجاراً أقوياء. قال: صدق الشعبي، خلو سبيله.

عن الشعبي قال: لما انهزم ابن الأشعث ضاقت بي الأرض وكرهت ترك عيالي وولدي، فأتيت يزيد بن أبي مسلم، وكان لي صديقاً، وكانت الصداقة تنفع عنده، فقلت: قد صرت إلى ما ترى؟ قال: إن الحجاج لا يكذب ولا يخدع ولكن قم بين يديه وأقر بذنبك واستشهدني على ما شئت، قال: فوالله ما شعر الحجاج إلا وأنا قائم بين يديه فقال: أعامر؟ قلت: نعم أصح الله الأمير. قال: ألم أقدم العراق فأحسنت إليك ووفدتك إلى أمير المؤمنين واستشرتك؟ قلت: بلى. قال: فأنى كنت في هذه الفتنة؟ قال: استشعرنا الخوف، واكتحلنا السهر، وأحزن بنا المنزل وأوحش الجناب وفقدنا صالحي الإخوان وشملتنا فتنة لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرةً أقوياء، وقد كنت أكتب إلى يزيد بن أبي مسلم بعذري. فصدقه يزيد، فقال الحجاج: هذا، لا من ضربنا بسيفه ثم جاءنا بالأحاديث كان وكان.

عن الشعبي قال: أتي بي الحجاج، فلما انتهيت إلى الباب لقيني يزيد ابن أبي مسلم، فقال: إنا لله يا شعبي لما بين كفيك من العلم، وليس

بيوم شفاعة، بؤ الأمير بالشرك والنفاق على نفسك فبالحري أن تنجو، ثم لقيني محمد بن الحجاج فقال مثل مقالة يزيد. فقال لي الحجاج: وأنت يا شعبي فيمن خرج علينا؟. فقلت: أصلح الله الأمير، أحزن بنا المنزل، وأجدب الجناب، وضاق المسلك، واكتحلنا السهر واحتلسنا الخوف ووقعنا في خزية لم نكن فيها بررة أتقياء ولا فجرة أقوياء.

فقال: صدق والله، ما بروا بخروجهم ولا قووا بحمد الله علينا إذ فجروا، أطلق عنه.

ثم قال: ما تقول في أم وأخت وجد؟. قلت: اختلف فيها خمسة من أصحاب رسول الله ﷺ : عثمان بن عفان، وعلي وعبد الله بن عباس، وابن مسعود، وزيد بن ثابت. قال: ما قال فيها ابن عباس إن كان لمتقناً؟. قلت: جعل الجد أباً فأعطى الأم الثلث ولم يعط الأخت شيئاً. قال: فابن مسعود؟ قلت: جعلها من ستة فأعطى الأخت النصف ثلاثة، والجد الثلث اثنين، والأم سدساً. قال: فأمير المؤمنين عثمان؟ قلت: جعلها أثلاثاً. قال: فزيد بن ثابت؟ قلت: جعلها من تسعة، أعطى الأم الثلث ثلاثة والجد أربعة، والأخت اثنين. قال: فأبو تراب؟ قلت: جعلها من ستة، أعطى الأخت النصف ثلاثة، والأم الثلث، والجد السدس. فقال: مروا القاضي أن يمضيها على قول أمير المؤمنين عثمان.

إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولا يعصمك يزيد بن عبد الملك من الله عز وجل!

قال علقمة بن مرثد: لما ولي عمر بن هبيرة العراق أرسل إلى الحسن وإلى الشعبي فأمر لهما ببيت وكانا فيه شهراً أو نحوه، ثم إن

الخصي غدا عليهما ذات يوم فقال: إن الأمير داخلٌ عليكما فجاء عمر يتوكأ على عصا له فسلم ثم جلس معظماً لها فقال: إن أمير المؤمنين يزيد بن عبد الملك ينفذ كتباً أعرف أن في انفاذها الهلكة فإن أطعته عصيت الله وإن عصيته أطعت الله عز وجل فهل تريا لي في متابعتي إياه فرجاً؟ فقال الحسن: يا أبا عمرو أجب الأمير، فتكلم الشعبي فانحط في حبل ابن هبيرة! فقال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أيها الأمير قد قال الشعبي ما قد سمعت؛ قال: ما تقول أنت يا أبا سعيد؟ فقال: أقول يا عمر بن هبيرة يوشك أن ينزل بك ملك من ملائكة الله تعالى فظ غليظ لا يعصي الله ما أمره فيخرجك من سعة قصرك إلى ضيق قبرك! يا عمر ابن هبيرة إن تتق الله يعصمك من يزيد بن عبد الملك ولا يعصمك يزيد ابن عبد الملك من الله عز وجل! يا عمر بن هبيرة لا تأمنْ أن ينظر الله إليك على أقبح ما تعمل في طاعة يزيد بن عبد الملك نظرة مقت فيغلق بها باب المغفرة دونك! يا عمر بن هبيرة لقد أدركت ناساً من صدر هذه الأمة كانوا والله على الدنيا وهي مقبلة أشد إدباراً من إقبالكم عليها وهي مدبرة؛ يا عمر بن هبيرة إني أخوفك مقاماً خوفكه الله تعالى فقال:{ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ} [إبراهيم: ١٤]؛ يا عمر بن هبيرة إن تكُ مع الله تعالى في طاعته كفاك بائقة يزيد بن عبد الملك؛ وإن تك مع يزيد بن عبد الملك على معاصي الله وكلك الله إليه؛ قال: فبكى عمر وقام بعبرته؛ فلما كان من الغد أرسل إليهما بإذنهما وجوائزهما وكثر منه ما للحسن وكان في جائزته للشعبي بعض الإقتار، فخرج الشعبي إلى المسجد فقال: يا أيها الناس من استطاع منكم أن يؤثر الله تعالى على خلقه فليفعل، فوالذي نفسي بيده ما علم الحسن منه شيئاً فجهلته، ولكن أردت وجه ابن هبيرة فأقصاني الله منه!!.

كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟

قال: وقام المغيرة بن مخادش ذات يوم إلى الحسن فقال: كيف نصنع بأقوام يخوفوننا حتى تكاد قلوبنا تطير؟! فقال الحسن: والله لئن تصحب أقواماً يخوفونك حتى يدركك الأمن خير لك من أن تصحب أقواماً يؤمنونك حتى يلحقك الخوف.

صفة أصحاب رسول الله ﷺ :

قال له بعض القوم: أخبرنا صفة أصحاب رسول الله ﷺ، قال: فبكى وقال: ظهرت منهم علامات الخير في السيماء والسمت والهدى والصدق وخشونة ملابسهم بالاقتصاد وممشاهم بالتواضع ومنطقهم بالعمل ومطعمهم ومشربهم بالطيب من الرزق وخضوعهم بالطاعة لربهم تعالى واستقادتهم للحق فيما أحبوا وكرهوا وإعطائهم الحق من أنفسهم؛ ظمئت هواجرهم ونحلت أجسامهم واستحقوا بسخط المخلوقين رضى الخالق، لم يفرطوا في غضب ولم يحيفوا في جور ولم يجاوزوا حكم الله تعالى في القرآن، شغلوا الألسن بالذكر، بذلوا دماءهم حين استنصرهم وبذلوا أموالهم حين استقرضهم، ولم يمنعهم خوفهم في المخلوقين، حسنت أخلاقهم وهانت مؤنتهم وكفاهم اليسير من دنياهم إلى آخرتهم.

رأيتُ ظلماً فاشياً:

وبعث ابن هبيرة إلى ابن سيرين والحسن والشعبي، فدخلوا عليه فقال لابن سيرين: يا أبا بكر ماذا رأيت منذ قربتَ من بابنا؟ قال: رأيتُ ظلماً فاشياً، قال: فغمزه ابن أخيه بمنكبه فالتفت إليه ابن سيرين فقال: إنك لست تُسأل إنما أنا أسأل، فأرسل إلى الحسن بأربعة آلاف وإلى ابن سيرين بثلاثة آلاف وإلى الشعبي بألفين، فأما ابن سيرين فلم

يأخذها.

كلام حكمة خرج من قلب خراب!

سمع الشعبي الحجاج بن يوسف وهو على المنبر يقول: أما بعد فإن الله كتب على الدنيا الفناء، وعلى الآخرة البقاء؛ فلا فناء لما كتب عليه البقاء، ولا بقاء لما كتب عليه الفناء؛ فلا يغرنَّكم شاهد الدنيا عن غائب الآخرة، وأقصروا من الأمل لقصر الأجل؛ فقال: كلام حكمة خرج من قلب خراب!.

فضحتني!:

عن عامر الشعبي أن إبناً لشريح قال لأبيه: بيني وبين قوم خصومة فانظر فإن كان الحق لي خاصمتهم وإن لم يكن لي الحق لم أخاصمهم فقص قصته عليه فقال: انطلق فخاصمهم فانطلق إليهم فخاصمهم إليه فقضى على إبنه فقال له لما رجع إلى أهله: والله لو لم أتقدم إليك لم ألمك، فضحتني! فقال: والله يا بني لأنت أحب إلي من ملء الأرض مثلهم ولكن الله هو أعز علي منك أن أخبرك أن القضاء عليك فتصالحهم فتذهب ببعض حقهم.

إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون:

قال الشعبي: شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها وبكت، فقلت: يا أبا أمية ما أظنها إلا مظلومة؛ فقال: يا شعبي إن إخوة يوسف جاؤوا أباهم عشاء يبكون.

متى ذهبت عينك؟

دخل الشعبي الحمام وفيه رجل حاسر، فغمض عينيه، فقال له الرجل: يا شيخ، متى ذهبت عينك؟ فقال: مذ أبدى الله عورتك.

سئل الشعبي عن مسألة فقال: لا علم لي بها، فقالوا: ألا تستحي؟ فقال: ولم أستحي مما لم يستحي منه الملائكة حين قالت:{لَا عِلْمَ لَنَآ} [البقرة: ٣٢].

فإن مع خطائك صواباً كثيراً:

قال الأصمعي: استأذن الشعبي على عبد الملك بن مروان وعنده الأخطل فأذن له، فلما مثل بين يديه قال: أنا الشعبي يا أمير المؤمنين، قال عن علم بك أذن لك، قال الشعبي: فعقدت أولة إلى أن قال: من أشعر الناس؟ فقال الأخطل: أنا ولم أعرفه فقلت: كذبت يا شيخ، امرؤ القيس أشعر منك، قال: صدقت، ولكن أمير المؤمنين سألني عن أهل زمانه فخبرته، فإذا كذبت امرءاً فاعرف ما خطب قولك، فعقدت في يدي ثانية أخطأت فيها، فنهض الشيخ فقلت: من هذا يا أمير المؤمنين، فوجم، وعلمت أني قد أخطأت ثالثة، إذ صيرت أمير المؤمنين ولي مسألتي، فالتفت إلي عبد الملك فقال لي: هذا الأخطل؛ يا شعبي، لا يهولنك ما كان منك، فإن مع خطائك صواباً كثيراً.

ويحك أو يدعك الشيطان تأكل لحمه؟

سأل رجل الشعبيّ عن أكل الذباب فقال: إن اشتهيت فكله. وسأل آخر الشعبي عن أكل لحم الشيطان فقال: ويحك ويدعك الشيطان تأكل لحمه؟ ارض منه بالكفاف.

ولو كانوا من البهائم لكانوا حمرا

قال الشعبيّ في الشّيعة: أخذوا بصدورٍ لا أعجاز لها، وأعجازٍ لا صدور لها، لو كانوا من الطّير لكانوا رخماً، ولو كانوا من البهائم لكانوا حمراً.

أنت أنت ذاك الرجل؟

قال الشعبي: حضرت مجلس زياد وحضره رجل فقال: أصلح الله الأمير، إن لي حرمة أفاذكرها؟ قال: هاتها، قال: رأيتك بالطائف وأنت غليم ذو ذؤابة وقد أحاط بك جماعة من الغلمان وأنت تركض هذا مرة برجلك وتنطح هذا مرة برأسك وتكدم هذا مرة بأسنانك، وكانوا مرة ينثالو عليك وهذه حالتك وحالهم، ومرة يندون عنك وأنت تتبعهم حتى كاثروك واستقووا عليك، فجئت حتى أخرجتك من بينهم وأنت سليم وكلهم جريح، قال: صدقت أنت أنت ذاك الرجل؟ قال: أنا ذاك، قال: حاجتك؟ قال: حاجة مثلي الغنى عن الطلب، قال: يا غلام أعطه كل سفراء وبيضاء عندك، ونظر فإذا قيمه ما يملك في ذلك اليوم أربعة وخمسون ألف درهم، فأخذها وانصرف، فقيل له بعد ذلك: أنت رأيت زياداً وهو غلام بهذه الحال؟ قال: إي والله لقد رأيته وقد اكتنفه صبيان صغيران كأنهما من سخال المعز، فلولا أدركته لظننت أنهما يأتيان على نفسه.

قال الشعبيّ: أخطأت عند عبد الملك بن مروان في أربع: حدثني بحديث يوماً فقلت: أعده عليّ فقال: أما علمت أن أمير المؤمنين لا يستعاد وقلت له حين أذن لي عليه: أن الشعبي فقال: ما أدخلناك حتى عرفناك. وكنيت عنده رجلا، فقال أما علمت أنه لا يكنى أحد عند أميرالمؤمنين. وحدثني بحديث فسألته أن يكتبه. فقال: إنا نكتّب ولا نكتَّب.

ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة

قال الشعبي: دخلت يوماً على ابن هبيرة وبين يديه رجل يريد قتله، فقلت: أصلح الله الأمير، أنت على فعل مالم تفعل أقدر منك على ما

فعلت، ولأن تندم على العفو خير من أن تندم على العقوبة. قال: صدقت يا شعبي. وأمر بالرجل إلى السجن.

أي الشراب أحب إليك؟

استسقى الشعبي على مائدة قتيبة بن مسلم، فقال: يا أبا عمرو أي الشراب أحب إليك؟ فقال: أعزه مفقوداً، وأهونه موجوداً. فقال قتيبة: اسقوه الماء.

فأنقعها من أول الليل!

سأل رجل الشعبي عن المسح على اللحية، قال: خللها، قال: أتخوف أن لا نبلها، قال: أن تخوفت فأنقعها من أول الليل.

أي الأصابع؟

روى الشعبي حديث رسول الله ﷺ : تسحروا ولو أن يضع أحدكم أصبعه على التراب ثم يضعها في فمه. فقال رجل في المجلس: أي الأصابع؟ فتناول الشعبي إبهام رجله وقال هذه.

وسئل الشعبي: أكان الحجاج مؤمناً؟ قال: نعم، بالطاغوت.

إن لم يكن هذا متنا من الغم!:

- ومزح الشعبي يوماً، فقيل له: يا أبا عمرو أفتمزح؟ قال: إن لم يكن هذا متنا من الغم، هواء داخل، وهواء خارج.

من أقوال الشعبي

- قال الشعبي: الذي يقرأ القرآن إنما يحدث عن ربه.
- الكلام مصائد العقول.
- عليك بالصدق حيث تُرى أنه يضرك؛ فإنه ينفعك، واجتنب الكذب

في موضع ترى أنه ينفعك؛ فإنه يضرك.

- قال الشعبي: لقد سمعت من عبد الملك بن مروان كلاماً على أعواده هذه حسدته عليه سمعته يقول: اللهم إن ذنوبي عظمت فجلت عن الصفة وإنها صغيرة في جنب عفوك فاعف عني.

- وقال الشَّعبيّ لرجل قال له: ألا تنتقم من فلانٍ فقد عاداك ونصب لك؟ فقال:

ليست الأحلام في حال الرِّضا ::: إنما الأحلام في حال الغضبْ

- ورُوي عن الشَّعبي أنه قال: " إنّ القلوب تملُّ الأبدان، فابتغوا لها طرائف الحكمة ".

- ما أفلح بخيلٌ قط. أما سمعتم قول الله تعالى:{وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ } [الحشر: ٩].

- حلي الرجال العربية، وحلي النساء الشحم.

- الشيب علة لا يعاد عنها ومصيبة لا يعزى عليها.

- الشكر نصف الإيمان، والصبر نصف الإيمان، واليقين الإيمان كله.

- عن الشعبي أن شريحاً قال: إني لأصاب بالمصيبة فأحمد الله عليها أربع مرات: أحمده إذ لم تكن أعظم مما هي؛ وأحمده إذ رزقني الصبر عليها؛ وأحمده إذ وفقني للإسترجاع لما أرجو فيه من الثواب؛ وأحمده إذ لم يجعلها في ديني.

- عن سعيد بن يزيد قال: سمعت الشعبي يتمثل:

أنت الفتى كل الفتى ::: إن كنت تصدق ما تقول
لا خير في كذب الجواد ::: وحبذا صدق البخيل

- زينُ العلمِ حلمُ أهله.

- السُّنة إذا قدم رجل من سفر، أن يأتيه إخوانه فيسلّموا عليه، إذا خرج إلى سفر أن يأتيهم فيودعهم ويغتنم دعائهم.

- قال الشعبي: قال لي عبد الملك جنبني ثلاثاً وأورد عليَّ ما شئت، لا تطرني في وجهي، فأنا أعلم بنفسي، وإياك أن تغتاب عندي أحداً، واحذر أن أجد عليك كذبة فلا أسكن إلى قولك أبداً.

- وقال الشعبيُّ: تعايشَ الناسُ بالدينِ زمناً طويلاً حتى ذهبَ الدينُ ثمَّ تعايشَ الناسُ بالمروءةِ زمناً طويلاً حتى ذهبت المروءةُ، ثم تعايشَ الناسُ بالحياءِ زمناً طويلاً حتى ذهبَ الحياءُ ثم تعايشَ الناسُ بالرغبةِ والرهبةِ وأظنُّ أنهُ سيأتي بعدَ هذا ما هو أشدُّ منه.

- وسئل الشعبي عن حسن الخلق؟ قال: البذلة والعطية والبشر الحسن؛ قال هلال: وكان الشعبي كذلك.

فانتظرْ ماذا يخرجُ من رأسِك!

وقال الشعبيُّ: مرضَ الأسدُ فعادَه السباعُ ما خَلا الثعلب، فقال الذئبُ: أيها الملكُ مرضتَ فعادَكَ السباعُ إلا الثعلبَ! قال: فإذا حضرَ فاعلمْني، قالَ: فبلغَ ذلكَ الثعلبَ فجاءَ فقالَ له الأسدُ: يا أبا الحصين عادني السباعُ كلُّهم فلمْ تعدني!! قال: بلغني مرَضُ الملِكِ فكنتُ في طلبِ الدواءِ! قال: فأيّ شيءٍ أصبتَ؟ قال: قالوا: خرزة في ساق الذئبِ ينبغي أن تُخرَجَ! قال: فضربَ الأسدُ بمخالبِهِ إلى ساق الذئبِ! فانسَلَّ الثعلبُ وقعدَ على الطريق، فمرَّ بهِ الذئبُ والدماءُ تسيلُ عليه! قال: فناداه الثعلبُ: يا صاحبَ الخفِّ الأحمر إذا قعدتَ بعدَ هذا عندَ

السلطان فانتظرْ ماذا يخرجُ من رأسِك! وأما هذه فقد خرجتْ من رجلك.

- وقال الشَّعْبي: ما جاءَك عن أصحاب محمد ﷺ فخُذه ودَعْ ما يقول هؤلاء الصَّعافِقة [١].

- ما اختلفتْ أمةٌ بعدَ نبيِّها إلا ظهرَ أهلُ باطلِها على أهل حقها.

- ما كُذب على أحد في هذه الأمة كما كُذب على علي رضي الله عنه.

قال ليثٌ: كنتُ أسألُ الشعبيَّ فيعرضُ عني ويجبهني بالمسألةِ فقلتُ: يا معشرَ العلماءِ يا معشرَ الفقهاءِ تروون عنا أحاديثكم وتجبهوننا بالمسألة[٢]؟! فقال الشعبي: يا معشر العلماء يا معشر الفقهاء! لسنا بفقهاءَ ولا علماءَ، ولكنا قومٌ قد سمعنا حديثاً فنحنُ نحدِّثُكم بما سمعنا؛ إنما الفقيهُ مَن ورِعَ عن محارمِ الله والعالم من خاف الله.

- وقال الشعبي: إنا لسنا بالفقهاء ولكنا سمعنا الحديث فرويناه ولكن الفقهاء من إذا علم عمل.

- وسبَّ الشعبيَّ رجلٌ، فقال له: إن كنت كاذباً يغفر الله لك، وإن كنت صادقاً يغفر الله لي.

- الغضب غول الحلم.

---

(١) قال ابن الأثير: (هم الذين يدخُلون السوق بلا رأس مالٍ؛ فإذا اشترى التَّاجرُ شيئاً دخل معَه فيه؛ وَاحِدُهم صَعْفق؛ وقيل صَعْفُوق؛ وصَعْفقيّ؛ أرادَ أنَّ هؤلاء لا عِلم عندهم؛ فهم بمنْزلة التّجار الذين ليس لهم رأسُ مالٍ؛ وفي حديث آخر أنه - أي الشعبي - سُئِل عن رجُل أفطرَ يوماً من رمضان، فقالَ: ما يقولُ فيه الصَّعافِقة؟).

(٢) جاء في (لسان العرب) (٤٨٣/١٣): (وجَبَه الرجلَ يَجْبَهُه جَبْهاً: رَدَّه عن حاجتِه واستقبله بما يكره. وجَبَهْتُ فلاناً إذا استقبلته بكلام فيه غِلْظة. وجَبَهْتُه بالمكروه إذا استقبلته به).

- وقال سفيان: حدثني رجل من أهل الكوفة قال: سئل عامر، يعني الشعبي، لما حضرته الوفاة بمن تأمرنا؟ قال: ما أنا بعالم ولا أترك عالماً، وإن أبا حصين الأسدي رجل صالح.

- وقال مالك بن مغول: سمعت الشعبي يقول: ليتني لم أكن علمت من ذا العلم شيئاً.

- لا تمنعوا العلمَ أهلَهُ فتأثموا، ولا تحدِّثوا بهِ غيرَ أهلِهِ فتأثموا.

- كل أمة علماؤها شرارها إلا المسلمين، فإن علماءهم خيارهم [(١)].

- قال الشعبي: يا طلاب العلم لا تطلبوا العلم بسفاهة وطَيْشٍ، اطلبوه بسكينة ووقارٍ وتُؤَدَة.

- إنما كان يطلبُ هذا العلمَ من اجتمعتْ فيه خصلتان: العقلُ والنسكُ، فإنْ كانَ عاقلاً ولمْ يكنْ ناسكاً قيلَ: هذا أمرٌ لا ينالُهُ إلا النُسّاك فلِمَ تطلبُه؟! وإنْ كانَ ناسكاً ولم يكن عاقلاً قيلَ: هذا أمرٌ لا يطلبُهُ إلا العقلاءُ فلِمَ تطلبُه؟! قالَ الشعبيُّ: فقد رهبتُ أنْ يكونَ يطلبُهُ اليومَ منْ ليسَ فيهِ واحدةٌ منهما، لا عقلٌ ولا نسكٌ.

- وعن الشعبي قال: من رق وجهه رق علمه.

- وقال الشعبيُّ: لو أنَّ رجلاً سافرَ من أقصى الشامِ إلى أقصى اليمنِ فحفظَ كلمةً تنفعُهُ فيما يستقبلُ من عمرِهِ رأيتُ أنَّ سفرَهُ لمْ يَضِعْ.

- عن ابن شبرمة قال سمعت الشعبي يقول: ما كتبت سوداء في بيضاء إلى يومي هذا ولا حدثني رجل بحديث قط إلا حفظته ولا أحببت أن يعيده علي.

(١) قال ابن تيمية تعليقاً على كلام الشعبي: وذلك أن كل أمة غير المسلمين فهم ضالون، وإنما يضلهم علماؤهم..

- عن وادع بن الأسود عن الشعبي قال: ما أروي شيئاً أقل من الشعر، ولو شئت لأنشدتكم شهراً لا أعيده.

- العلمُ أكثرُ من عدد القطر فخذْ منْ كلِّ شيءٍ أحسنَهُ؛ ثمَّ تلا: {فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ} [الزمر: ١٧ - ١٨].

- قال داود بن يزيد الأودي: قال لي الشعبي: يا أبا يزيد قم معي حتى أفيدك فمشيت معه وقلت: أي شيء يفيدني؟ قال: إذا سئلت عما لا تعلم فقل: الله أعلم به، فإنه علم حسن.

- عن الشعبي قال: من قتل اثنين فهو جبار؛ ثم قرأ:{أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ ۖ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ} [القصص: ١٩].

- من كذب فهو منافق، ثم قال: ما أدري أيهما أبعد غوراً، يعني في النار، الكذب أو الشح.

- ما تركَ أحدٌ في الدنيا شيئاً للهِ إلا أعطاهُ اللهُ في الآخرةِ ما هو خيرٌ له.

- ما من خطيب يخطب إلا عرضت عليه خطبته يوم القيامة.

- ما بكيتُ من زمانٍ إلا بكيت عليه.

- قال الشعبي: إن كرام الناس أسرعهم مودة، وأبطؤهم عداوة، مثل الكوب من الفضة: يُبطئ الانكسار ويُسرع الانجبار، وإن لئام الناس أبطؤهم مودة، وأسرعهم عداوة، مثل الكوب من الفخار: يسرع الانكسار ويبطئ الانجبار.

- من اجتنبَ مجلسَ حيِّه كثُرَ علمُه وزَكَى عملُه.

- من زوَّجَ كريمتَهُ من فاسقٍ فقد قطعَ رحمَها.

- قال الشعبي: لو أصبتُ تسعاً وتسعينَ وأخطأتُ واحدةً لأخذوا الواحدةَ وتركوا التسع والتسعين [(١)].

* * *

(١) يعني أن الناس يجمعون الزلات والعيوب ويحفظونها وينشرونها وإن كانت قليلة نادرة ويطوون المحاسن ويكتمونها وإن كثرت.

مصادر الترجمة: طبقات ابن سعد ٦ / ٢٤٦، طبقات خليفة ت ١١٤٤، تاريخ البخاري ٦ / ٤٥٠، تاريخ البخاري الصغير ١ / ٢٤٣، ٢٥٣، ٢٥٤، المعارف ٤٤٩، المعرفة والتاريخ ٢ / ٥٩٢، أخبار القضاة ٢ / ٤١٣، المنتخب من ذيل المذيل للطبري ٦٣٥، الجرح والتعديل القسم الاول من المجلد الثالث ٣٢٢، الاكليل ٨ / ١٤٥، الحلية ٤ / ٣١٠، طبقات الشافعية للعبادي ٥٨، تاريخ بغداد ١٢ / ٢٢٧، طبقات الفقهاء للشيرازي ٨١، سمط اللآلي ٧٥١، الجمع بين رجال الصحيحين ٣٧٧، تاريخ ابن عساكر، والاصل ٨ / ٣٤٢ ب، طبقات فقهاء اليمن ٧٠، اللباب ٢ / ٢١، معجم البلدان (شعب)، وفيات الاعيان ٣ / ١٢، تهذيب الكمال ص ٦٤٢، تاريخ الاسلام ٤ / ١٣٠، تذكرة الحفاظ ١ / ٧٤، العبر ١ / ١٢٧، تذهيب التهذيب ٢ / ١١٤ آ، البداية والنهاية ٩ / ٢٣٠، غاية النهاية ت ١٥٠٠، طبقات المعتزلة ١٣٠، ١٣٩، تهذيب التهذيب ٥ / ٦٥، النجوم الزاهرة ١ / ٢٥٣، طبقات الحفاظ للسيوطي ص ٣٢، خلاصة تذهيب التهذيب ١٨٤، شذرات الذهب ١ / ١٢٦، تهذيب ابن عساكر ٧ / ١٤١.

الإمام الأوزاعي

أعـــلام القضـــاء

الإمام الأوزاعي

قال محمد بن عجلان: " لم أرَ أحداً أنصح للمسلمين من الأوزاعي.. " كان إذا وعظ الناس لم يبق أحد في مجلسه إلا بكى بعينه أو قلبه، ما رؤي ضاحكاً مقهقهاً ولا باكياً في مجلسه قط، وكان إذا خلا بكى حتى يُرحَم..

أفتى وله من العمر خمس وعشرون سنة.. ولم يزل يفتي حتى مات رحمه الله، وقد أفتى في سبعين مسألة بحدثنا وأخبرنا..

هو عبد الرحمن بن عمرو بن محمد، أبو عمرو الأوزاعي، نسبة إلى محلة " الأوزاع " [١] ولد بمدينة بعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة، ونشأ بالبقاع يتيماً في حجر أمه التي كانت تنتقل به من بلد إلى بلد. تأدّب بنفسه، فلم يكن من أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه، ولا أورع، ولا أعلم، ولا أفصح، ولا أحلم، ولا أكثر صمتاً منه. ما تكلم بكلمة إلا كان المتعين على من سمعها من جلسائه أن يكتبها عنه من حسنها، كما قال ابن كثير رحمه الله.

سكن بيروت مرابطاً إلى أن مات فيها سنة سبع وخمسين ومائة للهجرة، وعمره يومذاك سبع وستون سنة..

سمع جماعات من التابعين، كعطاء بن أبي رباح، وقتادة، ونافع مولى ابن عمر، ومحمد بن المنكدر، والزهري..

وحدث عنه جماعات من سادات المسلمين، كمالك بن أنس، الثوري، والزهري، وهو من شيوخه، وأثنى عليه غير واحد من الأئمة. قال النووي رحمه الله: " وقد أجمع العلماء على إمامة الأوزاعي وجلالته وعلو قدره وكمال فضله.. ".

(١) قرية خارج باب الفراديس من قرى دمشق.

وقال أبو عمرو الشامي الدمشقي: " الأوزاعي إمام أهل الشام في عصره بلا مدافعة ولا مخالفة ".

وقال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: " كان الأوزاعي إماماً يقتدى به ".

أما سفيان بن عيينة فقال: " كان الأوزاعي إمام أهل زمانه ".

كان رحمه الله كثير العبادة، حسن الصلاة، حتى قال في حقه الوليد ابن مسلم: " ما رأيت أحداً أشد اجتهاداً من الأوزاعي في العبادة ". وكان رحمه الله يقول: " من أطال القيام في صلاة الليل هوّن الله عليه طول القيام يوم القيامة " أخذ ذلك من قوله تعالى:{وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلًا طَوِيلًا ﴿٢٦﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا} [الإنسان: ٢٦ - ٢٧].

كما كان، رحمه الله، إلى جانب زهده وورعه كريماً سخياً، لم يمسك شيئاً، ولم يترك يوم مات سوى سبعة دنانير كانت جهازه، وكان ينفق كل ما يأتيه في سبيل الله، وفي الفقراء والمساكين عدا عن كونه شديد التمسك بالسنة، فهو القائل: " العلم ماجاء عن أصحاب محمد ﷺ، وما لم يجئ عنهم فليس بعلم.. عليك بآثار السلف وإن رفضك الناس، وإياك وأقوال الرجال وإن زخرفوه وحسنوه، فإن الأمر ينجلي وأنت منه على طريق مستقيم.. اصبر على السنة، وقف حيث وقف القوم، وقل ما قالوا، وكفّ عما كفوا، وليسعك ما وسعهم.. ".

إلى جانب كونه قائماً بالحق لا يخشى في الله لومة لائم، وقد روي عن والي بيروت عند وفاه الأوزاعي رحمه الله قوله: " رحمك الله يا أبا عمرو، فقد كنتُ أخافك أكثر ممّن ولاني " أي: الخليفة.

وهو القائل: " لا يجتمع حب عثمان وعلي رضي الله عنهما إلا في قلب مؤمن.. وإذا أراد الله بقوم شراً فتح عليهم باب الجدل وسدّ عنهم باب العلم

والعمل.. ".

ذكر صاحب كتاب " الأموال " أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله، وكذلك صاحب " فتوح البلدان " البلاذري وغيرهما من المؤرخين، ما أقدم عليه نفر من أهل الذمة - النصارى - في جبل لبنان أيام العباسيين من نكث للعهود وحمل للسلاح وإعلان للفتنة والتمرد، وكيف قضى على فتنتهم الوالي العباسي صالح بن علي بن عبد الله بن عباس، وكيف أقر من بقي منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم، ثم كيف شرّد أهل القرى وأجلاهم عن قراهم رغم عدم اشتراكهم جميعاً في هذه الفتنة..

ويذكرون كيف أن إمام أهل الشام، الأوزاعي رحمه الله، لم يرضَ بما حلّ بهم، ولم يسكت عن هذا الظلم، فما كان منه إلا أن أرسل رسالة إلى الوالي يقول فيها: ".. وقد كان من إجلاء أهل الذمة من أهل جبل لبنان، ممن لم يكن ممالئاً لمن خرج على خروجه، ممن قتلتَ بعضهم، ورددتَ باقيهم إلى قراهم ما قد علمتَ، فكيف تؤخذ عامة بذنوب خاصة حتى يُخرَجوا من ديارهم وأموالهم؟ وحكم الله تعالى: {أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾} [النجم: ٣٨]، وهو أحق ما وقف عنده واقتدى به.. وأحق الوصايا أن تحفظ وترعى وصية رسول الله ﷺ فإنه قال: **«من ظلم معاهداً أو كلَّفه فوقَ طاقته فأنا حجيجه»** (أي: خصمه). وأصرّ على الوالي أن يبادر برفع هذا الظلم، وإزالة الحيف عن كاهل هؤلاء المظلومين مبيناً له ضرورة التزام مبادئ الإسلام مهما كانت الظروف.. ولقد استجاب الوالي وفعل ما طلبه الأوزاعي..

هذا على الرغم من أن الذين قاموا بالفتنة من هؤلاء النصارى نكثوا العهد، وكانوا على صلة بالبيزنطيين، يعملون لحسابهم، إضافة إلى

ارتكابهم عمليات النهب والقتل وقطع الطريق وترويع الآمنين. يقول فيليب حتي اللبناني [١]: ".. لجأت جماعة من نصارى الجبل إلى السلاح تفادياً لمصادرات جديدة تنزل بهم، منتهزين فرصة وجود الأسطول البيزنطي في مياه طرابلس، وانقضوا من قاعدتهم وانتهبوا عدداً من قرى البقاع، وكان يتزعمهم فتى قروي عظيم البنية، بلغ من جرأته وتهوره أن أقام نفسه ملكاً، لكن العصابة اللبنانية قيدت بعد حين إلى كمين قرب بعلبك، نصبته لهم فرقة فرسان عباسية وفتكت بهم.. "

ولقد أوردتُ في هذا الجانب رواية فيليب حتي لأنه غير متهم بمعاداة هؤلاء بل بموالاتهم وحبهم والحدب عليهم.. ومع ذلك لم يقبل الأوزاعي، رحمه الله، ما لجأ إليه الوالي لكسر شوكتهم، احتياطاً وتحسباً لأمر قد يحدث مستقبلاً، فشردهم من القرى في الجبل وأسكنهم غيرها.. وأصر عليه بضرورة التزام حكم الله عز وجل وإنفاذ سنة رسوله ﷺ. " وقد بلغنا أن حكم الله عز وجل أن يؤخذ العامة بعمل الخاصة، ولكن يؤخذ الخاصة بعمل العامة، ثم يبعثهم الله على أعمالهم، فأحق الوصايا أن تحفظ وصية رسول الله ﷺ ".

ولي القضاء زمن الخلافة الأموية وفي عهد الخليفة يزيد بْن الوليد بعد موت الحارث بْن مُحَمَّد، فجلس مجلساً ثم استعفى فأعفي [٢].

(١) تاريخ سورية، ٢/١٦٥.

(٢) طبقات ابن سعد: ٧ / ٤٨٨، طبقات خليفة: ٣١٥ - ٣١٦، تاريخ خليفة: ٤٢٨، التاريخ الكبير: ٥ / ٣٢٦، التاريخ الصغير: ٢ / ١٢٤، المعرفة والتاريخ: ٢ / ٣٩٠ - ٣٩٧، ٤٠٨ - ٤١٠، الجرح والتعديل: ١ / ١٨٤ - ٢١٩، ٥ / ٢٦٦ - ٢٦٧، مشاهير علماء الامصار: ١٨٠ حلية الاولياء: ٦ / ١٣٥ - ١٤٩، تاريخ ابن عساكر: ١٠ / ٣٤ / آ، وفيات الاعيان: ٣ / ١٢٧ - ١٢٨، تهذيب الكمال: خ: ٨٠٨ - ٨٠٩، تذهيب التهذيب: خ: ٢ / ٢٢٠ - ٢٢٣، تاريخ الاسلام: ٦ / ٢٢٥ - ٢٣٨، تذكرة الحفاظ:

مواقف من حياة الأوزاعي:

فاطلب فضيلة الآخرة فقد فرغك لها

دخل الأوزاعي على المهدي فوعظه وذكّره، فقال له: يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى أعطاك فضل الدنيا وكفاك طلبها، فاطلب فضيلة الآخرة فقد فرّغك لها؛ فاستحسن قوله.

وأبيه لقد حدّثكم فأحسن

وقال عمرو بن هشام: تحدّثنا عند الأوزاعي ومعنا أعرابيٌّ من بني عليم لا يتكلّم فقلنا: بحقّ ما سمّيتم خرس العرب ألا تتحدث مع القوم؟ فقال: إنّ الحظّ للمرء في إذنه، وإنّ الحظّ في لسانه لغير، وقد ذكرنا ذلك للأوزاعي فقال: وأبيه لقد حدّثكم فأحسن.

دع لأهل البصرة خصلتين

قال الأوزاعي: دع لأهل البصرة خصلتين وهما: القول بالقدر، والرّخصة بالخضخضة، واللتان لأهل الكوفة: تأخير السّحور، وشرب النبيذ، ولأهل مكة خصلتين وهما: الظرف والمتعة، لأهل المدينة: السماع وإتيان النساء في أدبارهن، واللتان لأهل الشام: إيثار السلطان وبغض بني هاشم [1].

كسالى ينامون تحت شجرة كمثرى

عن الأوزاعي أنه قال: كان قوم كسالى ينامون تحت شجرة كمثرى

١ / ١٧٨ - ١٨٥، ميزان الاعتدال: ٢ / ٥٨٠، عبرالذهبي: ١ / ٢٢٦ - ٢٢٧، البداية والنهاية: ١٠ / ١١٥ - ١٢٠، تهذيب التهذيب: ٦ / ٢٣٨ - ٢٤٢، طبقات الحفاظ: ٧٩، خلاصة تذهيب الكمال: ٢٣٢، شذرات الذهب: ١ / ٢٤١ - ٢٤٢.

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ٢ / ١٢٦، ٧ / ١٥٤، ٨ / ١٢، ١٦٢، ٢٠٩.

يقولون: إن سقط في أفواهنا شيء أكلنا وإلا فلا، فسقطت كمثراة إلى جانب أحدهم، فقال له الذي يليه: ضعها في فمي. قال: لو استطعت أن أضعها في فمك وضعتها في فمي [١].

كيف رأيت صنع الله؟!

قال الأوزاعي: جاءه جار له، فقال: هذا عيد وما عندنا شيء، فقال لامرأته: أعطيه ما معك؛ فقالت: معي نيف وعشرون درهما فأشاطره؛ فقال أعطيه كلها عسى الله أن يبعث بخير منها. فإذا رجل يدق الباب، فأذن له، فقال: أني كنت عبداً لأبيك أبتعت فأكتسبت هذه الدنانير وهي نيف وعشرون ديناراً؛ فقال: أنت حر. ثم قال لامرأته: كيف رأيت صنع الله، أعطى بكل درهم ديناراً وأعتق نسمة.

نعم إن رسول الله ﷺ لم يلحن

سئل الأوزاعي عن رجل يسمع حديث رسول الله ﷺ فيه لحن أيقيمه؟ قال: نعم إن رسول الله ﷺ لم يلحن.

يا ابن أخي لك ولأصحابك، لا للحمالين

رأى الأوزاعي شاباً بين القبر والمنبر يتهجد، فلما طلع الفجر استلقى ثم قال: عند الصباح يحمد القوم السرى؛ فقال له: يا ابن أخي لك ولأصحابك، لا للحمالين.

اللحوق بمن يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره

الأوزاعي: عدنا مكحولاً فقال: اللحوق بمن يرجى خيره خير من البقاء مع من لا يؤمن شره.

الأوزاعي: ما يسرني أن هذه الألوان تجري علي وعليكم غدوة

(١) الحموي، معجم الأدباء، ١ / ٤٢٢.

وعشياً من حلال ولا نسأل عنها يوم القيامة. قالوا: ولم يا أبا عمرو؟ قال: لأنها تقسي القلب.

بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه

الأوزاعي: قلت لمكحول: أين ترى لي أن أنزل؟ قال: أنزل حيث يصفو لك الخبز فإن الدين مع الخبز.

الأوزاعي: شكت النواويس ما تجد من نتن ريح الكفار، فأوحى الله إليها: بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه.

فمع من تريد أن تكون؟

الأوزاعي: لو لم تكن جنة ولا نار إلا أنهما داران، دار فيها الملائكة، والمرسلون، والصديقون، والشهداء، والصالحون، ودار فيها إبليس، والشياطين، وفرعون، وهامان، وقارون، فمع من تريد أن تكون؟ (١)

فكيف بمن يسفك دماء المسلمين؟

وحكي عن الأوزاعي قال: بعث إليّ المنصور فقال: لم تبطئ عنا؟ قلت: وما تريد منا؟ قال: لآخذ عنكم وأقتبس منكم. فقلت له: مهلاً فإن عروة بن رويم أخبرني أن نبي الله، ﷺ، قال: من جاءته موعظة من ربه فقبلها شكر الله له ذلك، ومن جاءته فلم يقبلها كانت حجة عليه يوم القيامة، مهلاً فإن مثلك لا ينبغي له أن ينام. إنما جُعلت الأنبياء رعاة لعلمهم بالرعية يجبرون الكسير ويسمنون الهزيلة ويردون الضالة فكيف من يسفك دماء المسلمين ويأخذ أموالهم! أُعيذك بالله أن تقول إن قرابتك من رسول الله، ﷺ، تدعوك إلى الجنة، إن رسول الله، ﷺ، كانت في يده جريدة يستاك بها فضرب بها قرن أعرابي

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٦٣، ٩٤، ٩٦، ٢٥٧، ٢٥٩، ٣٢٤.

فنزل عليه جبريل، عليه السلام، فقال: يا محمد إن الله تبارك وتعالى لم يبعثك جباراً مؤيساً مقنطاً تكسر قرون أمتك، ألق الجريدة عن يدك، فدعا الأعرابي إلى القصاص من نفسه فكيف بمن يسفك دماء المسلمين؟ إن الله عز وجل أوحى إلى من هو خير منك إلى داود، عليه السلام: يا داود إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق. وأوحى إليه: يا داود إذا أتاك الخصمان فلا يكونن لأحدهما على صاحبه الفضل فأمحوك من ديوان نبوتي.

اعلم أن ثوباً من ثياب أهل النار لو علق بين السماء والأرض لمات أهل الأرض من نتن ريحه، فكيف بمن تقمّصه؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبال الدنيا لذابت كما يذوب الرصاص حتى تنتهي إلى الأرض السابعة، فكيف بمن تقلدها؟ قال: ودخل عمرو ابن عبيد على المنصور فقال: يا أمير المؤمنين إن الله عز وجل يقفك ويسائلك عن مثقال ذرة من الخير والشر، وإن الأمة خصماؤك يوم القيامة، وإن الله جل وعز لا يرضى منك إلا ما ترضاه لنفسك، ألا وإنك لا ترضى لنفسك إلا بأن يعدل عليك وإن الله جل وعز لا يرضى منك إلا بأن تعدل على الرعية، يا أمير المؤمنين، إن وراء بابك نيراناً تتأجج من الجور، والله ما يُحكم وراء بابك بكتاب ولا بسنة نبيه، ﷺ، قال: فبكى المنصور. فقال سليمان بن مجالد وهو واقف على رأس المنصور: يا عمرو قد شققت على أمير المؤمنين! فقال عمرو: يا أمير المؤمنين من هذا؟ قال: أخوك سليمان بن مجالد. قال عمرو: ويلك يا سليمان! إن أمير المؤمنين يموت وإن كل ما تراه ينفد وإنك جيفة غداً بالفناء لا ينفعك إلا عمل صالح قدّمته، ولقرب هذا الجدار أنفع لأمير المؤمنين من قربك إذ كنت تطوي عنه النصيحة وتنهى من ينصحه، يا أمير المؤمنين إن هؤلاء

اتخذوك سلماً إلى شهواتهم. قال المنصور: فأصنع ماذا؟ ادع لي أصحابك أولهم! قال: ادعهم أنت بعمل صالح تحدثه ومر بهذا الخناق فليرفع عن أعناق الناس واستعمل في اليوم الواحد عمالاً كلما رابك منهم ريب أو أنكرت على رجل عزلته ووليت غيره، فوالله لئن لم تقبل منهم إلا العدل ليتقربن به إليك من لا نية له فيه [(١)].

سيئة غطت على حسنتين!

وقال الأوزاعي: يهلك السلطان بالإعجاب والاحتجاب. فأما الإعجاب فقد ذكرناه، وأما الاحتجاب فهو أدخل الخلال في هدم السلطان وأسرعها خراباً للدول، فإنه إذا احتجب السلطان فكأنه قد مات، لأن الحجب موت حكمي فتعبث بطانته بأرواح الخلائق وحريمهم وأموالهم، لأن الظالم قد أمن أن لا يصل المظلوم إلى السلطان. ومعظم ما رأينا في أعمارنا وسمعنا من دخول المفاسد على الملوك في حجبهم عن مباشرة الأمور، ولا تزال الرعية ذا سلطان واحد ما وصلوا إلى سلطانهم، فإذا احتجب فهناك سلاطين كثيرة.

يا أيها المغرور المحتجب، احتجبت عن الرعية بالحجاب والأبواب، وجعلت دونهم جبالاً مشيدة وحظائر بالحجارة والماء والطين مانعة، وباب الله مفتوح للسائلين ليس هناك حاجب ولا بواب. قال الله تعالى: {إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا} [الفرقان: ٥٧].

وقال معاوية: ليس بين أن يملك السلطان رعيته أو تملكه إلا الحزم أو التواني، وكماله أمران: شدة في غير إفراط ولين في غير امتهان. وسئل بزرجمهر: أي الملوك أحزم؟ فقال: من ملك جده هزله وقهر لبه هواه، وأعرب عن ضمير فعله، ولم يخدعه رضاه عن سخطه

(١) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ١ / ١٥٢.

ولا غضبه عن كيده. وقال بعض الحكماء: زوال الدول في اصطناع بعض السفل، ومن طال عدوانه زال سلطانه. وقالوا: من لم يستظهر باليقظة لم تنفعه الحفظة. وقال يحيى بن خالد: أحسن ما وجدت في طراز الحكم من البلاغة: البخل والجهل مع التواضع خير من السخاء والعلم مع الكبر. فيا لها حسنة غطت على سيئتين، ويا لها سيئة غطت على حسنتين![١].

فقطعه ومات

قال: حدثنا الأوزاعي قال: كنا بالساحل فجيء بفحل لينزى على أمه، فأبى. فأدخلوها بيتاً، وألقوا على الباب ستراً، وجللوها بكساءٍ. قال: فلما نزا عليها وفرغ شم ريح أمه. قال: فوضع أسنانه في أصل ذكره فقطعه ومات [٢].

وقال الأوزاعي للمنصور في بعض كلامه: يا أمير المؤمنين، أما علمت أنه كان بيد رسول الله ﷺ جريدة يابسة يستاك بها ويردع بها المنافقين، فأتاه جبريل فقال: يا محمد، ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعباً؟ فكيف من سفك دماء المسلمين وشق أبشارهم ونهب أموالهم؟ إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، دعا إلى القصاص من نفسه بخدشة خدشها أعرابياً عن غير عمد، فقال له جبريل عليه السلام: إن الله لم يبعثك جباراً تكسر قلوب رعيتك! يا أمير المؤمنين لو أن ثوباً من النار صب على ما في الأرض لأحرقه، فكيف بمن يتقمصه؟ ولو أن ذنوباً من النار صب على ما في الأرض لأحرقه، فكيف بمن يتجرعه؟

(١) الطرطوشي، سراج الملوك، ١ /٤٦.
(٢) ابن الكلبي، أنساب الخيل، ١ / ١.

ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب، فكيف بمن يسلك فيها ويرد فضلها على عاتقه؟ ودخل بعض العقلاء على سلطان فقال له: إن أحق الناس بالإحسان من أحسن الله إليه، وأولاهم بالإنصاف من بسطت يداه بالقدرة، فاستدم ما أوتيت من النعم بتأدية ما عليك من الحق [١].

اسم امرأة إبليس

وسأل الرشيد الأوزاعي عن اسم امرأة إبليس فقال: تلك وليمة لم أحضرها [٢].

لأبشرنك يا علي، بها تبشر أمتي من بعدي

عن الأوزاعي قال: دخلت المدينة مدينة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، قال: فقلت من هاهنا من الفقهاء؟ فقالوا: محمد بن المنكدر، ومحمد بن المبشر، ومحمد بن علي - يعني ابن الحسين بن علي ابن أبي طالب عليه السلام، فقلت في نفسي: ليس من هؤلاء أحق أن يبدأ به من ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فأتيته وقلت يا بن رسول الله: أخبرني عن قول الله عز وجل:{يَمْحُوا ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾} [الرعد: ٣٩].

فقال أخبرني أبي عن جدي عن علي عليه السلام، أنه سأل النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: " لأبشرنك يا علي، بها تبشر أمتي من بعدي، وهي: الصدقة على وجهها، وبر الوالدين، واصطناع المعروف، وصلة الرحم تحول

(١) الطرطوشي، سراج الملوك، ١ / ٢٤.
(٢) الثعالبي، اللطف واللطائف، ١ / ١٠.

الشقاء سعادة، وتزيد في العمر، وتقي مصارع السوء " (١).

وبمثله يعاقب المجرم

كان الأوزاعي يكره لبس السواد ويقول: يلبس في المأتم، وبمثله يعاقب المجرم، ولم أره على محرم، ولا جليت به عروس، ولا كفن فيه ميت (٢).

إن كانت لهم حلالاً فهي عليكم حرام

قال حدثنا عبد الرحمن الأوزاعي، قال بعث إلى عبد الله بن علي وأعظمني ذلك واشتد علي فأقدمت وأدخلت عليه والناس قيام سماطين بين يديه في أيديهم المكافر كوبات فأدناني ثم قال لي يا عبد الرحمن ما تقول في مخرجنا هذا؟ فقلت أصلح الله الأمير قد كانت بيني وبين أخيك داود مودة فأعفني، قال لتخبرني، فقلت لأصدقنه واستبسلت للموت، فقلت حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة بن وقاص سمع عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول:﴿إِنَّما الأَعْمالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ وَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَى دُنْيا يُصِيبُها أو امْرَأَةٍ يَنْكُحها فَهِجْرَتُهُ إِلَى مَا هاجَرَ إِلَيْهِ﴾ قال وفي يده قضيب ينكث به الأرض، فقال يا عبد الرحمن ما تقول في قتلنا أهل هذا البيت من بني أمية؟ فقلت كما قلت قال لتخبرني فقلت حدثني محمد بن مروان عن مطرف بن الشِّخِّير عن عائشة قالت قال رسول الله ﷺ :﴿لا يَحِلُّ قَتْلُ الْمُسْلِمِ إلاَّ بِإِحْدَى ثَلاثٍ الْبارِيءُ لِدِينِهِ أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ نَفْساً فَيُقْتَلُ بِها أَوْ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصانٍ﴾ قال ثم

(١) ابن الشجري، الأمالي الشجرية، ١ / ٣٥٠.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ /٤٧٨.

أطرق هوياً، ثم قال: أخبرني عن الخلافة أهي وصية من رسول الله ﷺ فورد على مثل ما ورد ثم قلت لأصدقنه. فقلت لو كانت وصية من النبي ﷺ لكم ما ترك علي عليه السلام أحداً يتقدمه، ثم سكت سكتة وقال ما تقول في أموال بني أمية؟ فاستعفيت فقال لتخبرني فقلت إن كانت لهم حلالاً فهي عليكم حرام، وإن كانت لهم حراماً فهي عليكم حرام، قال ثم أمرني فأخرجت [١].

لا تقل ذلك

وقال الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة قال: إذا التقى المسلمان فتصافحا وتبسم كل واحد منهما لصاحبه تحاتت خطاياهما كما يتحات ورق الشجر فقلت: إن هذا ليسير، فقال: لا تقل ذلك فإن الله يقول:{لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ } [الأنفال: ٦٣]، فعلمت أنه أفقه مني [٢].

أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك

وكان سفيان بمكة فمرض ومعه الأوزاعي، فدخل عليه عبد الصمد بن علي فحول وجهه إلى الحائط، فقال الأوزاعي لعبد الصمد: إن أبا عبد الله سهر البارحة فلعله أن يكون نائماً، فقال سفيان: لست بنائم، لست بنائم، فقام عبد الصمد، فقال الأوزاعي لسفيان: أنت مستقتل لا يحل لأحد أن يصحبك.

إن شئت رددت الجرة وكتبت لك

أهدى رجل نصراني إلى الأوزاعي جرة عسل وقال له: يا أبا عمرو، تكتب لي إلى والي بعلبك فقال: إن شئت رددت الجرة وكتبت لك،

(١) الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ١ /١٠٣.
(٢) أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، ١/٤٥.

وإلا قبلت الجرة ولم أكتب لك. قال: رد الجرة فردها وكتب له فوضع عنه ثلاثين ديناراً [(١)].

واحدة بأخرى والبادي أظلم

الأوزاعي قال: دخل خريم الناعم على معاوية فنظر إلى ساقيه فقال: أي ساقين لو إنهما على جارية! قال: في مثل عجيزتك يا أمير المؤمنين: قال معاوية: واحدة بأخرى والبادي أظلم [(٢)].

من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض

قال الأوزاعي شكت النواويس إلى الله تعالى ما تجد من نتن ريح الكفار فأوحى الله إليها بطون علماء السوء أنتن مما أنتم فيه وقال علي ﷺ من أفتى الناس بغير علم لعنته ملائكة السماء والأرض ولصالح اللخمي شعر:

تعلم إذا ما كنت لست بعالم ::: فما العلم إلا عند أهل التعلم
تعلم فإن العلم أزين للفتى ::: من الحلة الحسناء عند التكلم [(٣)]

بين الأوزاعي والخليفة المنصور

قال الأوزاعى: دخلت على المنصور، فقال لي: ما الذي بطأ بك عنى؟ قلت: يا أمير المؤمنين، وما الذي تريد منى؟ فقال: الاقتباس منك، قلت: انظر ما تقول، فإن مكحولا حدثنى عن عطية بن بشير: أن رسول الله قال من بلغه عن الله نصيحة في دينه فهى رحمة من الله سيقت إليه، فإن قبلها من الله بشكر وإلا كانت حجة من الله عليه ليزداد إثما وليزداد عليه غضبا، وإن بلغه شيء من الحق فرضى فله

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١/٤١ - ٤٢.
(٢) ابن عبد ربه، العقد الفريد، ٣ / ١٧٥.
(٣) الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، ١ / ٥٢.

الرضا وإن سخط فله السخط، ومن كرهه فقد كره الله، لأن الله هو الحق المبين فلا تجهلن. قال: وكيف أجهل؟ قال: تسمع ولا تعمل بما تسمع. قال الأوزاعى: فسل على الربيع السيف، وقال: تقول لأمير المؤمنين هذا؟ فانتهره المنصور، وقال: أمسك، ثم كلمه الأوزاعى، وكان في كلامه أن قال: إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذى أصبحت به، والله سائلك عن صغيرها وكبيرها، وفتيلها ونقيرها، ولقد حدثنى عروة بن رويم أن رسول الله قال:﴿**ما من راع يبيت غاشا لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الجنة**﴾ فحقيق على الوالى أن يكون لرعيته ناظرا ولما استطاع من عوراتهم ساترا، وبالقسط فيما بينهم قائما لا يتخوف محسنهم منه رهقا، ولا مسيئهم عدوانا، فقد كانت بيد رسول الله جريدة يستاك بها ويردع عنه المنافقين فأتاه جبريل فقال يا محمد ما هذه الجريدة بيدك اقذفها لا تملأ قلوبهم رعبا، فكيف من سفك دماءهم وشقق أبشارهم، وأنهب أموالهم، يا أمير المؤمنين: إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيا لم يتعمده فهبط جبريل فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جبارا تكسر قرون أمتك واعلم أن كل ما في يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ولا ثمره من ثمارها قال رسول الله:﴿**لقاب قوس أحدكم من الجنة أو قذة خير له من الدنيا بأسرها**﴾ إن الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ولو بقى الملك لمن قبلك لم يصل إليك يا أمير المؤمنين ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار علق بين السماء والأرض لآذاهم فكيف من يتقمصه ولو أن ذنوبا من صديد أهل النار صب على ماء الأرض لآجنه فكيف بمن يتجرعه ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وضعت على جبل لذاب فكيف من سلك فيها ويرد فضلها على عاتقه وقد قال عمر بن الخطاب لا يقوم أمر الناس إلا حصيف العقدة

بعيد الغرة لا يطلع الناس منه على عورة ولا يحنق في الحق على جرة ولا تأخذه في الله لومة لائم.

واعلم أن السلطان أربعة أمير يظلف نفسه وعماله فذلك له أجر المجاهد في سبيل الله وصلاته سبعون ألف صلاة ويد الله بالرحمة على رأسه ترفرف وأمير رتع ورتع عماله فذاك يحمل أثقاله وأثقالا مع أثقاله وأمير يظلف نفسه ويرتع عماله فذاك الذي باع اخرته بدنيا غيره وأمير يرتع ويظلف عماله فذاك شر الأكياس واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم عرض على السماوات والأرض والجبال فأبين أن يحملنه وأشفقن منه وقد جاء عن جدك في تفسير قول الله عز وجل: {لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا} [الكهف: ٤٩] ، أن الصغيرة التبسم والكبيرة الضحك وقال فما ظنكم بالكلام وما عملته الأيدى فأعيذك بالله أن يخيل إليك أن قرابتك برسول الله تنفع مع المخالفة لأمره فقد قال رسول الله:«**يا صفية عمة محمد ويا فاطمة بنت محمد استوهبا أنفسكما من الله إني لا أغني عنكما من الله شيئا**» وكان جدك الأكبر سأل رسول الله إمارة فقال أي عم نفس تحييها خير لك من إمارة لا تحصيها نظرا لعمه وشفقة عليه أن يلي فيجور عن سنته جناح بعوضة فلا يستطيع له نفعا ولا عنه دفعا هذه نصيحتي إن قبلتها فلنفسك عملت وإن رددتها فنفسك نحست والله الموفق للخير والمعين عليه قال بلى نقبلها ونشكر عليها وبالله نستعين [(١)].

الطريق للشيخ

وفي تاريخ ابن خلكان أن سفيان الثوري بلغه مقدم الأوزاعي، فخرج إلى ملتقاه فلقيه بذي طوى، فحل سفيان خطام بعيره

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت، ٣/ ٥١.

مـن القطـار ووضـعه علـى رقبتـه، فكـان إذا مـر بجماعـة قـال: الطريق للشيخ.

مثل الشياطين في كثرتهم

قال الأوزاعي حدثني حسان قال: " إنما مثل الشياطين في كثرتهم كمثل رجل دخل زرعاً فيه جراد كثير، فكلما وضع رجله تطاير الجراد يميناً وشمالاً ولولا أن الله عز وجل غض البصر عنهم، ما رؤي شيء إلا وعليه شيطان ".

رأيت رب العزة في المنام

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: رأيت رب العزة في المنام، فقال لي: يا عبد الرحمن أنت الذي تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر. قلت: بفضلك يا رب. ثم قلت: يا رب أمتني على الإسلام. فقال عز وجل: وعلى السنة أيضاً. وتوفي رحمه الله، في شهر ربيع الأول سنة سبع وخمسين ومائة، وكان سبب موته أنه دخل حمام بيروت، وكان لصاحب الحمام شغل، فأغلق الباب عليه، وذهب ثم جاء وفتح الباب، فوجده ميتاً قد وضع يده اليمنى تحت خده، وهو مستقبل القبلة. وقيل: إن امرأته فعلت ذلك به ولم تكن عامدة لذلك [(١)].

فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟!

- حدث الأوزاعي عن عبد الله بن محمد قال: خرجت الى ساحل البحر مرابطاً وكان رباطنا يومئذ عريش مصر، قال: فلما انتهيت إلى الساحل فإذا أنا ببطيحة وفي البطيحة خيمة فيها رجل قد ذهب

(١) كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م، ١ / ١٩٨، ٢٧٠.

يداه ورجلاه وثقل سمعه وبصره وما له من جارحة تنفعه إلا لسانه وهو يقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافئ به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير ممن خلقت تفضيلاً؛ قال الأوزاعي: قال عبد الله: قلت: والله لآتين هذا الرجل ولأسألنه أنى له هذا الكلام؟! فهمٌ أم علمٌ أم إلهامُ ألهم، فأتيت الرجل فسلمت عليه فقلت: سمعتك وأنت تقول: اللهم أوزعني أن أحمدك حمداً أكافىء به شكر نعمتك التي أنعمت بها علي وفضلتني على كثير من خلقت تفضيلاً فأي نعمة من نعم الله عليك تحمده عليها؟! وأي فضيله تفضل بها عليك تشكره عليها؟! قال: وما ترى ما صنع ربي؟! والله لو أرسل السماء علي ناراً فأحرقتني وأمر الجبال فدمرتني وأمر البحار فغرقتني وأمر الأرض فبلعتني ما ازددت لربي إلا شكراً لما أنعم علي من لساني هذا؛ ولكن يا عبد الله إذ أتيتني لي إليك حاجة قد تراني على أي حالة أنا أنا لست أقدر لنفسي على ضر ولا نفع، ولقد كان معي بني لي يتعاهدني في وقت صلاتي فيوضيني وإذا جعت أطعمني وإذا عطشت سقاني ولقد فقدته منذ ثلاثة أيام فتحسسه لي رحمك الله فقلت والله ما مشي خلق في حاجة خلق كان أعظم عند الله أجراً ممن يمشي في حاجة مثلك فمضيت في طلب الغلام فما مضيت غير بعيد حتى صرت بين كثبان من الرمل فإذا أنا بالغلام قد افترسه سبع وأكل لحمه فاسترجعت وقلت: أنى لي وجه رقيق آتي به الرجل؟! فبينما أنا مقبل نحوه إذ خطر على قلبي ذكر أيوب النبي ﷺ فلما أتيته سلمت عليه فرد علي السلام، فقال: ألست بصاحبي؟ قلت: بلى؛ قال: ما فعلت في حاجتي؟ فقلت: أنت أكرم على الله أم أيوب النبي؟ قال: بل أيوب النبي؛ قلت: هل علمت ما صنع به ربه؟ أليس قد ابتلاه بماله وآله وولده؟ قال: بلى، قلت: فكيف وجده؟ قال: وجده

صابراً شاكراً حامداً؛ قلت: لم يرض منه ذلك حتى أوحش من أقربائه وأحبائه؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: وجده صابراً شاكراً حامداً؛ قلت: فلم يرض منه بذلك حتى صيره غرضاً لمار الطريق هل علمت؟ قال: نعم؛ قلت: فكيف وجده ربه؟ قال: صابراً شاكراً حامداً، أوجز رحمك الله؛ قلت له: إن الغلام الذي أرسلتني في طلبه وجدته بين كثبان الرمل وقد افترسه سبع فأكل لحمه فأعظم الله لك الأجر وألهمك الصبر، فقال المبتلى: الحمد لله الذي لم يخلق من ذريتي خلقاً يعصيه فيعذبه بالنار ثم استرجع وشهق شهقة، فمات؛ فقلت: إنا لله وانا إليه راجعون؛ عظمت مصيبتي؛ رجل مثل هذا إن تركته أكلته السباع وإن قعدت لم أقدر على ضر ولا نفع؛ فسجيته بشملة كانت عليه وقعدت عند رأسه باكياً فبينما أنا قاعد إذ تهجم علي أربعة رجال فقالوا: يا عبد الله ما حالك وما قصتك؟ فقصصت عليهم قصتي وقصته، فقالوا لي: اكشف لنا عن وجهه فعسى أن نعرفه فكشفت عن وجهه فانكب القوم عليه يقبلون عينيه مره ويديه أخرى ويقولون: بأبي عين طال ما غضت عن محارم الله وبأبي جسم طال ما كان ساجداً والناس نيام؛ فقلت: من هذا يرحمكم الله؟! فقالوا: هذا أبو قلابة الجرمي صاحب ابن عباس، لقد كان شديد الحب لله وللنبي ﷺ؛ فغسلناه وكفناه بأثواب كانت معنا وصلينا عليه ودفناه فانصرف القوم وانصرفت الى رباطي فلما أن جن على الليل وضعت رأسي فرأيته فيما يرى النائم في روضة من رياض الجنة وعليه حلتان من حلل الجنة وهو يتلو الوحي:{سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾} [الرعد: ٢٤]، فقلت: ألست بصاحبي؟ قال: بلى، قلت: أنى لك هذا؟ قال: إن لله درجات لا تنال إلا بالصبر عند البلاء والشكر عند الرخاء مع خشية الله عز وجل في السر والعلانية.

كلنا قد هداه الله

بينما الأوزاعي عند الخليفة المنصور ذات يوم إذ خرجت عليهم جارية فقالت يا سيدي من هذا الشيخ قال هذا الأوزاعي قالت فان سيدتى تريد أن تسأله عن مسألة قال فقال لها فلتسأل عما بدا قال فقالت: إنها كانت في أرضها إذ هجمت عليهم خيل العرب فالتجاؤا إلى غار ومعها بنى لها وضعت يدها على فمه مخافة أن يصيح فيدل عليهم فما رفعت يدها عن فيه إلا وهو ميت فهل عليها فيه شيء وهل لها كفارة لما صنعت فقال الأوزاعي أكان هذا منها قبل الإسلام أو بعده قالت قبل الإسلام قال فإن الإسلام قد هدم ما كان قبله وأحب أن تعتق رقبة قال فسألت عن ولده فأخبرت بأن الأوزاعي ثلاث بنات قال فأخرجت إليه ثلاث درات هدية لهن فلما قدم عليهن قال لهن إن هؤلاء الدرات اهدين لكن ولا يصلحن إلا مع شبههن من الحلى ولكني رأيت رأيا إن أحببتن فعلته قال قلن وما هو قال نبيعهن ونتاجر بأثمانهن حتى لعل الله أن ينفعكن وإيانا به قلن نعم فبعث بهن إلى دمشق فبعن بثمانين ومائتى دينار وكان مدخل الشتاء قال فأمر الذي باعهن أن يشترى له قطيفا وإنجبانيات وبعث بهن إليه قال أبو الفضل فأخبرني هذا الرجل أنه حدثه بعض أشياخ المدينة يعنى بيروت أنه صار إليه إنبجانيتان منها وفقده أبو جعفر فقال لعبد الوهاب بن إبراهيم الهاشمي عامله على دمشق والمهدى عنده ألم أوجه إليك كتابي إلى عبد الرحمن قال بلى يا أمير المؤمنين وأنفذته قال يقول المهدى قد والله يا أمير المؤمنين جاءني فسلم على وهنأنى بما أسند إلى أمير المؤمنين من الخلافة ودعا لي دعاء وقع برده على قلبي وأخبره بما حدث به أنه استأذننى في الرجوع إلى مكتبة وأعلمنى أن في أذنى له خلفا من أذنك فقال أبو جعفر للمهدى فعلتها

يا أبا عبد الله قال قد كان ذا قال ارحلوا حدثنا عبد الرحمن نا على بن الحسن الهسنجاني نا أحمد يعنى بن صالح قال سمعت بن أبى ذئب يحدث سفيان الثوري بدخوله على أبى جعفر وكلامه له فذكر قصة لا أحفظها كما أحب قال ابن أبى ذئب فقلت له أخبرني أنصح لك من المهدى فقال بأى شيء حل لك أن تقول المهدى قال ابن أبى ذئب كلنا قد هداه الله (١).

من كلام الأوزاعي:

- العمل الصالح يرفع صاحبه إذا عثر، فإن صرع وجد متكأ ليناً(٢).

- المؤمن يقل الكلام ويكثر العمل (٣).

- قال عمر بن عبد العزيز: لو جاءت كل أمة بخبيثها وجئنا بالحجاج لغلبناهم (٤).

- قال الأوزاعي عن مكحول إن كان في الجماعة الفضيلة فإن في العزلة السلامة (٥).

- قال الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير أنه قال ما صلح منطق رجل إلا عرف ذلك في سائر عمله.

- حدث عقبة بن علقمة ومبشر بن إسماعيل أنهما سألا الأوزاعي ما

(١) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، ١ / ٢١٠.

(٢) أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د. إحسان عباس ود. عبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣، ١ / ٢٤٧.

(٣) أبو حيان التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، ١ / ٢٩١.

(٤) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٢١ / ٢٠٢.

(٥) الجاحظ، البيان والتبيين، ١ / ٤٧٥.

إكرام الضيف قال طلاقة الوجه وطيب الكلام.

- عن الأوزاعي قال: أنبئت أنه كان يقال: ويل للمتفقهين لغير العبادة والمستحلين الحرمات بالشبهات.

- الأوزاعي يقول ما بلى أحد في دينه ببلاء أضر عليه من طلاقة لسانه (١).

- عن الأوزاعي قال: كتب إلينا عمر بن عبد العزيز رحمه الله برسالة لم يحفظها غيري وغير مكحول: أما بعد فإنه من أكثر ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير ومن عد كلامه من عمله قل كلامه فيما لا ينفعه.

- قال الأوزاعي: نعم وزير العلم الرأي الحسن (٢).

- عن الأوزاعي قال: " لا يكون في آخر الزمان شيء أعز من أخ مؤنس، أو كسب درهم من حله، أو سنة معمول بها " (٣).

- الأوزاعي: ما من شيء أبغض إلى الله من عالم يزور عاملاً.

- الأوزاعي: من عمل بما يعلم كان حقاً على الله أن يعلمه ما لا يعلم ويوفقه فيما يعلم، حتى يستوجب بذلك الجنة.

- الأوزاعي: الفار من عياله كالآبق، لا يقبل منه صوم ولا صلاة لا يرجع إليهم.

- الأوزاعي: إذا أراد الله بقوم شراً أعطاهم الجدل ومنعهم العمل(٤).

(١) محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محيى الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧، ١ / ٤٦، ٤٧، ٢٦١.
(٢) ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس، ٢٩/١.
(٣) ابن الشجري، الأمالي الشجرية، ١ /٤٨٢.
(٤) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٣٠٥، ٣٢٤، ٣٢٦، ٣٦٥.

- عن الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير قال: لا يتعلم من استحيا وتكبر.

- قال الأوزاعيّ: إذا أراد الله بقوم شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل.

- حدث محمد بن شعيب بن سابور، قال: سمعت الأوزاعي ينشد هذه الأبيات:

إذا كان الخطاء أقل ضراً ::: وأنجحَ بالأمور من الصوابِ
وكان النّوك مَحْمُوداً مذالاً ::: وكان الدهر يرجع بانقلابِ
وعطّلت المكارمُ والمعالي ::: وأُغلقَ دون ذلك كلُّ بابَ
ويوعد كل ذي حَسَب ودينٍ ::: وقُرِّب كل مهتوك الحجابَ
فما أحدٌ أضنَّ بما لديه ::: من المتحرج المحْضِ اللُّباب(١)

- قال الأوزاعيّ: الصاحب للصاحب كالرقعة للثوب، إن لم تكن مثله شانته.

- قال الأوزاعي: خمسة كان عليها أصحاب محمد ﷺ والتابعون بإحسان: لزوم الجماعة، واتباع السنة، وعمارة المسجد، وتلاوة القرآن، والجهاد في سبيل الله.

- روى الأوزاعي عن يحيى بن أبي كثير، قال: إن الملك ليصعد بعمل العبد مستفتحاً به، حتى إذا انتهى إلى ربه قال: اجعلوه في سجين، إني لم أرد بهذا. قال الأوزاعي: فما ظنك بما قد خفي عن الملك (٢).

---

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ٣/١ - ٤، ٩٣، ١٥٧.
(٢) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ١١٩، ١٥٠، ٢٠١، ٢١٨.

من مواعظ الأوزاعي

عن الأوزاعي أنه وعظ فقال في موعظته: أيها الناس تقووا بهذه النعم التي أصبحتم فيها، على الهرب من نار الله عز وجل الموقدة التي تطلع على الأفئدة، فإنكم في دار الثواء فيها قليل، وأنتم فيها تؤجلون، خلائف بعد القرون الذين استقبلوا من الدنيا أنفها وزهرتها، فهم كانوا أطول منكم أعماراً وأمدَّ أجساماً وأعظم آثاراً؛ فخدّوا الجبال وجابوا الصخور ونقبوا البلاد مؤيدين ببطش شديد وأجسام كالعماد، فما لبثت الأيام والليالي أن طوت مدتَهم وعفتْ آثارَهم وأخوتْ منازلَهم وأنستْ ذكرَهم، فما تحس منهم من أحد ولا تسمع لهم ركزاً؛ كانوا بلهو الأمل آمنين لبيات قوم غافلين أو لصباح قوم نادمين؛ ثم إنكم قد علمتم الذي نزل بساحتهم بياتاً من عقوبة الله عز وجل فأصبح كثير منهم في ديارهم جاثمين وأصبح الباقون ينظرون في آثار نقمة الله وزوال نعمه ومساكن خاوية فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم وعبرة لمن يخشى؛ وأصبحتم من بعدهم في أجل منقوص ودنيا مقبوضة، في زمان قد ولى عفوه وذهب رخاؤه فلم يبق منه إلا حمأة شر وصُبابة كدر وأهاويل عبر وعقوبات غبر وأرسال فتن وتتابع زلازل ورذالة خلف بهم ظهر الفساد في البر والبحر، فلا تكونوا أشباهاً لمن خدعه الأمل وغره طول الأجل فتبلّغ بالأماني؛ نسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن وعى نذره فانتهى وعقل سراه فمهد لنفسه.

رسالته الى المهدى في شفاعة لقوم

عن الأوزاعي أنه كتب الى المهدى اما بعد هدى الله الأمير فيما ابتلاه للتى هى أقوم ووقاه تبعته ولقاه حجته فإن من نعمة الله عليه وحسن بلائه عنده أن جعله يعرف بالعفو وخفض الجناح وطلب

التجاوز عن أصحاب الجرائم عند خليفتهم وحضور أمور رعيته بما تطلع عليه أنفسها وتنبسط في رجائها فيه قلوبها فبلغ الله الأمير فوائد الزيادة في الخير وحسن المعونة على الشكر ثم أنه كان من رأى أمير المؤمنين في تلك العصابة الذين تسللوا من بعثهم ما قد بلغه من البعثه بهم اليه مشاة على أقدامهم من الشام مقرنين في السلاسل حتى قدموا منذ أعوام ثم وضعوا في ضيق من الحبس وجهد من الضرر وقد كان من رسول الله ﷺ في النفر الثلاثة الذين تخلفوا عنه غزوة تبوك إن أوقف أمرهم ونهى الناس عن كلامهم حتى نزل فيهم حكم الله بالتوبة عليهم والمعاتبة لهم وأن عمر بن الخطاب أغفل أعقاب بعثه عن الإبان الذي كان يعقبهم فيه فقفلوا بغير إذن فأرسل إليهم أن يجتمعوا له في دار فعرفهم ماصنعوا فأشرف عليهم وتواعدهم وعيدا شديدا ثم عفا عنهم والمؤمنين أصلح الله الأمير بعضهم من بعض وولاتهم يقتدي موفق أخرهم بصالح ما مضى عليه أولهم فإن رأى الأمير أذاقه الله عفوه في الآخرة بحبه التبريد عن رعيته وقصد العقوبة فيهم رجاء أن يطلب لهم من أمير المؤمنين أصلحه الله عفوه والتجاوز عنهم فعل فإنه منه بحيث يعرف قوله وعند تدبر الأمور فضله جمع الله للأمير ألف رعيته ورزقهم رحمته والرأفة بهم وجعل ثوابه منهم مغفرته والخلود في رحمته والسلام عليك رحمة الله.

رسالة الأوزاعي إلى وزير الخليفة أبى عبيد الله في كتاب من الخليفة بتخليه محبوس:

عن الأوزاعي أنه كتب إلى أبى عبيد الله أما بعد: قسم الله لك ولما أنت فيه عاصما من سخطه ونية تعمل عليها وتؤدى بها حق من يلزمك فيما وجدت السبيل إليه طلب الفرج عنه إذا استغاث بك وكنت رجاءه في نفسه بإذن الله وأنه لا يزال من أولئك متوسل بي إليك فلا

آلوك فيه نصحا وعند العقاب ومعاينة الحساب لا تستكثر عملا ولا تستقل ذنبا فألهمك الله ذكره وطلب الوسيلة عنده ثم إن يزيد بن يحيى الخشني في حبس أمير المؤمنين أصلحه الله وكان من أعوان بن الأزرق ولم يبلغني عنه سوء قرف به وقد طالت إقامته فيه فإن رأيت رحمك الله أن يكون من المهدى كتاب إلى أمير المؤمنين أصلحه الله فيه يذكر من أمره ما نرجو تخلصه به مما هو فيه من ضرر الحبس فعلت أعانك الله على الخير وجعله أغلب الأمور عليك وآثرها عندك والسلام عليك ورحمة الله.

حدثنا عبد الرحمن أنا العباس بن الوليد بن مزيد أخبرني أبى عن الأوزاعي أنه كتب أما بعد جعل الله الأمير ممن ألهمه الخير واستأنف به عمره وجعل فيه قوته وإلى ثوابه منقلبه فإن الأمير أصلحه الله من المسلمين ومن خليفتهم بالمكان الذي ليس به أحد غيره وأنه غاية عامة من ابتلى فوجد على الشخوص اليه قوة للنظر في أموره والبلاغ منه حتى يفرج الله عنه بليته أو يتخذ منه عند السؤال عذرا جعل الله الأمير ممن يعضد ضعيف أمته ويهتم بأمر عوامهم ويرق على صاحب البلية منهم بما عسى الله أن يخلصه به منها ويوفيه عند الحاجة إليه أجره وقد كان أصلح الله الأمير إسماعيل بن الأزرق في ولايته على بعلبك فلم يبلغنا عنه إلا عفافًا وقصدًا.

وقد كان من عقوبة أمير المؤمنين أصلحه الله إياه في بشره وشعره ووضعه في الحبس قبله ما قد علم الأمير فلم يبلغنا أن ذلك كان عن خيانة ظهرت منه ولا وصف بها إلا أن يكون تعلق عليه لضعف وقد كان الرجل إذا ولى ثم عزل فبلى منه أمانة حمد وخلى سبيله أو حبس فاستعين به فإن رأى الأمير أن يهتم بأمره ويعرف حاله في

العذر ومبلغه من السن فيكلم أمير المؤمنين في سراحه وتخلية سبيله فعل، فإن الأمير من يعرف أمير المؤمنين نصحه وفضله إذا تدبر رأيه وهو من لا يخاف جبيهته ولا غلطته وما أدى الأمير إليه من حق رعيته فسيجده عند الثواب موفرا وجزاءه به مضعفا إن شاء الله أسال الله أن يجزى الأمير بأحسن سعيه ويبلغه في قوله وفعاله رضوانه والخلود في رحمته والسلام عليك ورحمة الله.

رسالة الأوزاعي إلى المهدى ابن أمير المؤمنين في شفاعة لأهل مكة في تقويتهم

عن الأوزاعي أنه كتب إلى المهدى أما بعد: فإن الله عز وجل جعل رسوله ﷺ لمن بعده من ولاة المؤمنين إماما وقدوة وأسوة حسنة في رحمته بأمته والرأفة عليهم وخفض جناحه لهم في عفوه عنهم قال الله

عز وجل في صفة رسوله:{بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ} [التوبة: ١٢٨]، فاسأل الله أن يعزم لأمير المؤمنين والأمير على الصبر بالتشبه بنبيه ﷺ والاعتصام بسنته ومنافسه الأخيار أعمال البر ويجعل ثوابهما في يوم البعث الأمن والإفضاء إلى رضوان الله عز وجل، وقد أصبح الأمير حفظه الله من خليفة المسلمين بحال الأمين المصدق إن شكا لمن مسه الضر من أمته لم يتهم نصحه ولم يجبه قوله وإن دافع عنهم رهقا أو طلب لهم عفوا أخذ بقلب الخليفة توفيقه وأحدث له بما ألقى اليه من الفضل سرورا إن شاء الله فجعل الله الأمير لأمته أمنه ومألفا ورضاهم به وأخذ بأفئدتهم إليه، ثم إنه أتاني من رجل من مقانع أهل مكة كتاب يذكر الذي هم فيه من غلاء أسعارهم وقلة ما بأيديهم منذ حبس عنهم بحرهم وأجدب برهم وهلكت مواشيهم هزلا فالحنطة فيهم مدان بدرهم والذره مدان ونصف بدرهم والزيت مد

بدرهم ثم هو يزداد كل يوم غلاء وأنه إن لم يأتهم الله بفرج عاجلا لم يصل كتابي حتى يهلك عامتهم أو بعضهم جوعا وهم رعية أمير المؤمنين أصلحه الله والمسؤول عنهم وقد حدثني من سمع الزهرى يقول إن عمر بن الخطاب في عام الرمادة وكانت سنة شديدة ملحة من بعد ما اجتهد في إمداد الأعراب بالإبل والقمح والزيت من الأرياف كلها حتى بلحت مما أجهدها قام يدعو الله عز وجل فقال اللهم اجعل أرزاقهم على رؤوس الظراب فاستجاب الله عز وجل له وللمسلمين فأغاث عباده فقال عمر: والله لو أن الله عز وجل لم يفرجها ما تركت أهل بيت لهم سعة الا أدخلت عليهم اعداهم من الفقراء فإنه لم يكن اثنان يهلكان من الطعام على ما يقيم الواحد فبلغنا أنه حمل الى عمر من مصر وحدها ألف ألف إردب وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال هل عسى أحدكم أن تبيت فصاله رواء وجاره طاو إلى جنبه فإن رأى الأمير أصلحه الله أن يلح على أمير المؤمنين في إغاثه أهل مكة ومن حولهم من المسلمين في بره وبحره بحمل الطعام والزيت إليهم قبل أن يبتلى بهلاك أحد منهم جوعا فعل وقد حدثني داود بن على أن عمر بن الخطاب قال: لو هلكت شاة على شاطئ الفرات ضياعا ظننت أن الله عز وجل سيسألنى عنها وإنما الأمر واحد وكل من العدل في الحكم عليه يوم القيامة مشفق إلا أن يعفو الله عز وجل ويرحم وهى أمتكم وأحق من خلفتم فيها بالعفو والرأفه رسول الله ﷺ الحقكم الله به مصلحين وأوردكم عليه بإحسان والسلام كتب في خمس من شهر ربيع الآخر سنة ثنتين وخمسين ومائة.

رسالة الأوزاعي إلى أمير المؤمنين شفاعة في زيادة أرزاق أهل الساحل

عن الأوزاعي أنه كتب أما بعد ولى الله لأمير المؤمنين أموره بما

ولى به أمور من هدى واجتبى وجعله بهم مقتديا فإن أمير المؤمنين أصلحه الله كتب إليَّ ألاَّ أدع أعلامه كلما فيه صلاح عامة وخاصة فإن الله عز وجل يأجر على من عمل به ويحسن عليه الثواب وانا اسأل الله عز وجل أن يلهم أمير المؤمنين من أعمال البر ما يبلغه به عفوه ورضوانه في دار الخلود، وقد كان أمير المؤمنين حفظه الله قصر بأهل الساحل على عشرة دنانير في كل عام سلفا من عطياتهم وأمير المؤمنين أصلحه الله إن نظر في ذلك عرف أنه ليس في عشرة دنانير لامرئ ذي عيال عشرة أو أدنى من ذلك أو أكثر كفاف وإن قوت عشرة وقتر على عياله فربما جمع الرجل عشرته في غلاء السعر في شراء طعام لعياله ما يجد منه بدا ثم يدان بعد ذلك في إدامهم وكسوتهم وما سوى ذلك من النفقه عليهم في عشرة لقابل ولو أجرى عليهم أمير المؤمنين أصلحه الله في أعطياتهم سلفا في كل عام خمسة عشر دينارا ما كان فيها عن مصلح ذي عيال فضل ولاقدر كفاف وأهل الساحل بمنزل عظيم غناؤه عن المسلمين فإنه لا يستمر لبعوث أمير المؤمنين فصول إلى ثغوره ولا سياحة في بلاد عدوهم حتى يكون من وراء بيضتهم وأهل ذمتهم بسواحل الشام من يدفع عنهم عدوا أن هجم عليهم وإنهم إذا كان القيظ تناوبوا الحرس على ساحل البحر رجالا وركبانا وإذا كان الشتاء قاسوا طول الليل وقرة ووحشته حرسا في البروج والناس خلفهم في أجنادهم في البيوت والأدفاء فإن رأى أمير المؤمنين حفظه الله أن يأمر لهم في أعطياتهم قدر الكفاف ويجريه عليهم في كل عام فعل وقد تصرمت السنة التي كانت تأتيهم فيها عشراتهم ودخلوا في غيرها حتى اشتدت حاجتهم وظهر عليهم ضرها وهم رعية أمير المؤمنين والمسؤول عنهم فإنه راع وكل راع مسؤول عن رعيته وقد بلغنا أن رسول الله

ﷺ قال إنه لحبيب إلى أن أفارق الدنيا وليس منكم أحد يطلبني بمظلمة في نفسه ولا ماله أتم الله على الأمير نعمته وأحسن بلاءه في رعيته وقد قدم علينا رسول أمير المؤمنين أصلحه الله بالعطية من النفقة والكسوة التي أمر أمير المؤمنين عافاه الله بقسمها في أهل الساحل فقسمناها فيهم من دينار لكل رجل ودينارين وقل المال عن اليتامى والأرامل فلم يقسم فيهم منه شيء ولليتامى والأرامل وهم من المساكين في الوجوه الثلاثة في كتاب الله عز وجل من الصدقات ومن خمس المغانم وما أفاء الله على رسوله والمؤمنين من أهل القرى فإن رأى أمير المؤمنين أصلحه الله أن يبعث بما يقسم فيهم فعل جعل الله أمير المؤمنين برسوله ﷺ متشبها في رأفته ورحمته بالمؤمنين واتم عليه نعمته ومعافاته والسلام عليك ورحمة الله.

رسالة الأوزاعي إلى عبد الله بن محمد أمير المؤمنين يعظه

عن الأوزاعي أنه كتب إلى عبد الله بن محمد أمير المؤمنين أما بعد: فإن الله عز وجل إنما استرعاه أمر هذه الأمة ليكون فيها بالقسط قائما وبنبيه ﷺ في خفض الجناح لهم متشبها وبإعماله التي مع قرابته فإنه من القدوة في أعمال رسول الله ﷺ أسوة حسنة وبلغنا أن رسول الله ﷺ قال في اليوم الذي قبضه الله عز وجل فيه: **﴿يا فاطمة بنت رسول الله ويا صفية عمة رسول الله اعملا لما عند الله عز وجل فإني لا أملك لكما من الله شيئا﴾** وبلغنا أنه أمر قريشا أن تجتمع فلما اجتمعت قال لهم: ألا إن أوليائي المتقون فمن اتقى فهو أولى بي منكم، وإن كنتم أقرب منه رحما نسأل الله أن يسكن دهماء هذه الأمة على أمير المؤمنين ويصلح به أمورها ويرزقه رحمها والرأفه بها فإن سياحة المشركين كانت عام أول في دار الإسلام وموطا حريمهم واستنزالهم نساء المسلمين وذراريهم من معاقلهم بقاليقلا لا يلقاهم من المسلمين

لهم ناصر ولا عنهم مدافع كان بما قدمت أيدى الناس وما يعفو الله عنه أكثر فإن بخطاياهم سبين وبذنوبهم استخرجت العواتق من خدورهن يكشف المشركون عوراتهن ولائد تحت أيدى الكوافر يمتهنونهن حواسر عن سوقهن وأقدامهن ويردون ولدانهن إلى صبغة الكفر بعد الإيمان مقيمات في خشوع الحزن وضرر البكاء فهن بمرأى من الله عز وجل ومسمع وبحيث ينظر الله من الناس إلى أعراضهم عنهن ورفضهم إياهن في أيدى عدوهم والله عز وجل يقول من بعد أخذه الميثاق من بنى إسرائيل إن إخراجهم فريقا منهم من ديارهم كفر ومفاداتهم أساراهم إيمان ثم أتبع اختلافهم وعيد منه شديد لا يهتم بأمرهن جماعة ولا يقوم فيهن خاصة فيذكروا بهن جماعتهم فليستعن بالله أمير المؤمنين وليتحنن على ضعفاء أمته وليتخذ إلى الله فيهن سبيلا وليخرج من حجة الله عليه فيهن بأن أن يكون أعظم همه وآثر أمور أمته عنده مفاداتهن فان الله عز وجل حض رسول الله ﷺ والمؤمنين على من أسلم من الضعفاء في دار الشرك فقال:{وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾} [النساء: ٧٥]، هذا ولم يكن على المسلمين لوم فيهن فكيف بالتخليه بين المشركين وبين المؤمنات يظهر منهن لهم ما كان يحرم علينا إلا بنكاح وقد حدثني الزهرى أنه كان في كتاب رسول الله ﷺ الذي كتب به بين المهاجرين والأنصار ألا يتركوا مفرحا أن يعينوه في فداء أو عقل ولا نعلم أنه كان لهم يومئذ فيئ موقوف ولا أهل ذمة يؤدون إليهم خراجا إلا خاصة أموالهم ووصية رسول الله ﷺ المسلمين بالنساء في حجة الوداع وقوله: إنما أوصيكم بالضعيفين المرأة والصبي، ومن رأفة رسول

الله ﷺ كانت بهن قوله إني لأقوم في الصلاة أريد أن أطول فيها فأسمع بكاء الصبي فأتجوز في صلاتي كراهة ان أشق على أمه فبكاؤها عليه من صبغة الكفر أعظم من بكائه بعض ساعة وهي في الصلاة وليعلم أمير المؤمنين أنه راع وأن الله مستوف منه وموفيه حين يوقف به على موازين القسط يوم القيامة أسأل الله ان يلقى أمير المؤمنين حجته ويحسن به الخلافة لرسوله في أمته ويؤتيه من لدنه أجر عظيما والسلام عليك.

رسالة الأوزاعي الى سليمان بن مجالد

عن الأوزاعي انه كتب الى سليمان بن مجالد أما بعد فانا وإن لم يكن جمعنا وإياك تلاق ولابدء كتاب كنا على تواصل منه لم يبطئ منا عنك ما يجد المسلم من البشر لإخوانه وإن كانت الأفاق بهم مفترقه فإن الألفة بحمد الله جامعة وروح الله يجرى بين عباده فنسأل الله أن يجعلك وإيانا من نعمته في ذات بيننا على توفيق يدخلنا به برحمته في عباده الصالحين ثم إنه ينبغي لمن نعشه الله من الجهل وأفضل عليه بمعرفة ما نفع من الأمور وما ضر منها أن يتوقى اهمال نفسه ورفض السعى بالنصيحة لله عز وجل في عباده وأنك من الحق بسبب معرفة به وبنعمة من حجة الله عندك وبمكان ممن إليه جماع أمر أمة محمد ﷺ فلا تدافع ما أنت مسؤول عنه إن رأيت أن دونه قرابة أو لطف بطانة إذا كان بموقع من الحجاب عنه موضوع وممن أن قال لم يتهم وإن خولف لم يستغش فإن عذر عليه أمر في موطن أدرك غيره في سواه وقد رأيت أن أكتب إليك في أمر رايتك له موضعا وأرجو أن تكون بما عليك فيه من الحق عالمًا إن شاء الله أن ترك لن يؤمن سوء تبعته وتعجيل الغير إلا أن يعفو الله ويلهم المخرج والتوبة إليه وذلك فيما أصاب المشركون من عذارى

المسلمين ونسائهم بقاليقلا وترك مفاداتهم، فإن بكاءهم إلى الله عز وجل بمرأى وأصواتهم منه بمسمع حين يكشف المشركون عوراتهن وحين ينظرن من أولادهن إلى صبغة الكفر بعد الإيمان فالله الله فيهن فإنك من أمرهن بسقب وبحيث إن قلت فيهن بخير سمع منك أو كان معذرة إلى الله عز وجل فأد رحمك الله حصتك فيهن إلى الله وحصص من لا يستطيع أن يقع موقعك من ولى أمورهم واشتر نفسك بذلك من الله بمالك فإنك تقرض كريما شاكرا عسى الله أن مس عباده بعقاب نجاك منه أو برحمة يخصك بها وقد كتبت إلى أمير المؤمنين فيهن بكتاب بعثت به إليك لتدفعه اليه ولكن بما أحببت من تقديم القول فيهن سببا أسأل الله أن يجعلك فيما يحب أن يقيم به عباده معاونا وبالحق فيه قائما وأن يؤتيك عليه من لدنه أجرًا عظيما والسلام عليك ورحمة الله.

رسالة الأوزاعي إلى عيسى بن على

كتب الأوزاعي إلى عيسى بن على أما بعد: فإن سياحتكم في سبيل الله كان أمر هدى وقربة فنسأل الله أن يجعلها غزوة يقطع بها ما كانت فيه هذه الأمة من جهد حدثها ثم لا يعيدها فيه وأن يستقبل به التوبة عليهم والعفو عنهم وحسن الخلافة لنبيه ﷺ فيهم أنه رءوف رحيم ونسأله ان يتم لك اجرها وتفضيل النفقة فيها وقد بلغني كتابك جواب ما كنت كتبت به إليك في أهل قال يقال تذكر أنه أضر بهم أنك لم تر أحدا به طرق يقوم بذلك ولا يذكر به وتأمرنى بمحادثتك فيهم إن قضا الله لك من غزاتك إيابا وصدقت رحمك الله فيما ذكرت فكم من موسوم يرى أن عنده خيرا من أهل الآفاق يقدم على خليفة وآخر مقيم عنده وفى صحابته ليس عنده فضل عن مسألته لنفسه فيذكر بحق ضعيف بعيد الشقة أومستحوذ عليه في دار الشرك فإنه

قد كان حين تغيرت حال الناس وفيهم بقية يذكرون فيبلغ عنهم ويقولون فيسمع منهم ثم صرت في دولة زمان أمر العامة فيه على جفاء لا يعرفون معروفا ولا ينكرون منكرا وحال الخاصة على أمور متفرقه وعصمة رأى كل فرقة في الفتها معرفة محبتها الا قليلا فكن رحمك الله للضعفاء بحقوقهم قائما وبأمر سبايا المؤمنات وولدانهن مهتما ومن الوجد عليهن من ذل الكفر وتكشف عوراتهن ورد ولدانهن إلى صبغة الكفر بعد الإيمان معنيا وبالسعى بالنصيحة لمن لا ولى له ولا مذكر به إلا الله عاملا عسى الله أن يجعلك له في الأرض شاهدا وله فيما يحب أن يعمل به مواليا جعلك الله ممن اختصه برحمته فسارع إلى مغفرته وآب إلى رضوانه والسلام عليك.

رسالة الأوزاعي إلى أبى بلج

كتب الأوزاعي إلى أبى بلج أما بعد: فصرف الله عنا وعنك الميل عن الحق من بعد المعرفة والجهل عما نفع واتباع الهوى بغير هدى منه فإن أبا الدرداء كان يقول: لن تزالوا بخير ما أحببتم خياركم وما قيل فيكم بالحق فعرفتموه، فإن عارف الحق كعامله وقد تقدمك أمران أما أحدهما فالكتاب له مصدق وألسنة عليه شاهدة والنصر به مؤيد وأمر الناس عليه جامع وأما الآخر فالتجوز على الألفة إلى غل لا مودة فيه وإلى طمع لا أمانة فيه، وإلى بيع حكم لا عمل فيه حتى وهنت القوة وظهر في الإسلام فساده وقد رأيت كتبا ظهرت فيما عندكم ومقالة سوء بعقوبة فرط وصحبة غليظة للمسلمين وقد أوصى رسول الله ﷺ بخفض الجناح لهم وبالرأفة بهم والمعدلة بينهم يعفى عن مسيئهم فيما يجمل العفو فيه ويعاقب المذنب على قدر ذنبه لا يقتحم بالعقوبة وجهه فإنه بلغنا أن صكة الوجه يوم القيامة لا تغفر

فكيف من الموت أجمل من عقوبته لا يثنى إلى حدود الله عطفه ولا يقف في سيرته على أمره يريه جهله أنه في الأمور مخير وان غيه رشد فهو لحرم الله عند غضبه ملغى وبالعداة في دين الله وعلى عباده يسفه فإنكم جعلتم أمانتكم من أهل ذمتكم مأكلا وبين أهوائكم حتى هلكت الأموال وعلقت الرجال مع المثلة في اللحى وتقطيع الأبشار ورسول الله ﷺ يقول فيما بلغنا:﴿**من ظلم معاهدا أو كلفه فوق طاقته فأنا حجيجه**﴾ فأعظم بندامة من رسول الله ﷺ عن قليل حجيجه لقد أحدثت تلك الأعمال فيما بلغني من المسلمين ضغائن ولبعض ذوي النهى في جهاده معكم ريا بما تأتينا بذلك كتبهم يسألون عنه أسأل الله أن يثنى بنا وبكم إلى أمره ويتغمد ما سلف منا ومنكم بعفوه وذكرت أن أكتب إلى صاحبك فإنه يتجمل بالكتاب إليه ويستمع مني ولعل الله عز وجل أن ينفع، وقد كتبت إليه بما لم آله نصحا وقد بلغني أن عمر بن عبد العزيز أتاه أخ له من الأنصار قال له: إن شئت كلمتك وأنت عمر بن عبد العزيز فيما تكره اليوم وتحب غدا وإن شئت كلمتك اليوم وأنت أمير المؤمنين فيما تحب اليوم وتكره غدا فقال عمر: بل كلمني اليوم، وأنا عمر بن عبد العزيز فيما أكره اليوم وأحب غدا جعل الله في طاعته الفتنا وفيما يحب تقلبنا ومثوانا آمين والسلام.

رسالة الأوزاعي إلى أبى عبيد الله وزير الخليفة:

عن الأوزاعي أنه كتب إلى أبى عبيد الله أما بعد: فإنى أسأل الله عز وجل ألاَّ يسلب منك عقلا ولا دينا وأن يجعل الغالب عليك فيما أنت فيه التوقى لما كنت تعرف وتكره قبل أن تبتلى ولا يجهلك عنه فتنه طمع ولا كثره شغل وأن يمن عليك بذكر قله المتاع وتقريب حضور فراقه ثم يجعلك لحظك فيه مؤثرا وعلى سلبه منك مشفقا فإنك المرء أحب أن أتعاهده بذكر ما عسى الله أن يحدث به خيرا فإنى أرجو أن يكون الغيب منى على النصح لك وحب العصمة في دينك وصرف السوء عنك فيه إن شاء الله وقد سألني إدريس الكتاب إليك فإن قدرت له رحمك الله على لحق في سكان جبلة طلبت له واعنته بما عسى الله إن يجعل قضاء حاجته بما يتسبب منه وأعنت عليه ثم يجزيك به خيرا ويجعله من النوافل المذخورة في الآخرة إن شاء الله فعلت والسلام عليك [1].

* * *

(١) عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١ - ١٩٥٢، ١/ ١٨٨ - ٢٠٢.

القاضي شريك بن عبد الله

أعــلام القضــاء

الفقيه القاضي شريك بن عبد الله

في مدينة (بُخارى) بجمهورية أوزبكستان الإسلامية الآن، وُلِدَ شريك بن عبد الله النخعي سنة خمس وتسعين للهجرة، ولمَّا بلغ من العمر تسع سنوات أتم حفظ القرآن الكريم، ثم درس الفقه والحديث، وأصبح من حفاظ أحاديث رسول الله ﷺ.

وفي مدينة الكوفة اشتهر بعلمه وفضله، فأخذ يعلم الناس ويفتيهم في أمور دينهم، وكان لا يبخل بعلمه على أحد، ولا يُفَرقُ في مجلس علمه بين فقير وغني.

وقد عُرِضَ عليه أن يتولى القضاء لكنه امتنع وأراد أن يهرب من هذه المسئولية العظيمة، خوفًا من أن يظلم صاحب حق، فعندما دعاه الخليفة المنصور، وقال له: إني أريد أن أوليك القضاء، قال شريك: اعفني يا أمير المؤمنين، قال: لست أعفيك.. فقبل تولي القضاء، وأخذ شريك ينظر في المظالم ويحكم فيها بالعدل، ولا يخشى في الله لومة لائم.

وقد أثنى عليه العلماء والفقهاء فعَن عباد بْن عمار قَالَ: قدم علينا مَعْمَر وشريك فتركنا مَعْمَراً وكتبنا عَن شريك قلت له: لم؟ قال: كان أرجح عندنا منه.

عَن ابن المبارك قال: بقي بالعراق رجلان: شريك وشعبة؛ فلما بلغ سُفْيَان أن شريكاً استقضى قال: أي رجل أفسدوا.

وخلَّفَ شريكٌ ثلثمائة ألف درهم، وما فيها دينار واحد.

قال معاوية بن صالح الأشعري: سألت أحمد بن حنبل عن شريك، فقال: كان عاقلا، صدوقا، محدثا، وكان شديدا على أهل الريب والبدع، قديم السماع من أبي إسحاق قبل زهير، وقبل إسرائيل.

فقلت له: إسرائيل أثبت منه؟قال: نعم.قلت له: يحتج به؟ قال: لا تسألني عن رأيي في هذا.قلت: فإسرائيل يحتج به؟قال: إي لعمري.

مات بالكوفة، في أول شهر ذي القعدة، سنة سبع.وعاش: اثنتين وثمانين سنة.

وقال خليفة بن خياط: مات سنة سبع أو ثمان وسبعين ومائة، رحمه الله تعالى. وكان هارون الرشيد بالحيرة، فقصده ليصلي عليه فوجدهم قد صلوا عليه، فرجع.

أدرك عمر بن عبد العزيز وسمع أبا أسحاق السبيعي ومنصور بن المعتمر وعبد الملك بن عمير وسماك بن حرب وغيرهم، وروى عند عبد الله بن المبارك وعباد بن العوام ووكيع بن الجراح وغيرهم.

وكان عالماً فهماً ذكياً فطقاً، وكان عادلاً في قضائه كثير الصواب حاضر الجواب.

مواقف من حياته:

هكذا يطلب العلم:

يحكى أن أحد أبناء الخليفة المهدي دخل عليه، فجلس يستمع إلى دروس العلم التي يلقيها شريك، وأراد أن يسأل سؤالاً؛ فسأله وهو مستند على الحائط، وكأنه لا يحترم مجلس العلم، فلم يلتفت إليه شريك، فأعاد الأميرُ السؤالَ مرة أخرى، لكنه لم يلتفت إليه وأعرض عنه؛ فقال له الحاضرون: كأنك تستخف بأولاد الخليفة، ولا تقدرهم حق قدرهم؟ فقال شريك: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن تضيِّعوه، فما كان من ابن الخليفة إلا أن جلس على ركبتيه ثم سأله، فقال شريك: هكذا يطلب العلم.

اقض علي وعلى ولدي

أَخْبَرَنِـي مُحَمَّـد بْـن زكريـا بْـن دينـار، قـال: حَـدَّثَنَا علـي بْـن الْحَسَـن الشبرمي ابن أخت شريك لما دعا المهدي شريكاً ليوليه القضاء قالَ لَهُ شَرِيْكٌ: لا أصلح لذلك. قال: ولم؟ قالَ: إن بي نتناً، قال: عليك بمضغ اللبان قال: إني حديد قالَ: قد فرض لك أمير المؤمنين فالوذجة توفرك، قال: إني امرؤ أقضي على الوارد والصادر، قالَ: اقض علي وعلى ولدي؛ قال: فاكفني حاشيتك، قال: قد فعلت.

تشدد شريك بن عبد الله في إحقاق الحق

عن عمر بن الهيام بن سعيد، قال: أتته امرأة يوماً - يعني شريكاً - من ولد جرير بن عبد الله البجلي صاحب النبي ﷺ وهو في مجلس الحكم، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي، امرأةٌ من ولد جرير بن عبد الله صاحب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ورددت الكلام، فقال: إيهاً عنك، الآن من ظلمك؟ قالت: الأمير عيسى بن موسى، كان لي بستانٌ على شاطئ الفرات، لي فيه نخلٌ، ورثته عن آبائي، وقاسمت إخوتي، وبنيت بيني وبينهم حائطاً، وجعلت فيه رجلاً فارسياً في بيتٍ يحفظ لي النخل ويقوم ببستاني، فاشترى الأمير عيسى من إخوتي جميعاً وسامني فأرغبني فلم أبعه، فلما كان في هذه الليلة بعث خمسمائة فاعلٍ فاقتلعوا الحائط، فأصبحت لا أعرف من نخلي شيئاً واختلط بنخل إخوتي. قال: يا غلام! طينة، فختم لها خاتماً، ثم قال لها: امضي به إلى بابه حتى يحضر معك.

فجاءت المرأة بالطينة فأخذها الحاجب ودخل على عيسى، فقال له: أعدي شريكٌ عليك، قال له: أدع لي صاحب الشرطة، فدعا به، فقال: امض إلى شريك فقل له: يا سبحان الله! ما رأيت أعجب من أمرك،

امرأة ادعت دعوى لم تصح، أعديتها علي؟ فقال: إن رأى الأمير أن يعفيني فليفعل، فقال: امض ويلك.

فخرج فأمر غلمانه أن يتقدموا إلى الحبس بفراشٍ وغير ذلك من آلة الحبس، فلما جاء وقف بين يدي شريكٍ القاضي فأدى الرسالة، فقال لصاحبه: خذ بيده فضعه في الحبس، قال: قد - والله يا أبا عبد الله - عرفت أنك تفعل بي هذا، فقدمت ما يصلحني إلى الحبس.

قال: وبلغ عيسى بن موسى ذلك فوجه بحاجبه إليه، فقال: هذا من ذاك، رسول أي شيءٍ أنت؟ فأدى الرسالة، فألحقه بصاحبه فحبس.

فلما صلى الأمير العصر بعث إلى إسحاق بن صباح الأشعثي وإلى جماعة من وجوه الكوفة من أصدقاء شريك، فقال: أمضوا إليه وأبلغوه السلام وأعلموه أنه قد استخف بي، فإني لست كالعامة.

فمضوا وهو جالسٌ في مسجده بعد العصر، فدخلوا إليه فأبلغوه الرسالة، فلما انقضى كلامهم، قال لهم: مالي لا أراكم جئتم في غيره من الناس؟! من هاهنا من فتيان الحي؟ فابتدروه، فقال: يأخذ كل واحد منكم بيد رجلٍ من هؤلاء فيذهب به إلى الحبس، لابتم - والله - إلا فيه، قالوا: أجادٌ أنت؟ قال: حقا، حتى لا تعودوا تحملوا رسالة ظالم، فحبسهم.

فركب عيسى بن موسى في الليل إلى باب الحبس ففتح الباب وأخذهم جميعاً، فلما كان من الغد وجلس شريكٌ للقضاء، جاء السجان وأخبره، فدعا بالقمطر فختمها ووجه بها إلى منزله، وقال لغلامه: الحقني بثقلي إلى بغداد، والله ما طلبنا هذا الأمر منهم، ولكن أكرهونا عليه، ولقد ضمنوا لنا الإعزاز فيه.

ومضى نحو قنطرة الكوفة يريد بغداد، وبلغ عيسى بن موسى الخبر، فركب في موكبه فلحقه وجعل يناشده الله ويقول: يا أبا عبد الله!

تثبت، انظر إخوانك تحبسهم؟ دع أعواني، قال: نعم، لأنهم مشوا لك في أمرٍ لم يجب عليهم المشي فيه، ولست ببارح أو يردوا جميعاً إلى الحبس، وإلا مضيت من فوري إلى أمير المؤمنين فاستعفيته فيما قلدني.

فأمر بردهم جميعاً إلى الحبس، وهو - والله - واقفٌ مكانه حتى جاء السجان، فقال: قد رجعوا إلى الحبس، فقال لأعوانه: خذوا بلجامه قودوه بين يدي إلى مجلس الحكم، فمروا به بين يديه حتى دخل المسجد، وجلس مجلس القضاء، ثم قال: الجريرية المتظلمة من هذا؟ فجاءت، فقال: هذا خصمك قد حضر، فلما جلس معها بين يديه قال: يخرج أولئك من الحبس قبل كل شيءٍ، ثم قال: ما تقول فيما تدعيه هذه؟ قال: صدقت، فقال: ترد جميع ما أخذ منها إليها وتبني حائطها في أسرع وقت، كما هدم، قال: أفعل، أبقي لك شيءٌ؟ قال: تقول المرأة: نعم، وبيت الفارسي ومتاعه، قال: وبيت الفارسي ومتاعه، فقال شريك: أبقي شيءٌ تدعينه عليه؟ قالت: لا، وجزاك الله خيراً، قال: قومي، وزبرها، ثم وثب من مجلسه فأخذ بيد عيسى بن موسى فأجلسه في مجلسه، ثم قال: السلام عليك أيها الأمير، تأمر بشيء؟ قال: بأي شيءٍ آمر؟ وضحك [1].

لا بد للناس من قاضٍ

عن زيد بن أبي خداش قال: لقي سفيان شريكاً بعد ما ولي قضاء الكوفة، فقال: يا أبا عبد الله بعد الإسلام والفقه والخير تلي القضاء وصرت قاضياً؟! فقال له شريك: يا أبا عبد الله لا بد للناس من

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ١٣٩ - ١٤٠.

قاضي؛ فقال له سفيان: يا أبا عبد الله لا بد للناس من شرطي [١].

إِذَا شئتَ فَعُدْ

حَدَّثَنِيْ مُحَمَّد بْن حمزة العلوي، قَالَ: حَدَّثَنِيْ أَبُوعُثْمَان المازني، قَالَ: حَدَّثَنِيْ إبراهيم بْن عَبْد الرحمن بْن مهدي عَن أبيه، قَالَ: حَدَّثَنِيْ شريك بْن عَبْد اللهِ، قَالَ: سعى ابْن الربيع إلى المهدي وزعم أني رافضي، قَالَ: فأرسل إلي فأُخِذت أخذاً عنيفاً وعلى كُمِّهِ لاطئة وكساء أبيض وخفان، فدخلت عليه فسلمت، فقال: لا سلم الله عليك! قَالَ: قلت يا أمير المؤمنين إن الله يقول:{وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا۟ بِأَحْسَنَ مِنْهَآ أَوْ رُدُّوهَآ} [النساء: ٨٦]، فو الله ما حييتني بأحسن من تحيتي ولا رددتها علي، قال: ألم أوطئ الرجالَ عقبيك وأنت رافضي ملعون! قَالَ: قلت: يا أمير المؤمنين مثلك لا يمن بمعروفه، وأما قولك: إني رافضي، فإن كان الرافضي مَنْ أَحَبَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ وفاطمة وعلياً والحَسَنَ والحسينَ صلوات الله عليهم أجمعين، فأنا أشهد الله وأشهدك أني رافضي أتبعهم يا أمير المؤمنين. قال: معاذ الله، ثم قَالَ: ما أحسبنا إلا وقد روعناك، هاتوا بدرة، فأتوا ببدرة فدفعت إلي فحملها على عنقي، فلما خرجت قالَ لي الربيع: كيف رأيت؟ قَالَ: قلت: إذَا شئتَ فَعُدْ.

مثل هَذَا يطأ بساط أمير المؤمنين؟

أَخْبَرَنِي طلحة بْن عَبْد اللهِ بْن مُحَمَّد بْن إسماعيل التيمي قَالَ: حَدَّثَنِيْ أحْمَد بن إبراهيم بْن إسماعيل بْن داود، قَالَ: تناظر عَبْد اللهِ بْن مصعب وشريك بين يدي المهدي فلم يدرك عَبْد اللهِ شريكاً لتبحره، فقالَ عَبْدُ اللهِ: مثل هَذَا يطأ بساط أمير المؤمنين؟ قَالَ شريك: فمن

(١) أبو نعيم، الحلية، ٤٧/٧.

يطأ بساط أمير المؤمنين؟ والله إني لقارئ للقرآن عالم به وبالتعبير، راوية للحديث والفقه، وإني لرجل من العرب متوسط في قوس.فقالَ عَبْدُ اللهِ: إنك تشتم أبا بكر وعُمَر، فقالَ شريك: والله ما استحللت ذلك من الزبير، فكيف أستحله من أبي بكر وعُمَر.

لا بأس به

قالَ منصور بْن أبي بكر بْن أبي مزاحم: اجتمع عند أبي عَبْد اللهِ الحسين بْن يزيد، الحَسَنُ وناس من أهل المدينة فتذاكروا النبيذ فأجمعوا على تحريمه، ودخل شريك فجلس فقالَ أبُو عبيد الله لشريك: يا أبا عَبْد اللهِ ما تقول في النبيذ؟ فقال: لا بأس به.

أهل الحديث أشد صيانة للحديث من أن يعرضوه للتكذيب

عَن عَمْرو بْن ميمون قال: قالَ عُمَر: نأكل هَذَا اللحم الغليظ ونشرب عليه النبيذ نقطعه في بطوننا، فقالَ: الحَسَن بْن زيد: ما سمعنا بهَذَا، فقالَ لَهُ شريك: أجل والله، شغلك الجلوس على الطنافس في صدور المجالس أن تسمع بهَذَا، قالَ: ثم سكت وسكتوا. قالَ أبُو عَبْد اللهِ لشريك: تحدث يا أبا عبيد الله!قالَ شريك: أهل الحديث أشد صيانة للحديث من أن يعرضوه للتكذيب.

ما ظننت أنني أبقى حتى أرى في الدنيا مثلك

عَن الحَسَن بْن قحطبة قال: غدوت على المهدي بغلس [١] فدخلت عليه فسلمت فرد السلام وما قالَ لي: اقعد، ثم قالَ للخادم: انظر من بالباب؟ قال: شريك، قال: علي بجراب السيوف، قالَ الحَسَن: فاشتملتني رعدة ثم قال: ائذن له فدخل شريك فسلم فلم يرد عليه

(١) الغلسُ: بفتحتين: ظلام آخر الليل، و " غلّسَ " القوم " تغْلِيسًا " خرجوا " بغَلس "، و " غلّسَ " في الصلاة صلاها " بغلس ".

السلام، ثم قال: قتلني الله إن لم أقتلك، قال: ولم ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت في النوم أني مقبل عليك أكلمك وأنت تجيني من قفاك، فأرسلت إلى المعبر فقال: هَذَا رجل يطأ بساطك مخالفاً لك. فقالَ لهُ شريك: إن رؤياك ليست رؤيا يوسف بْن يعقوب، وإن الدماء لا تستحل بالأحلام، قال: فنكس المهدي ساعة ثم قالَ: بيده هكذا: أي اخرج، ثم أقبل عليَّ المهديُّ فكلمني ثم خرجت، فإذا شريك واقف فقالَ لي: أما رأيت ما أراد أن يصنع هَذَا بنا؟ فقلت: لله درك، ما ظننت أنني أبقى حتى أرى في الدنيا مثلك.

يا غلام اضمن ثمن العود

حَدَّثَ أَبُو العيناء مُحَمَّد بْن القاسم قال: سمعت علي بْن صالح صاحب المصلى يقول: دخل شريك على المهدي فأراد أن يعجزه فقال: يا غلام أعطني عوداً، قال: فجاء بالعود الذي يغني به، فلما رآه المهدي استحيى من شريك، ثم قال: هَذَا أخذه صاحب العسس البارحة فأحببت أن يكون كسره بحضرتك، ثم قال: يا أبا عَبْد اللهِ، ما تقول فيمن أمر بأمر فخالف إلى غيره، فتلف الشيء؟ قال: يضمن، قالَ: فقال: يا غلام اضمن ثمن العود.

ولو أخذوا بالحزم ما سمنوا الكلبا

قالَ سليمان بْن الربيع بْن هشام المهدي،: حَدَّثَ الحارث بْن إدريس أن شريكاً دخل على هارون في أول ولايته وعنده أَبُو يوسف يتحاور الكلام، فدخل أَبُو يوسف في كلامهما يريد أن ينقص شريكاً، فقالَ شريك: يا يعقوب:

هم سمنوا كلباً ليأكل لحمهم ::: ولو أخذوا بالحزم ما سمنوا الكلبا

اذهب فلا حاجة لنا في معونتك

قالَ أَحْمَد بْن إبراهيم بْن إسماعيل بْن داود: ولـي المهدي شريك بْن عَبْد اللهِ القسم بالكوفة وهو يومئذ قاض عليها يقسم فأعطى العربي اثني عشر، وأعطى المولى ثمانية، وأعطى من حسن إسلامه أربعة فضج الموالي والعجم من ذلك، فجعل يسأم العجم ويسأمونه ويغيظهم ويتقونه، ثم كلمه الموالي، فقالَ لَهُم: أرأيتم أنتم ما حجتكم علي؟ قالوا: فضلت العرب علينا بأربعة، قال: هذه أربعة أخذتها من النبط فأعطيها العرب ولم أنقصكم أنتم شيئاً.

وكان شريك دعا عيينة القارئ ليقسم معه فقالَ لهُ: هَذَا ظلم ولست أدخل فيه، قالَ: لتفعلن أو لأؤدبنك، فقال: حَدَّثَنَا شريك بإسناد لم يحفظه أَحْمَد قال: قالَ علي بْن أبي طالب ☺: أنه ولى توزيع القسم من أهل هَذَا المصر رجل فغضب بين الموالي والعجم والعرب لغير وشدة، قالَ: اذهب فلا حاجة لنا في معونتك.

زعموا أنك فاطمي

قال مُحَمَّد بْن عُمَر: كان أبُو سيف وعافية الأودي يحسدان شريكاً ويقعان به ويعيبانه عند الخليفة، وإذا حضر لم يشقا غباره ولم يتكلما معه، فقالا له: إنه فاطمي يرى شق عصا المسلمين والخروج على الأئمة، ودخل شريك على نفيه، ذلك، قالَ له هارون: زعموا أنك فاطمي، فقال، والله إني لأحب فاطمة وأبا فاطمة وزوج فاطمة وابني فاطمة أفتبغضهم؟ قالَ: لا، قال: فما ذكر العزم في مجلسك يا أمير المؤمنين، قالَ هارون: صدق ما ذكركم العزم.فقالَ شريك: ما هَذَان وهَذَا المجلس؟ أما هَذَا فرأينا أباه فلاسا يعني أبا يوسف، وأما هَذَا فرأيته رائضاً بالأمس، فحدثت علي بْن حكيم بهَذَا الحديث فقال: إنما كان عاملاً على رستاق في حداثته.

ليس لي بأخ

عَنْ عَبْدِ السلام بْن حارث قال: قلت لشريك: هَلْ لك في أخ لك تعوده؟ قال: من هو؟ قلت: مالك بْن مغول، قال: ليس لي بأخ من أزرى على علي وعمار.

صاحبك الهم

حَدَّثَ موسى بْن طالب عَن أبيه قالَ: قلت لشريك: يا أبا عَبْد اللهِ إني في ناحية ما يمكنني أن أذكر فضل أبي بكر وعُمَر، قال: صاحبك الهم، ما أدركت أحداً يفضل على أبي بكر وعُمَر علياً إلا أصلبته مفتضحاً، قلت: يا أبا عَبْد اللهِ إني لي قرابة من الرافضة أعطيهم من الزكاة؟ قال: لا.

هم الملوك يعزلون ويخلعون

قالَ سليمان بْن أبي شيخ: قالَ موسى بْن عيسى لشريك: يا أبا عَبْد اللهِ عزلوك عَن القضاء.فقال: ما رأينا قاضياً عزل قالَ: هم الملوك يعزلون ويخلعون. يعرض أن أباه خلع.

يا عَبْد الله هَذَا ميدان لا نجاريك فيه

حَدَّثَ إسَحاق بْن القصار وكان من أصحاب الحديث وغيره أن القاسم بْن معن حضر شريك بْن عَبْد اللهِ عند موسى بْن عيسى، فقالَ القاسم لشريك: ما تقول في رجل رمى رجل بسهم فقتله، فقال: يرمى بسهم فيقتل؛ قالَ له القاسم: فإن لم يقتله أيرمى بآخر؟ قال: نعم، قال: أفنتخذه غرضاً؟ فقالَ لهُ شريك: لم تموق[1] فقالَ القاسم: يا عَبْد اللهِ هَذَا ميدان لا نجاريك فيه، أنت فِيْهِ سابق يعني البذاء.

---

(١) المُوْقُ: حُمْقٌ في غَبَاوَةٍ.

وما يضر عالماً إن جهل جاهل

قالَ أحْمَد بْن إسحاق الموصلي: حدث شريك يوماً عند أبي عبيد الله بحديث فقالَ عافية القاضي: ما سمعنا هَذَا الحديث، فقالَ شريك: وما يضر عالماً إن جهل جاهل.

لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا

قال الحارث بْن إدريس: كنا عند شريك وعنده عصابة، فجاء غلام عليه صوف فتخطى حتى جلس إلى جانب شريك، فقالَ شريك: ممن أنت؟ فانتهى إلى الأنصار، فقالَ شريك:

لئن فخرت بآباء مضوا سلفاً ::: لقد صدقت ولكن بئسما ولدوا

إني لأظنك زنديقاً!

حَدَّثَ أحْمَد بْن إبراهيم بْن إسماعيل بْن داود، قالَ موسى بْن عيسى لشريك: بلغني أنك تورث بني البنات، قالَ: نعم. قالَ: إني لأظنك زنديقاً! قال: الزنديق يشرب الخمر وينكح حرم أبيه ولم أفعل أنا ذاك قط، فكيف أكون زنديقاً؟ قالَ: غضبت يا أبا عَبْدِ اللهِ؟ قال: إنك لم تَعْنِ غيري.

ارجع فلا شهادة لك عندي

وذكر مسلم بْن جنادة عَن أبي نعيم قال: كان شريك لا يجيز شهادة الرافضة ولا المرجئة، قالَ: أبُو نعيم ونظر شريك إلى رجل يُقالُ له: زكريا ابن يحيى فقالَ لهُ شريك: ألست الذي يقول: الصلاة ليست من الإيمان في شيء؛ ارجع فلا شهادة لك عندي.

فقد خون أصحاب مُحَمَّد ﷺ

عَن حفص بْن غياث، قال: كان شريك يقول من زعم أنه كان في

الشورى خير من عُثْمَان فقد خون أصحاب مُحَمَّد ﷺ، قالَ: الطلحي: فحدثت به عَبْد اللهِ بْن داود الجرمي فقالَ: رحم الله عُثْمَان ورحم الله شريكاً أنا أقول كما قال.

ضع قلمنا والحق بأهلك

قالَ سليمان بْن أبي شيخ: كان لشريك كاتب يُقالُ له: أبُو إسرائيل وهو أسن من شريك، فجاء شريك يوماً إلى مجلس القضاء. وقام يركع فدنا رجل من الكاتب فسأله عَن شيء من أمر القاضي، قال: متى يجلس أو نحو ذلك، فانفتل شريك، فقالَ: ضع قلمنا والحق بأهلك، فغضب أبُو إسرائيل وقال: ما شيء أغيظ إلي من قوله ضع قلمنا، ليت ذلك القلم في عينيه.

إنما كان يغضب مما يرد عليه مما لا يعرف الجواب فيه

قالَ إسماعيل بْن حماد بْن القاسم بْن معن كنت أرى شريكاً يغضب على الخصم، فأعجب من غضبه وأقول: أمره نافذ وقوله جائز ففيم الغضب؟ فلما وليت القضاء جعلت أكلم الخصوم فلا أغضب فإذا ورد علي الأمر لا أعرفه غضبت فإذا شريك إنما كان يغضب مما يرد عليه مما لا يعرف الجواب فيه.

فكلمه يحبسني

عَن سليمان بْن أبي شيخ، قالَ: دخلت سكة البريد بواسط في حاجة لي فلما خرجت تلقاني شريك على دابة من دواب البريد معه حرسي على دابة أخرى فدخل السكة، فرجعت فسلمت عليه فعرضت عليه الحاجة فقال: إن كان بينك وبين صاحب البريد معرفة فكلمه يحبسني ما قدر عليه، فإن هَذَا الحرسي قد أتعبني، فكلمه فحبسه ثلاثة أيام والحرسي يعجله حتى حمله بعد ثلاث، فمضى به إلى الأهواز فأجلسه

على القضاء، فجلس فجعل لا يتكلم حتى قام فهرب واختفى، ويُقالُ: إنه اختفى عند الوالي وهو مُحَمَّد بْن الحَسَن العَبْدي.

أفت بِهَذَا أهل دار بلال

قالَ يزيد بْن نوح النخعي وكان من أعوان شريك: قدم ابن إدريس إلى شريك في وصية. فأمر به إلى الحبس والحبس يومئذ في دار بلال، فالتفت إلى شريك وهو يذهب به إلى الحبس يقول: الحكم فيَّ كذا وكذا يفتيه، فقالَ لهُ شريك: أفت بهَذَا أهل دار بلال.

ما تقول في التعزية عند القبر

قالَ رجل لشريك: يا أبا عَبْد اللهِ، ما تقول في التعزية عند القبر وقد عزى الرجل قبل ذلك؟ فضحك شريك وقال: هَذَا ينبغي أن يشهد بالموافاة يعني بمجيئه.

بلغك أني مأوى الضالة!

قالَ ابن أبي شيخ: جاء رجل إلى شريك وهو على القضاء بكيس فقالَ: إن رجلاً من أهل خراسان خلف عندي هَذَا وأول عبيه وخرج للحج فلم يرجع قالَ: فتريد ماذا؟ قالَ: تصيره عند بعض أصحابك إلى أن يجيء صاحبه، فقالَ لهُ شريك: بلغك أني مأوى الضالة! وأبى أن يقبله.

بأي شيء تستحل رد شهادتنا؟

عَن النميري قالَ: تقدم إلى شريكٍ مُحَمَّدُ بْن الصباح وحماد بْن أبي حنيفة فشهدوا عنده بشهادة، فلما نظر إليهما قد أقبلا قالَ: ها هنا ها هنا إلي " يرفعهما في المجلس، فعلم أنه قد رد شهادتهما فانثنى مُحَمَّد منصرفاً وجلس حماد بين يديه فقالَ: بأي شيء تستحل رد شهادتنا؟ قال: بتصدرك وتصدر أبيك في هَذَا المسجد تدعوان إلى

البدع وخلاف سنة رسول الله ﷺ.

أراد أن يخطئ فأصاب.

عَن ابن أبي شيخ، قَالَ: حَدَّثَنِيْ بعض الكوفيين قال: قَالَ رجل لشريك: رجل لا يرى القنوت في الفجر، فأراد ألا يقنت فيها فقنت، فَقَالَ شريك: أراد أن يخطئ فأصاب.

من أعز أمر الله أعزه

عَن عمير بْن هياج بْن سعيد الهمداني ابن أخي مجالد قال: كنت في صحابة شريك فأتته يوماً وهو في منزله فخرج في فرو ليس تحته قميص عليه كساء فقلت: قد أضحيت عَن مجلس الحكم، فَقَالَ: غسلت ثيابي أنتظر جفوفها، فجلسنا نتذاكر باب العَبْد يتزوج بغير إذن سيده، وكانت الخيزران قد وجهت رجلاً من النصارى على الطراز بالكوفة وكتبت إِلَى عيسى بْن موسى لا تعص له أمراً، فخرج من زقاق النخع عليه خز وطيلسان على برذون فاره ورجل بين يديه مكتوف وهو يقول:

واغوثا بالله ثم بالقاضي، وإذا آثار السياط في ظهره فسلم على القاضي فَقَالَ لَهُ: له أنا رجل أعمل الوشي وأجرة مثلي مائة في الشهر، أخذني هَذَا منذ أربعة أشهر فأجلسني في طراز يجري علي القوت وعلي عيال قد ضاعوا فأفلت اليوم منه فلحقني ففعل بظهري ما ترى، فقال: يا نصراني اجلس مع خصمك قَالَ: أصلحك الله هَذَا من خدم السيدة فمر به إِلَى الحبس، قال: قم ويلك فاجلس معه، فقام فجلس معه، فقال: هذه الآثار التي بظهره من أثرها؟ قَالَ: أصلحك الله إنما ضربته أصواتاً بيدي وهو يستحق أكثر من ذلك، فدخل شريك داره وأخرج سوطه، ثم ضرب بيده إِلَى مجامع ثوب

النصراني، ثم قالَ للرجل: انطلق إلَى أهلك، ثم رفع السوط فجعل يقول: يا طبجي قدمن فاجمل والله لا تضرب المسلمين أبداً فهم أعوانه أن يخلصوه من يده، فقالَ: من هنا من فتيان الحي خلا هؤلاء فاذهبوا بهم إلى الحبس، فهربوا وجعل النصراني يبكي ويقول: ستعلم من ألقى السوط من يده؟

وقال: يا أبا حفص، ما تقول في العَبْد يتزوج بغير إذن مواليه وأخذ فيما كنا فيه، وقام النصراني فقالَ لَهُ: أخاف عاقبة هَذَا الأمر، قال: اسكت من أعز أمر الله أعزه، فذهب النصراني إلَى عيسى بْن موسى فشكا إليه فقال: لا والله ما أتعرض لشريك، ومضى النصراني إلَى بغداد فلم يعد.

قالَ مُحَمَّد بْن عيسى الوابصي: سمعت شريكاً يقول: ما سألتهم درهماً قط حتى نبذوني.

وليس لنا أن نتقدمك

قالَ مُحَمَّد بْن إبراهيم مولى بني هاشم: دخل شريك على هارون الرشيد في يوم الشك، والفقهاء عنده، فلم يزالوا جلوساً إلَى أن زالت الشمس فرفع الخبر إلى هارون إن الهلال لم يره أحد وبين يديه تفاح فطرح إلى كل رجل منهم تفاحة فأكلوا، وطرح إلى شريك فلم يأكل، فقالَ أبُو يوسف: يا أمير المؤمنين، إنه يخالفك وقد أبى أن يأكل، قال: يا أمير المؤمنين هو والله خالفك وأصحابه، إنما أنت إمام ونحن رعية، وإذا أفطرت أنت أفطرنا، وليس لنا أن نتقدمك، قال: صدق شريك ثم أكل هارون وأكل شريك [1].

---

(١) أَبُوبَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَة الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، المُلقَّب بـ " وَكِيع " (المتوفى سنة ٣٠٦هـ)، أخبار القضاة، حققه وصححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد

تلقى من يحج من النساء؟

كان شريك على قضاء الكوفة، فخرج يتلقى الخيزران، فبلغ شاهي، وأبطأت الخيزران، فأقام ينتظرها ثلاثا، ويبس خبزه، فجعل يبله بالماء ويأكله، فقال العلاء بن المنهال الغنوي:

فإن كان الذي قد قلت حقا ::: بأن قد أكرهوك على القضاء

فما لك موضعا في كل يوم ::: تلقى من يحج من النساء؟

مقيما في قرى شاهي ثلاثا ::: بلا زاد سوى كسر وماء

هكذا يطلب العلم.

قال محمد بن يزيد الرفاعي: كنت عند شريك، فأتاه بعض ولد المهدي، فاستند، فسأله عن حديث، فلم يلتفت إليه، وأقبل علينا، ثم أعاد، فعاد بمثل ذلك، فقال: كأنك تستخف بأولاد الخليفة.قال: لا، ولكن العلم أزين عند أهله من أن تضيعوه.قال: فجثا على ركبتيه، ثم سأله، فقال شريك: هكذا يطلب العلم.

وكان شريك يشاحن الربيع صاحب شرطة المهدي، فكان يحمل المهدي عليه، فدخل شريك يوماً على المهدي فقال له المهدي: بلغني أنك ولدت في قوصرة، قال: يا أمير المؤمنين، ولدت بخراسان والقواصر هناك عزيزة، قال: إني لأراك فاطمياً خبيثاً، قال: والله إني لأحب فاطمة، وأبا فاطمة ﷺ، قال: وأنا والله أحبهما، ولكني رأيتك في منامي مصروفاً وجهك عني، وما ذاك إلا لبغضك لنا، وما أراني إلا قاتلك لأنك زنديق، قال: يا أمير المؤمنين إن الدماء لا تسفك بالأحلام، وليست رؤياك رؤيا يوسف عليه السلام؛ وأما قولك إني

العزيز مصطفى المراغي، نشر المكتبة التجارية الكبرى، بشارع محمد علي بمصر لصاحبها: مصطفى محمد، الطبعة: الطبعة الأولى عام ١٣٦٦هـ=١٩٤٧م، ٣ / ١٥٥ - ١٧٥.

زنديق فإن للزنادقة علامة يعرفون بها، قال: وما هي قال: شرب الخمور والضرب بالطنبور، قال: صدقت أبا عبد الله، وأنت خير من الذي حملني عليك[١].

ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين

قال مصعب بن عبد الله الزبيري: حدثني أبي قال: دخل شريك على المهدي فقال له: ما ينبغي أن تقلد الحكم بين المسلمين، قال: ولم قال: لخلافك على الجماعة وقولك بالإمامة، فقال: أما قولك: لخلافك على الجماعة، فمن الجماعة أخذت ديني، فكيف أخالفهم وهم أصل ديني، وأما قولك: وقولك بالإمامة، فما أعرف إلا كتاب الله عز وجل وسنة رسول الله ﷺ؛ وأما قولك: مثلك لا يقلد الحكم بين المسلمين، فهذا شيء أنتم فعلتموه، فإن كان خطأ فلتستغفروا الله منه، وإن كان صواباً فامسكوا عليه. قال: ما تقول في علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: ما قال فيه جدك العباس وعبد الله، قال: وما قالا فيه قال: أما العباس فمات وعلي عنده أفضل الصحابة، وقد كان يرى كبراء المهاجرين يسألونه عما ينزل من النوازل وما احتاج إلى أحد حتى لحق بالله. وأما عبد الله فإنه كان يضرب بين يديه بسيفين، وكان في حروبه رأساً متبعاً وقائداً مطاعاً، فلو كانت إمامة علي جوراً لكان أول من يقعد عنها أبوك لعلمه بدين الله وفقهه في أحكام الله. فسكت المهدي وأطرق، ولم يمض بعد هذا المجلس إلا قليل حتى عزل شريك.

شرب نبيذاً ثم لا يدري أطلق امرأته أم لا، وحكم ذلك

قال عبد الرحمن بن معري: جاء رجل إلى أبي حنيفة، فقال: إني شربت البارحة نبيذاً فلا أدري طلقت امرأتي أم لا، قال: المرأة امرأتك حتى

(١) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٧.

تستيقن أنك طلقتها، ثم أتى سفيان الثوري فقال: يا أبا عبد الله! إني شربت البارحة نبيذاً فلا أدري طلقت امرأتي أم لا، قال: اذهب فراجعها فإن كنت قد طلقتها فقد راجعتها وإن لم تك طلقتها لم تضرك المراجعة شيئاً، ثم أتى شريك بن عبد الله، فقال: يا أبا عبد الله! إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتي أم لا، قال: اذهب فطلقها ثم راجعها، ثم أتى زفر بن الهذيل، فقال: يا أبا الهذيل! إني شربت البارحة نبيذاً ولا أدري طلقت امرأتي أم لا، قال: سألت غيري؟ قال: أبا حنيفة، قال: فما قال لك؟ قال: المرأة امرأتك حتى تستيقن أنك قد طلقتها، قال: الصواب قال، قال: فهل سألت غيره؟ قال: سفيان الثوري، قال: فما قال لك؟ قال: اذهب فراجعها فإن كنت قد طلقتها فقد راجعتها وإن لم تك طلقتها لم تضرك المراجعة شيئاً، قال: ما أحسن ما قال! قال: فهل سألت غيره؟ قال: شريك بن عبد الله، قال: فما قال لك؟ قال: اذهب فطلقها ثم راجعها، فضحك زفر وقال: لأضربن لك مثلاً، رجل مر بماء يسيل فأصاب ثوبه، قال لك أبو حنيفة: ثوبك طاهر وصلاتك تامة حتى تستيقن أمر الماء، وقال لك سفيان: اغسله فإن يك نجساً فقد طهر، وإن يك نظيفاً زاد نظافة، وقال لك شريك: اذهب فبل عليه ثم اغسله[١].

قل إن شاء الله

قال الحسن بن علي بن راشد: سمعت القاضي شريك بن عبد الله، يقول: كنت ذات ليلة أصلي في السطح وإلى جنب سطحي امرأة تطلق وقد عسر عليها ولادها، فكادت تموت فشغلت قلبي، وزوجها في ناحية السطح يسمع صراخها، فسمعته يقول: والله يا هذه

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ١٢٠.

لئن خلصك الله تعالى لا أعود أضاجعك أبداً، فقالت له مسرعة: قل إن شاء الله يا مشوم، فأضحكني قولها، وما ذكرتها وأنا في الصلاة إلا وضحكت من قولها [١].

وانطرد معهم

واجتمع أصحاب الحديث عند شريك بن عبد الله، فتبرم بهم وأضجروه فصاح بهم وفرّقهم فلم يبرحوا. فقال بعضهم: أنا أطردهم عنك. قال: نعم، وانطرد معهم [٢].

فعلم شريك أنه قد وجب عليه

ابتاع شريك بن عبد الله القاضي من رجل مملوكاً عبداً أو أمة، فوجد به عيباً فرده على البائع بالعيب، فقال له البائع: لا تردده، أنا أربح لك فيه دنانير، وقال: أوتفعل؟ قال: نعم، قال: فبعه. فذهب البائع ولم يعرضه، فلما أبطأ على شريك دعا به، فقال له: ألم تقل إنك تربح؟ قال: بلى، قد قلت ذلك؛ قال: فأين الربح؟ قال: ما عرضته؛ قال: فاردد علينا الثمن، قال: ليس إلى ذلك سبيل، قد رضيته بعد العيب أمرتني بعرضه. فعلم شريك أنه قد وجب عليه، فأمسك [٣].

من كلامه رحمه الله:

- عَن ظفر بْن سهل قالَ: قالَ شريك: الجوع يمص الداء.
- قال شريك: أثر فيه بعض الضعف أحب إلي من رأيهم.
- وقال: ليس بحليم من سفه الحق وقاتل علي بن أبي طالب ﷺ.
- قال شريك بن عبد الله: إنما الرجل بإخوانه، فإذا ذهب أخوان

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ٣٥٦.
(٢) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ١ / ٢٤٩.
(٣) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ١٧٣، ٣ / ١٠.

الرجل ذهب الرجل.

ـ قال شريك بن عبد الله: خمسة من الكبائر، عمياء مكتحلة، وسوداء مختضبة، وخصي له امرأة، ومخنث يؤم قوماً، وأعرابي أشقر. ومن العجائب: منجم أعمى، وأطروش صاحب خبر، وعطار أخشم، ومناد أخرس، ومؤاجر أصلع، وجندي محفوف الشوارب، وكناس متعزز، وفيج منقرس ولحياني ينتف لحية كوسج، وديدبان أعمش، وحجام قليل الفضول، وإمام أمي، وكحال أرمد. وضرب عبد الله بن أبي بكر ملاحاً لم يحسن السباحة وقال: من العجائب ملاح غير سابح![١].

* * *

(١) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٢٠٨.

القاضي أبو يوسف

أعلام القضاء

القاضي أبو يوسف صاحب أبي حنيفة

كان القاضي أبو يوسف المذكور من أهل الكوفة، وهو صاحب أبي حنيفة ﷺ، كان فقيهاً عالماً حافظاً، سكن بغداد وتولى القضاء بها لثلاثة من الخلفاء: المهدي وابنه الهادي ثم هارون الرشيد، وكان الرشيد يكرمه ويجله، وكان عنده حظياً مكيناً، وهو أول من دعي بقاضي القضاة، ويقال: إنه أول من غير لباس العلماء إلى هذه الهيئة التي هم عليها في هذا الزمان، وكان ملبوس الناس قبل ذلك شيئاً واحداً، لا يتميز أحد عن أحد بلباسه. ولم يختلف يحيى بن معين وأحمد بن حنبل وعلي بن المديني في ثقته في النقل.

ولد أبو يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري في مدينة الكوفة سنة ١١٣هـ، وتطلع إلى العلم والدراسة فلم يجد خيرًا من مجلس الفقيه الكبير أبي حنيفة فتتلمذ على يديه، ودرس عنده أصول الدين والحديث والفقه.

ولصحبته لأبي حنيفة قصة يرويها لنا أبو يوسف فيقول: كنت أطلب الحديث والفقه عند أبي حنيفة، وأنا مقل (يعني قليل المال) رث الحال والهيئة، فجاءني أبي يومًا فانصرفت معه، فقال لي: يا بني، لا تمد رجلك مع أبي حنيفة (أي لا تذهب إليه) فإن أبا حنيفة خبزه مشوي (يقصد أنه غني وقادر على أن يعيش عيشة كريمة) وأنت تحتاج إلى معاش (عمل حتى تنفق على نفسك ولا تنقطع للعلم)، فقصرت عن كثير من الطلب (أي طلب العلم) وآثرت طاعة أبي، فتفقدني أبو حنيفة وسأل عني، فلما كان أول يوم أتيته بعد تأخري عنه؛ فقال لي: ما شغلك عنا؟ قلت: الشغل بالناس وطاعة والدي، وجلست حتى انصرف الناس، ثم دفع لي صرة وقال: استمتع بها.

فنظرت فإذا فيها مائة درهم وقال: الزم الحلقة وإذا أفرغت هذه (إذا

أنفقتها) فأعلمني، فلزمت الحلقة، فلما قضيت مدة يسيرة، دفع إليَّ مائة أخرى، ثم كان يتعهدني (يرعاني) وما أعلمته بقلة قط، ولا أخبرته بنفاد شيء، وكأنه يخبر بنفادها وظل كذلك حتى استغنيت [(١)].

ولم يكن لأبي حنيفة تلميذ في نجابة أبي يوسف وذكائه، فقد استمر في تلقي العلم حتى حفظ التفسير والحديث والمغازي وأيام العرب، وسار أبو يوسف على نهج أستاذه أبي حنيفة في الفقه، إلا أنه كانت له اجتهادات خاصة به، وألف كتبًا كثيرة أشهرها كتاب الخراج وهو رسالة في إدارة المال العام والقضاء، وقد قربه الخليفة هارون الرشيد إليه، وولاه القضاء، ومنحه لقب قاضي القضاة، وكان يستشيره في أمور الدين والدنيا.

وفي عام (١٨٢هـ) مات أبو يوسف وهو يقول: اللهم إنك تعلم أنني لم أجر في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمدًا، وقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك ﷺ، وكلما أشكل عليَّ أمر جعلت أبا حنيفة بيني وبينك، ومات الفقيه أبو يوسف، فحزن عليه الناس جميعًا؛ وقال صديقه أبو يعقوب الحريمي: اليوم مات الفقيه.. فرحم الله أبا يوسف وأسكنه فسيح جناته[(٢)].

---

(١) تاريخ بغداد، ١٤: ٢٤٤.

(٢) التاريخ لابن معين: ٦٨٠، التاريخ الكبير: ٨ / ٣٩٧، التاريخ الصغير: ٢ / ٢٢٨، ٢٣٠، المعارف: ٤٩٩، المعرفة والتاريخ: ١ / ١٣٣، و٣ / ٤، الفهرست لابن النديم: ٢٠٣، الاستيعاب: ٥٨٤، الانتقاء: ١٧٢، تاريخ بغداد، ١٤ / ٢٤٢ - ٢٦٢، تاريخ جرجان للسهمي: ٤٤٤، ٤٤٥، طبقات الشيرازي: ١٣٤، وفيات الأعيان: ٦ / ٣٧٨ - ٣٩٠، تذكرة الحفاظ: ١ / ٢٩٢، ميزان الاعتدال: ٤ / ٣٩٧، العبر: ١ / ٢٨٤ - ٢٨٥، مرآة الجنان: ١ / ٣٨٢ - ٣٨٨، ألفية العراقي: ٢ / ١٦٣، النجوم الزاهرة: ٢ / ١٠٧، مفتاح السعادة: ٢ / ١٠٠ - ١٠٧، الجواهر المضية: ٢ / ٢٢٠، شذرات الذهب: ١ / ٢٩٨ - ٣٠١، أخبار القضاة: ٣ / ٢٥٤، طبقات الحنفية: ١٢ / ١، الفوائد البهية: ٢٢٥، هدية العارفين: ٢ / ٥٣٦، تاج التراجم: ٦٠، مناقب الإمام أبي حنيفة: ٢ / ١٤٣.

وقد أثني عليه من عاصروه من العلماء والفقهاء فقد قال عُمَر بْن حفص بْن غياث: سمعت أبي يقول: كان الحجاج بْن أرطاة لا يملي علينا، وكان يعقوب أبُو يوسف يسأله؛ فإذا قام الحجاج قام الناس إلى يعقوب فأملى عليهم عَن ظهر قلب قالَ حفص: وكنت أنا لا أكتب إلا ما وقع في ألواحي.

وذكر أبو عمر ابن عبد البر صاحب كتاب " الاستيعاب " في كتابه الذي سماه كتاب " الانتقاء في فضائل الثلاثة الفقهاء " (١) أن أبا يوسف المذكور كان حافظاً وأنه كان يحضر المحدث ويحفظ خمسين ستين حديثاً، ثم يقوم فيمليها على الناس، وكان كثير الحديث. وقال محمد بن جرير الطبري: وتحامى حديثه قوم من أهل الحديث من أجل غلبة الرأي عليه وتفريعه الفروع والأحكام، مع صحبة السلطان وتقلده القضاء.

وحَدَّثْ مُحَمَّد بْن حماد بْن المبارك المقري قال: سألت يحيى بْن معين عَن أبي يوسف فقال: حسن الحديث وليس له بحث.

وقال طلحة بن محمد بن جعفر: أبو يوسف مشهور الأمر ظاهر الفضل، وهو صاحب أبي حنيفة، وأفقه أهل عصره، ولم يتقدمه أحد في زمانه، وكان النهاية في العلم والحكم والرياسة والقدر، وأول من وضع الكتب في أصول الفقه على مذهب أبي حنيفة، وأملى المسائل ونشرها، وبث على أبي حنيفة في أقطار الأرض.

وقال عمار بن أبي مالك: ما كان في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف، لولا أبو يوسف ما ذكر أبو حنيفة ولا محمد بن أبي ليلى، ولكنه هو نشر قولهما وبث علمهما.

---

(١) الانتقاء: ١٧٢.

وقال محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة: مرض أبو يوسف في زمن أبي حنيفة مرضاً خيف عليه منه، فعاده أبو حنيفة ونحن معه، فلما خرج من عنده وضع يده على عتبة بابه وقال: إن يمت هذا الفتى فإنه أعلم من عليها، وأومأ إلى الأرض.

وقال أبو يوسف: سألني الأعمش عن مسألة، فأجبته فيها فقال لي: من أين لك هذا فقللت: من حديثك الذي حدثتنا أنت، ثم ذكرت له الحديث، فقال لي: يا يعقوب إني لأحفظ هذا الحديث قبل أن يجتمع أبواك وما عرفت تأويله حتى الآن.

وقال هلال بن يحيى: كان أبو يوسف يحفظ التفسير والمغازي وأيام العرب، وكان أقل علومه الفقه، ولم يكن في أصحاب أبي حنيفة مثل أبي يوسف.

قالَ علي: وما أعلم أحداً بقي اليوم يعلم أن يوسف بْن أبي يوسف كان قاضياً أيام المهدي غيري، فلما استخلف موسى وقدم بغداد كان قاضيه أبُو يوسف في جميع بغداد وعُمَر بْن حبيب في الشرقية ولم يزل يوسف قاضياً حتى مات، وكان أبويوسف يسافر مع الرشيد ويوسف يقضي بمدينة السلام. والرشيد ولى أبا يوسف قضاء القضاة.

وسمع أبو يعقوب الخريمي يوم مات أبُو يوسف رجلاً يقول: اليوم مات الفقه، فقال:

يا ناعي الفقه إِلَى أهله ::: أن مات يعقوب وما تدري
لم يمت الفقه ولكنه ::: حول من صدر إِلَى صدر
ألقاه يعقوب إِلَى يوسف ::: فزال من طيب إِلَى طهر

فهو مقيم فإذا ما نوى ::: حل وحل الفقه في قبر[1]

و كان أبُو يوسف شديد الاحترام والتوقير لاستاذه أبو حنيفة ويدعو له يقول في دبر صلواته ويقول: اللهم اغفر لي ولوالدي ولأبي حنيفة.

وقالَ علي بْن الخليل الكوفي، في أبي يوسف قصيدة منها:

دعوت له بشبوط ::: يرى بظهره حدبا
فَقَالَ: أما لجارك من ::: طعام يذهب السغبا
أصب لأخيك يربوعاً ::: وضبا واترك اللعبا
وقام إليه ساقينا ::: بكأس ينظم الحببا
معتقة مروقة ::: تسلى هم من شربا
فأمسكها براحته ::: فلما شمها قطبا
وإلا لا تسلسلها ::: و قَالَ: أصب لنا حلبا
وأمسك أنفه عنها ::: وقام مولياً هربا
يريد الشيح والقيصو ::: م كي يستوجب السبا
وقد أبصرته زمناً ::: يحب الظرف والأدبا
فصار تشبهاً بالقو ::: م جلفاً جافياً خشبا
إذا ذكر الثريد بكا ::: وأبدا الشوق والطربا
وليس ضميره في القلـ ::: ـب إلا التين والعنبا
يروح بنسبة المولى ::: وشيخ تدعى العربا
فلا هَذَا ولا هَذَا ::: ك يدركه إذَا طلبا
أيرغب عَن بني كسرى ::: وما عَن مثلهم رغبا
جحدت أباك نسبته ::: وترجو أن تفيد أبا

وقال محمد بن سماعة: سمعت أبا يوسف في اليوم الذي مات فيه يقول:

(١) أخبار القضاة، ٣ / ٢٥٨

اللهم إنك تعلم أني لم أجر في حكم حكمت فيه بين اثنين من عبادك تعمداً، ولقد اجتهدت في الحكم بما وافق كتابك وسنة نبيك ﷺ، وكل ما أشكل علي جعلت أبا حنيفة بيني وبينك، وكان عندي والله ممن يعرف أمرك ولا يخرج عن الحق وهو يعلمه.

وأخبار أبي يوسف كثيرة، وأكثر الناس من العلماء على تفضيله وتعظيمه.

مواقف من حياته:

لو أن فيك موضع أدب لأوقعتك

قال بشار بن موسى الخفاف جاء بشر بن الوليد الكندي إلى القاضي أبي يوسف فقال له تنهاني عن الكلام وبشر المريسي وعلي الأحول وفلان يتكلمون قال وما يقولون قال يقولون الله في كل مكان فقال أبو يوسف علي بهم فانتهوا إليهم وقد قام بشر فجيء بعلي الأحول وبالآخر شيخ فقال أبو يوسف ونظر إلى الشيخ لو أن فيك موضع أدب لأوقعتك فأمر به إلى الحبس وضرب الأحول وطوف به [١].

أبو يوسف القاضي يأكل اللوزينج [٢] بالفستق

وحدثني أبي، قال: بلغني أن أبا يوسف صحب أبا حنيفة، ليتعلم العلم، على فقر وشدة، وكانت أمه تحتال له فيما يتقوته يوماً بيوم، فطلب يوماً ما يأكل، فجاءته بغضارة [٣] مغطاة، فكشفها، فإذا فيها دفاتر.

(١) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، العلو للعلي الغفار، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص ٥١ - ٥٢.

(٢) اللوزينج من الحلوى يشبه القطائف يؤدم بدهن اللوز.

(٣) الغضائر: جمع غَضارة وهي القصْعة الكبيرة.

فقال: ما هذا؟.

فقالت: هذا الذي أنت مشتغل به نهارك أجمع، فكل منه.

فبكى، وبات جائعاً، وتأخر عن المجلس من الغد، حتى احتال فيما أكله، ثم مضى إلى أبي حنيفة، فسأله عن سبب تأخره، فصدقه.

فقال له: ألا عرفتني فكنت أمدك؟ ولا يجب أن تغتم، فإنه إن طال عمرك، فستأكل اللوزينج بالفستق.

قال: فلما خدمت الرشيد، واختصصت به، قدم بحضرته يوماً، جام فيه لوزينج بفستق، فدعاني إليه، فحين أكلت منه، ذكرت أبا حنيفة، فبكيت، وحمدت الله تعالى، فسألني الرشيد عن قصتي، فأخبرته[1].

فاردد البستان عليه

عَن يحيى بْن عَبْد الصمد قال: خوصم موسى أميرالمؤمنين إلى أبي يوسف في بستانه، فكان الحكم في الظاهر لأمير المؤمنين وكان الأمر على خلاف ما يظهر من الحكم. فقالَ أمير المؤمنين: ما صنعتَ في الأمر الذي نتنازع إليك فِيْهِ؟ قال: خصم أمير المؤمنين يسألني أن أحلف أمير المؤمنين أن شهوده شهدوا على حق، فقالَ: موسى. وترى ذاك قال: قد كان ابن أبي ليلى يراه. قال: فاردد البستان عليه. وإنما احتال عليه أبُو يوسف [2].

يا بني هَذَا الأعور سيد

قالَ: وكان رجل من الزهاد يأتي مجلس أبي معشر فربما ذكر هَذَا من قول أبي يوسف فعابه وتكلم فيه. فحضر يوماً مجلس أبي معشر

(١) القاضي التنوخي، الفرج بعد الشدة، ص ١٦١.
(٢) أخبار القضاة، ٣ / ٢٥٦.

يوسف ابْن أبي يوسف وتكلم. قالَ الشيخ قبل أن يجلس أبُو معشر للحديث، ثم جلس أبُو معشر فأعاد الشيخ ذكر أبي يوسف قالَ يوسف وكان أعور، وأقبل على الشيخ فقالَ: يا هَذَا أتعرفني؟ قال: لا، فقالَ: فأنا ابن الشيخ الذي عبت منذ اليوم ونقصت فغفر الله لنا ولك، فقالَ لَهُ الشيخ: لقد كنت أرى أن قولي هَذَا ديانة والله لا ذكرت أباك بعد يومي هَذَا بسوء أبداً، فأقبل على أبي معشر فقالَ لي: يا بني هَذَا الأعور سيد[1].

والله لأملأن ظهره وبطنه بالسياط.

وقال مُحَمَّد بْن إشكاب: سمعت أبا يوسف وذكر بشر المريسي فقال: جيئوني بشاهدين يشهدان أنه تكلم في القرآن والله لأملأن ظهره وبطنه بالسياط.

فكنا نأتيه وكان لنا مدرساً

قالْ الفضل بْن سعيد بْن سلم: قلت لأبي يوسف: أكان أبُوْحَنِيْفَة يرى رأي جهم؟ قال: نعم، قلت فأين أنت منه؟ قال: لا أين، قلت: وكيف وأنت من أصحابه؟ قال: كان أبُوْحَنِيْفَة رجلاً قد أوتي فهماً، فكنا نأتيه وكان لنا مدرساً.

إن أفتيته بترك النافلة يفتي الناس بترك الفريضة

قال حَدَّثَنِيْ مطرف الأصم: قدم هارون المدينة ومعه أبُو يوسف فبعث إلى مالك بْن أنس: يأمرك أمير المؤمنين أن تخرج إليه، فكتب إليه مالك: يا أمير المؤمنين إني رجل عليل فإن رأى أمير المؤمنين أن يكتب إلي بما أراد فعل، فأراد أن يكتب إليه، فقالَ لَهُ أبُو يوسف: ابعث إليه حتى يجيء إليك فبعث إليه فجاءه في دار مروان وقد هيئ

(١) أخبار القضاة، ٣ / ٢٥٧.

لكل إنسان مجلس فهيئ لمالك مجلسه الذي له فقالَ لَهُ أَبُو يوسف: ما ترى في رجل حلف ألا يصلي نافلة أبداً، قالَ: يضرب ويحبس حتى يصلي، قالَ: فجاء هارون فقالَ لَهُ أَبُو يوسف: يا أمير المؤمنين إني سألت مالكاً عَن كذا وكذا فقالَ كذا فقالَ لَهُ هارون: وترى ذلك يا أبا عَبْد اللهِ؟ قال: لا، قالَ أَبُو يوسف: أليس أفتيتني بذلك؟ قال: بلى ولكن أبا يوسف رجل عراقي إن أفتيته بترك النافلة يفتي الناس بترك الفريضة، وأنت لا أخافك على ذلك، فلما خرج مالك خرج معه أَبُو يوسف يتوكأ عليه ومالك يقول له: ارجع حتى بلغه منزله [1].

وواحد فِيْهِ شك فيشاطرانه

قال أبو مُحَمَّد الزهري: قدم هارون الرشيد المدينة فقعد في المسجد وقعد معه أَبُو يوسف، وبعث إلى مالك بْن أنس قال: فجعل أولاد أصحاب رَسُوْلِ اللهِ ﷺ يدخلون أربعة أربعة، فيقول هارون: أفيهم هو؟ فيقولون: لم يجئ بعد، حتى دخل مالك متوكئاً على رجل من ولد أبي بكر وآخر من ولد علي، فلما نظر إليه هارون قال: إن الرجل ليعظمه أهل بلده، قالَ: فسلم وجلس فقالَ لَهُ هارون: يا أبا عَبْد اللهِ أجب يعقوب فيما يسألك عنه، قال: يا أمير المؤمنين ليس من أهل العلم أنشدك بالله هَلْ لرَسُوْلِ اللهِ ﷺ وقف يأخذ منه فيجعله حَيْثُ أراد الله، قالَ هارون: نعم، قال: فأنشدك الله هَلْ لِعُمَرَ وقف قالَ: اللهم نعم، قالَ: فهَذَا يزعم أن الوقف باطل، فالتفت هارون إلى أبي يوسف مغضباً فقالَ: ما تقول؟ قال: كان صاحبنا لا يراه وأنا أراه، قالَ: فقالَ لَهُ مالك: ما تقول في الإمام يجهر بعرفة أو يخافت؟ قالَ: فقالَ أَبُو يوسف: يجهر، قالَ: أسأل الله ألا يهديك

(١) أخبار القضاة، ٣ / ٢٦٠.

والله يا أمير المؤمنين إن السقايات بالمدينة يبينون هَذَا ويلك إنما هي ظهر وعصر فقَالَ لَهُ يعقوب: ما تقول في رجل بعث مع رجل دينارين ورجل ديناراً فخلطها فلما قدم فتحها فأصاب دينارين فقَالَ: مالك أما واحد فهو لصاحب الاثنين لا شك فيه، وواحد فِيْهِ شك فيشاطرانه (١).

فاشتر سفينة فهي جارية

قال مالك بن أنس: بلغني أن أبا يوسف جاءه إنسان فقَالَ: إني حلفت بطلاق امرأتي لأشترين جارية وذلك يشتد علي لمكان زوجتي ومنزلتها عندي فقَالَ لَهُ أَبُو يوسف: فاشتر سفينة فهي جارية.

فأجازه بجائزة عظيمة وكناه بأبي المفرج

حدثت عَن القاسم بْن مُحَمَّد المروزي عَن اليأس بْن الكامل عَن ابن المبارك قال: لما مات فلان الخليفة خلف جواري فرهة فأراد ابنه وطء جارية منهن فقالت: إني لا أحل لك إن أباك وطئني، فذهب وهو يقول:

أرى ماء وبي عطش شديد ::: ولكن لا سبيل إِلَى الورود
أما يكفيك أنك تملكيني ::: وأن الناس كلهم عبيدي
وأنك لو قطعت يدي ورجلي ::: لقلت من الهوى أحسنت زيدي

ثم دعا أبا يوسف فسأله عَن ذلك، فقال: ليس كلما قالت الجارية يقبل منها فأجازه بجائزة عظيمة وكناه بأبي المفرج (٢).

وأَبُو يوسف مركوب العرب

قال إبراهيم بْن الربيع بْن سليمان الكلابي من بني الوحيد: كان

(١) أخبار القضاة، ٣ / ٢٦١.
(٢) أخبار القضاة، ٣ / ٢٦٢.

عَبْدوس بْن عبيدة بْن أبي اليمان العقيلي اختصم هو وابن خالته خنيس بْن ساعدة العقيلي إِلَى أبي يوسف القاضي ببغداد فذهب عَبْدوس فأحضر شهوداً وسماهم على أسماء أئمة المساجد المعدلين فلما شهدوا عند أبي يوسف سأل عنهم فعدلوا، وذلك سراً، وكذلك كانوا يعدلون في السر فجاء خنيس حينئذ إِلَى أولئك الشهود المشهورين الأئمة فجعل يلقى الرجل فيقول: يا عَبْد اللهِ لم شهدت علي فيقول: لا والله ما شهدت عليك ولا أعرفك ولا أعرف عَبْدوساً. فذهب خنيس إِلَى أبي يوسف فأخبره فقال: أحضروهم، فتبين أَبُو يوسف أنهم ليس بأولئك الذين شهدوا، فأمر بعَبْدوس فحمل ثم ضرب خمسين درة، فَقَالَ عَبْدوس في أبي يوسف قصيدة طويلة أحفظ منها:

مركب الناس ثنايا قسمت ::: وأَبُو يوسف مركوب العرب
وكذا المركوب من قلته ::: قَالَ: من حالب هَذَا لا حلب
أشبه الناس وجهاً وقفا ::: ورعينات بشيطان اللعب
ويرى الخنزير في جفنه ::: كوز فقاع إذَا حل وثب
فإذا أقعى على منبره ::: خلته القرد إِذَا القرد صلب [1]

كأنك لا تحسن شيئاً إِلا هَذَا

قال أَحْمَد بْن مُحَمَّد القاضي: سمعت أبا يوسف يقول: قَالَ لي يحيى بْن خالد: كل شيء تحسن غير مجالسة الملوك فإنه لا علم لك بأيام الناس، قَالَ: فجلست في البيت شهراً ونظرت في أيام الناس فحفظت أمراً عظيماً، ثم أتيت يحيى بن خالد فتذاكرنا فقَالَ لي: كأنك لا تحسن شيئاً إِلا هَذَا أكنت تستره؟ [2].

(١) أخبار القضاة، ٣ / ٢٦٣.
(٢) أخبار القضاة، ٣ / ٢٦٤.

فإن لم تغرب الشمس إِلَى نصف الليل؟

قال عَبْدُ اللهِ بْن طاهربن أحْمَد الزبيري: كان رجل يجلس إلى أبي يوسف القاضي فيطيل الصمت فقالَ لَهُ أبُو يوسف: ألا تسأل ألا تتحدث؟ قال: بلى قالَ: متى يفطر الصائم؟ قال: إذا غربت الشمس، قال: فإن لم تغرب الشمس إلى نصف الليل؟ قال: فتبسم أبُو يوسف وتمثل ببيتي الخطفي جد جرير:

عجبت لإزراء العيي بنفسه ::: وصمت الذي قد كان بالعلم أعلما
وفي الصمت ستر للعيي وإنما ::: صحيفة لب المرء أن يتكلما

لعمري إن العلم لينفع دنيا وديناً

ثم قال الخطيب: وحكي أن والد أبي يوسف مات وخلف أبا يوسف طفلاً صغيراً، وأن أمه هي التي أنكرت عليه حضور حلقة أبي حنيفة، ثم روى الخطيب أيضاً بإسناد متصل إلى علي بن الجعد قال: أخبرني أبو يوسف القاضي قال: توفي أبي وخلفني صغيراً في حجر أمي، فأسلمتني إلى قصار أخدمه، فكنت أدع القصار وأمر إلى حلقة حلقة أبي حنيفة فأجلس أستمع، فكانت أمي تجيء خلفي فتأخذ بيدي فتذهب بي إلى القصار، وكان أبو حنيفة يعنى بي، لما يرى من حضوري وحرصي على التعلم، فلما كثر ذلك على أمي وطال عليها هربي قالت لأبي حنيفة: ما لهذا الصبي فساد غيرك، هذا صبي يتيم لا شيء له وإنما أطعمه من مغزلي، وآمل أن يكسب دانقاً يعود به على نفسه، فقال لها أبو حنيفة: مري يا رعناء، ها هو ذا يتعلم أكل الفالوذج بدهن الفستق، فانصرفت عنه وقالت له: أنت شيخ قد خرفت وذهب عقلك. ثم لزمته فنفعني الله تعالى بالعلم، ورفعني حتى تقلدت القضاء، وكنت أجالس الرشيد وآكل معه على مائدته، فلما كان في بعض الأيام قدم إلى هارون فالوذجة، فقال لي: يا يعقوب كل منها

فليس في كل يوم يعمل لنا مثلها، فقلت: وما هذه يا أمير المؤمنين فقال: هذه فالوذجة بدهن الفستق، فضحكت، فقال لي: مم ضحكك! فقلت: خيراً، أبقى الله أمير المؤمنين، قال: لتخبرني، وألح علي، فأخبرته بالقصة من أولها إلى آخرها، فعجب من ذلك وقال: لعمري إن العلم لينفع دنيا وديناً، وترحم على أبي حنيفة وقال: كان ينظر بعين عقله ما لا يراه بعين رأسه [1].

أبو يوسف وهارون الرشيد

وحكى علي بن المحسن التنوخي عن أبي عن جده قال: كان سبب اتصال أبي يوسف بالرشيد أنه كان قدم بغداد بعد موت أبي حنيفة رحمه الله تعالى فحنث بعض القواد في يمين، فطلب فقيهاً يستفتيه، فجيء بأبي يوسف فأفتاه أنه لم يحنث، فوهب له دنانير وأخذ له داراً بالقرب منه. ودخل القائد يوماً على الرشيد فوجده مغموماً، فسأله عن سبب غمه فقال: شيء من أمر الدين قد حزنني فاطلب فقيهاً كي أستفتيه، فجاءه بأبي يوسف. قال أبو يوسف: فلما دخلت إلى ممر بين الدور رأيت فتى حسناً عليه أثر الملك، وهو في حجرة محبوس، فأومأ إلي بأصبعه مستغيثاً فلم أفهم منه إرادته، وأدخلت إلى الرشيد، فلما مثلت بين يديه سلمت ووقفت فقال لي: ما اسمك فقلت: يعقوب أصلح الله أمير المؤمنين، قال: ما تقول في إمام شاهد رجلاً يزني هل يحده قلت: لا، فحين قلتها سجد الرشيد، فوقع لي أنه قد رأى بعض أهله على ذلك وأن الذي أشار إلي بالاستغاثة هو الزاني. ثم قال الرشيد: من أين قلت هذا قلت: لأن النبي ﷺ قال:﴿**ادرأوا الحدود بالشبهات**﴾ وهذه شبهة يسقط الحد معها، قال: وأي شبهة في المعاينة

---

(١) وفيات الأعيان، ٦ / ٣٨٢.

قلت: ليس توجب المعاينة لذلك أكثر من العلم بما جرى، والحدود لا تكون إلا بالعلم، وليس لأحد أخذ حقه بعلمه، فسجد مرة أخرى، وأمر لي بمال جزيل وأن ألزم الدار، فما خرجت حتى جاءتني هدية الفتى وهدية أمه وجماعته، وصار ذلك أصلاً للنعمة، ولزمت الدار، فكان هذا الخادم يستفتيني وهذا يشاورني، ولم يزل حالي يقوى عند الرشيد حتى قلدني القضاء (١).

من كان صاحب راية جالوت؟

وذكر أبو الفرج المعافى بن زكريا النهرواني في كتاب " الجليس والأنيس " عن الشافعي ﷺ أنه قال: مضى أبو يوسف ليسمع المغازي من محمد بن إسحاق أو من غيره، وأخل بمجلس أبي حنيفة أياماً، فلما أتاه قال له أبو حنيفة: يا أبا يوسف، من كان صاحب راية جالوت؟ فقال له أبو يوسف: إنك إمام وإن لم تمسك عن هذا سألتك والله على رؤوس الملأ أيما كان أولاً وقعة بدر أو أحد فإنك لا تدري أيهما كان قبل الآخر، فأمسك عنه (٢).

هل وقفت على شيء من خطأ؟

وذكر في الكتاب المذكور أيضاً عن علي بن الجعد أن القاضي أبا يوسف كتب يوماً كتاباً، وعن يمينه إنسان يلاحظ ما يكتبه، ففطن له أبو يوسف، فلما فرغ من الكتابة التفت إليه وقال له: هل وقفت على شيء من خطأ؟ فقال: لا والله ولا حرف واحد، فقال له أبو يوسف: جزيت خيراً حيث كفيتنا مؤونة قراءته، ثم أنشد:

(١) وهذا يخالف ما قيل من قبل من أنه ولي القضاء لثلاثة من الخلفاء. والله أعلم بالصواب.
(٢) وفيات الأعيان، ٦ / ٣٨٣.

كأنـــه مـــن ســـوء تأديبـــه ::: أســـلم في كتـــاب ســـوء الأدب

لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف

وقال حماد بن أبي حنيفة: رأيت أبا حنيفة يوماً وعن يمينه أبو يوسف وعن يساره زفر، وهما يتجادلان في مسألة، فلا يقول أبو يوسف قولاً إلا أفسده زفر، ولا يقول زفر قولاً إلا أفسده أبو يوسف، إلى وقت الظهر، فلما أذن المؤذن رفع أبو حنيفة يده فضرب بها فخذ زفر، وقال: لا تطمع في رياسة ببلدة فيها أبو يوسف، وقضى لأبي يوسف على زفر، ولم يكن بعد أبي يوسف في أصحاب أبي حنيفة مثل زفر [١].

لم لا تركبه

وكان أبو يوسف راكباً وغلامه يعدو وراءه، فقال له رجل: أتستحل أن تعدي غلامك وراءك لم لا تركبه فقال له: أيجوز عندك أن أسلم غلامي مكارياً قال: نعم، قال أبو يوسف: فيعدو معي كما كان يعدو لو كان مكارياً.

أظننا روعناك

وقال بشر بن الوليد الكندي، قال لي القاضي أبو يوسف: بينا أنا البارحة قد أويت إلى فراشي فإذا داق يدق الباب دقاً شديداً، فأخذت علي إزاري وخرجت، فإذا هرثمة بن أعين، فسلمت عليه، فقال: أجب أمير المؤمنين، فقلت: يا أبا حاتم، لي بك رحمة، وهذا وقت كما ترى، ولست آمن أن يكون أمير المؤمنين قد دعاني لأمر من الأمور، فإن أمكنك أن تدفع بذلك إلى غد فلعله أن يحدث له رأي، فقال: ما لي إلى ذلك سبيل، قلت: كيف كان السبب قال: خرج إلي

(١) وفيات الأعيان، ٦ / ٣٨٤.

مسرور فأمرني أن آتي بك أمير المؤمنين، فقلت: تأذن لي أن أصب علي ماء وأتحنط فإن كان أمر من الأمور كنت قد أحكمت شأني وإن رزق الله العافية فلن يضرني، فأذن لي، فدخلت فلبست ثياباً جدداً، وتطيبت بما أمكن من الطيب، ثم خرجنا فمضينا حتى أتينا دار أمير المؤمنين هارون الرشيد فإذا مسرور واقف، فقال له هرثمة: قد جئت به، فقلت لمسرور: يا أبا هاشم خدمتي وحرمتي وميلي، وهذا وقت ضيق، فتدري لم طلبني أمير المؤمنين قال: لا، فقلت: فمن عنده قال: عيسى بن جعفر، قلت: ومن؟ قال: ما عندهما ثالث، ثم قال لي: مر، فإذا صرت في الصحن فإنه في الرواق، وهو ذاك جالس فحرك رجلك بالأرض، فإنه سيسألك فقل: أنا. قال أبو يوسف: فجئت ففعلت ذلك فقال: من هذا، فقلت: يعقوب، فقال: ادخل، فدخلت فإذا هو جال وعن يمينه عيسى بن جعفر، فسلمت فرد السلام علي وقال: أظننا روعناك فقلت: إي والله وكذلك من خلفي، فقال: اجلس، فجلست حتى سكن روعي، ثم التفت إلي وقال: يا يعقوب، تدري لم دعوتك قلت: لا، قال: دعوتك لأشهدك على هذا إن عنده جارية سألته أن يهبها لي فامتنع، وسألته أن يبيعها فأبى، والله لئن لم يفعل لأقتلنه، قال أبو يوسف: فالتفت إلى عيسى فقلت له: وما بلغ الله بجارية تمنعها أمير المؤمنين وتنزل نفسك هذه المنزلة قال فقال لي: عجلت علي في القول قبل أن تعرف ما عندي، قلت: وما في هذا من الجواب قال: إن علي يميناً بالطلاق والعتاق وصدقة ما أملك أن لا أبيع في هذه الجارية ولا أهبها، فالتفت إلي الرشيد فقال: هل له في ذلك من مخرج قلت: نعم، قال: وما هو قلت: يهب لك نصفها ويبيعك نصفها، فيكون لم يهب ولم يبع، فقال عيسى: ويجوز ذلك قلت: نعم، قال: فأشهدك أني قد وهبت له نصفها وبعته نصفها الباقي بمائة ألف

دينار، فقال له الرشيد: قبلت الهبة واشتريت نصفها بمائة ألف دينار، ثم طلب منه الجارية، فأتى بالجارية وبالمال، فقال: خذها يا أمير المؤمنين بارك الله لك فيها، فقال الرشيد: يا يعقوب بقيت واحدة، فقلت: وما هي فقال: هي مملوكة ولا بد أن تستبرأ، ووالله لئن لم أبت معها ليلتي هذه إني لأظن أن نفسي ستخرج، فقلت: يا أمير المؤمنين تعتقها وتتزوجها، فإن الحرة لا تستبرأ، قال: فإني قد أعتقتها فمن يزوجنيها فقلت: أنا. فدعا بمسرور وحسين، فخطبت وحمدت الله تعالى ثم زوجته إياها على عشرين ألف دينار، ودعا بالمال فدفعه إليها، ثم قال لي: يا يعقوب انصرف، ورفع رأسه إلى مسرور فقال: يا مسرور، فقال: لبيك، فقال: احمل إلى يعقوب مائتي ألف درهم وعشرين تختاً ثياباً، فحمل ذلك معي. قال بشر بن الوليد: فالتفت إلي أبو يوسف وقال: هل رأيت بأساً فيما فعلت فقلت: لا، فقال: خذ حقك منها، قلت: وما حقي فقال: العشر، قال بشر: فشكرته ودعوت له وذهبت لأقوم، فإذا بعجوز قد دخلت فقالت: يا أبا يوسف إن بنتك تقرئك السلام وتقول لك: والله ما وصل إلي في ليلتي هذه من أمير المؤمنين إلا المهر الذي قد عرفته، وقد حملت إليك النصف منه وخلفت الباق لما أحتاج إليه، فقال: رديه فوالله لا قبلتها؛ أخرجتها من الرق وزوجتها أمير المؤمنين وترضى لي بهذا! قال بشر: فلم نزل نطلب إليه أنا وعمومتي حتى قبلها، وأمر لي منها بألف دينار[1].

ذاك حين كانت الهدايا اللبن والتمر

وقال أبو عبد الله اليوسفي: إن أم جعفر زبيدة ابنة جعفر زوجة الرشيد كتبت إلى أبي يوسف: ما ترى في كذا، وأحب الأشياء إلي أن

(١) وفيات الأعيان، ٦ / ٣٨٦.

يكون الحق فيه كذا، فأفتاها بما أحبت، فبعثت إليه بطبق فضة فيه حقاق فضة مطبقات، في كل واحد لون من الطيب، وفي جام دراهم وسطها جام فيه دنانير، فقال له جليس له: قال رسول الله ﷺ: ﴿من أهديت له هدية فجلساؤه شركاؤه فيها﴾، فقال أبو يوسف: ذاك حين كانت الهدايا اللبن والتمر.

هذا لا يعزل أبداً

كان عبد الرحمن بن مسهر أخو علي بن مسهر قاضياً على بلدة المبارك [1]قال: فبلغ القاضي خروج الرشيد إلى البصرة ومعه أبو يوسف القاضي في الحراقة، فقال عبد الرحمن القاضي لأهل ذلك البلد، فلبس ثيابه وقلنسوة طويلة وطيلساناً أسود، وجاء إلى الشريعة، فلما صدق، ثم مضى إلى شريعة أخرى فقال مثل مقالته الأولى، فالتفت هارون إلى أبي يوسف وقال: يا يعقوب هذا شر قاض في الأرض، قاض في موضع لا يثني عليه إلا رجل واحد! فقال له أبو يوسف: وأعجب من هذا يا أمير المؤمنين هو القاضي يثني على نفسه، قال: فضحك هارون وقال: هذا أظرف الناس، هذا لا يعزل أبداً، وكان الرشيد إذا ذكره يقول: هذا لا يعزل أبداً. وقيل لأبي يوسف: أتولي مثل هذا القضاء فقال: إنه أقام ببابي مدة وشكا إلي الحاجة فوليته.

صح ستره وخلصت أمانته

قال الرشيد لأبي يوسف: بلغني أنك تقول: إن هؤلاء الذين يشهدون عندك وتقبل أقوالهم متصنعة، فقال: نعم يا أمير المؤمنين، قال:

(١) وهي بضم الميم وبعدها باء موحدة وبعد الألف راء مفتوحة وبعدها كاف، وهي بليدة بين بغداد وواسط على شاطئ دجلة -.

وكيف ذاك قال: لأن من صح ستره وخلصت أمانته لم يعرفنا ولم نعرفه، ومن ظهر أمره وانكشف خبره لم يأتنا ولم نقبله، وبقيت هذه الطبقة وهم هؤلاء المتصنعة الذين أظهروا الستر وأبطنوا غيره، فتبسم الرشيد وقال: صدقت [١].

تزببت قبل أن تحصرم

لما جلس أبو يوسف رحمه الله تعالى للتدريس من غير إعلام أبي حنيفة رحمه الله فأرسل إليه أبو حنيفة رحمه الله رجلا فسأله عن خمس مسائل: الأولى: قصار جحد الثوب وجاء به مقصورا هل يستحق الأجرة أم لا؟ فأجاب أبو يوسف رحمه الله: لايستحق الأجر فقال له الرجل: أخطأت فقال: لا يستحق فقال: أخطأت ثم قال له الرجل: إن كانت القصار قبل الجحود استحق وإلا لا، الثانية: هل الدخول في الصلاة بالفرض أم بالسنة فقال: بالفرض فقال: أخطأت فقال: بالسنة فقال: لا أخطأت لا فتحير أبو يوسف رحمه الله فقال الرجل: بهما لأن التكبير فرض ورفع اليدين سنة. الثالثة: طير سقط في قدر على النار فيه لحم ومرق: هل يأكلان؟ أم لا؟ فقال: يؤكل فخطأه فقال: لا يؤكل فخطأه ثم قال: إن كان اللحم مطبوخا قبل سقوط الطير يغسل ثلاثا ويؤكل وترمى المرقة وإلا يرمى الكل له. الرابعة: مسلم له زوجة ذمية ماتت وهي حامل منه تدفن في أي المقابر فقال أبو يوسف رحمه الله: في مقابر المسلمين فخطأه فقال: في مقابر أهل الذمة فخطأه فتحير أبو يوسف فقال الرجل: تدفن في مقابر اليهود ولكن يحول وجهها عن القبلة حتى يكون وجه الولد إلى القبلة لأن الولد في البطن يكون وجهه إلى ظهر أمه، الخامسة: أم ولد لرجل

---

(١) وفيات الأعيان، ٦ / ٣٨٨.

تزوجت بغير إذن مولاها فمات المولى هل تجب العدة من المولى فقال: تجب فخطأه ثم قال: لا تجب فخطأه ثم قال الرجل: إن كان الزوج دخل بها: لا تجب وإلا: وجبت فعلم أبو يوسف تقصيره فعاد إلى أبي حنيفة رحمه الله فقال: تزببت قبل أن تحصرم [١].

من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه

وفي مناقب الكردري: أن سبب انفراده أنه مرض مرضا شديدا فعاده الإمام وقال: لقد كنت آملك بعدي للمسلمين ولئن أصبت ليموتن علم كثير فلما برأ أعجب بنفسه وعقد له مجلس الأمالي وقال له حين جاء: ما جاء بك إلا مسألة القصار سبحان الله من رجل يتكلم في دين الله ويعقد مجلسا لا يحسن مسألة في الإجارة: ثم قال: من ظن أنه يستغني عن التعلم فليبك على نفسه.

ستصير قمرا

قال أبو بكره بن قتيبة سمعت هلالا يقول لما قدم علينا أبو يوسف اجتمع على بابه اصحاب الحديث وأصحاب الرأي جميعا وتولاه كل فريق وزعم أنه أولى به وبالدخول عليه من الفريق الآخر فأشرف على الناس فقال لهم: أنا والله من الفريقين جميعا ولست أقدم فرقة على الأخرى إلا بمعنى يتبين به تقدمها وها أنا ذا أسأل عن مسألة فأي الفريقين اصابها دخل فأخرج خاتما كان في يده فقال رجل أخذ خاتمي فمضغه حتى هشمه فقام أصحاب الحديث من كل ناحية فاختلفوا فمنهم من قال عليه أن يعيده مصوغا كما كان ومنهم قال عليه ما نقصه فلما رأيت أنا ذلك قمت من بين اصحابي فقلت اصلحك الله هو لهذا الهاشم وعليه لصاحبه قيمته مصوغا من الذهب

(١) الأشباه والنظائر، ١ / ٤٥٩.

إلا أن يشاء صاحبه أن يمسكه ولا يكون على هاشمه شيء فصوبني أبو يوسف وأدناني وأدخلني وأدخل أصحابي فقال: ما أسمك؟ قلت: هلال. قال: ستصير قمرا وأملى علينا مسألة من المكاتب قد تقدم من قوله في كتاب الصرف خلاف ذلك فلما فرغ منها قمت إليه فقلت له: أصلحك الله هذا خلاف قولكم في كتاب الصرف أفنمحوا ذلك ونثبت هذا أم نمحو هذا ونثبت ذلك؟ فقال: دعوهما فسيأتي من يميز بينهما. قال هلال: وشاهدي على ذلك كله قتيبة البكراوي يعني أبا بكرة وكان حاضرا ذلك كله [(١)].

يضرب بأصحابه الأمثال

قال محمد بن شجاع قال: سمعت الحسن بن أبي مالك يقول: كان أبو يوسف يضرب بأصحابه الأمثال فيقول في محمد بن الحسن اي سيف هو لولا أن فيه صدأ وأنه يحتاج إلى جلاء. ويقول في الحسن اللؤلؤي هو عندي كالصيدلاني إذا طلب رجل ما يمسك بطنه أعطاه ما يسهله فإذا طلب ما يسهل بطنه أعطاه ما يمسكه، وكان يقول: المريسي هو عندي كابرة الرفاء طرفها دقيق ومدخلها ضيق وهي سريعة الانكسار وكان يقول لابراهيم بن الجراح: هو عندي كرجل عنده دراهم مكحلة فكلما مسها نقصت، وكان يقول للحسن ابن أبي مالك هو عندي كجمل حمل متاعا ثقيلا في يوم مطير فتذهب يده مرة هكذا ومرة هكذا ثم يسلم [(٢)].

---

(١) أخبار أبي حنيفة، ١ / ١٠٤.
(٢) المصدر السابق، ١ / ١٠٥.

يا قاتل المسلم بالكافر

قال علي بن عمرو: رفع إلى أبي يوسف رجل مسلم قتل ذميا عمدا وقامت البينة عليه فأمر بحبسه ليقاد منه فلما كان في يوم مجلس القضاء رفعت إليه رقاع الخصوم فإذا فيها رقعة مكتوب فيها:

يا قاتل المسلم بالكافر ::: جرت وما العادل كالجائر
يا من ببغداد وأقطارها ::: من فقهاء الناس أو شاعر
جار على الدين أبو يوسف ::: بقتله المسلم بالكافر
فاسترجعوا وأبكوا جميعا معا ::: واصطبروا فالأجر للصابر

قال فأخذ ابو يوسف الرقعة ودخل بها على الرشيد فأعلمه فقال له فاذهب فاحتل فجلس أبو يوسف وحضر ولي الدم والمدعى عليه فقامت البينة فقال أبو يوسف لولى الدم أقم عندي البينة أن صاحبك كان يؤدي الجزية فلم يقم له البينة فمنع النقود [1].

ولم أسو بينه وبين الخصم في المجلس

قال أبو زيد حماد بن دليل: قال أبو يوسف: قعد أمير المؤمنين للمظالم فكنت السفير بينه وبين المتظلمين آخذ قصصهم واوصلها اليه فجاءني رجل كبير من أهل السواد ومعه قصة فيها دعوى بستان محدود يزعم ان ذلك له في يد أمير المؤمنين وأنه غصبه عليه فقلت في يد من هو فقال في يد أمير المؤمنين قلت من أكاره قال هو في يد أمير المؤمنين غصبني عليه فجعلت أديره بكل وجه على أن ينصرف عن مطالبة أمير المؤمنين إلى مطالبة غيره فيأبى أن ينصرف عن دعواه أن المطلوب به أمير المؤمنين فدخلت بالقصص وأمير المؤمنين قاعد على كرسي ويحيى بن خالد قعد معه فجعلت

(١) أخبار أبي حنيفة، ١ / ١٠٦.

أخرج القصص فخرجت قصته بالقرب مني فلم استجز تأخيرها فقلت يا أمير المؤمنين حضر شيخ كبير من أهل السواد فادعى بستان كذا فجهدت به أن يطالب بدعواه رجلا من الرعية فأبى فقال مطالبتي لأمير المؤمنين فقال هذا البستان أعرفه وهبه لي أبي وهو لي في ملكي قلت أفيحضر الرجل قال نعم فاحضرته قلت: ما تدعي؟ قال: أدعي بستان كذا وحدده على أمير المؤمنين هذا وأشار إليه. قلت: من يقوم به وفي يد من هو؟ قال: في يد أمير المؤمنين هذا قلت لأمير المؤمنين ما تقول في دعوى هذا الرجل قال ما له في يدي هذا الحق الذي يدعيه وما هذا البستان له قلت له ألك بينة؟ قال: يمينه قلت له: يا أمير المؤمنين عليك اليمين قال: استحلفني فاستحلفته فحلف فوثب الشيخ منصرفا فسمعته وقد أدبر يقول استفه كشربة سويق وتربد وجه أمير المؤمنين حين حلف وأطرق يفكر فقلت هلكت وهلك الرجل فقال يحيى بن خالد يا يعقوب رأيت مثل أمير المؤمنين في عدله وإنصافه لرجل من رعيته أنصف من نفسه حتى فعل ما رأيت فسرى عن أمير المؤمنين وفرح، بذلك وقال: سبحان الله وبد من الإنصاف وقال يحيى بن خالد لو جاءت هذه من الفاروق لكانت حسنة أو كما قال: قال أبو زيد قال لنا أبو يوسف فما أذكر ذلك المجلس إلا دخلني منه غم شديد وخفت الله من تركي العدل فيه فقلنا وما يكون أكثر مما فعلت قال ألم تفهموا ما فيها قلنا لا ما رأينا إلا عدلا وقياما بالحق قال: كيف ولم أسو بينه وبين الخصم في المجلس فأقول يا أمير المؤمنين أنت على كرسي وهو على الأرض فيدعي له بكرسي فيجلس عليه [1].

(١) أخبار أبي حنيفة، ١ / ١٠٧.

فندم أبو يوسف على كلامه

كان الرشيد يجمع العلماء ويسمع كلامهم، فحضروا ذات يوم وفيهم أبو يوسف صاحب أبي حنيفة، والكسائي يذكر النحو، فقال له: أحذق الناس به يكون معلماً، فقال له الكسائي: أسالك عن مسألة في الفقه، قال: سل، قال: ما تقول في غلام لك قتل فاتهمت به رجلين فسألتهما عن أمره فقال أحدهما: أنا قاتل غلامك، وقال الآخر: أنا قاتل غلامك، أيهما القاتل عندك؟ قال أبو يوسف: جميعاً، قال الكسائي: أخطأت، قال: فأيهما القاتل عندك؟ قال: والذي قال: أنا قاتلٌ غلامك، لأن قوله: أنا قاتل غلامك يريد أنا قتلته، والذي قال: أنا قاتل - بالتنوين - غير قاتل، أراد: سأقتل غلامك، فهو تهدد، قال الله تعالى:{فَالِقُ ٱلۡإِصۡبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيۡلَ سَكَنًا } [الأنعام: ٩٦]، المعنى فلق الإصباح، فندم أبو يوسف على كلامه [(١)].

فما نلت منكم طائلاً غير أنني ::: تعلمت حال الفقر كيف تكون

حدث أبو عبد الله الفضل بن الحسن الأهوازي، قال: قدم إلى الأهواز رجلٌ من ولد الحسن بن سهل، حسن الهيئة والأدب، فأخبرنا جماعةٌ من العراقيين أنه كان في نعمةٍ واسعةٍ فزالت عنه، وكان قصده لأحمد بن دينار، فقبله أحمد وقال: الزمني ووعده الإحسان، وأجرى عليه وعلى غلام كان معه نزلاً من خبز ولحمٍ وتوابله مقدار ثلاثة دراهم، وقال له: تمهلني فإني في شغلٍ، فإذا انكشف وجهي بلغت لك ما تحب، فطال مقامه وأخلقت أثوابه، فكتب إليه:

صحبتكم عامين في حال عسرةٍ ::: أرجي نداكم والظنون فنون
فما نلت منكم طائلاً غير أنني ::: تعلمت حال الفقر كيف تكون

(١) البصائر والذخائر، ٥ / ٢٠٣.

فوصلت الرقعة إلى أحمد بن دينار، وكان يعقوب بن إسحاق اليزيدي حاضراً، فقال: لمن هذا؟ فقال: لرجلٍ من ولد الحسن بن سهل، قال له: وهو مقيمٌ عندك نحواً من حولين، قال: قريب من ذلك، فانصرف أبو يوسف ووجه إلى الرجل فأحضره ودفع له بمائة دينار، وقسط له على جماعة من الوجوه أربعة آلاف درهم، وكتب له إلى بزازٍ كان يعامله بكسوةٍ بألف درهم، ووجه من اكترى له زورقاً إلى مدينة السلام، وزوده زاداً كبيراً حسناً، وقال له: اخرج لا تلق من قصدته، فقال: والله لأضربن جودك على نائل يكون منه، ولأفردن الشكر لك دونه، ولأتجهن إلى الله تعالى في صيانتك عن كل دناءةٍ ومعرةٍ كما صنتني عنها، وانصرف.وبلغ الخبر ابن دينار، وكان ذلك سبب وحشةٍ عظيمةٍ صارت بينهما [١].

تدري من خلف هذا الستر؟

أرسل أمير المؤمنين الرشيد إلى قاضي القضاة أبو يوسف، في ساعةٍ لم يكن يرسل إليه في مثلها، قال أبو يوسف: فتحنطت وتكفنت ولبست فوق ذلك ثيابي، ودخلت على أمير المؤمنين، فألفيته جالساً على طرف المصلى، وإذا بين يديه سيف مسلول، فسلمت فرد علي السلام وأدناني، فشم مني رائحة الحنوط، فقال: ما هذه الرائحة فأخبرته الخبر فاسترجع، ثم أمر بذلك فنزع عني، وجاءني بثياب فلبستها، ثم قال لي: تدري من خلف هذا الستر؟ قلت: لا، يا أمير المؤمنين، قال: إن خلفه أعز خلق الله تعالى علي، قال: فظننت أنها الخيزران، ثم قال: إني أودعتها عقوداً لها مقدار، وجوهراً له خطر، وإني فقدت منها عقداً، فحلفت بأيمان البيعة وأكدتها على نفسي أنها

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص ١٣٧.

تصدقني عن خبره، فإن لم تصدقني ضربتها بسيفي هذا حتى أبضعها قطعاً، قال أبو يوسف: يا أمير المؤمنين! قد أخرجك الله تعالى من يمينك، فمر بالسيف يرد إلى غمده، فأمر به فرد إلى غمده، فقلت: يا أمير المؤمنين! سلها وعرفها يمينك، فسألها وغلظ عليها الأمر، قال: قل لها: لا تجيبك حتى أقول لها، ثم قال لها أبو يوسف: أمسكي، ثم قال: يا أمير المؤمنين! فسلها ثانية، فسألها وغلظ عليها ما حلف به، فقال لها أبو يوسف: قولي إني لم آخذه، فقالت: لم آخذه.

ثم التفت إلى أمير المؤمنين، فقال: قد صدقتك في أحد القولين إن كانت أخذته فقد صدقت، وإن كانت لم تأخذه فقد صدقتك.

فأمر له بعشرة آلاف درهم، وقاما وخرجا من البيت الذي كانا فيه إلى خزانة، فأمر بها ففتحت وأخرج إليه أسفاطٌ فأمر بها فحلت، فإذا فيها جوهر له خطر، فقال أبو يوسف: يا أمير المؤمنين! ما رأيت أحسن من هذا، فإن رأيت أن تهبه لي؟ فقال: لا والله ما نفسي بذلك طيبة، فقال: فهبه لأم جعفر، فقال: لا والله، ولا نفسي به طيبة، قال: يا أمير المؤمنين! فإن لم تفعل لا هذا ولا ذا فتعلم أم جعفرٍ أني سألتك أن تهب لها هذه العقود فأبيت، قال: أما ذا فنعم، فأعلم أم جعفر بذاك فأنفذت إلى أبي يوسف بمائة ألف درهم [(١)].

هذا نذير الكلاب!

قال الإمام أبو يوسف القاضي رحمه الله كنت ماراً في طرقات الكوفة وإذا أنا بعليان المجنون فلما بصر بي سلم علي وقال لي أيها القاضي مسئلة قلت هات، قال أليس قال الله تعالى في كتابه العزيز: {وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم} [الأنعام: ٣٨]. قلت بلى

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص ٢١٦.

قال أليس قال الله عز وجل:{وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤]، قلت بلى، قال فما نذير الكلاب، قلت لا أدري فأخبرني، قال لا والله لا أقول إلا بمن رقاق من شواء ونصف من فالوذج، فأمرت من جاء بها، ودخلت معه مسجداً فأكلها حتى أتى على آخرها، فقلت هات الجواب فأخرج من كمه حجراً وقال هذا نذير الكلاب! [١]

أبشر يا أمير المؤمنين بالثواب الجزيل

عن إبراهيم بن المهدي أنه كان يتغدى مع الرشيد في يوم شاتٍ، وإن الرشيد سأل صاحب المطبخ: هل عنده برمة من لحم الجزور؟ فأعلمه أن عنده عدة ألوان منه، فأمر بإحضار ما عنده منه، فقدمت إليه صحفة ومد يده إلى لقمة منها فأدخلها في فيه، فلما حرك لحييه عليها مرتين ضحك جعفر بن يحيى، فسأله الرشيد عن سبب ضحكه، وأمسك عن المضغ، فقال: ذكرت كلاماً دار بيني وبين جاريتي البارحة فضحكت منه، فقال له الرشيد: هذا محال، فأخبرني عن السبب بحقي عليك، فقال له جعفر: إذا ابتلع أمير المؤمنين لقمته حدثته السبب، فأخرج لقمته من فيه وألقاها تحت المائدة، فلما فعل ذلك قال له جعفر بكم يتوهم أمير المؤمنين والقاها تحت المائدة، فلما فعل ذلك قال له جعفر: بكم يتوهم أمير المؤمنين أن هذا اللون يقوم عليه؟ فقال له الرشيد: أتوهمه يقوم علي بأربعة آلاف درهم، فقال له جعفر: والله إن هذا اللون ليقوم عليك بأربع مائة ألف درهم، فقال: وكيف ويحك؟ فقال جعفر: سأل أمير المؤمنين صاحب المطبخ منذ أكثر من أربع سنين عن برمةٍ من لحم الجزور فأخبره أنه لم يتخذها، فأنكر ذلك علي أمير المؤمنين وقال: لا يفت مطبخي لون يتخذ من

(١) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨.

لحم الجزور في كل يوم، فأنا منذ ذلك اليوم أنحر جزوراً في كل يومٍ لأن الخلفاء لا يبتاع لهم لحم الجزور من السوق، ولم يدع أمير المؤمنين بشيءٍ من لحمها إلى يومه هذا. قال إبراهيم: وكان الرشيد في أول طعامه ولم يكن أكل إلا ملهوجة وأحدةً، وكان أشد خلق الله تقززاً، فصعق حين قال له جعفر ما قال، وضرب بيده اليمنى وفيها الغمر وجهه ومد بها لحيته ثم قال: هلكت ويلك يا هارون، واندفع يبكي، وأمر برفع المائدة وطفق يبكي حتى أذنه المؤذنون بصلاة الظهر، وأمر أن يفرق ألف ألف درهم وأن يفرق في كل جانب من جانبٍ من جانبي بغداد خمسمائة ألف درهم وأن يفرق في كل مدينةٍ من الكوفة والبصرة خمسمائة ألف درهمٍ، وقال: لعل الله تعالى أن يغفر لي هذا الذنب. وقام يصلي الظهر، ثم عاد في مكانه فلم يزل باكياً حتى أذنه المؤذنون بصلاة العصر وقام فصلى: وعاد لمكانه إلى أن قرب ما بين صلاة العصر والمغرب، فأخبره القاسم بن الربيع مولاه أن أباه يوسف القاضي بالباب فأمره بإدخاله، فدخل وسلم فلم يرد عليه وأقبل يقول: يا يعقوب هلك هارون، فسأله يعقوب عن القصة فقال: يخبرك جعفر بها، وعاد لبكائه. وحضر جعفر فسأله أبو يوسف عن القصة فقال: يخبرك جعفر بها، وعاد لبكائه. وحضر جعفر فسأله أبو يوسف عن القصة والسبب المخرج للرشيد إلى ما خرج إليه، فحدثه جعفر عن الجزور التي كانت تنحر في كل يوم طول تلك المدة ومبلغ ما أنفق في أثمانها من الأموال، فقال له أبو يوسف: أخبرني عن هذه الإبل التي كانت تبتاع بهذه الدراهم هل كانت تترك إذا نحرت حتى تفسد، ولا تؤكل لحومها حتى تنتن فيرمى بها؟ قال جعفر: اللهم لا، قال أبو يوسف: فكان يصنع بها ماذا؟ قال: يأكلها الحشم والموالي وعيال أمير المؤمنين، فقال أبو

يوسف: الله أكبر الله أكبر، أبشر يا أمير المؤمنين بالثواب الجزيل من الله عز وجل على نفقتك، وأبشر بثواب الله تعالى على ما فتح لك من الصدقة في يومك هذا، ومن البكاء للتقية من ربك، فإني لأرجو يا أمير المؤمنين أن لا يرضى الله تعالى من ثوابه على ما قد داخلك من الخوف من سخطه عليك إلا الجنة، فإنه يقول تعالى:{وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾} [الرحمن: ٤٦] ، وأنا أشهد بالله تعالى أنك خفت مقام ربك، فسري عن الرشيد وطابت نفسه ووصل أبا يوسف بأربعمائة ألف درهم، ثم صلى المغرب ودعا بطعامه فأكل، فكان غداؤه في اليوم عشاءه [(١)].

هذا لم يكن في الصلاة إنما كان في الصيد

استأذن القاضي أبو يوسف على المتوكل فقال لعبادة: اخرج نشاركه على أن يلزم الحائط ساكتاً، وتوعده إن نطق بحرف أن يقبله، فأقبل على القاضي يسأله عن مسائل من الفقه، إلى ان سأله عن رجل يصلي فرمى بطرفه إلى ثوبه فرأى دابة، فقال يردها إلى سبعين، فإن رأى أخرى؟ قال يفعل بها مثل ذلك، قال: فإن رأى أخرى؟ فابتدر عبادة فقال: هذا لم يكن في الصلاة إنما كان في الصيد [(٢)].

أنا لا أحكم على غائب

أبو يوسف القاضي رحمه الله تعالى، تحاكم إليه الرشيد وزبيدة في الفالوذج واللوزينج أيهما أطيب، فقال أبو يوسف: أنا لا أحكم على غائب. فأمر باتخاذهما وتقديمهما إليه، فجعل يأكل من هذا مرة ومن ذلك أخرى حتى نظف الجانبين ثم قال: يا أمير المؤمنين، ما رأيت

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص ٢٨٣.
(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ١٠٩، ١٥٦، ٣١١.

أجدل منهما، إن أردت أن أسجل لأحدهما أدلى الآخر بحجة [١].

وقد كنت في بيتي والدروب مغلقةٌ، فحين دعاني فتحت

دعا الرشيد أبا يوسف ليلاً فسأله عن مسألةٍ فأفتاه، فأمر له بمائة ألف درهم، فقال: إن رأى أمير المؤمنين أن يأمر بتعجيلها قبل الصبح، فقال: عجلوها له، فقيل إن الخازن في بيته والأبواب مغلقةٌ، فقال أبو يوسف: وقد كنت في بيتي والدروب مغلقةٌ، فحين دعاني فتحت [٢].

أنتِ طالقٌ إن دخلت الدار؟

دخل أبو يوسف الفقيه على الرشيد وعنده الكسائي يحدثه، فقال: ياأمير المؤمنين، قد سعد هذا الكوفيّ بك وشغلك. فقال الرشيد: النحو أستعين به على القرآن والشعر. فقال الكسائي: إن رأى أمير المؤمنين أن يأذن له بجوابي عن مسألة من الفقه؟ فضحك الرشيد وقال: أبلغت - ياكسائي - إلى هذا، قل! فقال الكسائي: ماتقول في رجلٍ قال لامرأته: أنتِ طالقٌ إن دخلت الدار؟ قال أبو يوسف: إذا دخلت طلقت. فقال الكسائي: أخطأت! إذا فتحت " إن " فقد وجب الأمر لأن " أن " بالفتح لما قد كان، وإذا كسرت فلم يقع بعد. فنظر أبو يوسف بعد ذلك في النحو [٣].

نعم القاضي قاضي جبل

حدث عبد الرحمن بن مسهر قال ولاني القاضي أبو يوسف القضاء بجبل وبلغني أن الرشيد منحدر الى البصرة فسألت أهل جبل أن يثنوا

(١) الثعالبي، اللطف واللطائف، ص ١٠.
(٢) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٢ / ٣٥٦.
(٣) المرزباني، نور القبس، ص ١٠٧.

علـي فوعـدوني ان يفعلـوا ذلـك وتفرقـوا فلمـا آيسـوني مـن انفسـهم سرحت لحيتي وخرجت فوقفت لـه فوافى وأبـو يوسـف فـي الحراقـة فقلت يا أمير المؤمنين نعم القاضـي قاضـي جبل قد عدل فينـا وفعل وصـنع وجعلـت أثنـي علـى نفسـي فرآنـي ابـو يوسـف فطأطـأ رأسـه وضـحك فقـال هـرون مـم تضـحك فقـال إن المثنـي علـى نفسـه هـو القاضي فضحك هرون حتـى فحص برجليـه وقـال هذا شيخ سخيف سفلة فاعزله فعزلني [١].

لو باعك لأجزت بيعه ولم أردك إلى ملكي

وقدم خادم من وجوه خدم المعتضد بالله إلى أبي يوسف بن يعقوب في حكم فارتفع الخادم على خصمه في المجلس فزجره الحاجب عن ذلك فلـم يقبـل فقـال أبـو يوسـف قـم أتـؤمر أن تقف بمسـاواة خصـمك فـي المجلس فتمتنع يا غلام ائتني بعمرو بـن أبـي عمـرو النحـاس فإنـه إن قدم على الساعة أمرته ببيع هذا العبد وحمل ثمنه إلـى أميـر المؤمنين ثـم إن الحاجـب اخـذ بيـده حتـى أوقفـه بمسـاواة خصـمة فلمـا انقضـي الحكم رجع الخادم الى المعتضد وبكى بين يديه وأخبره بالقصة فقـال له لو باعك لأجزت بيعه ولم أردك إلـى ملكـي فليست منزلتك عنـدي تزن رتبة المساواة بين الخصمين في الحكم فإن ذلك عمود السلطان وقوام الأديان والله تعالى أعلم [٢].

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، الناشر: المكتب التجاري - بيروت، ص ١٠٢.
(٢) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق: د. مفيد محمد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية -بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ١ / ٢٢١.

لو كنت فقيهاً لما تكلمت في الصلاة

ومثله قول أبي يوسف بعرفة وقد صلى خلف الرّشيد فلما سّلم في الرّكعتين قال: يا أهل مكة أتموا صلاتكم فإنا قوم سفر. فقال بعض أهل مكة: من عندنا خرج العلم إليكم. فقال أبو يوسف: لو كنت فقيهاً لما تكلمت في الصلاة (١).

لله درّكم يا أصحاب أبي حنيفة، من ذا يقاومكم

وحدَّثني الحسن بن محمد الوليدي الفقيه عن مشايخه أنَّ أبا يوسف القاضي كان عند الرشيد ذات يوم وبين يدي الرشيد غلام مختطٌ حسن الوجه من أبناء عمّه قائم على رسم الخدمة، وكان الرشيد يحدّث أبا يوسف وأبو يوسف يحدّد النَّظر إلى الغلام، فقال له الرشيد: هو ذا أحدّثك وأنت مقبل ببصرك على هذا القائم، فقال أبو يوسف: نعم يا أمير المؤمنين، حدَّثني ابن أبي ذئب عن الزهري عن أنس عن النَّبيّ ﷺ أنَّه قال: " ثلاثة تجلو البصر: الاكتحال بالإثمد، والنَّظر إلى الماء الجاري، والنَّظر إلى الوجه الحسن "، وأنا شيخ ضعيف البصر أحببت أن أجلو بصري، فتبسَّم الرشيد وأومأ بيده فقامت جارية من وراء الخدر ونقرت العود نقراً أعجب السَّامعين جودة فصبر أبو يوسف حتَّى فرغت، ثمَّ قال: أحسنت، فقال الرشيد: لم تقتصر على حسن السماع حتَّى قلت أحسنتِ، فقال: إنَّما قلتُ أحسنتِ حين أمسكت، فقال الرشيد: لله درّكم يا أصحاب أبي حنيفة، من ذا يقاومكم (٢).

---

(١) أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين، ص ٦.
(٢) العبدلكاني الزوزني، حماسة الظرفاء، ص ٢٣.

من كلامه:

- عن أبي يوسف رحمه الله أنه قال: من طلب الدين بالكلام تزندق ومن طلب المال بالكيمياء أفلس ومن تتبع غريب الحديث كذب.

- قال أبو يوسف: ناظرت أبا حنيفة ستة أشهر فاتفق رأينا على أن من قال القرآن مخلوق فهو كافر.

- وقال بشار الخفاف: سمعت أبا يوسف يقول من قال القرآن مخلوق ففرض منابذته[(١)]

- قال: أبو يوسف: بخراسان صنفان ما على الأرض شر منهما المقاتلية والجهمية.

- قال أبو يوسف: العلم بالكلام جهل.

- قالَ علي بْن إشكاب: سمعت أبا يوسف يقول: يا قوم أريدوا بفعلكم الله، فإني لم أجلس مجلساً قط أنوي فِيْهِ أن أتواضع إلا لم أقم حتى أعلوهم ولم أجلس مجلساً قط أنوي فِيْهِ أن أعلوهم إلا لم أقم حتى أفتضح [(٢)].

- صحبة من لا يخشى العار عار يوم القيامة.

- وكان يقول: رؤوس النعم ثلاثة: فأولها نعمة الإسلام التي لا تتم نعمة إلا بها، والثانية: نعمة العافية التي لا تطيب الحياة إلا بها، والثالثة نعمة الغنى التي لا يتم العيش إلا بها.

- وقال علي بن الجعد: سمعت أبا يوسف يقول: العلم شيء لا يعطيك

(١) أبو عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، العلو للعلي الغفار، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥، ص ٥١ - ٥٢.
(٢) أخبار القضاة، ٣ / ٢٥٩.

بعضه حتى تعطيه كذلك، وأنت إذا أعطيته كذلك من إعطائه البعض كنت على غرر.

- عن أبي يوسف قال: ثلاث، صدق باثنتين ولا تصدق بواحدة، إن قيل لك إن رجلاً كان معك فتوارى خلف حائط فمات فصدق، وإن قيل لك إن رجلاً فقيراً خرج إلى بلد فاستفاد مالاً فصدق، وإن قيل لك إن أحمق خرج إلى بلد فاستفاد عقلاً فلا تصدق (١).

قال أبو يوسف القاضي: إثبات الحجّة على الجاهل سهل، ولكن إقراره بها صعب (٢).

- وقال له بعض الناس يوماً يا مجنون، فقال مهلاً إنما المجنون من عرفه ثم عصاه (٣).

وقال أبو يوسف: الكفء على الحقيقة المساوي في النسب والمال والدين (٤).

وقال أبو يوسف الناس ثلاثة مجنون ونصف مجنون وعاقل فأما المجنون فأنت منه في راحة لتركك الاختلاط به وأما نصف المجنون فأنت معه في تعب لضرورتك إليه وأما العاقل فقد كفيت مؤنته (٥)

وقال أبو يوسف: إثبات الحجة على الجاهل سهل، ولكن إقراره بها صعب.

---

(١) جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ٣.
(٢) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ط دار صادر - بيروت - لبنان - ١٤١٩هـ - ٩٩٩ م، ٨ / ٢٣.
(٣) أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين، ص ٢٨.
(٤) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١/ ٤١٣.
(٥) الوطواط، غرر الخصائص الواضحة، ص٦١.

وقد رضي قوم بالجهل فقالوا: ضعف العقل أمان من الغم؛ وقالوا: ما سر عاقل قط [١].

- وقال أبو يوسف: خوف مالا دفع له من أخلاق من لا عقل له. من حسن خلقه وجب حقه.

- من عجل وجل.

- صغر القدر يحمل على ادعاء الفخر.

- من لم يكن فخره بفعله فلا فخر له [٢].

ما كتب به أبو يوسف رحمه الله إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد

بسم الله الرحمن الرحيم

(هذا ما كتب به أبو يوسف رحمه الله إلى أمير المؤمنين هارون الرشيد)

أطال الله بقاء أمير المؤمنين، وأدام له العز في تمام من النعمة، ودوام من الكرامة، وجعل ما أنعم به عليه موصولا بنعيم الآخرة الذي لا ينفذ ولا يزول، ومرافقة النبي ﷺ.

إن أمير المؤمنين أيده الله تعالى سألني أن أضع له كتابا جامعا يعمل به في جباية الخراج، والعشور والصدقات والجوالى، وغير ذلك مما يجب عليه النظر فيه والعمل به، وإنما أراد بذلك رفع الظلم عن رعيته، والصلاح لأمرهم. وفق الله تعالى أمير المؤمنين، وسدده وأعانه على ما تولى من ذلك، وسلمه مما يخاف ويحذر، وطلب أن أبين له ما سألني عنه مما يريد

(١) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ١ / ٣٥٧.
(٢) أسامة بن منقذ، لباب الآداب، ص ١١٨.

العمل به، وأفسره وأشرحه. وقد فسرت ذلك وشرحته.

يا أمير المؤمنين، إن الله وله الحمد قد قلدك أمراً عظيماً: ثوابه أعظم الثواب، وعقابه أشد العقاب. قلدك أمر هذه الأمة فأصبحت وأمسيت وأنت تبني لخلق كثير قد استرعاكهم الله وائتمنك عليهم، وابتلاك بهم وولاك أمرهم، وليس يلبث البنيان - إذا أسس على غير التقوى - أن يأتيه الله من القواعد فيهدمه على من بناه وأعان عليه. فلا تضيعنَّ ما قلدك الله من أمر هذه الأمة والرعية، فإن القوة في العمل بإذن الله.

- لا تؤخر عمل اليوم إلى غد، فإنك إذا فعلت ذلك أضعت، إن الأجل دون الأمل، فبادر الأجل بالعمل، فإنه لا عمل بعد الأجل. إن الرعاة مؤدون إلى ربهم ما يؤدي الراعي إلى ربه. فأقم الحق فيما ولاك الله وقلدك ولو ساعة من نهار، فإن أسعد الرعاة عند الله يوم القيامة راع سعدت به رعيته، ولا تزغ فتزيغ رعيتك. وإياك والأمر بالهوى والأخذ بالغضب. وإذا نظرت إلى أمرين أحدهما للآخرة والآخر للدنيا، فاختر أمر الآخرة على أمر الدنيا، فإن الآخرة تبقى والدنيا تفنى. وكن من خشية الله على حذر، واجعل الناس عندك في أمر الله سواء القريب والبعيد، ولا تخف في الله لومة لائم.

واحذر فإن الحذر بالقلب وليس باللسان، واتق الله فإنما التقوى بالتوقي، ومن يتق الله يقه. واعمل لأجل مفضوض، وسبيل مسلوك، وطريق مأخوذ، وعمل محفوظ، ومنهل مورود؛ فإن ذلك المورد الحق والموقف الأعظم الذي تطير فيه القلوب، وتنقطع فيه الحجج لعزة ملك قهرهم جبروته، والخلق له داخرون بين يديه ينتظرون قضاءه، ويخافون عقوبته وكأن ذلك قد كان. فكفى بالحسرة والندامة يومئذ في ذلك الموقف العظيم لمن علم ولم يعمل، يومٌ تزل فيه

الأقدام، وتتغير فيه الألوان، ويطول فيه القيام، ويشتد فيه الحساب. يقول الله تبارك وتعالى في كتابه:{وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ} [الحج: ٤٧]، وقال تعالى:{هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾} [المرسلات: ٣٨]، وقال تعالى:{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾} [الدخان: ٤٠]، وقال تعالى:{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ} [الأحقاف: ٣٥]، وقال:{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾} [النازعات: ٤٦]، فيالها من عثرة لا تُقال، ويالها من ندامة لا تنفع، وإنما هو اختلاف الليل والنهار: يبليان كل جديد، ويقربان كل بعيد، ويأتيان بكل موعود، ويجزي الله كل نفس بما كسبت إن الله سريع الحساب. فاللهَ اللهَ فإن البقاء قليل والخطب خطير والدنيا هالكة وهالك من فيها، والآخرة هي دار القرار. فلا تلق الله غداً وأنت سالك سبيل المعتدين، فإن ديان يوم الدين إنما يدين العباد بأعمالهم ولا يدينهم بمنازلهم. وقد حذرك الله فاحذر، فإنك لم تخلق عبثاً، ولن تترك سدى. وإن الله سائلك عما أنت فيه وعما عملت به، فانظر ما الجواب؟!

واعلم أنه لن تزول غداً قدما عبد بين يدي الله تبارك وتعالى إلا من بعد المسألة فقد قال ﷺ :**﴿لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربع: عن علمه ما عمل فيه، وعن عمره فيم أفناه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه، وعن جسده فيما أبلاه﴾**، فأعدد يا أمير المؤمنين للمسألة جوابها، فإن ما عملت فأثبتَّ فهو عليك غدا يقرأ، فاذكر كشف قناعك فيما بينك وبين الله في مجمع الأشهاد. وإني أوصيك يا أمير المؤمنين بحفظ ما استحفظك الله، ورعاية ما استرعاك، وأن لا تنظر في ذلك إلا إليه وله. فإنك إن لا تفعل تتوعر عليك سهولة الهدى، وتعمى

في عينك وتتعفى رسومه ويضيق عليك رحبه، وتتكر منه ما تعرف، وتعرف منه ما تنكر، فخاصم نفسك خصومة من يريد الفلج لها لا عليها، فإن الراعي المضيع يضمن ما هلك على يديه مما لو شاء رده عن أماكن الهلكة بإذن الله، وأورده أماكن الحياة والنجاة، فإذا ترك ذلك أضاعه وإن تشاغل بغيره كانت الهلكة عليه أسرع وبه أضر، وإذا أصلح كان أسعد من هنالك بذلك، ووفاه الله أضعاف ما وفى له.

فاحذر أن تضيع رعيتك فيستوفي ربها حقها منك ويضيعك بما أضعت أجرك، وإنما يدعم البنيان قبل أن ينهدم. وإنما لك من عملك ما عملت فيمن ولاك الله أمره، وعليك ما ضيعت منه، فلا تنس القيام بأمر من ولاك الله أمره فلست تُنسى. ولا تغفل عنهم وعما يصلحهم فليس يُغفل عنك. ولا يضيع حظك، من الدنيا في هذه الأيام والليالي، من كثرة تحريك لسانك في نفسك بذكر الله تسبيحاً وتهليلاً وتحميداً، والصلاة على رسوله نبي الرحمة وإمام الهدى ﷺ. وإن الله بمنه ورحمته جعل ولاة الأمر خلفاء في أرضه، وجعل لهم نوراً يضيء للرعية ما أظلم عليهم من الأمور فيما بينهم وبين ما اشتبه من الحقوق عليهم. وإضاءة نور ولاة الأمر إقامة الحدود، ورد الحقوق إلى أهلها بالتثبت والأمر البين. وإحياء السنن التي سنها القوم الصالحون أعظم موقعاً، فإن أحياء السنن من الخير الذي يحيا ولا يموت. وجور الراعي هلاك الرعية، واستعانته بغير أهل الثقة والخير هلاك للعامة. فاستتمَّ ما آتاك الله يا أمير المؤمنين من النعم بحسن مجاورتها، والتمس الزيادة بالشكر عليها، فإن الله تبارك وتعالى يقول في كتابه العزيز:{لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ} [إبراهيم: ٧]. وليس شيء أحب إلى الله من

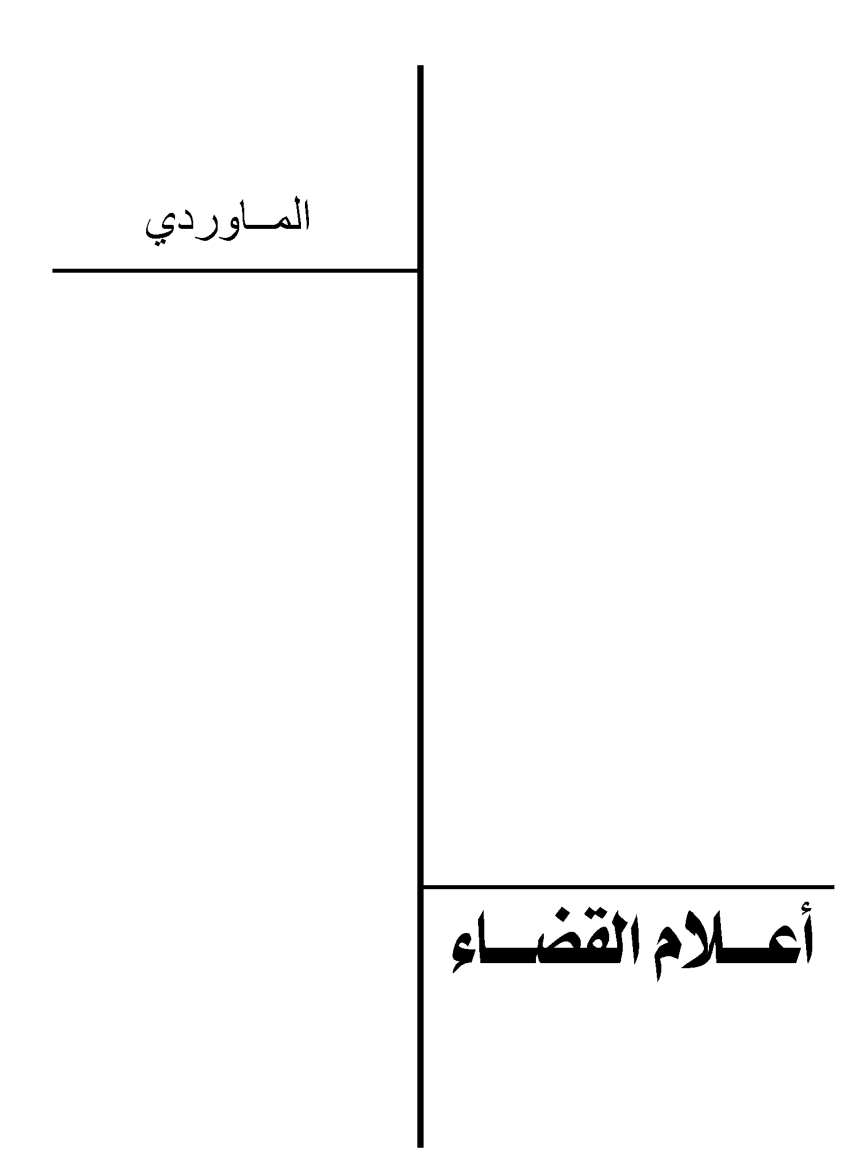
الإصلاح، ولا أبغض إليه من الفساد، والعملُ بالمعاصي كفر النعم. وقلَّ من كفر قوم قط النعمة ثم لم يفزعوا إلى التوبة إلا سلبوا عزهم، وسلط الله عليهم عدوهم. وإني أسأل الله يا أمير المؤمنين الذي منَّ عليك بمعرفته فيما أولاك أن لا يكلك في شيء من أمرك إلى نفسك، وأن يتولى منك ما تولى من أوليائه وأحبائه؛ فإنه وليٌّ ذلك والمرغوب إليه فيه.

وقد كتبت لك ما أمرت به وشرحته وبينته، فتفقهْهُ وتدبره وردد قراءته حتى تحفظه، فإني قد اجتهدت لك في ذلك ولم آلك والمسلمين نصحاً ابتغاء وجه الله وثوابه وخوف عقابه. وإني لأرجو - إن عملتَ بما فيه من البيان - أن يوفر الله لك خراجك من غير ظلم مسلم ولا معاهَد، ويصلح لك رعيتك فإن صلاحهم بإقامة الحدود عليهم، ورفع الظلم عنهم والتظالم فيما اشتبه من الحقوق عليهم، وكتبت لك أحاديث حسنة، فيها ترغيب وتحضيض على ما سألت عنه، مما تريد العمل به إن شاء الله. فوفقك الله لما يرضيه عنك، وأصلح بك، وعلى يديك.

أخبر عبد الله بن أحمد بن حنبل قال حدثنا أبي قال: سمعت أبا يوسف القاضي يقول: إن للعيون خبايا بالغدوات ما ليس لها بالعشيات، فقلت له: يا أبت، أليس ذكرت أنك لا تروي عن أبي يوسف؟ فقال: هذه حكمة يأخذها العبد عن كل من وجدها عنده [1].

* * *

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ص١١٨، ٣٥٦.


الماوردي
أعلام القضاء

أقضى القضاة الماوردي

في شوارع البصرة وفي زمن العباسيين، كان هناك طفل صغير لم يتجاوز الرابعة من عمره، ورث عن أبيه صناعة (ماء الورد) يقضي النهار كله أمام أبواب المساجد، يبيع ماء الورد لطلاب العلم ورواد المدارس مقابل دراهم معدودة، يتقوَّى بها على متاعب الحياة.

وقد أصبح هذا الصبي من قادة الفكر وحملة مشاعل العلم ومن أبرز رجال السياسة، وقاضيًا من أعدل القضاة، وأديبًا ناضجًا ومؤلفًا عظيمًا في شتى فروع ثقافة أمته.. إنه (أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي) الشهير بالماوردي.. ولد عام ٣٦٤هـ - ٩٧٤م في مدينة البصرة، ونشأ فيها يسقي طلاب العلم ماء الورد، ويرتوي من علم العلماء المشهورين في زمانه، وظل في البصرة حتى سمع أن عالمًا ببغداد يقصده الطلاب من كافة الأنحاء هو (أبو حامد الإسفراييني) فتعلم على يديه الفقه والعلوم الشرعية، وأصبح من مريديه، ومازال يرحل ويتنقل في بلاد المسلمين طلبًا للمعرفة حتى عاد إلى بغداد، ليبدأ فيها رحلة الدرس والتأليف، يتلقى عنه الطلاب القادمون من بلاد كثيرة. وتولى الماوردي القضاء في البلاد التي رحل إليها، كما تولى وظيفة قاضي القضاة في نيسابور، وذاعت شهرته، ولقب بأقضى القضاة سنة ٤٢٩هـ، وكان أول من لقب بذلك في تاريخ الإسلام، وعلم الماوردي أن توليه القضاء ليس تشريفًا له، ولكنها رسالة وأمانة في عنقه؛ فكان يتمهل قبل أن يصدر أحكامه، ويقرأ كتاب الله وأحاديث رسوله، حتى لا يضل الطريق؛ فيقضي بحكم فيه ظلم لأحد، كما كان جريئًا عادلاً، لا تأخذه في الله لومة لائم، يحكم بالحق حتى على أولي القربى وأصحاب السلطان. فقد أمر الخليفة العباسي أن يلقب جلال الدين بن بويه بلقب شاهنشاه

الأعظم ملك الملوك، واختلف الفقهاء ما بين موافق، وغير موافق لأن هذا اللقب لا يجوز إلا في حق الله، وانحاز عوام الناس إلى رأي الفقهاء المانعين، وانتظر الجميع رأي القاضي الماوردي الذي كانت تربطه بجلال الدين البويهي صلة ود وصداقة؛ وظهرت شجاعة الماوردي، فانحاز إلى جانب الحق، وضرب مثلا فريدًا في الثبات على الحق، فأفتى بالمنع، وأعجب جلال الدين بصدقه وشجاعته فقال له: (أنا أعلم أنك لو حابيت أحدًا لحابيتني، لما بيني وبينك من أواصر المحبة، وما حملك إلا الدين، فزاد بذلك محلك عندي).ولما ذاعت شهرة الماوردي أثناء فترة إقامته ببغداد لما عُرفَ عنه من فضل وعلم، وحسن رأي، وجلالة قدر؛ اختير ليكون سفيرًا بين رجال الدولة في بغداد، وبني بويه في أصبهان من سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م إلى ٤٢٢هـ/ ١٠٣٠م، وكان لقربه من الحياة السياسية في عصره، واختلاطه بالأمراء والوزراء أثر كبير، فقام بكتابة العديد من المؤلفات السياسية الرائعة التي صدرت عن خبرة كبيرة ودراسة واسعة مثل (الأحكام السلطانية والولايات الدينية) وكانت له مكانة ممتازة عند الأمراء والملوك في عصره، فكان يتصدر المراسم والاحتفالات الرسمية، وأسندوا إليه عقد قران الخليفة القائم بأمر الله على خديجة بنت داود أخي السلطان (طغرلبك) سنة ٤٤٨هـ. واشتهر الماوردي بالحلم والوقار والأدب والتعفف عن سؤال غيره، كما عرف عنه التدين والتنزه عن اللهو والهزل، وشهد المعاصرون للماوردي بالصلاح والتقوى، وهم محقون في ذلك، فقد أخفى مؤلفاته عن الناس في عصره خوفًا من أن يكون قد خالطها الرياء وهو يؤلفها، وعهد إلى صديقٍ له ألا يظهرها إلا بعد وفاته، وترك الماوردي العديد من المؤلفات منها: كتاب في التفسير و(الحاوي) في

الفقه الشافعي و(قانون الوزارة وسياسة الملك) و(أدب الدنيا والدين). والماوردي مفكر سياسي إسلامي يعد من أوائل من اهتموا بعلم السياسة وأصول الحكم الإسلامي، يأخذ أفكاره وآراءه من وحي القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وظل الماوردي في خدمة العلم إلى أن فاضت روحه إلى بارئها في يوم الثلاثاء آخر شهر ربيع الأول سنة ٤٥٠هـ، وحضر جنازته جمع من الخطباء والعلماء والقضاة يودعونه إلى مثواه الأخير [١].

قال محمد بن عبدالملك الهمذاني: حكى أبي قال: حضرت مع قاضي القضاة أبي الحسن الماوردي عزاء، فتكلم الشيخ أبو إسحاق واجلا، فلما خرجنا، قال الماوردي: ما رأيت كأبي إسحاق! لو رآه الشافعي لتجمل به[٢].

الماوردي وآثاره:

كان الماوردي ذا خلق ودين وله علاقة وطيدة مع الخليفة ورجال الدولة في زمانه. وكان الخليفة يثق فيه وجعله سفيراً بينه وبين بني

---

(١) تاريخ بغداد ١٢ / ١٠٢ - ١٠٣، طبقات الفقهاء للشيرازي: ١٣١، الأنساب: ورقة ٥٠٤ أ، المنتظم ٨ / ١٩٩ - ٢٠٠، معجم الادباء ١٥ - ٥٢ - ٥٥، الكامل لابن الاثير ٩ / ٦٥١، اللباب / ١٥٦، مختصر تاريخ دولة آل سلجوق: ٢٤، طبقات ابن الصلاح: الورقة ٧٠ ب، وفيات الأعيان ٣ / ٢٨٢ - ٢٨٤، المختصر في أخبار البشر، دول الإسلام ١ / ٢٦٥، العبر ٣ / ٢٢٣، ميزان الاعتدال ٣ / ١٥٥، تتمة المختصر ١ / ٥٤٩، مرآة الجنان ٣ / ٧٢ - ٧٣، طبقات السبكي ٥ / ٢٦٧ - ٢٨٥، طبقات الإسنوي ٢ / ٣٨٧ - ٣٨٨، البداية والنهاية ١٢ / ٨٠، طبقات ابن قاضي شهبة: ورقة / ٢٣ / أ، لسان الميزان ٤ / ٢٦٠ - ٢٦١، النجوم الزاهرة ٥ / ٦٤، طبقات المفسرين للسيوطي: ٢٥، طبقات المفسرين للداوودي ١ / ٤٢٣ - ٤٢٥، مفتاح السعادة ١ / ٣٢٢، طبقات ابن هداية الله: ١٥١ - ١٥٢، كشف الظنون ١ / ١٩، ٤٥، ١٤٠، ١٦٨، ٤٠٨، ٦٢٨ و٢ / ١١٠١، ١٣١٥، ١٩٧٨، شذرات الذهب ٣ / ٢٨٥ - ٢٨٧، روضات الجنات: ٤٨٣، هدية العارفين ١ / ٦٨٩.

(٢) السبكي، طبقات الشافعية، ٤ / ٢٢٧.

بويه وبينه وبين السلاجقة، وكانت بيد هؤلاء مراكز القوة في الدولة، ولقد أهلته ثقافته العالية ووظائفه المتعددة واتصاله برجال السلطة عن قرب وخبراته السياسية للكتابة في الفقه السياسي. وله مؤلفات في كثير من العلوم وله من الكتب السياسية أربعة كتب:

١ - الأحكام السلطانية.

٢ - قوانين الوزارة.

٣ - نصيحة الملوك.

٤ - تسهيل النظر وتعجيل الظفر (في سياسة الملك).

وقد نال كتاب الأحكام السلطانية شهرة واسعة وهو يعد بحق أول من جمع مسائل الفقه السياسي المنثورة في مواضع متفرقة في كتاب واحد. ويقول عن ذلك في مقدمة كتابه:

(لما كانت الأحكام السلطانية بولاة الأمور أحق، وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير أفردت لها كتاباً) [(١)].

وقد ألف الكتاب بأمر من خليفة العصر فالكتاب بذلك ليس كتاب فقه نظري بل هو موجه للسلطة الحاكمة للعمل به وتنفيذه.

يبدأ الكتاب بإعطاء تعريف للإمامة والمؤهلات المطلوبة لتقلد هذا المنصب الهام، والطرق الصحيحة لانعقاد الإمامة، ثم يبين واجبات الدولة وواجبات الشعب نحوها والأمور التي تؤدي إلى عزل الإمام. وبعد أن يعطي تعريفاً لكل من الوزارة والإمارة يتحدث عن أنواع الوزارة والإمارة وسلطات كل نوع والمؤهلات المطلوبة لتوليها، ثم

(١) الأحكام السلطانية ص ٣.

ينتقل لمناقشة المهام التفصيلية لأجهزة الدولة المالية والقضائية والعسكرية.

والكتاب الثاني من كتب الماوردي السياسية هو كتابه (قوانين الوزارة) وهذه رسالة هامة تبحث في موضوع متخصص من موضوعات الفقه السياسي. فقد بحث المؤلف فيها كل ما يتصل بالوزارة من فقه، ابتداء من تعريف الوزارة وأنواعها، ومؤهلات الوزراء إلى علاقتهم برئيسهم ووظائفهم وما يعينهم من سياسة للقيامِ بهذه الوظائف. وانتهى في هذه الرسالة إلى أن أهم غايات الوزارة تحقيق الهداف التالية: (دين متبع، سلطان قاهر، عدل شامل، أمن عام، وخصب دائم).

أما كتابا الماوردي الآخران (نصيحة الملوك) و(تسهيل الظفر) فهما كتب الآداب والأخلاق السياسية ولا تدخل في نطاق الفقه [١].

الماوردي والجواري يلبسن الشعر

قال الماوردي: رأيتُ جاريةً، ونحن عند محمد بن عمرو بن مسعدة، لم أشكّ أنه عاشقٌ لها، وإليها مائلٌ، لِما رأيتُ من حركاته إذا نظرت، وسُروره إذا نطقت، وتهلُّله إذا غنّت. وكانت فوق وصف الواصف من الحُسن والجَمال، وعليها قميصٌ موشَّحٌ، ورداء معيَّنٌ، مكتوبٌ في وشاح القميص:

أغيب عنكَ بودٍّ لا يُغيّرُهُ ::: نأي المحلّ ولا صَرفٌ من الزمنِ
تعتلُّ بالشُّغل عنا ما تُكلّمنا ::: الشغل للقلب ليس الشغل للبدنِ

وعلى طراز الرداء:

أقلّ الناس في الدنيا سُروراً ::: محبٌّ قد نأى عنه الحبيبُ

(١) القاضي أبو يعلى الفراء، د. محمد عبد القادر أبو فارس، ص ٥١٦ وما بعدها.

قال: ورأيتُ جارية لبعض الهاشميين يُقال لها عَريب، عليها قميصٌ ملحَمٌ، موشَّحٌ بالذهب، مكتوبٌ في وشاحه:

وإني لأهـــواه مســـيئاً ومحســـناً ::: وأقضي على قلبي له بالذي يَقضي
فحتى متى رَوْحُ الرضى لا ينـــالني ::: وحتى متى أيام سُخطِكَ لا تَمضـــي

وعلى طراز كُمّه:

إذا صدّ من أهوى وأسلمني الغَري ::: ففُرقة من أهوى أحرُّ مـــن الجمـــرِ

ورأيتُ على ماجنَ جارية مكاتم المغنّية قميصاً في وشاحه بالذهب:

زَفَــــــراتي لـــــيس تَفـــــنى ::: وفـــــؤادي بـــــك مُضـــــنى
أترضــــــــاكَ وأُبــــــــدي ::: لــــــــــك.. ســـــــــنا
بـــــأبي كـــــم أتمنّـــــى ::: وإلى كـــــم أتمـــــنى
بعـــــدما أصـــــبح قلـــــبي ::: في يـــــد الأحـــــرار رَهنـــــا

قال: ورأيتُ في صدر قميص جارية تَباريح الكوفية مكتوباً بالفضة والذهب سطراً وسطراً:

يا فتى! قلـــتُ إذ دعـــاني هـــواه ::: مســـتجيباً لصـــوته لبّيكـــا
مـــا بكـــت مُقلـــتي لفقْـــدك إلا ::: جَزَعاً أن أمـــوت شـــوقاً إليكـــا

قال: ورأيتُ مرة أخرى عليها دُرّاعَة ملْحَمٍ بتَرانين إبريسَم ولِبنة سوسَنْجرْد وفي دور اللّبنة مكتوبٌ:

يا رامياً ليس يدري ما الذي فعلا! ::: أمسك عليكَ فإنّ السهم قد قـــتلا
أصبتَ أسودَ قلبي إذ رمَيتَ فـــلا ::: شُلّت يمينُـــك أن صَـــيّرتني مَـــثلا

وكتبت بَنان جاريةُ الخيزران على تَرانين دُرّاعةٍ لها بذهب:

لم تقُـــلْ قـــولاً ولكـــن حلفـــت ::: أنهـــا أحســـنُ عـــينٍ أُطرفـــت
زعمَـــت أني قـــد لاحظتُهـــا ::: أيُّ عـــينٍ لَحَظَـــت فاعترفـــت
أظهـــرت حُجّـــة مـــن يعشـــقها ::: واســـتباحَت غفلـــةً وانصـــرفَت

وعلى طراز كُمّها:

لــيس بي صـــبرٌ ولا بي جَلَـــدٌ ::: قد نفــى حُبُّــكَ عــني جَلَــدي

وقال الماوردي: رأيتُ جارية لبعض ولد المأمون، وعليها قلنسوة عليها مكتوبٌ:

يــا تــارك الجســم بــلا قَلــب ::: إنْ كــان يَهــواكَ فمــا ذنــبي؟

يــا مفــرَداً بالحُســن أفــردتَني ::: منك بطول الشــوق والكَــرْبِ

وعلى كَرزَن لها:

أنــا العبــد المقــرّ بطــول رقٍّ ::: وليس عليك من عبــدٍ خِــلافُ

قال: ورأيتُ على جارية لا هي كَرزَناً مكتوباً عليه:

عذّبــــه بــــالهجر مــــولاه ::: وزاده شــــوقاً وأضْــــناهُ

فدمعــه يجــري علــى خــدّه ::: ولم تــنمْ للوَجــد عينــاهُ

قد كتــب الحُــبُّ علــى قلبــه: ::: مُــتْ كمَــداً يرحمُــك اللهُ

مكتوباً على النعال والخِفاف

ما وجد للمتظرفات والظراف مكتوباً على النعال والخِفاف قال الماوردي: كتبَت جاريةٌ للمارقي على نعلها بالذهب:

لم ألــقَ ذا شَــجَنٍ يبــوح بحبــه ::: إلاّ حســبتُكَ ذلــك المحبوبــا

حذَراً عليكَ وإنــني بــك واثــقٌ ::: أنْ لا ينال سوايَ منكَ نصــيبا [1]

كتاب المنصور

ذكر أبو الحسن الماوردي: أن أبا جعفر المنصور بلغه عن جماعة من كتاب دواوينه أنهم زوروا فيها وغيروا، فأمر بإحضارهم، وتقدم بتأديبهم، فقال حدث منهم وهو يضرب:

(١) الوشاء، الموشى، ص ٧٦، ٧٧، ٨١.

أطال الله عمرك في صلاحٍ ::: وعز يا أمير المؤمنينا
بعفوك نستجير فإن تجرنا ::: فإنّك عصمةٌ للعالمينا
ونحن الكاتبون وقد أسأنا ::: فهبنا للكرام الكاتبينا

فأمر بتخليتهم، ووصل الفتى وأحسن إليه (١).

خطوط العلماء في الأغلب رديئة

وقال الإمام الماوردي: خطوط العلماء في الأغلب رديئة لاشتغالهم بالعلم حتى قال الفضل ابن سهل: من سعادة المرء رداءة خطه أي لئلا يشغله تعلم الخط عن تعلم العلم. قيل: والأسباب المخلة بالخط ثمانية: إسقاط ألفاظ منه أو زيادة ألفاظ فيه أو إسقاط بعض حروف الكلم أو زيادة حروف أثناءها أو وصل المفصول أو فصل الموصول أو تغيير الحرف حتى يشتبه حرف بغيره أو ضعف الخط جملة أو إهمال النقط أو الشكل.

لا يسأل عنهما إلاّ علماء الدين

عن الإمام الماوردي، رحمه الله، قال: كنت بمجلس درسي بالبصرة، فدخل علي شيخ مسن قد ناهز الثمانين أو جاوزها، قال: قصدتك بمسألة اخترتك لها. فقلت: ما هي؟ وظننت أنه يسأل عن حادثة نزلت به. فقال عن طالع إبليس وطالع آدم من النجوم ما هو؟ فإنَّ هذين لعظيم شأنهما، لا يسأل عنهما إلاّ علماء الدين. قال، فعجبت وعجب من في المجلس من سؤاله. وبادر إليه قوم منهم بالإنكار والاستخفاف، فكففتهم وقلت: هذا لا يقنع مع ما ظهر من حاله، إلاّ بجواب مثله! فأقبلت عليه وقلت: يا هذا، إنَّ النجمين يزعمون إنَّ نجوم الناس لا تعرف إلاّ بمعرفة مواليدهم. فإنَّ ظفرنا بمن يعرف وقت ميلادهما

(١) ابن الأبار، إعتاب الكتاب، ص٦.

أخبرك بالطالع. فقال: جزاك الله خيرا! وانصرف مسرورا. فلما كان بعد أيام عاد وقال: ما وجدت إلى وقتي هذا من يعرف مولدهما [(١)].

من كلامه رحمه الله:

- قال الماوردي - رحمه الله: ينبغي أن يكون للعالم فراسة يتوسم بها المتعلم ليعرف مبلغ طاقته وقدر استحقاقه، ليعطيه ما يتحمله بذكائه أو يضعف عنه ببلادته فإنه أروح للعالم وأنجح للمتعلم.

- قال الماوردي - رحمه الله:

وإذا كانت النفوس كباراً ::: تعبت في مرادها الأجسام

- وقال: والداعي إلى استسهال المصاعب وتحمل المشاق أمور منه علو الهمة وشرف النفس أما علو الهمة فلأنه باعث على التقدم وداع إلى الهمة وشرف النفس التخصيص، أنفة من خمول الضعة واستنكاراً لمهانة النقص.

- قال الماوردي - في بيان ما يلزم الإمام من أعمال -: والذي يلزمه من الأمور العامة عشرة أشياء:

أحدها: حفظ الدين على أصوله المستقرة وما أجمع عليه سلف الأمة، فإن نجم مبتدع أو زاغ ذو شبهة عنه أوضح له الحجة وبين له الصواب وأخذه بما

يلزمه من الحقوق والحدود، ليكون الدين محروسا من خلل والأمة ممنوعة من زلل.

والثاني: تنفيذ الأحكام بين المتشاجرين وقطع الخصام بين المتنازعين؛ حتى تعم النصفة فلا يتعدى ظالم ولا يضعف مظلوم.

(١) اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ص٢٩٩، ٣٠٣.

والثالث: حماية البيضة والذب عن الحريم؛ ليتصرف الناس في المعاش وينتشروا في الأسفار، آمنين من تغرير بنفس أو حال.

والرابع: إقامة الحدود لتصان محارم الله تعالى عن الانتهاك، وتحفظ حقوق عباده من إتلاف واستهلاك.

والخامس: تحصين الثغور بالعدة المانعة والقوة الدافعة؛ حتى لا تظفر الأعداء بغرة ينتهكون فيها محرما، أو يسفكون فيها لمسلم أو معاهد دمًا.

والسادس: جهاد من عاند الإسلام بعد الدعوة إليه حتى يسلم أو يدخل الذمة، ليقام بحق الله تعالى في إظهاره (الإسلام) على الدين كله.

والسابع: جباية الفيء والصدقات على ما أوجبه نصًّا واجتهادا من غير خوف ولا عسف.

والثامن: تقدير العطايا وما يستحق من بيت المال من غير سرف ولا تقتير، ودفعه في وقت لا تقديم فيه ولا تأخير.

والتاسع: استكفاء الأمناء وتقليد النصحاء فيما يفوض إليهم من الأعمال، ويكله إليهم من الأموال؛ لتكون الأعمال بالكفاءة مضبوطة والأموال بالأمناء محفوظة.

والعاشر: أن يباشر بنفسه مشارفة الأمور وتصفح الأحوال؛ لينهض بسياسة الأمة وحراسة الملة، ولا يعول على التفويض تشاغلا بلذة أو عبادة[١].

- قال الماوردي: قيل إن الله تعالى قسم كلامه ورؤيته بين موسى

(١) أبو الحسن الماوردي، الأحكام السلطانية والولايات الدينية، ص ١٧، ١٦.

ومحمد، فرآه محمد مرتين، وكلمه موسى مرتين [(١)].

- قال الماوردي: " والقناعة قد تكون على ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: أن يقتنع بالبُلغة من دنياه ويصرف نفسه عن التعرض لما سواه؛ وهذا أعلى منازل أهل القناعة، ثم ذكر قول مالك بن دينار: أزهد الناس من لا تتجاوز رغبته من الدنيا بُلغته.

الوجه الثاني: أن تنتهي به القناعة إلى الكفاية، ويحذف الفضول والزيادة، وهذا أوسط حال المقتنع، وذكر فيه قول بعضهم: من رضي بالمقدور قنع بالميسور.

الوجه الثالث: أن تنتهي به القناعة إلى الوقوف على ما سُنح، فلا يكره ما أتاه وإن كان كثيراً، ولا يطلب ما تعذر وإن كان يسيراً، وهذه الحال أدنى منازل أهل القناعة؛ لأنها مشتركة بين رغبة ورهبة، فأما الرغبة: فلأنه لا يكره الزيادة على الكفاية إذا سنحت، وأما الرهبة: فلأنه لا يطلب المتعذر عن نقصان المادة إذا تعذرت.

- قال الماوردي: " فينبغي لطالب العلم ألا يني في طلبه، وينتهز الفرصة به، فربما شحّ الزمان بما سمع، وضنّ بما منح، ويبتدئ من العلم بأوله، ويأتيه من مدخله، ولا يتشاغل بطلب ما لا يضرّ الجهل به فيمنعه ذلك من إدراك ما لا يسعه جهله، فإن لكلّ علم فضولاً مذهلة وشروراً مشغلة، متى صرف إليها نفسه قطعته عما هو أهم منها ".

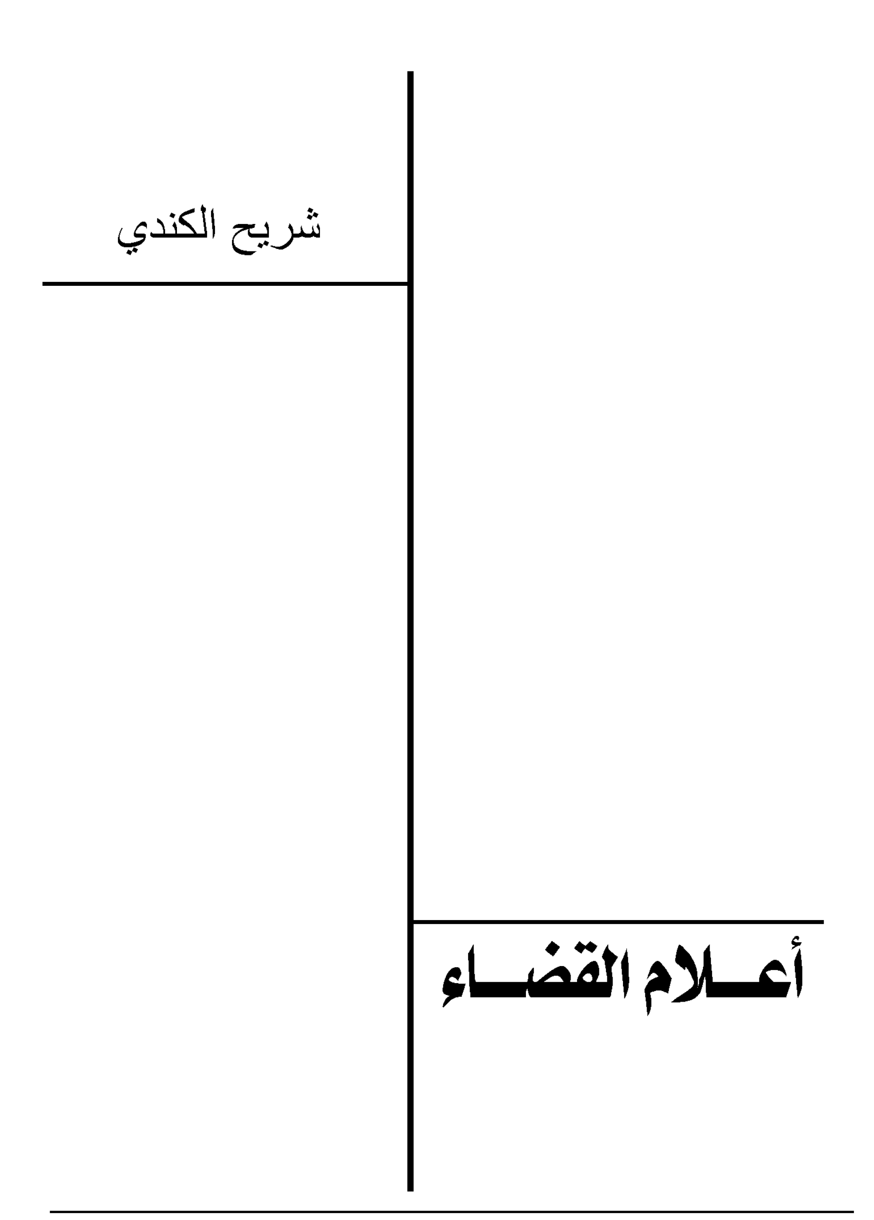
---

(١) شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، ١٦ / ٢٠٩.

- قال الماوردي: " واعلم أن لكلّ مطلوب باعثاً، والباعث على المطلوب شيئان: رغبة أو رهبة، فليكن طالب العلم راغباً وراهباً، أما الرغبة ففي ثواب الله تعالى لطالبي مرضاته وحافظي مفترضاته، وأما الرهبة فمن عقاب الله تعالى لتاركي أوامره ومهملي زواجره، فإذا اجتمعت الرغبة والرهبة أدّتا إلى كنه العلم " (١).

* * *

(١) أدب الدنيا والدين، ص٥٤.


شريح الكندي
أعــلام القضــاء

الفقيه القاضي شريح الكندي

أبو أمية شريح بن الحارث بن قيس بن الجهم بن معاوية بن عامر ابن الرائش بن الحارث بن معاوية بن ثور بن مرتع الكندي؛ من كبار التابعين، وأدرك الجاهلية والإسلام، واستقضاه عمر بن الخطاب ﷺ على الكوفة، فأقام قاضياً خمساً وسبعين سنة لم يتعطل فيها إلا ثلاث سنين امتنع فيها من القضاء في فتنة ابن الزبير، واستعفى الحجاج ابن يوسف من القضاء فأعفاه، ولم يقض بين اثنين حتى مات.

كان أعلم الناس بالقضاء، ذا فطنة وذكاء ومعرفة وعقل ورصانة، قال ابن عبد البر: وكان شاعراً محسناً، وهو أحد السادات الطلس [(١)].

ولما أراد عمر بن الخطاب أن يولي شريح القضاء كتب إليه: إذا أتاك أمر في كتاب الله، فاقض به، فإن لم يكن في كتاب الله وكان في سنة رسول الله ﷺ فاقض به ؛ فإن لم يكن فيهما، فاقض بما قضى به أئمة الهدى، فإن لم يكن فأنت بالخيار، إن شئت تجتهد رأيك، وإن شئت تؤامرني، ولا أرى مؤامرتك إياي إلا أسلم لك.

وكان يحب المزاح، فقد دخل عليه عدي بن أرطاة فقال له: أين أنت أصلحك الله فقال: بينك وبين الحائط، قال: استمع مني، قال: قل أسمع، قال: إني رجل من أهل الشام، قال: مكان سحيق، قال: تزوجت عندكم، قال: بالرفاء والبنين، قال: وأردت أن أرحلها، قال: الرجل أحق بأهله، قال: وشرطت لها دارها، قال: الشرط أملك، قال: فاحكم الآن بيننا، قال: قد فعلت، قال: فعلى من حكمت قال: على ابن

(١) والأطلس: الذي لا شعر في وجهه. والأربعة هم: عبد الله بن الزبير، وقيس بن سعد بن عبادة، والأحنف بن قيس الذي يضرب به المثل في الحلم، والقاضي شريح المذكور.

أمك، قال: بشهادة من قال: بشهادة ابن أخت خالتك [١].

وكان سبب تولية شريح القضاء أن عُمَر بْن الخطاب أخذ من رجل فرساً على سوم يحمل عليه رجلاً، فعطب الفرس فقالَ عُمَرُ: اجعل بيني وبينك رجلاً فقالَ: الرجل: اجعل بيني وبينك شريحاً العراقي فأتيا شريحاً فقال: يا أمير المؤمنين أخذته صحيحاً سليماً على سوم، فعليك أن ترده سليماً كما أخذته قال: فأعجبه ما قالَ: ثم بعثه قاضياً، ثم قال: ما وجدت في كتاب الله فالزم السنة فإن لم يك في السنة فاجتهد رأيك[٢].

وكانت وفاة القاضي شريح سنة سبع وثمانين للهجرة وهو ابن مائة سنة [٣].

ولما وقعت فتنة ابن الزبير اعتزل شريح القضاء، وقال: لا أقضي فبقي لا يقضي تسع سنين. ولما انصرف يوماً من مجلس قضائه، فاعترضه رجل فقال له: أما حان لك أن تخاف الله؟ كبرت سنك، وفسد ذهنك، فصارت الأمور تجوز عليك. فقال: والله، لا يقولها أحد بعدك. فلزم بيته حتى مات.

وكان شريح يقول للشاهدين: إنما يقضي على هذا الرجل أنتما، وإني لمتق بكما فاتقيا.

وكان إذا سأل كيف أصبحت؟ قال: أصبحت وشطر الناس علي غضاب.

وكان لشريح بيت يخلو فيه يوم الجمعة، لا يدري الناس ما يصنع

(١) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٢.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ١٩١.
(٣) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٤.

فيه.

ولبث شريح في فتنة ابن الزبير تسع سنين معتزلا لها لا يسأل عن أحداثها حتى لا يميل إلي أي طرف، فقيل له: قد سلمت. قال: كيف بالهوى.

عَنه قال: ما تخيرت ولا تخبرت يعني في الفتنة، ولا كلمت مسلماً ولا معاهداً منذ وقعت الفتنة، فقال له رجل: لو كنت مثلك لسرني أن أموت الآن، قال: فما تأمرني بما في قلبي ولم يلتق فئتان إلا سرني أن يغلب إحداهما (١).

وكان شريح شاعراً معجباً (٢).

وكان شريح إذا دخل السوق يقوم عند درج المسجد، فيقول: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ثم ينصرف.

وكان شريح يقبل الهدية ويثيب عليها.

مواقف من حياته رحمه الله

اذهب فأنت من أفضل الناس

وروي أن علياً ﷺ قال: اجمعوا لي القراء، فاجتمعوا في رحبة المسجد، فقال: إني أوشك أن أفارقكم، فجعل يسائلهم: ما تقولون في كذا ما تقولون في كذا وشريح ساكت، ثم سأله، فلما فرغ منهم قال: اذهب فأنت من أفضل الناس، أو من أفضل العرب.

رأيت رجالاً يضربون نساءهم

وتزوج شريح امرأة من بني تميم تسمى زينب، فنقم عليها شيئاً

(١) أخبار القضاة، ٢ / ١٨٩.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠١.

فضربها، ثم ندم وقال:

رأيت رجالاً يضـــربون نســـاءهم ::: فشلت يميني يوم أضـــرب زينبـــا

أأضربها من غير ذنب أتت به.. فما العدل مني ضرب من ليس مذنبا

فزينب شمس والنســـاء كواكـــب ::: إذا طلعت لم تبق منهن كوكبا وهكذا [١]

ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده

ويروى أن زياد بن أبيه كتب إلى معاوية بن أبي سفيان: " يا أمير المؤمنين، قد ضبطت لك العراق بشمالي، وفرغت يميني لطاعتك، فولني الحجاز "، فبلغ ذلك عبد الله ابن عمر ﷺ، وكان مقيماً بمكة، فقال: اللهم اشغل عنا يمين زياد، فأصابه الطاعون في يمينه، فجمع الأطباء واستشارهم، فأشاروا عليه بقطعها، فاستدعى القاضي شريحاً وعرض عليه ما أشار به الأطباء، فقال لهك لك رزق معلوم وأجل مقسوم وإني أكره إن كانت لك مدة أن تعيش في الدنيا بلا يمين، وإن كان قد دنا أجلك أن تلقى ربك مقطوع اليد فإذا سألك: لم قطعتها قلت: بغضاً في لقائك وفراراً من قضائك. فمات زياد من يومه، فلام الناس شريحاً على منعه من القطع، لبغضهم له، فقال: إنه استشارني والمستشار مؤتمن، ولولا الأمانة في المشورة لوددت أنه قطع يده يوماً ورجله يوماً وسائر جسده يوماً يوماً [٢].

وأنك وإياهم لعلى بساط واحد

وكتب شريح إلى أخ له هرب من الطاعون: أما بعد فإنك أنت الذي بعين من لا يعجزه من طلب ولا يفوته من هرب، والمكان الذي

(١) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٢.
(٢) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٣.

خلفته لم يعجل أمرءاً حمامه ولم يظلمه أيامه، وأنك وإياهم لعلى بساط واحد؛ إن المنتجع من غير ذي قدرة لقريب والسلام [١].

جاءوا أباهم عشاء يبكون

وعن الشعبي قال: شهدت شريحاً وجاءته امرأة تخاصم رجلاً فأرسلت عينيها فبكت، فقلت أنا: ما أظن هذه البائسة إلا مظلومة، فقال: يا شعبي أن إخوة يوسف عليه السلام جاءوا أباهم عشاء يبكون[٢].

أكان مؤمناً!

وسئل شريح عن الحجاج: أكان مؤمناً قال: نعم، بالطاغوت، كافراً بالله تعالى.

فإنهن النساء

عن الشعبي قال، قال لنا شريح: يا شعبي عليكم بنساء بني تميم فإنهن النساء، قلنا: وكيف ذلك يا أبا أمية؟ قال: رجعت يوماً من جنازةٍ مظهراً فمررت بخباءٍ فإذا بعجوز معها جارية رؤد، فاستسقيت فقالت: اللبن أعجب إليك أم الماء أم النبيذ؟ قال قلت: اللبن أعجب إلي. قالت: يا بنية اسقيه لبناً فإني أظنه غريباً، فسقتني، فلما شربت قلت: من هذه الجارية؟ قالت: هذه بنتي زينب بنت حدير إحدى نساء بني تميم ثم من بني حنظلة ثم من بني طهية، قلت: أتزوجينيها، قالت: نعم إن كنت كفؤنا، قال: فانصرفت إلى منزلي، فامتنعت من القيلولة، فلما صليت الظهر وجهت إلى إخواني الثقات: مسروق بن الأجدع والأسود بن يزيد فصليت العصر ثم رحت إلى عمها وهو في

---

(١) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٣.
(٢) وفيات الأعيان، ٢ / ٤٦٣.

مسجده، فلما رآني تنحى لي عن مجلسه، فقلت: أنت أحق بمجلسك، ونحن طالبو حاجةٍ، فقال: مرحباً بك يا أبا أمية، ما حاجتك؟ قلت: إني ذكرت زينب بنت أخيك، فقال: والله ما بها عنك رغبة ولا بك عنها مقصر، قال: وتكلمت فزوجني ثم انصرفت فما وصلت إلى منزلي حتى ندمت وقلت: ماذا صنعت بنفسي، فهممت أن أرسل إليها بطلاقها، ثم قلت: لا أجمع بين حمقتين، ولكني أضمها إلي، فإن رأيت ما أحب حمدت الله تعالى، وإن تكن الأخرى طلقتها. فأرسلت إليها بصداقها وكرامتها، فلما أهديت إلي وقام النساء عنها قلت: يا هذه إن من السنة إذا أهديت المرأة إلى زوجها أن تصلي ركعتين خلفه ويسألا الله عز وجل البركة، فقمت أصلي فإذا هي خلفي، فلما فرغت رجعت إلى مكانها، ومددت يدي فقالت: على رسلك، فقلت: إحداهن ورب الكعبة، فقالت: الحمد لله وصلى الله على محمد وآله، أما بعد، فإني امرأة غريبة، ولا والله ما ركبت مركباً هو أصعب علي من هذا، وأنت رجل لا أعرف أخلاقك، فخبرني بما تحب آته وبما تكره أزدجر عنه، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولك. قال فقلت: الحمد لله وصلى الله على محمد وآله، أما بعد فقد قدمت خير مقدمٍ، قدمت على أهل دارٍ زوجك سيد رجالهم، وأنت إن شاء الله سيدة نسائهم، أحب كذا وأكره كذا، قالت: فحدثني عن أختانك [(١)]، أتحب أن يزوروك؟ قال قلت: إني رجل قاضٍ وأكره أن يملوني، وأكره أن ينقطعوا عني، قال: فأقمت معها سنةً أنا كل يومٍ أشد سروراً مني باليوم الذي مضى، فرجعت يوماً من مجلس القضاء فإذا عجوز تأمر وتنهي في منزلي، فقلت: من هذه يا زينب؟ قالت: هذه ختنتك، هذه أمي، قلت: كيف حالك يا هذه؟ قالت: كيف حالك يا أبا

(١) أصهارك.

أمية، وكيف رأيت أهلك؟ قال قلت: كل الخير، قالت: إن المرأة لا تكون أسوأ خلقاً منها في حالتين: إذا ولدت غلاماً وإذا حظيت عند زوجها، فإن رابك من أهلك ريب فالسوط السوط، قلت: أشهد أنها ابنتك، قد كفيتني الرياضة وأحسنت الأدب. فكانت تجيئني في كل حولٍ مرةً فتوصي بهذه الوصية ثم تنصرف، فأقمت معها عشرين سنة ما غضبت عليها يوماً ولا ليلةً، إلا يوماً وكنت لها ظالماً وذلك أني ركعت ركعتي الفجر وأبصرت عقرباً فعجلت عن قتلها فكفأت عليها الإناء وبادرت إلى الصلاة وقلت: يا زينب إياك والإناء، فعجلت إليه فحركته فضربتها العقرب، فلو رأيتني يا شعبي وأنا أمص إصبعيها وأقرأ عليهما المعوذتين، وكان لي جار يقال له قيس بن جرير لا يزال يقرع مريئته، فعند ذلك أقول:

رأيت رجالاً يضربون نساءهم ::: فشلت يميني يوم أضرب زينبا

وأنا الذي أقول:

إذا زينب زارها أهلها ::: حشدت وأكرمت زوارها

وإن هي زارهم زرتها ::: وإن لم تكن لي هوى دارها

يا شعبي، فعليك بنساء بني تميم فإنهن النساء (١).

أحسنت

عن عامر، قال: جاءت امرأة إلى علي ﷺ تخاصم زوجها طلقها فقالت: قد حضت في شهرين ثلاث حيض. فقال علي لشريح: اقض بينهما: قال: يا أمير المؤمنين، وأنت هاهنا؟! قال: اقض بينهما. قال: إن جاءت من بطانة أهلها من يرضى دينه وأمانته يزعم أنها حاضت ثلاث حيض تطهر عند كل قرء، وتصلي، جاز لها، وإلا فلا. قال

(١) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ٣٧١.

علي: أحسنت.

ما الذي أحدثت في القضاء؟

عن أبي هاشم، أن فقيها جاء إلى شريح فقال: ما الذي أحدثت في القضاء؟ قال: إن الناس أحدثوا، فأحدثت.

قد علمت من أين أتيت

عن أبي حصين، قال: قال خصم لشريح: قد علمت من أين أتيت، فقال شريح: لعن الله الراشي والمرتشي والكاذب.

بل سنتكم بينكم

واختصم إليه غزالون، فقال بعضهم: إنه سنة بيننا، قال: بل سنتكم بينكم.

لا حبس عن فرائض الله

قال عطاء بن السائب: مر علينا شريح فقلت: رجل جعل داره حبسا على قرابته، قال: فأمر حبيبا، فقال: أسمع الرجل: لا حبس عن فرائض الله.

بل هو ولد هرتي

عن مجاهد قال: اختصم إلى شريح في ولد هرة، فقالت امرأة: هو ولد هرتي. وقالت الأخرى: بل هو ولد هرتي، فقال شريح: ألقها مع هذه، فإن هي قرت ودارت واسبطرت [١] فهي لها، وإن هي هرت وفرت واقشعرت، فليس لها.

---

(١) اسبطرت، أي امتدت للرضاع.

هو الذي أخرجها

قال أبو إسحاق السبيعي: خرجت قرحة بإبهام شريح، فقيل: ألا أريتها طبيبا؟ قال: هو الذي أخرجها.

فأحمد الله عليها أربع مرات

وعن الشعبي، قال شريح: إني لأصاب بالمصيبة، فأحمد الله عليها أربع مرات، أحمد إذ لم يكن أعظم منها، وأحمد إذ رزقني الصبر عليها، وأحمد إذ وفقني للاسترجاع لما أرجو من الثواب، وأحمد إذ لم يجعلها في ديني.

إنه ابنهما يرثهما ويرثانه

وعَن شريح: أن رجلين وقعاً على جارية في طهر واحد، فأتت بولد، فادعاه كلاهما، فكتب بذلك شريح على عُمَر فكتب: إنه ابنهما يرثهما ويرثانه، ولو بينا لبين لهما، وللباقي منهما ولكنهما لبسا فلبس عليهما فهو للباقي منهما [1].

أفي كتاب الله وجدت هَذَا أو في سنة رسول الله ﷺ ؟

عَن حكم بْن عقال، أن شريحاً أتى في امرأة تركت ابني عمها أحدهما زوجها والآخر أخوها، لأمها، فقالَ: شريح: للزوج النصف، وللأخ من الأم ما بقى، فارتفعوا إلى علي ﷺ فقالوا: إن شريحاً قال: كذا وكذا، قال: ادعوا لي العَبْد! فأتاه، فقال: أفي كتاب الله وجدت هَذَا أو في سنة رسول الله ﷺ قال: في كتاب الله؛ قالَ: الله:{وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ} [الأنفال: ٧٥]، قال: أفهو هَذَا؟ قالَ: علي: للزوج

(١) أخبار القضاة، ٢ / ١٩١.

النصف وللأخ السدس وما بقي بينهما [١].

قص فمثلك يقص

حَدَّثَنَا علي بْن عَبْد اللهِ بْن معاوية بْن ميسرة بْن شريح، قال: حَدَّثَنِيْ أبي، عَن أبيه، عَن ميسرة، عَن شريح قال: مررت مع علي بْن أبي طالب ﷺ في سوق الكوفة وفي يده لدرة وهو يقول: يا معشر التجار خذوا الحق وأعطوا الحق تسلموا لا تمنعوا قليل الربح فتحرموا كثيراً. حتى انتهى إِلى قاص يقص ونحن حديثو عهد برَسُوْلِ اللهِ ﷺ أما أني أسألك عَن مسألتين إن خرجت منهما، وإلا أوجعتك ضرباً، قال: فاسأل يا أمير المؤمنين قال: ما ثبات الإيمان وزواله؟ قال: ثبات الايمان الورع، وزواله الطمع، قال: قص فمثلك يقص.

هَذَا خبر ما عندنا

عَن شريح قال: مررت مع علي بْن أبي طالب على المقابر، فقال: يا أهل المقابر أما الديار فقد سكنت، وأما الأموال فقد اقتسمت، وأما الذراري فقد نكحت، هَذَا خبر ما عندنا، هاتوا خبر ما عندكم ثم التفت إلي فقال: لو أذن لهم في الجواب لقالوا:{وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيْرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقْوَىٰ} [البقرة: ١٩٧] [٢].

عمن أخذت هذه القصة؟

عَن شريح: قال: تقدمت إِلى شريح امرأة، فقالت: أيها القاضي أني جئتك مخاصمة، فقالَ لَهَا: وأين خصمك؟ قالت: أنت خصمي، فأخلى المجلس، قالَ: لها تكلمي، قالت: إني امرأة لي إحليل، ولي فرج، قال: قد كان لأمير المؤمنين في هَذَا قضية، ورث من حَيْثُ يجيء

(١) أخبار القضاة، ٢ / ١٩٣.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ١٩٦.

البول، قالت: إنه يجيء منهما جميعاً، قالَ: فانظري من أين يسبق، قالت ليس شيء منهما يسبق صاحبه إنما يجيئان في وقت، وينقطعان في وقت، قال: إنك لتخبريني بعجيب، قالت: وأخبرك بأعجب من ذلك، تزوجني ابن عم لي، فأخذ مني خادماً فوطئتها فأولجتها، وإنما جئتك لما ولد لي لتفرق بيني وبين زوجي، فقام من مجلس القضاء فدخل علي ﷺ، فأخبره، فقالَ: علي: علي بالمرأة، فأدخلت، فقال: أحق ما يقول القاضي؟ قالت: هو كما قال: قالَ: فدعا بزوجها، فقال: هذه امرأتك وابنة عمك؟ قال: نعم، قال: فعلمت ما كان؟ قال: نعم، قال: أخدمتها خادماً فوطئتها فأولدتها ثم وطئتها أنت بعد؟ قال: نعم، قال: لأنت أحسن من خاصي أسد، علي بدينار الخادم، وامرأتين فجيء بهم، فقال: خذوا هذه المرأة، إن كانت امرأة فادخلوها بيتاً وألبسوها ثياباً، وعدوا أضلاع جنبيها، ففعلوا، فقال: عدد الجنب الأيمن أحد عشر، وعدد الأيسر اثنا عشر؛ فقالَ: علي: الله أكبر فأمر لها برداء وحذاء وألحقها بالرجال.فقالَ: زوجها: يا أمير المؤمنين زوجتي وابنة عمي، فرقت بيني وبينها، فألحقتها بالرجال؛ عمن أخذت هذه القصة؟ قال: إني أخذتها عَن أبي آدم ﷺ. إن الله عز وجل خلق حواء، ضلع من أضلاع آدم فأضلاع الرجال، أقل من أضلاع النِّسَاء بضلع ثم أمر بهم فأخرجوا [١].

أما كان من رقعة تستر بها وجهك؟

عَن شريح، قال: كنت مع علي بْن أبي طالب في المسجد جالساً، فجاء رجل فشكا إليه الحاجة، وكثرة العيال، فقال: يا عَبْد اللهِ أما كان من رقعة تستر بها وجهك؟[٢]

(١) أخبار القضاة، ٢ / ١٩٦.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ١٩٨.

أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟

وروي أن علياً وجد درعاً له عند يهودي التقطها فعرفها فقال: درعي سقطت عن جمل لي أورق.فقال اليهودي: درعي وفي يدي، ثم قال اليهودي: بيني وبينك قاضي المسلمين، فاتيا شريحاً، فلما رأى شريح علياً قد أقبل تحرف عن موضعه وجلس علي عليه السلام فيه، ثم قال: لو كان خصمي من المسلمين لساويته في المجلس، ولكني سمعت رسول الله ﷺ يقول:﴿لا تساووهم في المجلس وألجئوهم إلى أضيق الطريق، فإنَّ سبوكم فاضربوهم، وإن ضربوكم فاقتلوهم﴾. ثم قال شريح: ما تشاء يا أمير المؤمنين؟ قال: درعي سقطت مني وعرفتها، قال شريح: يا يهودي ما تقول؟ قال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال شريح: صدقت والله يا أمير المؤمنين إنها لدرعك ولكن لا بد من شاهدين، فدعا قنبراً مولاه والحسن ابنه فشهدا إنها لدرعه، فقال شريح: أما شهادة مولاك فقد أجزناها، وأما شهادة ابنك فلا نجيزها.فقال علي: ثكلتك أمك، أما سمعت عمر بن الخطاب يقول: قال رسول الله ﷺ : الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة؟ قال: اللهم نعم، قال: أفلا تجيز شهادة سيد شباب أهل الجنة؟ والله لأوجهنك إلى بانقيا تقضي بين أهلها أربعين ليلة، ثم قال لليهودي: خذ الدرع. فقال اليهودي: أمير المؤمنين إنها لدرعك سقطت عن جمل أورق التقطتها، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فوهبها له وأجازه بتسعمائة، وقتل معه يوم صفين [١].

---

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠٠.

لئن رأيت أني لا أخطئ لبئس ما رأيت

كان شريح يطوف فجاء إليه رجل، فقال: كيف القضاء في كذا وكذا؟ قال: كذا وكذا فورب هذه البلية لقد قضيت علي بخلاف هَذَا! قال: فانتزع يده من يده، وقال: لئن رأيت أني لا أخطئ لبئس ما رأيت(١).

وما كان منذ أسكن أسكن منه الليلة

قال الأصمعي: مات ابن شريح، فلم يشعر بموته، ولم تصرخ عليه صارخة؛ فقيل له: يا أبا أمية، كيف ابنك؛ قال: قد سكن علزه، ورجاه أهله، وما كان منذ أسكن أسكن منه الليلة (٢).

أنت رجل تعرف نعمة الله على غيرك وتنساها من نفسك

عَن الشعبي؛ قال: جاء الأشعث بْن قيس إلى شريح في مجلس القضاء، فقال الأشعث: مرحباً بشيخنا وسيدنا ها هنا، ها هنا، فأجلسه معه فإذا رجل جالس بين يدي شريح فقال: مالك يا عَبْد اللهِ؟ قال: جئت أخاصم الأشعث بْن قيس؛ قال شريح للأشعث: قم مع خصمك؛ قال الأشعث: وما عليك أن تقضي وأنا ها هنا؛ قال شريح: قم قبل أن تقام، فقام الأشعث وهو مغضب؛ ثم قال: عهدي بك ياابن أم شريح وإن بثيابك السوس؛ قال شريح: أنت رجل تعرف نعمة الله على غيرك وتنساها من نفسك (٣).

لا نسب أموات قريش ولا نعصي أحياها

قال الهيثم بْن عدي: شهدت شريحاً، ودخل على الضحاك بْن قيس الفهري؛، فقال الضحاك: يا شريح هَلْ رأيت بناءً قط أحسن من هَذَا؟

---

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠٩.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢١٦.
(٣) أخبار القضاة، ٢ / ٢١٦.

قال: نعم قد رأيت ما هو أحسن من هَذا؛ قال: كذبت والله يا شريح؛ قالَ: شريح: سبحان الله! وأين السماء وما بناها؛ قال الضحاك: أقسم بالله لتسبن علي بْن أبي طالب؛ قال شريح: أقسم بالله لا أفعل؛ قال: لم؟ قال: لأنا لا نسب أموات قريش ولا نعصي أحياها؛ قال: جزاك الله خيراً (١).

أما كنتم فاعلين؟

قالَ: شريح: أرأيتم لو جاءكم ملك بوحي من السماء حتى إذا كان بحَيْثُ يسمعكم الصوت افترش أجنحته ثم قال: يأيها الناس!{لَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْۚ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا} [النساء: ٢٩]، أما كنتم فاعلين؟ قالوا: كنا والله متناهين، فقال: فقد جاءكم بها الملك أكرم ملائكة الله عليكم إلى أكرم أهل الأرض عليه (٢).

إياك والحنانة، إياك والمنانة، إياك والأنانة

قال يزيد بن إبراهيم الحوري: كان شريح إذا جلس للقضاء يجلس وعلى رأسه سيامان فجاءته امرأة برجل تزوجها، لها ولد من غيره يطلب النفقة، وكان شريح سمح الوجه، فلما جلس الرجل بين يديه ضحك، فقالَ لهُ شريح: أتضحك مني، لا أم لك؟ فقال: أصلحك الله ما مثلك يضحك منه ولكن أضحك من وصية أوصاني بها والدي، فخالفته إلى غيره؛ فقال: ما أوصاك به أبُوك؟ قال: أوصاني ألا أتزوج بذات الجلاوزة؛ فقال: شريح: فإذا كان في العشى فأتي إلي حتى أوصيك بوصايا تصلها إلى وصية أبيك؛ قال: أوصني ها هنا؛

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢١٣.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢١٦.

قال: إني لم أجلس ها هنا للحديث فلما كان العشى راح إليه، فقالَ لَهُ شريح: إياك والحنانة، إياك والمنانة، إياك والأنانة، إياك والنقارة، إياك والرقراقة، إياك والربور ربوق إياك وذات الجلاوزة، فقالَ لَهُ: أصلحك الله فسره لي؛ قال: أما الحنانة، فالمرأة التي كان لها زوج، فهي تحن إليه، وأما المنانة فهي التي تمن على زوجها بمالها، وأما الأنانة فهي التي تئن عند الجماع، وأما النقارة فهي التي إذا رآها زوجها تكون فوق سطحها، وأما الرقراقة فهي الصغيرة التي تفشي سر زوجها، وأما الرنق ورنوق فهي الرسحاء، وأما ذات الجلاوزة. فهي التي لها أولاد من غيره، قال: فأشر على قالَ: عليك بالزرق فإن لهن يمنا (١).

ألا أعلمتها الرجعة كما أعلمتها الطلاق؟

عَن عمير بْن يزيد؛ قال: كنت عند شريح، فجاء رجل وامرأته يختصمان؛ فقالت المرأة: طلقني ولم يعلمني الرجعة حتى انقضت العدة، فتزوجت رجلاً ودخل عليها زوجها؛ فقال: ألا أعلمتها الرجعة كما أعلمتها الطلاق؟ ولم يردها عليه (٢).

لم ترون ذلك؟

عَن الشعبي؛ قال: جاءت امرأة تخاصم زوجها إلى شريح في مهرها، وقد كانت قالت لزوجها: طلقني، ولك ما عليك، ففعل، فقالت: لا حتى تطلقني ثلاثاً، ففعل، فقالَ: جلساء شريح: أما امرأتك فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجاً غيرك ولا نرى مالك إلا قد ذهب؛ فقالَ: شريح: لم ترون ذلك؟ والله إن الإسلام إذاً أضيق من حد السيف؛ أما

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٢٢.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢٣٤.

امرأتك فقد حرمت عليك حتى تنكح زوجاً غيرك، وأما مالك فلك [١].

وأين ربح مثله؟

عَن شريح، قال: اختصم إليه رجلان في دار باعها أحدهما صاحبها فرد البيع فقالَ: الرجل: أين غلة داري؟ فقالَ: شريح: وأين ربح مثله؟

كيف رأيت؟

عَن الشعبي أن رجلاً شهد عند شريح فلما قام قالَ: للمشهود عليه: كيف رأيت؟ قالَ: فرد عليه شريح شهادته [٢].

ذاك أحرى ألاَّ تكون ظالماً

عَن الشعبي، قال: قالَ: رجل لشريح: ما خاصمت إليك قط إلا حكمت علي؛ قال: ذاك أحرى أن لا تكون ظالماً [٣].

إنهما قد اجتمعا على ألف.

- شهد رجلان عند شريح على رجل، فشهد أحدهما بألف وخمسمائة دينار وشهد الآخر بألف، فقضى شريح بأقل المالي، فقال الرجل: أتقضي علي وقد اختلفا؟ فقال شريح: إنهما قد اجتمعا على ألف.

أدخلوها داراً لها بابان

قال ابن سيرين: اشترى رجل بغلة فوجدها حمارة، فخاصم فيها إلى شريح فقال: أدخلوها داراً لها بابان ثم أخرجوا البغال من باب والحمير من باب، فإن اتبعت الحمير فهي حمارة، وإن اتبعت البغال فليست بحمارة.

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٤١.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢٤٥.
(٣) أخبار القضاة، ٢ / ٢٥٨.

اذهبي فداعبيه

قال هشام بن محمد: تزوج رجل ابنة عبد خياط، فولدت غلاماً فانتفى منه، فارتفعت إلى شريح فقال لها: اكشفي عن وجه الصبي فكشفت، فقال شريح: لو كنت حالفاً لحلفت أنه ابنك، ولكن الذي حملك على أن تتزوج ابنة عبد خياط، وأنت رجل من العرب في شرف من العطاء هو الذي حملك على أن تنتفي منه؛ اذهبي فداعبيه [1].

قول شريح في الجراد

قال عامر: سئل شريح القاضي عن الجراد قال: قبح الله الجرادة فيها خلقة سبعة جبابرة: رأسها رأس فرس وعنقها عنق ثور وصدرها صدر أسد وجناحها جناح نسر ورجلاها رجلا جمل وذنبها ذنب حية وبطنها بطن عقوب [2].

لم ثنّيت عليه الضرب؟

قال: وكان لشريح القاضي ابن يكثر البطالة فنظر إليه شريح يوماً وهو يهارش بكلب له فكتب رقعة إلى معلمه وفيها هذه الأبيات:

ترك الصلاة لأكلب يسعى بها ::: طلب الهراش مع الغواة الرُّجس
فإذا أتاك فغطِّه بملامة ::: وعظته موعظة الرفيق الأكيس
فإذا هممت بضربه فبدرةٍ ::: وإذا ضربت بها ثلاثاً فاحبس
وليحملن مني إليك صحيفةً ::: نكراء مثل صحيفة المتلمّس
اعلم بأنك ما أتيت فنفسه ::: مع ما يجرّعني أعزُّ الأنفس

فضربه المعلم عشراً عشراً. فقال له شريح: لم ثنّيت عليه الضرب؟ فقال: العشر الأولى للبطالة والثانية للبلادة حيث لا

---

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ص ٣٠، ٢٠٢.
(٢) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١/ ٣٥٩.

يدري ما يحمل[١].

تركته يأمر وينهي

وخرج شريح من عند زياد وهو يجود بنفسه، فقيل له كيف تركت الأمير؟ قال: تركته يأمر وينهي يوهمهم أنه لا بأس عليه فلم يلبثوا أن نعى لهم، فقيل له في ذلك فقال: نعم تركته يأمر بالوصيّة وينهى عن البكاء [٢].

أحب الأشياء إليه الخبز واللحم؟

شهد رجل عند شريح فقال المشهود عليه: أتقبل شهادته وأن أحب الأشياء إليه الخبز واللحم؟ فتوقف في إمضاء شهادته فقيل له: لمَ توقفت؟ فقال: إنه يعني أنه يشهد بأكلة [٣].

لا خير فيها إذن!.

عن محمد بن سيرين، قال: كان رجل عياب فأبصر بغلة تحت شريح، فقال: أبا أمية، إن بغلتك لفارهة! قال: إنها إذا ربضت لم تقم حتى تبعث. قال: لا خير فيها إذن! [٤].

وعد خيراً

قال الأعمش: اشتكى شريح رجله فطلاها بالعسل وجلس في الشمس فدخل عليه عواده فقالوا: كيف تجدك؟ قال: صالحاً، فقالوا: ألا أريتها الطبيب؟ فقال: قد فعلت فقالوا: فما قال لك؟ قال: وعد خيراً.

---

(١) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٢٤٧.
(٢) الميمني، سمط اللآلي، ص ٦٨.
(٣) محاضرات الأدباء، ١ / ٧، ٩٣، ٢٥٢ و٢ / ٥٢.
(٤) الجاحظ، البغال، ص٥.

هل رأيت البرق قط؟

عرض شريح ناقة للبيع فقال له المشتري: كيف غزارتها؟ قال: احلب في أي إناء شئت، قال: فكيف وثاقها؟ قال: احمل على حائط ما شئت، قال: كيف وطاؤها؟ قال: افرش ونم، قال: كيف نجاؤها؟ قال: هل رأيت البرق قط؟

ما كنت أرى أن أحدًا هكذا بقي

عن الشعبي، قال: جاء رجلان إلى شريح، فقال أحدهما: اشتريتُ من هذا دارًا فوجدتُ فيها عشرة آلاف درهم، فقال: خذها، فقال له: إنما اشتريتُ الدارَ.

فقال للبائع: فخذها أنت، فقال له: ولم وقد بعته الدار بما فيها فأدار الأمر بينهما.

فأتى الوالي زياد بن أبيه فأخبره، فقال: ما كنت أرى أن أحدًا هكذا بقي، وقال لشريح: أدخل بيت المال فألق في كل جراب قبضة حتى تكون للمسلمين.

انج بنفسك

تزوج بعض الخصيان في زمن شريح بامرأة، فأتت بولد، فتبرأ الخصي منه، فترافعا إلى شريح فألحق الولد به وألزمه أن يحمله على تلك الحال. فاستقبله خصي آخر، فقال: انج بنفسك فإن شريحاً يريد أن يفرق أولاد الزنا على الخصيان [١].

مَن هم يا أَبا أمية؟

ومرّ شريح بمجلس بهمدان فسلّم فردّوا عليه وقاموا ورحبّوا به فقال:

---

(١) التذكرة الحمدونية، ١ / ١١٠، ١٥٦، ٣ /٣٩، ٣ /٢١٥.

يا معشر همدان إني لأعرف أهل بيت منكم لا يَحِلّ لهم الكذب فقالوا: مَن هم يا أبا أمية؟ فقال: ما أنا بالذي يخبركم فجعلوا يسألونه وتبعوه ميلاً أو قريباً منه ويقولون له: من هم؟ وهو يقول: لا أُخبركم فانصرفوا عنه يتلهفون: ليته أخبرنا بهم (١).

فعلى من قضيت؟

قيل: أتى عدي بن أرطاة شريحاً القاضي ومعه امرأة له من أهل الكوفة يخاصمها إليه، فلما جلس عدي بين يدي شريح، قال عدي: أين أنت؟ قال: بينك وبين الحائط. قال: إني امرؤ من أهل الشام، قال: بعيد الدار. قال: وإني قدمت العراق، قال: خير مقدم. قال: وتزوجت هذه المرأة، قال: بالرفاء والبنين. قال: وإنها ولدت غلاماً، قال: ليهنك الفارس. قال: وقد أردت أن أنقلها إلى داري، قال: المرء أحق بأهله. قال: كنت شرطت لها دارها، قال: الشرط أملك. قال: اقض بيننا، قال: قد فعلت. قال: فعلى من قضيت؟ قال: على ابن أمك (٢).

من كلامه رحمه الله:

- عَن أبي حصين، قال: كان شريح إذا قيل له: ممن أنت؟ قال: ممن أنعم الله عليه بالإسلام عديد كندة.

- عَن شريح، عَن عُمَر، قال: لا تغالوا بصدقات النِّسَاء، فإنها لو كانت مكرمة عند الله، أو تقوى، كان أحقكم بها رسول الله ﷺ، والله ما أصدق رسول الله أحداً من نسائه، ولا أصدق أحدا من بناته أكثر من اثنى عشر أوقية.

(١) أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم - بيروت - ١٤١٨ هـ ١٩٧٧م، ص ٩٠.
(٢) نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣/١٥٠، ٤ / ١١.

- عَن شريح قال: كتب إلَى عُمَر: بخمس من صوافي الأمراء، إن الاسنان سواء والأصابع سواء، وفي عين الدابة ربع ثمنها، وإن الرجل يسأل عند موته عَن ولده، فأصدق ما يكون عند موته، وجراحة الرجال والنِّسَاء سواء إلى ثلث دية الرجل.

- وعَن الشعبي قال: كتب شريح إلَى عُمَر في رجل أهدى إلَى رجل هدية، فماتا جميعاً، فكتب إليه عُمَر: إن كانت الهدية فضلت، والمهدى إليه حي، فهي لورثة المهدى له، وإن لم تفضل فهي لورثة المهدي [١].

- عَن شريح؛ قال: قالَ: شريح: ما هاجت ريح قط إلا بسقم صحيح أو بشفاء سقيم [٢].

- وكانت كلمة شريح: إنما نحن بالله وله.

- مطل الغنى ظلم.

- عَن الشعبي، أن شريحاً قال: ما التقى رجلان قط إلا بدأ بالسلام أولاهما بالله.

- عَن الشعبي؛ قال: كان شريح يقول: خصمك داؤك، وشهودك شفاؤك، ولا نعنت الشهود، ولا نفهم الخصوم، ولم نسلط على إشعاركم ولا إنصاركم، إنما سلطان أن نقضي بينكم، فمن سلم لقضائنا فيها ونعمت، ومن لا أمرنا به إلَى السجن حتى يسلم لقضائنا [٣].

عَن الشعبي، قالَ: كان شريح يورث الأسير، ويقول: إنه أحوج ما يكون إلَى نصيبه في الميراث إذا كان أسيراً في يد العدو، فإما أن

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠١.
(٢) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠٩.
(٣) أخبار القضاة، ٢ / ٢٣٠.

يفادوه، حتى يجيء ما جاء [١].

- عَن شريح؛ قال: البيعان بالخيار ما لم يفترقا.

- عَـن شـريح، أنـه قـالَ: لا شـفعة ليهـودي، ولا نصـراني، ولا لمجوسي، على مسلم.

- قال الشيباني: أخبرني صديق لي قال: سمعني شريح وأنا أشتكي بعض ما غمني إلى صديق لي، فأخذ بيدي وقال: يا بن أخي إياك والشكوى إلى غير الله! فإنه لا يخلو من تشكو إليه أن يكون صديقاً أو عدواً، فأما الصديق فتحزنه ولا ينفعك، وأما العدو فيشمت بك.

- وعَن شريح، قال: الشفعة للحيطان.

- مرَّ شريحٌ بقومٍ وهم يلعبون فقال: ما لكم؟! قالوا: فرغنا يا أبا أمية! قال: ما بهذا أمر الفارغ [٢].

- عَن الشعبي، قال: كان شريح يجيز شهادة، كل ملة على ملتها، ولا يجيز شهادة اليهودي، على النصراني، ولا النصراني على اليهودي، إلا المسلمين فإنه كان يجيز شهادتهم على الملل كلها.

- عَن شريح؛ قال: المسلمون عند شروطهم ما لم يعص الله [٣].

- كان شريح إذا جلس للقضاء يلهج بهولاء الكلمات: سيعلم الظالمون حظ من نقصوا، إن الظالم ينتظر العقاب، وإن المظلوم ينتظر النصر.

---

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٤٥.

(٢) عن شعبة حدثنا سعيد الجريري قال غنيم بن قيس: كنا نتواعظ في أول الإسلام: ابن آدم اعمل في فراغك لشغلك وفي شبابك لهرمك وفي صحتك لمرضك وفي دنياك لآخرتك وفي حياتك لموتك.

(٣) أخبار القضاة، ٢ / ٢٧٥.

يقال: كان من دعاء شريح: اللهم إني أسألك الجنة بلا عمل عملته. وأعوذ بك من النار بلا ذنب تركته [(١)].

- وكان شريح يقول إذا ما أتاه الشاهدان: ما دعوتكما ولا أنهاكما أن ترجعا إن شئتما، وما أنا أقضي على هذا المسلم، إن يقض عليه إلا خيركما، وإني متق بكما فاتقيا [(٢)].

- وقال شريح: الحلم كنز موقر، والحليم مطية الجهول [(٣)].

- قال شريح: لئن أزاول الأحمق أحب إلي من أزاول نصف الأحمق؛ قيل: يا أبا أمية ومن نصف الأحمق؟ قال: الأحمق المتعاقل.

- قال شريح لرجل: يا عبد الله دع ما يريبك إلى ما لا يريبك فوالله لا تدع من ذلك شيئاً فتجد فقده.

- عن محمد بن سيرين أن رجلاً شهد عند شريح فقال: (أشهد بشهادة الله)؛ فقال له شريح: لا تشهد بشهادة الله، ولكن اشهد بشهادتك، فإن الله لا يشهد إلا على حق.

- كان شريح يقول: ما التقى رجلان قط إلا بدأ بالسلام أفضلهما، قال الشعبي: فكان قل ما سبق أحد شريحاً بالسلام.

- قال شريح: من سأل حاجة فقد عرض نفسه على الرق، فإن قضاها المسؤول استعبده بها، وإن رده رجع حراً، وهما ذليلان، هذا بذل اللؤم وهذا بذل السؤال [(٤)].

---

(١) أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، ص ٣٠، ٢٠٢.
(٢) البصائر والذخائر، ٦ / ٣١.
(٣) الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١/ ١٣٤.
(٤) محاضرات الأدباء، ١ / ٧، ٩٣، ٢٥٢، ٢ / ٥٢.

ومن شعره رحمه الله:

تصوبن واستصعدن حـــتى كأنمـــا ::: يطأن برضراض الحصى جاحم الجمر

ألا كل من يدعى حبيباً، لو بـــدت ::: مروته يفدي حبيـــب بـــني فهـــر

همام يقـــود الخيـــل حتىءزيرهـــا ::: حياض المنايا لا تبيت علـــى وتـــر

قمبطن واســـتبعدن حـــتى كأنمـــا ::: يطأن برضراض الحصى جاحم الجمر[1]

و من قول شريح:

رأيت رجالاً يضـــربون نســـاءهم ::: فشلت يميني يوم أضـــرب زينبـــا

وسبب قوله هَذَا البيت، ما حَدَّثَنِيْ عُمَر بْن مُحَمَّد بْن عَبْد الحكم، قال: حَدَّثَنَا صلت بْن مسعود، قال: حَدَّثَنَا سُفْيَان بْن موسى الحرمي، وعَن شريح، قالَ: تقدمت إلي امرأة معها ابن لها بعد موت الأب وتزويج الأم وقالت:

أبـــــا ميـــــــة أتينـــــــاك ::: وأنـــــــت المـــــــرء يأتيـــــــه

أتـــــــاك ابـــــــني وأمـــــــاه ::: وكلتانـــــــــا تفديـــــــــــه

غـــــــلام هالـــــــك الـــــــوال ::: د أرجـــــــــو أن أربيـــــــــه

تزوجـــــــــــت فهاتيـــــــــــه ::: ولا يـــــــذهب بـــــــك التيـــــــه

فلـــــــو كنـــــــت تأيمـــــــت ::: لـــــــه نازعتـــــــها فيـــــــه

ألا أيهـــــــــا الحـــــــــاك ::: ـــــــم هـــــــذي قصـــــــتي فيـــــــه

فقالت الأم:

ألا أيهـــــــــا الحـــــــــاكم ::: قـــــــد قالـــــــت لـــــــك الجـــــــدة

مقـــــــالاً فاســـــــتمع مـــــــني ::: ولا تـــــــــــــــــرهقني رده

غـــــــلام هالـــــــك الـــــــوال ::: د يتـــــــيم ضـــــــائع الوحـــــــده

تزوجـــــــــــت رجـــــــــــاء الخ ::: يـــــــر مـــــــن يحســـــــن لي رفـــــــده

---

(١) زعم ابن الكلبي، عَن أبيه، أن شريحاً قالَ: هذه الأبيات؛ لما بعث معاوية حبيب بْن سلكة الفهري لنصرة عُثمَان فلم يدركه حتى قتل.

فكيــــف الصــــبر عَــــن ابــــني ::: وكبــــدي حملــــت كبــــده

فَقَالَ: شريح:

قد سمع الحاكم مــا قــد قلتمــا ::: ثم قضــى بينكمــا ثم فصــل

وبقضــاء جــائز بينكمــا ::: إن على الحاكم جهــداً إن عقــل

أيتــها الجــدة بــيني بالصــبي ::: ثم خذي ابنك مــن ذات العلــل

فإنهــا لــو صــبرت كــان لهــا ::: من بعــد دعواهــا يمــين البــدل

حَدَّثَنَا أَحْمَد بْن منصور الرمادي، قال: حَدَّثَنَا أَبُو سلمة، قال: حَدَّثَنَا أَبُو عوانة، عَن أشعث بْن سليمان؛ أن جده وأمه اختصما إِلَى شريح في صبي فقالت الجدة:

أباميــــة أتينــــاك ::: وأنــــت المــــرء نأتيــــه

أتــــاك ابــــني وأمــــاه ::: وكلتانــــا تفدّيــــه

فلــــو كنــــت تأيمــــت ::: لمــــا نازعتــــك فيــــه

تزوجــــت فهاتيــــه ::: ولا يــــذهب بــــه التيــــه

ألا يأيهــــا القاضــــي ::: هــــذي قصــــتي فيــــه

فقالت الأم:

ألا يأيهــــا القاضــــي ::: قــــد قالــــت لــــك الجــــدة

مقــــالاً فاســــتمع مــــني ::: ولا تنظــــروني رده

أعــــزي الــــنفس عَــــن ابــــني ::: وكبــــدي حملــــت كبــــده

فلمــــا كــــان في حجــــري ::: يتيمــــاً ضــــائعاً وحــــده

تزوجــــت رجــــاء الخــــير ::: مــــن يكلــــف لي رفــــده

ومــــن يظهــــر لي الــــود ::: ومــــن يكفــــيني فقــــده

فقالَ: شريح:

قد سمع الحاكم ما قد قلتما ::: ثم قضى بينكما ثم فصل
هَذَا قضاء جائز بينكما ::: إن على القاضي لجهد إن عقل
فَقَالَ: للجدة بيني بالصبي ::: ثم خذي ابنك من ذات العلل
فإنها لو صبرت كان لها ::: من قبل دعواه يتبعها البدل

- وكان شريح ربما سئل عَن الشعر، فقالَ: يوماً:

أبر على الدنيا الملامة إنه ::: حريص على استخلاصها من يلومها[1]
يلومها[1]

* * *

(١) أخبار القضاة، ٢ / ٢٠٨.

عَبْد اللهِ بْن شُبْرُمَة

أعـــلام القضــــاء

عَبْد اللهِ بْن شُبْرُمَةَ

الإمام العلامة، فقيه العراق أبو شبرمة. قاضي الكوفة عبد الله بن شبرمة بن الطفيل بن حسان بن المنذر من بني بكر بن سعد بن ضبة. شاعر، وفقيه.

ولد في أواخر عهد معاوية، ونشأ على حفظ القرآن ورواية السنة.

عَن مغيرة قالَ: كان ابن شُبْرُمَة لي صديقاً فلما ولي القضاء قالَ: لا تكلمني في شيء من أمر القضاء.

تولى قضاء الكوفة زمن يوسف بن عمر أحد ولاة أبي جعفر المنصور (١).

لما ولي القضاء دخل المسجد فصلي أربع ركعات قبل أن يجلس ثم سلم وقالَ: اللهم إن هَذا المجلس كنت أشتهيه وأتمناه عليك اللهم فكما ابتليتني به فسلمني منه وأعني عليه ثم بكى حتى بل بدموعه خرقة كانت في يده.

حدث عن أنس بن مالك، وأبي الطفيل عامر بن واثلة، وأبي وائل شقيق، وعامر الشعبي، وأبي سلمة بن عبد الرحمن، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة، وإبراهيم التيمي، وإبراهيم النخعي، وسالم بن عبد الله، والحسن البصري، ونافع، وسالم بن أبي الجعد، وعبد الله بن شداد بن الهاد، وأبي زرعة، وطائفة.

وحدث عنه: الثوري، والحسن بن صالح، وابن المبارك، وهشيم، وعبد الواحد بن زياد، وسفيان بن عيينة، وعبد الوارث بن سعيد، وأحمد بن بشير، ووهيب بن خالد، وشعيب بن صفوان، وخلق

(١) مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد الجزري ابن الأثير، جامع الأصول في أحاديث الرسول، تحقيق: عبد القادر الأرنؤوط، مكتبة الحلواني - مطبعة الملاح - مكتبة دار البيان، الطبعة الأولى، ١٢ / ٦٦٦.

سواهم.

وثقه أحمد بن حنبل، وأبو حاتم الرازي، وغيرهما. وكان من أئمة الفروع، وأما الحديث، فما هو بالمكثر منه، له نحو من ستين أو سبعين حديثا.

وقد أثني عليه معاصروه من المحدثين والفقهاء وأرباب العلوم فقد قال أحمد بن عبد الله العجلي: كان ابن شبرمة عفيفا صارما، عاقلا، خيرا، يشبه النساك. وكان شاعرا، كريما، جوادا. له نحو من خمسين حديثا.

وروى ابن فضيل، عن ابن شبرمة قال: كنت إذا اجتمعت أنا والحارث العكلي على مسألة لم نبال من خالفنا.

وقال فضيل بن غزوان: كنا نجلس أنا وابن شبرمة، والحارث بن يزيد العكلي، والمغيرة، والقعقاع بن يزيد بالليل نتذاكر الفقه، فربما لم نقم حتى نسمع النداء بالفجر.

وقال عبد الوارث: ما رأيت أحدا أسرع جوابا من ابن شبرمة.

وقال معمر: رأيت ابن شبرمة إذا قال له الرجل: جعلت فداك، يغضب، ويقول: قل: غفر الله لك (١).

مواقف من حياته – رحمه الله –:

فاكفني شر عواقبه

لما ولي عبد الله بن شبرمة القضاء قال: اللهم إنك تعلم أني لم أجلس

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٥٠/٦، التاريخ الكبير للبخارى ٥/ ٣٤٩ الجرح والتعديل ٥/ ٣٨١، سير أعلام النبلاء ٣٤٧/٦، ميزان الاعتدال ٢/ ٤٣٧٥، تاريخ الإسلام ٨٨/٦، تهذيب التهذيب لابن حجر ٢٥٠/٥، ٢٥١. تقريب التهذيب (٣٣٨٠)، وقال: شبرمة بضم المعجمة وسكون الموحدة وضم الراء.

هذا المجلس لأني أحبه وأشتهيه، فاكفني شر عواقبه [١].

قتلني الله إن لم أقتل الأعرابي

قال أحمد العجلي: كان والي الكوفة عيسى بن موسى لا يقطع أمرا دون ابن شبرمة. قال: فبعث أبو جعفر المنصور إلى عيسى بعمه عبد الله بن علي ليحبسه، ثم كتب إليه أن اقتله، فإنه.. وإنه.. فاستشار ابن شبرمة، فقال له: لم يرد المنصور غيرك؟! وكان عيسى ولي العهد. فقال: ما ترى؟ قال: احبسه واكتب إليه أنك قتلته. ففعل. فجاء أخوه عبد الله إلى عيسى فقال: إن أمير المؤمنين كتب إلي أن اقتله، فقد قتلته، فرجعوا إلى أبي جعفر فقال: كذب، لأقيدنه به. فارتفعوا إلى القاضي. فلما حققوا على عيسى أخرجه إليهم. فقال أبو جعفر: قتلني الله إن لم أقتل الأعرابي - يريد ابن شبرمة - فإن عيسى لا يعرف هذا. قال: فما زال ابن شبرمة مختفيا حتى مات بخراسان. سيره إليها عيسى بن موسى.

روى ابن فضيل عن أبيه، قال: كان ابن شبرمة، ومغيرة، والحارث العكلي يسهرون في الفقه، فربما لم يقوموا إلى الفجر. توفي سنة أربع وأربعين ومائة أرخه أبو نعيم والمدائني.

ما في القضاء شفاعةٌ لمخاصم

قال زهير بن حرب عن جرير: قضى ابن شبرمة بقضيةٍ، فبلغه أنَّ بعض من كان بينه وبينه وحشة تكلَّم فيها، فقال ابن شبرمة:

ما في القضاء شفاعةٌ لمخاصم ::: عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم
أهون عليَّ إذا قضيت بسنَّةٍ ::: أو بالكتاب برغم أنف الراغم
وقضيت في ما لم أجد أثراً به ::: بنظائرٍ معروفةٍ ومعالم

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ١٩٤، ٣٧١، ٤٠٨.

والله لولا أني أصيب منك

قال ابن شبرمة: رأيت الشعبي وهو داخل المسجد يريد إلى جرير، فأعطيته يدي فقلت له: والله لولا أني أصيب منك أفضل مما تصيب مني ما أعطيتك يدي.

انظر فيها وتثبت

سئل ابن شبرمة عن مسألة فأفتى فيها فلم يصب. فقال له نوح بن دراج: انظر فيها وتثبت يا أبا شبرمة. فعرف إنه لم يصبن فقال ابن شبرمة: ردوا علي الرجل. ثم أنشأ يقول:

كادت تزل به من حالق قدم ::: لولا تداركها نوح بن دراج

تقوّم حاملاً وتقوّم حائلاً ويغرم قدر ما بينها

عن معمر قال: لما عزل ابن شبرمة عن القضاء قال له والي اليمن: اختر لنا رجلاً نوليه القضاء. فقال له ابن شبرمة: ما أعرفه. فذكر له رجل من أهل صنعاء فأرسل إليه فجاء، فقال له ابن شبرمة: هل تدري لم دعيت؟ قال: لا. قال: إنك قد دعيت لأمر عظيم، للقضاء. قال: ما أيسر القضاء! فقال له ابن شبرمة: فنسئلك عن شيء يسير منه. قال: سل. قال له ابن شبرمة: ما تقول في رجل ضرب بطن شاة حامل فألقت ما في بطنهم؟ فسكت الرجل، فقال له ابن شبرمة: أنا بلونك فما وجدنا عندك شيئاً. فقيل له ما القضاء فيهم؟ قال ابن شبرمة: تقوّم حاملاً وتقوّم حائلاً ويغرم قدر ما بينها.

فأما الحرام فلا سبيل إليه

- عن معمر قال: لما عزلوه شيعته - يعني ابن شبرمة - وكان ولي القضاء. قال: فلما انصرف الناس وأفردني وإياه المسير ولم يكن معنا أحد نظر إلي فقال: يا أبا عروة أحمد الله أما أني لم أستبدل بقميصي

هذا قميصاً منذ دخلتها. قال: ثم سكت ساعة فقال لي: يا أبا عروة إنما أقول لك الحلال فأما الحرام فلا سبيل إليه.

نذر أن يطلق امرأته؟

عن ابن شبرمة قال: سئل الشعبي عن رجل نذر أن يطلق امرأته؟ فقال: ليس بشيء. قال: قال ابن شبرمة: فأنا نهيت الشعبي، فقال الشعبي: ردوا علي الرجل فقال له نذرك في عنقك إلى يوم القيامة.

إن كان يقوله فقد جن

حدثنا سفيان قال: ثنا ابن شبرمة قال: رأيت الشعبي وهو داخل المسجد يريد إلى جرير فأعطيته يدي قلت له: والله لولا أني أصيب منك أفضل مما تصيب مني ما أعطيتك يدي، ما تقول في قوم محرمين أشار بعضهم إلى صيد وصاد بعضهم؟ فقال: على كل واحد منهم عدلة. قال ابن شبرمة: فقلت له: فأن حماداً يقول عليهم جزاء واحد. فقام الشعبي وكنا نمشي فقال: بالله يقوله!؟ قلت: نعم. قال: إن كان يقوله فقد جن. قال: ابن شبرمة: ثم أتيت مجلساً كنا نجلسه فيه هبيرة وشباك والحارث العكلي ولم يكن أحد من أصحابي أشد علي خلافاً منه، وأخبرته بما قال الشعبي وبما قال حماد. فقال: القول ما قال حماد عليهم جزاء واحد، ألا ترى أن قوماً لو قتلوا رجلاً خطأ لم يكن عليهم إلا دية واحدة. فقلت أنا: بل القول ما قال الشعبي على كل واحد منهم جزاء، ألا ترى أن قوماً لو قتلوا رجلاً خطأ كان على كل واحد منهم كفارة عتق رقبة. قال ابن شبرمة: فقاس الشعبي على الكفارة وقاس حماد والحارث على الدية.

وأنت أيضاً ممن ينظر ولا تغير!.

- عن عمار الدهني قال: مررت على ماهان الحنفي [١]حين صلب والناس ينظرون إليه، قال: فقال لي: يا عمار وأنت أيضاً ممن ينظر ولا تغير! [٢].

من قضاء ابن شبرمة

أتى رجل ابن شبرمة بقوم يشهدون له على قراح فيه نخل، فشهدوا وكانوا عدولاً فسألهم: كم في القراح من نخلة؟ قالوا: لا نعلم. فردّ شهم دتهم. فقال له رجل منهم: أنت تقضي في هذا المسجد منذ ثلاثين سنة، فأعلمنا: كم فيه من أسطوانة؟ فأجازهم.

سحابة صيف عن قريب تقشّع

ومر طارقٌ صاحب شرطةٌ خالد القسري بابن شبرمة، وطارق في موكبه فقال ابن شبرمة:

أراهم وإن كانت تحبّ كأنهم ::: سحابة صيف عن قريب تقشّع

اللهم لي ديني ولهم دنياهم. فاستعمل ابن شبرمة بعد ذلك على القضاء، فقال له ابنه: أتذكر يوم مرّ بك طارق في موكبه وقلت ما قلت؟ فقال: يا بني، إنهم يجدون مثل أبيك ولا يجد مثلهم أبوك. إن أباك أكل من حلوائهم وحط في أهوائهم [٣].

وقد كانت مع أمير المؤمنين

قال جبلة بن محمد بن جبلة: لما دخل أبو مسلم الكوفة أمر أن يكون

---

(١) صلبه الحجاج بن يوسف الثقفي وأمر بطعنه وهو يسبح.
(٢) أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي (المتوفى: ٣٤٧هـ)، المعرفة والتاريخ، المحقق: خليل المنصور، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، ٢ / ٣٤٨.
(٣) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ١ / ٢٣، ٢٦، ٢٨، ٢٩.

إلى جانبه رجل تعرفه الناس، فجاءوه برجل فلقيه عبد الله بن شبرمة الضبي، فسلم عليه ودعا له فأقبل عليه لجلالته وفصاحته، فقال له الرجل هذا ابن شبرمة الضبي، قال فزوى وجهه عنه ففطن ابن شبرمة لذلك، وقال قلت في نفسي ذكر والله يوم الجمل، فقلت أيها الأمير إني من ضبة الكوفة ولست من ضبة البصرة، وقد كانت مع أمير المؤمنين علي عليه السلام يوم الجمل تقاتل ضبة البصرة، قال فأقبل عليَّ وقال كن معنا فسايرته إلى أن نزل وأمرني فنزلت، فدخلت معه بيتاً فيه سيف ومصحف، فقال يا بن شبرمة إن هذا يريد المصحف يأمرني بهذا يريد السيف فقلت قد علم الأمير أن هذا ينهاه عن هذا إلا في حقه، قال صدقت، ثم كتب كتاباً إلى عبد الله بن علي يحضه فيه على صلة الرحم وجمع الألفة والبيعة لابن أخيه المنصور، ويرغبه ويرهبه، فلما فرغ منه قال لي انظر فيه فنظرت فإذا هو لم يبق غاية، فقال زد فيه شيئاً يا ابن شبرمة، قال فلم أر للزيادة وجهاً إلا أن يكون شعراً فقلت:

قُلْ لأخِي مُكاشَرَةٍ وَضِغْنٍ ::: سَعَرْتَ الْحَربَ بَيْنَ بَني أبيكا
فَأَوْرَثْتَ الضَّغائِنَ مِنْ بَنِيهِمْ ::: بَني أَبْنائِهِمْ وَبَني بَنيكا
وَلَوْ طاوَعْتَنِي وَقَبِلْتَ رَأْيي ::: لَسَرْتَ لَهُمْ بسِيرَةِ أَوَّليكا
وَأَقْرَرْتَ الخِلافَةَ حَيْثُ حَلَّتْ ::: وَلَمْ تَعْرِضْ لِمُلْكِ بَني أَخِيكا
كَأَنَّك قَدْ أصابَكَ سَهْمُ غَرْبٍ ::: وَغادَرَكَ الْعُداةُ وَأَسْلَمُوكا

فقرأه فاستحسنه، وأنفذ الكتاب، فعاد الجواب من عبد الله ابن علي:

ذَرِيني وما جَرَّتْ عَلَى يَدَ الدَّهْرِ ::: فَما يَصْعُبُ الأمْرُ المَهولَ عَلَى حُرٍّ
يَرَى الْمَوتَ لا يَنْحاشُ عَنْهُ تُكَرُّماً ::: وَصَبْراً وإنْ كانَ الْقِيامُ علَى الْجَمْرِ
حِفاظاً لِما قَدْ وَرَّثَتْنا جُدُودُنا ::: وَصَبْراً وَمَا لِلْمَرءِ خيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ

بِذَلِكَ أَوْصانَا الْكِرامُ وَلَمْ نَزَلْعَلَى ::: تِلْكَ نَمْضِي لا نَضِجُّ مِنَ الدَّهْرِ

إن كانت لهم حلالاً فهي عليكم حرام

قال عبد الرحمن الأوزاعي: بعث إلى عبد الله بن علي وأعظمني ذلك واشتد على فأقدمت وأدخلت عليه والناس قيام سماطين بين يديه في أيديهم المكافر كوبات فأدناني ثم قال لي يا عبد الرحمن ما تقول في مخرجنا هذا؟ فقلت أصلح الله الأمير قد كانت بيني وبين أخيك داود مودة فأعفني، قال لتخبرني، فقلت لأصدقنه واستبسلت للموت، فقلت حدثني يحيى بن سعيد الأنصاري عن محمد بن إبراهيم عن علقمة ابن وقاص سمع عمر بن الخطاب يقول سمعت رسول الله ﷺ يقول:﴿إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَلِكُلِّ امرِئٍ ما نَوَى، فَمَنْ كانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىَ الله وَرَسُولِهِ فَهِجْرَتُهُ إِلَى الله وَرَسُولِهِ وَمَنْ كَانَتْ هِجْرَتُهُ إِلَىَ دُنْيا يُصِيبُهَا أو امْرَأَةٍ يَنْكُحها فَهِجْرَتُهُ إِلَىَ مَا هاجَرَ إِلَيْهِ﴾ قال وفي يده قضيب ينكث به الأرض، فقال يا عبد الرحمن ما تقول في قتلنا أهل هذا البيت من بني أمية؟ فقلت كما قلت قال لتخبرني فقلت حدثني محمد بن مروان عن مطرف بن الشِّخِّير عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ :﴿لا يَحِلُّ قَتْلُ الْمُسْلِمِ إلاَّ بِإِحِدْىَ ثَلاثٍ الْبَارِئُ لِدِينِهِ أَوْ رَجُلٌ قَتَلَ نَفْساً فَيُقْتَلُ بِهَا أَوْ رَجُلٌ زَنَى بَعْدَ إِحْصانٍ﴾ قال ثم أطرق هوياً، ثم قال أخبرني عن الخلافة أهي وصية من رسول الله ﷺ فورد على مثل ما ورد ثم قلت لأصدقنه. فقلت لو كانت وصية من النبي ﷺ لكم ما ترك علي عليه السلام أحداً يتقدمه، ثم سكت سكتة وقال ما تقول في أموال بني أمية؟ فاستعفيت فقال لتخبرني فقلت إن كانت لهم حلالاً فهي عليكم حرام، وإن كانت لهم حراماً فهي عليكم حرام، قال ثم أمرني فأخرجت.

له أذنين مشقوقتين

كلم رجل عيسى بن موسى في شيء وعنده عبد الله بن شبرمة القاضي

فقال عيسى للرجل من يعرفك قال ابن شبرمة قال أتعرفه قال إني لا أعلم أن له شرفاً وبيتاً وقدماً فلما خرج ابن شبرمة سئل عن ذلك فقال اعلم أن له أذنين مشقوقتين وأن له بيتاً يأوي إليه وأن له قدماً يطأ بها [(١)].

سنَّوران في البيت فاستر عليّ

قال المدائني: سقط عبد الله بن شبرمة القاضي عن دابته، فوثئت رجله، فدخل عليه يحيى بن نوفل الشاعر عائداً له ومادحاً، وكان جاره فأنشده:

أقول غداة أتانا الخبير ::: ود سَّ أحاديثه هينمه
لك الويل من مخبرٍ ما تقول؟ ::: أبن لي وعدِّ عن الجمجمه
فقال خرجت وقاضي القضا ::: ة منفكَّةٌ رجله مؤلمه
فقلت وضاقت عليَّ البلاد ::: وخفت المجِّللة المعظمه
فغزوان حرٌّ وأمُّ الوليد ::: إن الله عافى أبا شبرمه
جزاءً لمعروفه عندنا ::: وما عتق عبدٍ له أو أمه

قال: وفي المجلس جارٌ ليحيى بن نوفل يعرف ما في منزله، فلما خرج تبعه، فقال له: ياأبا معمر! رحمك الله من غزوان وأمّ الوليد؟ قال: سنّوران في البيت فاستر عليّ [(٢)].

أنا وأَنْتَ لا نتفق

وكان أبو وائلة إياس بن معاوية - على تقدمه في البلاغة، وفضْل عقله وعلمه - بالإكثار مَعِيباً، وإلى التطويل مَنْسوباً، وقال له عبد الله بن شبرمة: أنا وأَنْتَ لا نتفق، أَنْتَ لا تشتهي أن تسكت، وأنا لا أشتهي

(١) أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم، ص ١٠٣.
(٢) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١/ ٥٥، ١/ ١٩١.

أن أسْمَع. وقيل له: ما فيك عيبٌ إلاّ كَثْرة كلامك. قال: أفتسمعون صواباً أم خطأ؟ قالوا: بل صواباً، قال: فالزيادةُ في الخير خير (١).

فلا خير في المعروف إذا أحصى

- قال له رجل: صنعتَ إلى فُلان، وصنعت، فقال: اسكت، فلا خير في المعروف إذا أحصى. وكان إذا وُلِدَ له غلام يقول: اللهم اجعله بّي برا، واجعل لذّته في بلدِه (٢).

ما هو إلا الهلاك أو الرحمة

قال عبد الله بن شبرمة القاضي: دخلت على أبي مسلم الخراساني وفي حجره مصحف، وبين يديه سيف، فقال لي: أنت ابن شبرمة؟ قلت: نعم أصلحك الله؛ فقال: ما هو إلا الملك أو الترهب، قلت: ما هو إلا الهلاك أو الرحمة (٣).

إني كنت لأكره أن أراك أميراً

قال ابن شُبْرُمَة، عَن بعض أصحابه: بينما معاوية في نفر من أصحابه، ومنهم الأحنف بْن قيس، إذ قَالَ: رجل: لو أن أبا سُفْيَان ولد الناس ولدهم حلماء! قَالَ: الأحنف: لكنه ولد الناس من هو عند الله خير من أبي سُفْيَان، ولدهم آدم أبُو البشر، فكان فيهم العالم والسفيه والحليم، فقَالَ: معاوية: يا أحنف إن كنت لأكره أن أراك خطيباً، قَالَ: الأحنف: يا معاوية إني كنت لأكره أن أراك أميراً، فلم يقل له معاوية شيئاً.

---

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق: أ. د / يوسف على طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ١ / ١٥٣.

(٢) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق خالد عبد الغني محفوظ، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٥ / ٩٦.

(٣) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، ٣ / ١٦١.

مالك حَيْثُ وضعته

قال عَبْد العزيز بْن وكيع: بعت جارية إلى أجل وأوجبتها له، فسألت عنه بعد، فقيل لي: إنه مفلس، فجاء يطلبها مني، فأبيت أن أدفعها إليها، فخاصمني إلى شريح، فقلت: إني بعت من هَذَا جارية إلى أجل، وإني سألت عنه فقيل لي: إنه مفلس لا شيء له، فجاء يطلبها مني. فقالَ: شريح: مالك حَيْثُ وضعته، فادفع إلى الرجل جاريته، فقلت: لا أدفعها إليه لأنه مفلس، وأخاف أن يذهب مالي، قالَ لي: قم فالزمه ما بيني وبين أن أقوم بأن دفعها إليك، وإلا فأتني به قبل أن أقوم حتى أحبسه لك.

أعلمك وتخالفني

قالَ ابن شُبْرُمَةَ: دعانا صاحب الكوفة أنا وحماد فسألنا عَن الرجل يتزوج المرأة، ولا يقدر أن ينفق عليها، فقالَ: حماد: يفارقها: فقال: ما تقول؟ قلت: سبحان الله إنما قالَ: الله:{لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَاۚ سَيَجۡعَلُ ٱللَّهُ بَعۡدَ عُسۡرٖ يُسۡرٗا} [الطلاق: ٧]، لا لذي فاقة؛ فغضب حماد؛ فقام فأبطأت أنا حتى ذهب مخافة أن يعاتبني، فلما خرجت إذا هو جالس خلف الباب، فقالَ لي: مغضباً: أعلمك وتخالفني؛ قلت: إني رأيت رأياً فقلته.

من امرأتك؟

عَن ابن شُبْرُمَةَ، قالَ: دخلت على امرأة من بني عَمْروبْن تميم، فقالت لي: من امرأتك؟ قلت: فلانة الفلانية، وعرضت بنفسها ثم أنشدت.

يرى صاحب النسوان يحسب أهم ::: سواء وبون بينهن بعِيْد
فمنهن جنات يفيء ظلالها ::: ومنهن نيران فهن وقود

كلمة أولها شرك، وآخرها إيمان

قال ابن شُبْرُمَةَ: دخلت أنا وأَبُوْحَنِيْفَةَ على جعفر بْن مُحَمَّد فسلمت عليه، وكنت له صديقاً ثم أقبلت على جعفر فقلت: أمتع الله بك هَذَا رجل من أهل العراق له فقه، وعقل؛ فقَالَ: جعفر: لعله الذي يقيس الدين برأيه، ثم أقبل عليَّ فقَالَ: النعمان بْن ثابت؟ فقَالَ: بُوْحَنِيْفَة: نعم، أصلحك الله!فقال: اتق الله ولا تقس الدين برأيك، فإن أول من قاس إبليس إذ أمره الله بالسجود لآدم؛ فقال:{أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ} [الأعراف: ١٢]، ثم قَالَ: له جعفر: هَلْ تحسن أن تقيس رأسك من جسدك؟ فقال: لا؛ قال: فأَخْبَرَنِي عَن الملوحة في العينين، وعن المرارة في الأذنين، وعن الماء في المنخرين، وعن العذوبة في الشفتين، لأي شيء جعل ذلك؟

قال: لا أدري.

قَالَ: جعفر: الله عز وجل خلق العينين فجعلهما شحمتين، وجعل الملوحة فيها ضناً منه على ابن آدم ولولا ذلك لذابتا، فذهبتا، وجعل المرارة في الأذنين ضناً منه عليه، ولولا ذلك لهجمت الدواب، فأكلت دماغه، وجعل الماء في المنخرين ليصمد التنفس، وينزل ويجد منه الريح الطيبة من الريح الرديئة، وجعل العذوبة في الشفتين ليجد ابن آدم طعم لذة مطعمه ومشربه.

ثم قَالَ: له جعفر: أَخْبَرَنِي عَن كلمة أولها شرك، وآخرها إيمان.

قَالَ: لا أدري؟

قَالَ: لا إله إلا الله،

ثم قَالَ لَهُ: أيما أعظم عند الله قتل النفس أو الزنا؟

قال: لا، قتل النفس

قالَ: له جعفر: إن الله عز وجل قد رضي في قتل النفس بشاهدين ولم يقبل في الزنا إلا بأربعة.

ثم قال: أيما أعظم عند الله الصوم أم الصلاة؟

قال: لا بل الصلاة؛ قال: فما بال

المرأة إذا حاضت تقضي الصيام، ولا تقضي الصلاة، اتق الله يا عَبْد اللهِ إنا نقف نحن وأنت غداً ومن خالفنا بين يدي الله جل وعز، فنقول: قالَ رَسُوْلُ اللهِ عليه السلام: ويقول أنت وأصحابك: قالَ: سمعنا ورأينا، ففعل بنا وبكم ما يشاء [١].

من كلامه – رحمه الله –:

- من بالغ في الخصومة أثم، ومن قصر فيها خصم.

- ولا يطيق الحق من بالى على من دار الأمر.

- عجبت للناس يحتمون من الطعام مخافة الداء ولا يحتمون من الذنوب مخافة النار [٢].

- نوم نصف النهار يعدل شربة دواء، يعني في الصيف [٣].

ومن شعره – رحمه الله –:

– رأيت فقه رجال في قلانسهم ::: وفي ثيابهم الفحشاء والريب [٤]

– ما في القضاء شفعة لمخاصم ::: عند اللبيب ولا الفقيه الحاكم

أهون عليّ إذا قضيت بسنة ::: أو بالكتاب برغم أنف الراغم

وقضيت فيما لم أجد أثراً به ::: بنظائر معروفة ومعالم

(١) أخبار القضاة، ٣/٧٩.
(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ١٩٤، ٣٧١، ٤٠٨.
(٣) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١/ ٥٥، ١/ ١٩١.
(٤) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ١٩٤، ٣٧١، ٤٠٨.

– اقض بما في كتاب الله مفترضـــاً ::: وبالنظـــائر فـــاقض والمقـــاييس
– وقل لأخي مكاشـــرة وضـــغن ::: سعرت الحرب بـــين بـــني أبيكـــا
وأورثت الضـــغائن مـــن بنـــيهم ::: بـــني أبنـــائهم وبـــني بنيكـــا
فلـــو شـــاورتني وقبلـــت رأيـــي ::: لســـرت لهـــم بســـيرة أوليكـــا
وأقورت الملامـــة حَيْـــثُ حلـــت ::: ولم تعـــرض لملـــك بـــني أبيكـــا
كأنك قد أصابك ســـهم غـــرب ::: وأسلمك العـــداة مـــن أبعـــديكا
– لو شئت كنت ككور في تعَبُّده ::: أو كابن طارق حول البيت في الحرم
قد حال دون لذيذ العيش خوفهما ::: وسارعا في طلاب الفوز والكـــرم
– ليوشك أن يحول المـــوت بـــيني ::: وبين جـــوار بيتـــك والطـــواف
فكـــم مـــن طـــائف رث رغيبـــاً ::: رهيبـــاً بـــين منتعـــل وحـــاف
أتـــاك الراغبـــون إليـــك ســـعياً ::: يســـوقون المقلـــدة الصـــواف
– إذا قلت جدوا في العبادة واصبروا ::: أصروا وقالوا للخصـــومة أفضـــل
خلافاً لأصحاب الـــنبي وبدعـــة ::: وهم بسبيل الحق أعمى وأجهـــل
– فيا ليت شعري من يبين بعد ما ::: يمكن لي في حفرة اللحد مضـــجع
وعن وصل إخوان أتى الموت دونهم ::: أيرعون ذاك الوصـــل أو يتقطـــع
فما وصل الإخوان مثـــل محـــافظ ::: من القوم مرعـــى الأمانـــة مقنـــع
– لا يخـــذل المـــولى لأول عثـــرة ::: عسى في اختبال السن أن يتحكما
فيذهب عنه الجهـــل أو يســـتعيده ::: لعـــريض قـــوم مثلـــه أن يحتمـــا
– توفيت في الإحسان جهدي وطاقتي ::: إلَى ابن أبي ليلـــى فـــأعقبني ذمـــا
فواللّه ما آسى علـــى مـــا فعلتـــه ::: ولكن عجز الرأي يحدث لي همـــا
– إذا قضيت بمر الحـــق مجتهـــداً ::: أهون علي بما قَـــالَ: الضـــغابيس
– أقضي بما في كتاب الله مجتهـــداً ::: وبالنظـــائر أقضـــي والمقـــاييس
إذا قضيت بمـــر الحـــق مجتهـــداً ::: فلست أجهل أقوال الضـــغابيس[(١)]

* * *

(١) أخبار القضاة، ٧٩/٣.

يحيى بن أكثم

أعـــلام القضـــاء

يحيى بن أكثم ـ رحمه الله ـ

يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسيدي المروزي، أبو محمد: قاضي، رفيع القدر، عالي الشهرة، من نبلاء الفقهاء، يتصل نسبه بأكثم بن صيفي حكيم العرب. ولد بمرو، واتصل بالمأمون أيام مقامه بها، فولاه قضاء البصرة (سنة ٢٠٢) ثم قضاء القضاة ببغداد. وأضاف إليه تدبير مملكته، فكان وزراء الدولة لا يقدمون ولا يؤخرون في شيء إلا بعد عرضه عليه. وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد. وكان مع تقدمه في الفقه وأدب القضاء، حسن العشرة، حلو الحديث، استولى على قلب المأمون حتى أمر بأن لا يحجب عنه ليلا ولا نهارا. وله غزوات وغارات، منها أن المأمون وجهه سنة ٢١٦هـ إلى بعض جهات الروم، فعاد ظافرا. ولما مات المأمون وولي المعتصم، عزله عن القضاء، فلزم بيته. وآل الأمر إلى المتوكل فرده إلى عمله. ثم عزله سنة ٢٤٠ هـ وأخذ أمواله، فأقام قليلا، وعزم على المجاورة بمكة، فرحل إليها، فبلغه أن المتوكل صفا عليه، فانقلب راجعا، فلما كان بالربذة (من قرى المدينة) مرض وتوفي فيها. قال ابن خلكان: وكانت كتب يحيى في الفقه أجل كتب، فتركها الناس لطولها، وله كتب في " الأصول " وكتاب أورده على العراقيين سماه " التنبيه " وبينه وبين داود بن علي مناظرات. وكان يتهم بأمور شاعت عنه وتناقلها الناس في أيامه وتداولها الشعراء، فذكر شئ منها للإمام أحمد بن حنبل، فقال: سبحان الله! من يقول هذا؟ وأنكر ذلك إنكارا شديدا، وأشار إلى حسد الناس له.

سمع الحديث من: عبد العزيز بن أبي حازم، وابن المبارك، وعبد العزيز الدراوردي، وجرير بن عبد الحميد، وسفيان بن عيينة،

والفضل السيناني، وعبد الله بن إدريس، وعدة. وله رحلة ومعرفة.

وحدث عنه: الترمذي: ، وأبو حاتم، والبخاري خارج " صحيحه "، وإسماعيل القاضي، وإبراهيم بن محمد بن متويه، وأبو العباس السراج، وعبد الله بن محمود المروزي، وآخرون.

وقد أثني عليه أئمة العلوم في عصره فقد قال الحاكم: من نظر في " التنبيه " له، عرف تقدمه في العلوم.

وقال طلحة الشاهد كان واسع العلم بالفقه، كثير الأدب، حسن العارضة، قائما بكل معضلة. غلب على المأمون، حتى لم يتقدمه عنده أحد مع براعة المأمون في العلم. وكانت الوزراء لا تبرم شيئا حتى تراجع يحيى.

وقال عبد الله بن أحمد: سمع من ابن المبارك صغيرا فصنع أبوه طعاما، ودعا الناس، وقال: اشهدوا أن ابني سمع من عبد الله.

وقد ولي يحيى بن أكثم قضاء البصرة وله عشرون سنة، فاستصغره أهل البصرة، فقالوا: كم سن القاضي فعلم أنه استصغر، فقال: أنا أكبر من عتاب بن أسيد الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل الذي وجه به النبي ﷺ قاضياً على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سور الذي وجه به عمر بن الخطاب ؓ قاضياً على أهل البصرة، فجعل جوابه احتجاجاً.

وكان رسول الله ﷺ قد ولى عتاب بن أسيد مكة بعد فتحها وله إحدى وعشرون سنة، وقيل ثلاث وعشرون، وكان إسلامه يوم فتح مكة، وقال لرسول الله ﷺ : أصحبك وأكون معك، فقال:**﴿أو ما ترضى أن أستعملك على آل الله تعالى﴾** فلم يزل عليهم حتى قبض رسول الله ﷺ.

وكان يحيى بن أكثم من أئمة العلم، أحد أعلام الدنيا، وقد اشتهر فضله وعلمه ورئاسته وسياسته، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه أحد عنده من الناس جميعاً. وكان المأمون ممن برع في العلم، فعرف من حال يحيى بن أكثم وما هو عليه من العلم والعقل ما أخذ بمجامع قلبه حتى قلده قضاء القضاة، وتدبير أهل مملكته، فكانت الوزراء لا تعمل في تدبير الملك شيئاً إلا بعد مطالعة يحيى بن أكثم. ولا نعلم أحداً غلب على سلطانه في زمانه إلا يحيى بن أكثم وابن أبي داود.

وقد ولي قضاء البصرة منذ خلافة المأمون وحظي عنده وكانت له مكانة كبيرة في الدولة وظلت مكانته في علو وارتفاع في عهد من تلاه من خلفاء المعتصم والواثق حتى ولي الخليفة المتوكل أمور الدولة العباسية فخلع من القضاء مع من خلع من أركان الدولة العباسية وأودع داره.

ومن مواقفه المحمودة وقوفه في وجه الخليفة المأمون بعدما أباح متعة النساء فقد قال الصولي: سمعت إسماعيل القاضي يعظم شأن يحيى بن أكثم، وذكر له يوم قيامه في وجه المأمون، لما أباح متعة النساء، فما زال به حتى رده إلى الحق، ونص له الحديث في تحريمها، فقيل لإسماعيل: فما كان يقال؟ قال: معاذ الله أن تزول عدالة مثله بكذب باغ أو حاسد. ثم قال: وكانت كتبه في الفقه أجل كتب، تركها الناس لطولها.

و سئل رجل من البلغاء عن يحيى بن أكثم، وأحمد بن أبي دواد: أيهما أنبل؟ قال: كان أحمد يجد مع جاريته وبيته، وكان يحيى يهزل مع عدوه وخصمه.

قال أبو حاتم الرازي عنه: فيه نظر.

وقال جعفر بن أبي عثمان، عن ابن معين: كان يكذب.

وقال ابن راهويه: ذاك الدجال يحدث عن ابن المبارك.

وقال علي بن الجنيد: يسرق الحديث.

وقال صالح جزرة: حدث عن ابن إدريس بأحاديث لم يسمعها.

وقال أبو الفتح الأزدي: روى عن الثقات عجائب.

وقد رد الذهبي عنه فيما اتهم به فقال: ما هو ممن يكذب، كلا وكان عبثه بالمرد أيام الشبيبة، فلما شاخ أقبل على شأنه، وبقيت الشناعة، وكان أعور(١).

مات بالربذة منصرفه من الحج يوم الجمعة في ذي الحجة سنة اثنتين وأربعين ومائتين.

قال ابن أخته: بلغ ثلاثا وثمانين سنة.

وحدث أن كتب المتوكل إلى أَحْمَد بْن حنبل، يسأله عَن رجلين، أحدهما يحيى بْن أكثم، فكتب إليه:

أما فلان فلا ولا كرامة، وأما يحيى بْن أكثم فقد ولي القضاء، فما طعن عليه فيه. وكان على البصرة حين قدمها يحيى مُحَمَّد بْن حرب بْن قطر بْن قبيصة بْن المخارق الهلالي، خليفة لصالح بْن الرشيد، فاستعمل مُحَمَّد بْن حرب بْن علي أحكام الجامع عَبْد اللهِ بْن عَبْد اللهِ ابْن أسد الكلابي، فكان يحكم في الشيء من الديون، ويفرض للمرأة على زوجها، وما صغر قدره من الأحكام، فأرسل إليه يحيى بْن أكثم: لا تحكمن في أكثر من عشرين درهم فألزمك ذلك في مالك، فأرسل إليه عبيد الله يخبره: أنه لا يلتفت إلى ما أرسل إليه، فأمر يحيى بْن

(١) سير أعلام النبلاء، ١٢ / ١٠.

أكثم، من ينادي على رأسه في مقعده، فشد عَبْد اللهِ قمطره وأشرف إلى مُحَمَّد بْن حرب فأعلمه، فوجد مُحَمَّد بْن حرب جماعة من أعوانه، وأمرهم أن يأتوا بمن وجدوا من أمناء يحيى وذراعه، فانتهوا إلى المسجد الجامع، وقد قام يحيى فوجدوا الصلت بْن مسعود القيسي، وإسحاق بْن إسماعيل بْن حماد بْن زيد، فجاءوا بهم إلى أحمد بْن حرب، فحكوا عَن إسحاق بْن إسماعيل كلاماً فِيْهِ بعض الغلظة، ولم يحكوا عَن الآخرين شيئاً، فلما صاروا إلى مُحَمَّد سل الأعوان صلتاً نحو داره لجواره، وقدم الآخران فشتم إسحاق وأمر به فحبس حتى كلم فِيْهِ فأطلقه وقال: لم نجد ليحيى شكراً، وذلك أن أبا سلمة الداعية قدم قبل ذلك في أمر يحيى يطالبه وغيره من أهل البصرة بأموال ليحيى بْن خاقان، ادعى عليهم أنهم أودعوها، فحبسهم أبُو سلمة ليطالبهم بذلك المال، وعلى البصرة يومئذ يحيى بْن عَبْد اللهِ، أخو دينار بْن عَبْد اللهِ، وقد كتب إليه يأمر بإنفاذ أمر أبي سلمة، فاستوحش الناس لما صنع أبُو سلمة، وكاد أمر الصيارفة ينكشف، فكلم مُحَمَّد بْن حرب يحيى بْن عَبْد اللهِ وأبُو سلمة حاضر، فقال: هَذَا الرجل قد مد يده إلى قاضي البلد ووجوه صيارفته، حتى أعطب أموال الناس، وودائعهم عند الصيارفة، وفي هَذَا فساد أموال الناس ويكشف أحوالهم، ولم يؤسر بهَذَا كله ولا يرضاه السلطان الذي فوقه، ونحو من هَذَا الكلام.

فقالَ: أبُو سلمة ليحيى بْن عَبْد اللهِ: ألم آتك بكتاب السلطان يأمرك بإنفاذ أمري؟ قال: بلى، قال: فإني آمرك بحبس هَذَا فقد أتلف أموال السلطان، وزين لهؤلاء الخونة الخيانة، وكسر ما في أيديهم، فراجعه يحيى بْن عَبْد اللهِ وقال: إن مثل هَذَا لا يحبس، وقدره يرتفع عما أمرت به فيه، قال: أنت أعلم فاكتب بهَذَا، فأقبل يحيى على ابن حرب،

فقال: يا أبا قبيصة أحب أن تتحول من مقعدك هَذَا إلَى غيره، فقام فتحول، فأقبل يحيى بْن عَبْد اللهِ ومن يحضره، فيهم مُحَمَّد بْن عَبْد اللهِ العتبي، وغيره من وجوه البصرة، وقد كانوا تواطئوا قبل ذلك على الكلام مع ابن حرب، ثم حبسوا، فأقبلوا على أبي سلمة فقالوا: إن الذي أمرت به من حبس هَذَا الرجل أعظم مما يذهب إليه، إن حبسه لا يسوغ لك، ولا يؤمن أن ينبعث عليك منه ما تكره؛ فلم يزالوا يجيبونه ويهشونه حتى أقلع عَن رأيه؛ وانصرف مُحَمَّد بْن حرب إلَى منزله؛ وكان من أشد الناس إقبالاً على أبي سلمة ونصرة ليحيى بْن أكثم، فلم ير جعفر بْن سليمان، قَالَ: قثم: فكان يحيى بْن أكثم يسألني الثبوت عنده؛ وكان أبُو سلمة توعده وكان يعلم مكانتي من الْحَسَن بْن سهل، وكان لي هاشاً مطيعاً قائماً؛ قَالَ: ابن حرب:

لم نجد ليحيى شكراً، يعني أنه جادل عنه أبا سلمة حين أمر بحبسه.وكان يحيى بْن أكثم يرمي بأمر غليظ في غير باب الحكم، فأما في الحكم فهيهات أن يرام [1].

وكان يحيى كثير المزاح لا يدع الهزل في مجلسه له طرائف في الهزل؛ فأنشدت لعمارة بْن عقيل في يحيى بْن أكثم:

إذا كنت ترجو در مولى كلالة :: له ثروة المال والمترل الضخم
فلا ترج دار الأكثمي فإنه : كثير العقود لا عظام ولا لحم
وخروعة الوادي يطول فجاءة ::: وليس لها عود صليب ولا طعم :::

وجاء أعرابي من بني تميم إلَى يحيى بْن أكثم فمدحه فحرمه فقال:

قل لابن أكثم يحيى خبت من رجل ::: يرى إِلَى أقبح الأفعال منسوبا

(١) أخبار القضاة، ٢ /١٦٢.

فسقا وبخلاً وأخلاقاً مذممة ::: إن كنت في الجنب ركاباً ومركوبا
لا تفخرنّ فلولا عظم ما اجترحت ::: أيدي البرية ما أصبحت محجوبا
إني لراج سريعاً أن أراك به ::: في الدين والمال محزوناً ومسلوبا

فما مضى عليه شهر حتى أوقع به المتوكل [(١)].

قال إسماعيل بن إسحاق: كان يحيى بن أكثم يقول: أبرأ إلى الله عز وجل من أن يكون في شيء مما رميت به من أمر الغلمان. قال: ولقد كنت أقف على سرائره فأجده شديد الخوف لله، ولكنه كانت فيه دعابة وحسن خلق، فرمى بما رمي به.

وكان يحيى سليماً من البدعة ينتحل مذهب أهل السنة، بخلاف أحمد بن أبي داود، الذي عرف عنه تعصبه للمعتزلة، وكان يحيى يقول: القرآن كلام الله، فمن قال إنه مخلوق يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه [(٢)].

مواقف من حياته – رحمه الله –:

أعظم منك مصيبة

قال أبو داود السنجي سمعت يحيى يقول: كنت عند سفيان، فقال: بليت بمجالستكم بعدما كنت أجالس من جالس الصحابة، فمن أعظم مني

---

(١) أخبار القضاة، ٢ /١٦٦.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٨ / ١٨٧، التاريخ الكبير ٨ / ٢٦٣، أخبار القضاة لوكيع ٢ / ١٦١، الجرح والتعديل ٩ / ١٢٩، مروج الذهب للمسعودي ٤ / ٢١ وما بعدها، الأغاني ٢٠ / ٢٥٥، تاريخ بغداد ١٤ / ١٩١، ٢٠٤، طبقات الحنابلة ١ / ٤١٠، ٤١٣، الكامل لابن الأثير: أخباره متناثرة في الجزء السابع منه، وفيات الأعيان ٦ / ١٤٧، ١٦٥، تهذيب الكمال: ١٤٨٦، ١٤٨٨، تذهيب التهذيب ٤ / ١٤٧ / ٢، ١٤٩ / ١، ميزان الاعتدال ٤ / ٣٦١، ٣٦٢، العبر ١ / ٤٣٩، البداية والنهاية ١٠ / ٣١٩، تهذيب التهذيب ١١ / ١٧٩، ١٨٣، النجوم الزاهرة ٢ / ٣١٦، ٣١٧، حياة الحيوان للدميري ٢ / ٢، ٣، طبقات المفسرين ٢ / ٣٦٢، خلاصة تذهيب الكمال: ٤٢١، مرآة الجنان ٢ / ١٣٥، شذرات الذهب ٢ / ٩١ و١٠١، ١٠٢، الجواهر المضية ٢ / ٢١٠.

مصيبة؟ قلت: يا أبا محمد، الذين بقوا حتى جالسوك بعد الصحابة، أعظم منك مصيبة.

وفي رواية أخري عن يحيى، عن سفيان، قال: لو لم يكن من بليتي إلا أني حين كبرت صار جلسائي الصبيان، بعدما كنت أجالس من جالس الصحابة. قلت: أعظم منك مصيبة من جالسك في صغرك بعدما جالس من أصحاب رسول الله ﷺ.

قال: فسكت.

زاغ زاغ زاغ

قال محمد بن مسلم السعدي،: وجه إلى يحيى بن أكثم يوماً فصرت إليه، فإذا عن يمينه قمطرٌ [١] مجلدة، فجلست فقال لي: افتح هذا القمطر، ففتحها فإذا شيءٌ قد خرج منها، رأسه رأس إنسانٍ، وهو من سرته إلى أسفل خلقة " زاغ " [٢]، وفي ظهره وصدره سلعتان، فكبرت وهللت وفزعت، ويحيى يضحك، فقال لي بلسانٍ فصيح طلق ذلق:

أنا الزاغ أبو عجوه ::: أنا ابن الليث واللبوه
أحب الراح والريحا ::: ن والنشوة والقهوة
فلا عدوى يدي تخشى ::: ولا تحذر لي سطوه
ولي أشياء تستطرف ::: يوم العرس والدعوة
فمنها سلعةٌ في الظه ::: ر لا تسترها الفروة

(١) القمطر، والقمطرة: ما تصان فيه الكتب.
(٢) الزاغ: نوع من أنواع الغربان، يقال له: الزرعي، وغراب الزرع، وهو غراب أسود صغير، وقد يكون محمر المنقار والرجلين. ويقال له أيضا: غراب الزيتون، لأنه يأكله. وهو لطيف الشكل، حسن المنظر، صغير نحو الحمامة، برأسه غبرة وميل إلى البياض، ولا يأكل الجيف. وجمعه: زيغان.

وأمـــا الســـلعة الأخـــرى ::: فلـــو كـــان لهـــا عـــروة
لمـــا شـــك جميـــع النـــا ::: س فيهـــا أنهـــا ركـــوه

ثم قال: يا كهل! أنشدني شعراً غزلاً: فقال لي يحيى: قد أنشدك الزاغ فأنشده، فأنشدته:

أغـــرك أن أذنبـــت ثم تتابعـــت :: ذنوبٌ فلم أهجـــرك ثم ذنـــوب
وأكثرت حتى قلت ليس بصارمي ::: وقد يصرم الإنسان وهو حبيـــب

فصاح: زاغ زاغ زاغ، ثم طار، ثم سقط في القمطر، فقلت ليحيى: أعز الله القاضي، وعاشقٌ أيضاً؟! فضحك، قلت: أيها القاضي: ماهذا؟ قال: هو ما تراه، أرسل به صاحب اليمن إلى أمير المؤمنين، وما رآه بعد وكتب كتاباً لم أفضضه، وأظن أنه ذكر في الكتاب شأنه وحاله.

فحجر القاضي عليهما

عن يحيى بن أكثم قال قدم رجل ابنه إلى بعض القضاة ليحجر عليه فقال: فيم؟ قال للقاضي: أصلحك الله إن كان يحسن آيتين من كتاب الله فلا تحجر عليه فقال القاضي اقرأ يا فتى فقال:

أضـــاعوني وأي فـــتى أضـــاعوا :: ليـــوم كريهـــة وســـداد ثغـــر

فقال أبوه أصلحك الله إنه قرأ آية أخرى فلا تحجر عليه فحجر القاضي عليهما [1].

وأنت تأبى

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، المكتب التجاري - بيروت، ص ٧٥.

قال عبد الواحد بن محمد: وقف العتابي بباب المأمون يلتمس الوصول إليه فصادف يحيى بن أكثم جالسا ينتظر الإذن فقال له إن رأيت أعزك الله أن تذكر أمري لأمير المؤمنين إذا دخلت فافعل قال له لست أعزك الله بحاجبه قال فإن لم تكن حاجبا فقد يفعل مثلك ما سألت واعلم أن الله عز وجل جعل في كل شيء زكاة وجعل زكاة المال إغاثة ذا الحاجة وزكاة الجاه إغاثة الملهوف واعلم أن الله عز وجل مقبل عليك بالزيادة إن شكرت أو التغيير إن كفرت وإني لك اليوم أصلح منك لنفسك لأني أدعوك إلى ازدياد نعمتك وأنت تأبى فقال له يحيى: أفعل وكرامة وخرج الإذن ليحيى فلما دخل لم يبدأ بشيء بعد السلام إلا أن استأذن المأمون للعتابي فأذن له (١).

ما نعيب شعرك إلا أنك لا تطيل

قال يحيى بن أكثم لمحمد بن حازم الباهلي ما نعيب شعرك إلا أنك لا تطيل فأنشأ يقول

أبى لِيَ أن أُطِيلَ الشعرَ قَصْدِي ::: إلى المَعْنَى وعِلْمِي بالصَّوابِ
وإيجازي بمُخْتَصَرٍ قريبٍ ::: حذفتُ به الفضولَ من الجَوابِ
فَأَبْعَثُهُنَّ أربعةً وَخَمْساً ::: مُثَقَّفَةً بألفاظٍ عِذابِ
خَوَالِدَ ما حدَا ليلٌ نهاراً ::: وما حَسُنَ الصِّبَا بأخي الشَّبابِ
وهُنَّ إذا وَسَمْتُ بهنَّ قوماً ::: كأطواق الحمائم في الرِّقابِ
وهُنَّ إذا أقمتُ مسافراتٌ ::: تَهَادَتْهَا الرُّوَاةُ مع الرِّكابِ (٢)

العشق ما هو؟

(١) أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق المحامي فوزي عطوي، دار صعب - صعب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨، ١ / ٢٦٣.
(٢) أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية، الثانية، ١٣ / ١٢٩، ١٤ / ٩٩.

قال أبو العالية الشامي: سأل أمير المؤمنين المأمون يحيى بن أكثم عن العشق ما هو؟ فقال: هو سوانح تسنح للمرء فيهيم بها قلبه، وتؤثرها نفسه، قال: فقال له ثمامة: اسكت يا يحيى، إنما عليك أن تجيب في مسألة طلاقٍ، أو في محرمٍ صاد ظبياً أو قتل نملة، فأما هذه فمسائلنا نحن، فقال له المأمون: قل يا ثمامة، ما العشق؟ فقال ثمامة: العشق جليسٌ ممتع، وأليف مؤنس، وصاحبٌ ملك، مسالكه لطيفة، ومذاهبه غامضة، وأحكامه جائرة، ملك الأبدان وأرواحها، والقلوب وخواطرها، والعيون ونواضرها، والعقول وآراءها، وأعطي عنان طاعتها، وقود تصرفها، توارى عن الأبصار مدخله، وعمي في القلوب مسلكه.

فقال له المأمون: أحسنت - والله - يا ثمامة، وأمر له بألف دينار.

رأيت من العجائب قاضيين

قال جعفر بن أحمد بن جعفر النهرواني: ولي يحيى بن أكثم إسماعيل بن سماعة القضاء بغربي بغداد، وولي سوار بن عبد الله شرقيها، وكانا أعورين، فكتب فيه محمد بن راشد الكاتب:

رأيت من العجائب قاضيين ::: هما احدوثة في الخافقين
هما فال الزمان بهلك يحيى ::: إذ افتتح القضاء بأعورين
فلو جمع العمى يوماً بأفق ::: لكانا للزمانة خلتين
تحسب منهما من هز رأساً ::: لينظر بزاله من فرد عين

وكان يحيى بن أكثم أعور.

كيف يفعل مع هذا الأنف؟

قال عبد الله بن محمود: رأيت قاضي القضاة يحيى بن أكثم بمكة وقد

وقف يلاحظ حجاماً عليه أنف كأنه أزجٌ [١]، فقلت له: أيها القاضي! ما هذا الوقوف، فقال لي: ذرني فإني أريد أنظر إلى هذا كيف يستوي له مص المحجمة مع هذا الأنف؟ وقد كان رجلٌ جالسٌ بين يدي الحجام ففطن به الحجام، فقال له: مالك قائم تنظر إلي؟ ليس ونور الله أضرب في قفا هذا بمعولي وأنت واقف، فتوارينا عنه فإذا هو يعطف أنفه بيده اليسرى ويمسك المحجمة بيده اليمنى ويمص بفيه، فقال يحيى: أما هكذا فنعم، قال عبد الله: وكان يحيى بن أكثم أعور.

يحيى بن أكثم وقاعاً في الناس

قال علي بن يحيى: كان يحيى بن أكثم وقاعاً في الناس وكان شريراً، وكان يغري المأمون بالناس ويقع فيهم عنده، وكان يثني على عمرو بن مسعدة ويقرظه عنده، ولا يزال يذكر فراهته ونصيحته وحسن صناعته؛ فبلغ ذلك عمراً فدخل على المأمون فقال: يا أمير المؤمنين بلغني أن يحيى ابن أكثم يثني علي عندك، وأنا أسألك بالله يا أمير المؤمنين أن تريه أنك قبلت شيئاً من قوله في، فإنه إنما قدم الثناء علي لوقيعةٍ يريد أن يوقعها بي لديك لتصدقه فيما يقول، قال: فضحك المأمون منه وقال: قد أمنت من ذلك فلا تخفه مني.

كيف يسمي يحيى بن أكثم الثقلاء؟

قال أبو العالية الشامي مؤدب ولد المأمون: قال المأمون ذات يوم ليحيى بن أكثم القاضي: أريد منك أن تسمي لي ثقلاء أهل عسكري وحاشيتي، فقال له: يا أمير المؤمنين اعفني فإني لست أذكر أحداً منهم وهم لي على ما تعلم، فكيف إن جرى مثل هذا؟ قال له: فإن كنت لا

---

(١) الأزج هو الشيء المستطيل والمقوس.

تفعل فاضطجع حتى أفتل لك مخراقاً [١]دبيقياً [٢] وأضربك به وأسمي مع كل ضربة رجلاً، فإن كان ثقيلاً تأوهت، وإن يك غير ذلك سكت، فأكون أنا على معرفة منهم ويقين من ثقلائهم. فاضطجع له يحيى وقال: أرأيت قاضي قضاة وأميراً ووزيراً يعمل به مثل ذا؟ فلف له مخراقاً دبيقياً وضربه به ضربة وذكر له رجلاً ثقيلاً فصاح يحيى: آه آه يا أمير المؤمنين في المخراق آجرة، فضحك المأمون منه حتى كاد يغشى عليه وأعفاه من الباقين.

ابن أبي دواد عيناً على المعتصم

قال أبو العباس ابن الفرات: كنا ليلةً في دار أبي الصقر إسماعيل ابن بلبل فوافى يعقوب بن إسحاق الصائغ برسالةٍ من أبي القاسم عبيد الله بن سليمان في حاجةٍ له، فجلس معنا إلى أن يؤذن له على أبي الصقر، فجرى ذكر أحمد بن أبي دوادٍ فكل حدث عنه وعن أيامه بشيء. فحدثنا يعقوب بن الصائغ قال: لما وجه المأمون بأبي إسحاق المعتصم إلى مصر وعقد له من باب الأنبار إلى أقصى المغرب قال ليحيى ابن أكثم: ينبغي أن ترتاد لي رجلاً حصيفاً لبيباً له علم وأمانة وثقة أنفذه مع أبي إسحاق، وأوليه المظالم في أعماله، وأتقدم إليه سراً بمكاتبتي سراً بأخباره وما تجري عليه أموره، وبما يظهر ويبطن، وما يرى من أمر قواده وخاصته، وكيف تدبيره في الأموال وغيرها، فإني لست أثق بأحدٍ ممن يتولى البريد، وما أحب أن أجشمه بتقليد صاحب البريد عليه فيكون معتمدي عليه وتكون كتبه سرية إليك لتقرئني إياها إذا وردت، فقال: يا أمير المؤمنين عندي رجل من أصحابي أثق بعقله ودينه ورأيه وأمانته وصدقه ونزاهته. فقال: جئني

(١) المخراق: ثوب يلف ويضرب به الصبيان بعضهم بعضا.
(٢) نسبة إلى " دبيق " وهي بليدة كانت بين الفرما وتنيس، من أعمال مصر، .

به في يوم كذا وكذا، فصار يحيى بن أكثم بأحمد بن أبي دوادٍ إلى المأمون في اليوم الذي حده له.

فكلمه المأمون فوجده فهماً راحجاً، فقال له: إني أريد إنفاذك مع أخي أبي إسحاق، وأريد أن تكتب بأخباره سراً، وتتفقد أحواله ومجاري أموره وتدبيراته وخبر خاصته وخلواته، وتنفذ كتبك بذلك إلى يحيى بن أكثم مع ثقاتك ومن تأمنه على دمك، فإني أشهر أمرك بتقليد المظالم في عسكره، وأتقدم إليه بمشورتك والأنس بك. فقال له أحمد: أبلغ لك يا أمير المؤمنين في ذلك فوق ما قدرته عندي وبي، وأنتهي إلى ما يرضي أمير المؤمنين ويزلف عنده. فجمع المأمون بين أحمد بن أبي دوادٍ وبين المعتصم وقال له: إنك تشخص في هذا العسكر وفيه أوباش الناس وجند وعجم وأخلاط من الرعية، ولا بد لعسكرك من صاحب مظالم يكون فيه لينظر في أمور الناس، وقد اخترت لك هذا الرجل فضمه إليك وأحسن صحبته وعشرته؛ فأخذه المعتصم معه، فلما بلغوا الأنبار وافت كتب أصحاب البريد بموافاة المعتصم الأنبار، فقال المأمون ليحيى: ترى ما كان من بغداد إلى الأنبار خبر يكتب به صاحبك إليك؟ قال فقال يحيى: لعله يا أمير المؤمنين لم يحدث خبر تحسن المكاتبة به؛ وكتب يحيى إلى أحمد يعنفه ويستبطئه ويخبره أن أمير المؤمنين قد أنكر تأخر كتابه. فلما ورد الكتاب على أحمد ووقف على ما فيه احتفظ به ولم يجب عنه؛ وشخص المعتصم حتى وافى الرحبة ولم يكتب أحمد بحرف واحدٍ من أخبار المعتصم التي تقدم إليه فيها. وكتب أصحاب البريد بموافاة المعتصم الرحبة وأخبار عسكره، فدعا المأمون يحيى بن أكثم فقال: يا أسخن الله عينك، عجبت أن تختار إلا من هذه سبيله، تختار لي ويحك رجلاً

تصفه بكل الصفات فأتقدم إليه بما كنت حاضره، فلا يكتب من بغداد إلى أن يوافى الرحبة إليك كتاباً في معنى ما اعتمد عليه فيه: ؟! قال: فكتب يحيى إلى أحمد كتاباً أغلظ له المخاطبة وأسمعه فيه المكروه ويقول له: إنما أشخصناك لما تقدمنا به إليك، وإنا إنما أظهرنا تقليدك المظالم ليتيسر ما أمرت به، فما هذه الغفلة وما هذا الجهل بما يراد منك؟ فورد الكتاب على أحمد فقرأه واحتفظ به، وسار المعتصم من الرحبة حتى وافى الرقة، فدعا المأمون بيحيى فقال له: يا سخين العين، هذا مقدار رأيك وعقلك؟ اللهم إلا أن تكون غررتني معتمداً، وأوطأتني العشوة قصداً أولا فتجيئني برجل تعلم موقعه عندك وتطلعني على الوقوف عليه فتصفه وتقرظه حتى أودعته سراً من أسراري وأمراً أقدمه على كل أموري، فمضى من مدينة السلام إلى ديار مصر فلم يكتب بحرفٍ مما أمر بالكتاب به؟! فقال: يا أمير المؤمنين من يعمل بغير ما يؤدي إلى محبتك ويقود إلى إرادتك فأذاقه الله بأسك، وألبسه نكالك، وصب عليه عذابك.

وكتب إلى أحمد كتاباً يشتمل على كل إيعاد وإرهابٍ وتخويف وتحذير، وخاطبه بأوحش مخاطبةٍ وأنكلها، فورد الكتاب على أحمد فقرأه واحتفظ به.

وأمر المأمون عمرو بن مسعدة أن يكتب إلى أبي إسحاق المعتصم كتاباً يأمره فيه بالبعثة بأحمد بن أبي دواد مشدودةً يده إلى عنقه، مثقلاً بالحديد، محمولاً على غير وطاء. فورد الكتاب على المعتصم، ودخل أحمد بن أبي دواد إليه وهو بالرقة ما جاوزها، فرأى المعتصم كئيباً مغموماً، فقال: أيها الأمير أراك متغيراً وأرى لونك حائلاً، فقال: نعم لكتابٍ ورد علي من أجلك، ونبذ إليه بالكتاب فقرأه أحمد، فقال له المعتصم: تعرف لك ذنباً يوجب ما كتب به أمير المؤمنين؟ قال: ما

اجترمت ذنباً، إلا أن أمير المؤمنين لا يستحل هذا مني إلا بحجةٍ، فما الذي عند الأمير فيما كتب به إليه؟ فقال: أمر أمير المؤمنين لا يخالف لكني أعفيك من الغل والحديد، أحملك إليه على حال لا توهنك ولا تؤلمك وأوجه بك مع غلامٍ من غلماني أتقدم إليه في ترفيهك وأن لا يعسفك، فقال: جزاك الله أيها الأمير أفضل ما جازى منعماً، فإن رأى الأمير أن يأذن لي في المصير إلى منزلي ومعي من يراعيني إلى أن يردني إلى مجلس الأمير فيأمر بأمره فعل، فقال له: امض؛ ووجه معه خادماً من خدمه، فصار أحمد إلى منزله واستخرج الكتب الثلاثة التي كاتبه بها يحيى بن أكثم وهم بالأنبار، والكتاب الذي ورد وهم بالرحبة، والكتاب الذي ورد وهم بالرقة، ورجع إلى المعتصم فأقرأه الكتاب الأول ثم الثاني ثم الثالث وقال له: إنما بعثت لأكتب بأخبارك وأتفقد أحوالك وأكاتب يحيى بذلك ليقرأه على أمير المؤمنين فخالفت ذلك لما رجوته من الحظوة عندك ولما أملته في غدك. فاستشاط المعتصم غضباً وكاد يخرج من ثيابه غيظاً وتكلم في يحيى بكل مكروه وتوعده بكل بلاءٍ وقال: ويلي على البقار البليد السراويل، وقال لأحمد: يا هذا لقد رعيت لنا رعاية لم يتقدمها إحساننا إليك وحفظت علينا ما نرجو أن نتسع، لمكافأتك عليه ومعاذ الله أن أسلمك أو أفرج عنك أو تنالك يد ولي قدرة على منعها منك، أو أوثر خاصة وحميماً عليك ما امتد بي عمر أو تراخى بي أجل، فكن معي فأمرك نافذ في كل ما ينفذ فيه أمري؛ ولم يجب المأمون على كتابه، فلم يزل معه إلى أن ولي الخلافة وإلى أن ولي الواثق وإلى أيام المتوكل، فأوقع به.

سعة علم المأمون

قال محمد بن حفص الأنماطي: تغدينا مع المأمون في يوم عيدٍ، قال:

وأظنه وضع على مائدته أكثر من ثلاثمائة لونٍ، قال: فكلما وضع لون نظر المأمون إليه فقال: هذا نافع لكذا ضار لكذا، فمن كان منكم صاحب بلغم فليجتنب هذا، ومن كان منكم صاحب بلغم فليجتنب هذا، ومن كان منكم صاحب صفراء فليأكل من هذا، ومن غلبت عليه السوداء فلا يعرض لهذا، ومن قصد قلة الغذاء فليقتصر على هذا. قال: فو الله إن زالت تلك حاله في كل لونٍ يقدم إليه حتى رفعت الموائد، فقال له يحيى بن أكثم: يا أمير المؤمنين إن خضنا في الطب كنت جالينوس في معرفته، أو في النجوم كنت هرمس في حسابه، أو في الفقه كنت علي بن أبي طالب عليه السلام في علمه، أو ذكر السخاء كنت حاتم طيء في صفته، أو صدق الحديث فأنت أبو ذرٍ في لهجته، أو الكرم فأنت كعب بن أمامة في فعاله، أو الوفاء فأنت السموأل ابن عاديا في وفائه. فسر بهذا الكلام وقال: يا أبا محمد إن الإنسان إنما فضل بعقله، ولولا ذلك لم يكن لحم أطيب من لحمٍ ولا دم أطيب من دمٍ.

وإما أعفيناك من الأكل معنا

قال عبد الله بن محمود: يحيى بن أكثم قال: كان المأمون إذا قصر بعض من يأكل معه أمر بإقامته عن المائدة ولقد رأيته يوماً وقد أمر أن يقام بابنه العباس عن المائدة لتقصيرٍ كان منه، وقال: إذا قصرت احتشم غيرك لتقصيرك، فقال العباس: لم أقصر ولكني وجدت علةً، قال: هلا ذكرتها قبل جلوسك على الطعام، فإما احتملناك على التقصير وإما أعفيناك من الأكل معنا [1].

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ١٤٨، ١٥٤، ٢٢١، ٢٦١، ٢٦٨، ٢٨٠ - ٢٨٢، ٢٩٦، ٣٠٣، ٣٠٩.

الحق أنطقها والباطل أخرسه

عن قحطبة بن حميد قال: إني لواقف على رأس المأمون يوماً وقد جلس للمظالم، فكان آخر من تقدم إليه - وقد هم بالقيام - امرأة عليها هيئة السفر، وعليها ثياب رثة، فوقفت بين يديه فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فنظر المأمون إلى يحيى بن أكثم. فقال لها يحيى: وعليك السلام يا أمة الله، تكلمي بحاجتك. فقالت:

يا خير منتصف يهدى له الرشد ::: ويا إماماً به قد أشرق البلد
تشكو إليك عميد القوم أرملة ::: عدى عليها فلم يترك لها سبد
وابتز مني ضياعي بعد منعتها ::: ظلما وفرق مني الأهل والولد

فأطرق المأمون حيناً، ثم رفع رأسه إليها وهو يقول:

في دون ما قلت زال الصبر والجلد ::: عني وأقرح مني القلب والكبد
هذا أذان صلاة العصر فانصرفي ::: وأحضري الخصم في اليوم الذي أعد

فالمجلس السبت إن يقض الجلوس لنا ننصفك منه وإلا المجلس الأحد قال: فلما كان يوم الأحد جلس، فكان أول من تقدم إليه تلك المرأة، فقالت: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته. فقال: وعليك السلام ثم قال: أين الخصم؟ فقالت: الواقف على رأسك يا أمير المؤمنين - وأومأت إلى العباس ابنه - فقال: يا أحمد بن أبي خالد، خذ بيده فأجلسه معها مجلس الخصوم. فجعل كلامها يعلو كلام العباس. فقال لها أحمد بن أبي خالد: يا أمة الله، إنك بين يدي أمير المؤمنين، وإنك تكلمين الأمير، فاخفضي من صوتك. فقال المأمون: دعها يا أحمد، فإن الحق أنطقها والباطل أخرسه. ثم قضى لها برد ضيعتها إليها، وظلم العباس بظلمه لها، وأمر بالكتاب لها إلى العامل الذي ببلدها أن يوغر لها ضيعتها ويحسن معاونتها، وأمر لها بنفقة.

وأين يقع شكري في جنب ما أنعم الله بك علي؟

قال يحيى بن أكثم: إني عند المأمون يوماً، حتى أتي برجل ترعد فرائصه، فلما مثل بين يديه، قال له المأمون: كفرت نعمتي ولم تشكر معروفي؛ قال له: يا أمير المؤمنين، وأين يقع شكري في جنب ما أنعم الله بك علي؟ فنظر المأمون إلي وقال متمثلاً:

فلو كان يستغني عن الشكر ماجد ::: لكثـرة مـال أو علـو مكـان
لمـا نـدب الله العبـاد لشـكره ::: فقال اشكروا لي أيهـا الـثقلان

ثم التفت إلى الرجل، فقال له: هلا قلت كما قال أصرم بن حميد:

رشحت حمدي حتى إنـي رجـل ::: كلي بكل ثنـاء فيـك مشـتغل
خولت شكري ما خولت من نعـم ::: فحر شكري لما خـولتني خـول

لو قدرتُ أن أقيك حَرَّ النار لفعلتُ فكيف الشمسُ؟

وقال يحيى بن أكثم: ما شيتُ المأمون يوماً من الأيام في بُستان مُؤْنسة بنت المَهديّ، فكنت من الجانب الذي يَسترُه من الشَمس، فلما انتهى إلى آخره وأراد الرجوع، وأردتُ أن أدور إلى الجانب الذي يَسْترُه من الشمس، فقال: لا تفعل، ولكن كُن بحالك حتى أسترك كما سَتَرْتني، فقلت: يا أمير المؤمنين، لو قدرتُ أن أقيك حَرَّ النار لفعلتُ فكيف الشمسُ؟ فقال: ليس هذا من كرم الصُحبة، ومَشى ساتراً لي من الشّمس كما سترته [(١)].

ما أظرف هذا الواو

وحكي أن المأمون سأل يحيى بن أكثم عن شيء. فقال: لا وأيد الله أيد الأمير فقال المأمون: ما أظرف هذا الواو وما أحسنها في موضعها.

(١) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١ / ٨، ١٣٧، ٢٢٢ و٢ /٢٤٠ - ٢٤٤ و٣/٤٧.

ففيم بحثنا إلى الآن؟

كان يحيى بن أكثم يناظر رجلاً في إبطال القياس؛ وكان الرجل يقول في أثناء مناظرته: يا أبا زكريا، فقال: لست أبا زكريا؛ فقال الرجل: يحيى يكون كنية أبا زكريا؛ فقال: يحيى بن أكثم: ففيم بحثنا إلى الآن؟ يعني أنّك قلت بالقياس وعملت به [1].

يا جاهل أتدري أين اشتكت عيني؟

قال ثمامة صاحب الكلام: كان المأمون قد همّ بلعن معاوية وأن يكتب بذلك كتاباً في الطعن عليه، قال: ففثأه عن ذلك يحيى بن أكثم وقال: يا أمير المؤمنين العامة لا تحتمل هذا ولا سيما أهل خراسان ولا تأمن أن يكون لهم نفرةٌ ونبوةٌ لا تستقال ولا يُدرى ما تكون عاقبتها، والرأي أن تدع الناس على ما هم عليه ولا تظهر لهم أنك تميل إلى فرقة من الفرق فإن ذلك أصلح في السياسة وآمن في العاقبة وأجرى في التدبير، فركن إلى قوله، فلما دخلت عليه قال: يا ثمامة قد علمت ما كنا دبّرناه في أمر معاوية وقد عارضنا رأيٌ هو أصلح في تدبير المملكة وأبقى ذكراً في العامة، ثم أخبرني أن يحيى بن أكثم حذّره وأخبره بنفور العامة عن مثل هذا الرأي، فقلت: يا أمير المؤمنين والعامة عندك في هذا الموضع الذي وضعها فيه يحيى، والله لو بعثت إليها إنساناً على عاتقه سوادٌ ومعه عصاً لساق إليك منها عشرة آلاف! والله يا أمير المؤمنين ما رضي الله جل وعز أن سوّاها بالأنعام حتى جعلها أضل سبيلاً، فقال تبارك وتعالى:{أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ ۚ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ ۖ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾} [الفرقان: ٤٤]، والله لقد مررت يا أمير

(١) الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، ١ / ٢٨٣، ٢٩٤، ٣ / ٢٣٩.

المؤمنين منذ أيام في شارع الخلد وأنا أريد الدار فإذا إنسان قد بسط كساءه وألقى عليه أدوية وهو قائم ينادي: هذا الدواء للبياض في العين والغشاوة والظلمة وضعف البصر، وإن إحدى عينيه لمطموسة والأخرى مؤلمة، وقد تألبوا عليه واحتفلوا إليه، فنزلت عن دابتي ودخلت بين تلك الجماعة فقلت: يا هذا أرى عينيك أحوج الأعين إلى العلاج وأنت تصف هذا الدواء وتخبر أنه شفاء! فما بالك يا هذا لا تستعمله؟ قال: أنا في هذا الموضع منذ عشرين سنة ما رأيت شيخاً قط أجهل منك ولا أحمق! قلت: وكيف ذاك؟ قال: يا جاهل أتدري أين اشتكت عيني؟ قلت: لا، قال: بمصر، فأقبل عليّ الجماعة فقالت: صدق والله أنت جاهل، وهمّوا بي، فقلت: والله ما علمت أن عينه اشتكت بمصر! فتخلصت منهم بهذه الحجة. قال: فضحك المأمون وقال: ما لقيت من الله جل ذكره من سوء الثناء وقبح الذكر أكثر، قلت: أجل.

أنا بؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبئه

قال أبو سعيد الضرير: سمعت ابن الأعرابي يقول: بعث إليّ المأمون فصرت إليه وإذا هو مع يحيى بن أكثم يطوفان في حديقة، فلما نظر إليّ ولاني ظهره فجلست فلما أقبل قمت قائماً فأسرّ إلى يحيى بشيء ما فهمت كله إلا ما قال: ما أحسن أدبه! وقد أقبل إلى مجلسه ثم التفت إليّ فقال: يا محمد بن زياد من أشعر العرب في وصف الخمر؟ فقلت: الذي يقول:

تريك القذى من دونها وهي دونه :: إذا ذاقها من ذاقها يتمطّق

فقال: أحسن الناس قولاً في صفة الخمر الذي يقول:

فتمشّت في مفاصلهم ::: كتمشي البرء في السقم
فعلت في البيت إذ مُزجت ::: مثل فعل الصبح في الظلم
فاهتدى ساري الظلام بها ::: كاهتداء السفر بالعلم

قلت: فائدة أمير المؤمنين. ثم قال: ما معنى قول هند:

نحن بنات طارق ::: نمشي على نمارق
إن تقبلوا نعانق ::: أو تدبروا نفارق
فراق غير وامق

ففكرت في نسبها ونسب أبيها فلم أجد طارقاً فقلت: ما أعرف طارقاً يا أمير المؤمنين. فقال: إنما قالت إنها في العلو والشرف بمنزلة الطارق وهو النجم، من قول الله، عز وجل، والسماء والطارق، قلت: فائدة يا أمير المؤمنين ثانية. ثم التفت إلى يحيى بن أكثم فقال: أنا بؤبؤ هذا الأمر وابن بؤبئه. فلم أدر ما قال وقمت لأخرج. فلما نظر إليّ وقد قمت رمى إليّ بعنبرة كانت في يده بعتها بخمسة آلاف درهم، قال: فرجعت إلى كتبي فنظرت فيها لأعرف ما قال فوقعت على هذه الأبيات لبعض الأعراب:

كأنها بنت أبي الحيريه ::: قاعدةٌ في إتبها لُويليه
قد فاقت البؤبؤ والبؤبئه

فعلمت أنه عنى السيد وابن السيد [1].

بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء

قال أبو العيناء حصلت لي ضيقه شديدة فكتمنها عن أصدقائي فدخلت يوما على يحيى بن أكثم القاضي فقال إن أمير المؤمنين جلس للمظالم

(١) إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص ٦٨، ١٧٧ - ١٧٩، ١٨٩، ٢١٢ - ٢١٣.

وأخذ القصص فهل لك في الحضور قلت نعم فمضيت معه الى دار أمير المؤمنين فلما دخلنا عليه أجلسه وأجلسني ثم قال يا أبا العيناء بالألفة والمحبة ما الذي جاء بك في هذه الساعة فأنشدته:

لقد رجوتك دون النـــاس كلـــهم ::: وللرجاء حقـــوق كلـــها تجـــب
إن لم يكن لي أسباب أعـــيش بهـــا ::: ففي العلا لك أخلاق هي الســـبب

فقال يا سلامة أنظر أي شيء في بيت مالنا دون مال المسلمين فقال بقية من مال قال فادفع له منها مائة ألف درهم وابعث له بمثلها في كل شهر فلما بعد أحد عشر شهرا مات المأمون فبكي عليه أبو العيناء حتى تقرحت أجفانه فدخل عليه بعض أولاده فقال يا أبتاه بعد ذهاب العين ماذا ينفع البكاء فأنشأ أبو العيناء يقول

شيئان لو بكت الـــدماء عليهمـــا ::: عينـــاى حـــتى يؤذنـــا بـــذهاب
لم يبلغا المعشـــار مـــن حقيهمـــا ::: فقد الشـــباب وفرقـــه الأحبـــاب

أما تنظر إلى مخاطبة هذا الرجل بأصغريه؟

وحكي عن المأمون أنه قال ليحيى بن أكثم يوما: سر بنا نتفرج فسارا فبينما هما في الطريق وإذا بمقصبة خرج منها رجل بقصبة للمأمون يتظلم له فنفرت دابته فألقته على الأرض صريعا فأمر بضرب عنق ذلك الرجل، فقال: يا أمير المؤمنين، إن المضطر يرتكب الصعب من الأمور وهو عالم به ويتجاوز حد الأدب وهو كاره لتجاوزه ولو أحسنت الأيام مطالبتي لأحسنت مطالبتك ولأنت علي ما لم تفعل أقدر مني على رد ما قد فعلت قال فبكى المأمون وقال بالله أعد علي ماقلت فأعاده فالتفت المأمون إلى يحيى بن أكثم وقال أما تنظر إلى مخاطبة هذا الرجل بأصغريه؟ والنبي يقول:﴿المرء بأصغريه قلبه ولسانه﴾.

والله لا وقفت لك إلا وأنا قائم على قدمي فوقف وأمر له بصلة جزيلة

واعتذر إليه فلما هم المأمون بالانصراف قال الرجل يا أمير المؤمنين بيتان قد حضراني ثم أنشد يقول:

ما جاد بالوفر إلا وهـو معتـذر ::: ولا عفا قـط إلا وهـو مقتـدر
وكلمـا قصـدوه زاد نائلـه ::: كالنار يوخذ منها وهـي تسـتعر

نوادر المتنبئين

ادعى رجل النبوة في أيام الرشيد فلما مثل بين يديه قال له ما الذي يقال عنك قال إني نبي كريم قال فأي شيء يدل على صدق دعواك قال سل عما شئت قال أريد أن تجعل هذه المماليك له بشيء وتنبأ رجل في أيام المأمون وادعى إنه إبراهيم الخليل فقال له المأمون إن إبراهيم كانت له معجزات وبراهين قال وما براهينه قال أضرمت له نارا وألقي فيها فصارت عليه بردا وسلاما ونحن نوقد لك نارا ونطرحك فيها فإن كانت عليك كما كانت عليه آمنا بك قال أريد واحدة أخف من هذه قال فبراهين موسى قال وما براهينه قال ألقى عصاه فإذا هي حية تسعى وضرب بها البحر فانفلق وأدخل يده في جيبه فأخرجها بيضاء قال وهذه علي أصعب من الأولى قال فبراهين عيسى قال وما هي قال إحياء الموتى قال مكانك قد وصلت أنا أضرب رقبة القاضي يحيى بن أكثم وأحييه لكم الساعة فقال يحيى أنا أول من آمن بك صدق وتنبأ آخر في زمن المأمون فقال المأمون أريد منك بطيخا في هذه الساعة قال أمهلني ثلاثة أيام قال ما أريده إلا الساعة قال ما أنصفتني يا أمير المؤمنين إذا كان الله تعالى الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ما يخرجه إلا في ثلاثة أشهر فما تصبر أنت علي ثلاثة أيام فضحك منه ووصله وتنبأ آخر في زمن المأمون فلما مثل بين يديه قال له من أنت قال أنا أحمد النبي قال لقد ادعيت زورا فلما رأى الأعوان قد أحاطت به وهو ذاهب معهم قال يا

أمير المؤمنين أنا أحمد النبي فهل تذمه أنت فضحك المأمون منه وخلى سبيله وتنبأ آخر في زمن المتوكل فلما حضر بين يديه قال له أنت نبي قال نعم قال فما الدليل على صحة نبوتك قال القرآن العزيز يشهد بنبوتي في قوله تعالى:{إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ﴿١﴾} [النصر: ١]، وأنا إسمي نصر الله قال فما معجزتك قال ائتوني بامرأة عاقر أنكحها تحمل بولد يتكلم في الساعة ويؤمن بي فقال المتوكل لوزيره الحسن بن عيسى أعطه زوجتك حتى تبصر كرامته فقال الوزير أما أنا فأشهد أنه نبي الله وإنما يعطي زوجته من لا يؤمن به فضحك المتوكل وأطلقه وادعى رجل النبوة زمن خالد بن عبد الله القسري وعارض القرآن فأتى به إلى خالد فقال له ما تقول قال عارضت القرآن قال بماذا قال قال الله تعالى:{إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ﴿١﴾} [الكوثر: ١]، الآية وقلت إنا أعطيناك الجماهر فصل لربك وجاهر ولا تطع كل ساحر فأمر به خالد فضرب عنقه وصلب فمر به خلف بن خليفة الشاعر فضرب بيده على الخشبة وقال إنا أعطيناك العود فصل لربك من قعود وأنا ضامن لك أن لا تعود.

وأتي المأمون برجل ادعى النبوة فقال له: ألك علامة على نبوتك قال: علامتي أني أعلم ما في نفسك. قال: وما في نفسي قال: في نفسك أني كاذب قال صدقت ثم أمر به إلى السجن فأقام فيه أياما ثم أخرجه فقال هل أوحى إليك بشيء قال لا قال ولم قال لأن الملائكة لا تدخل الحبوس فضحك منه وخلى سبيله وأتي بامرأة تنبأت في أيام المتوكل فقال لها أنت نبية قالت نعم قال أتؤمنين بمحمد قالت نعم قال فإنه قال لا نبي بعدي قالت فهل قال لا نبية بعدي فضحك المتوكل وأطلقها وتنبأ رجل ي سمى نوحا وكان له صديق نهاه فلم يقبل فأمر السلطان بقتله فمر به صديقه فقال له يا نوح ما حصلت من السفينة إلا على

الصاري[1].

فما بالي أنسب إلى صناعة وأنا أحسن غيره كما أحسن منه!

دخل أبو إسحاق بن إبراهيم الموصليّ إلى يحيى بن أكثمَ وعليه طيلسانٌ أزرق، فتذاكروا الحديث فجرى معهم، ثم الفقه ثم النّحو ثم الشعر، فما مرّ شيءٌ إلاّ زاد عليه. ثم التفت إلى يحيى بن أكثم فقال: أصلحك الله، هل قصّرتً في شيء مما جرى؟ فقال: بل زدتَ. قال: فما بالي أنسب إلى صناعة وأنا أحسن غيره كما أحسن منه! فقال: الجوابُ في هذا على العطويِّ. فقلت: أخبرني عنك أنت في الفقه كأبي حنيفة والشافعيّ: قال: لا. قلتُ: فأنت في الحديث كيحيى بن سعيد، وعبد الرحمن بن مهديّ؟ قال: لا. قلت: فأنت في النّحو كسيبويه؟ قال: لا. قلت: فإنّما نسبت إلى العلم الذي أنت فيه أوحد لم يشاركك فيه غيرك. فسكت [2].

سليه ربَّ يحيى بن أكثما

وقال عبد الصمد بن المعذّل في حين قدوم يحيى بن أكثم البصرة، قالت له امرأته لو أتيته فسألته، فقال:

تكلّفني إذلال نفسي لعزِّها ::: وهان عليها أن أهان لتكرما
تقول: سل المعروف يحيى بن أكثمٍ ::: فقلت سليه ربَّ يحيى بن أكثما

يحيى بن أكثم يمدح المأمون

وقال المأمون ليحيى بن أكثم صف لي حالي عند الناس فقال

---

(١) شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، د. مفيد محمد قميحة، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦، ١/٢٢١، ٣٦٣، ٢/١١٣، ٥٢٢.

(٢) أبو أحمد العسكري، المصون في الأدب، ص ١٩، ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ٣٣، ٢١٢.

يا أمير المؤمنين قد انقادت لك الأمور بأزمتها وملكتك الأمة فضول أعنتها بالرغبة إليك والمحبة لك والرفق منك والعياذ بك بعدلك فيهم ومنك عليهم حتى لقد أنيستهم سلفك وآيستهم من خلفك فالحمد لله الذي جمعنا بك بعد التقاطع ورفعنا في دولتك بعد التواضع

فقال يا يحيى أتحبيرا أم ارتجالا قال قلت وهل يمتنع فيك وصف أو يتعذر على مادحك قول أو يفحم فيك شاعر أو يتلجلج فيك خطيب.

أنت الحاكم الأكبر والإمام الأعظم وأنت أولى بالكلام

وقال يحيى بن أكثم أراد المأمون أن يزوج ابنته من علي بن موسى الرضا فقال يا يحيى تكلم فأجللته أن أقول أنكحت فقلت يا أمير المؤمنين أنت الحاكم الأكبر والإمام الأعظم وأنت أولى بالكلام فقال: الحمد لله الذي تصاغرت الأمور بمشيئته ولا إله إلا هو إقرارا بربوبيته وصلى الله على محمد عند ذكره أما بعد فإن الله قد جعل النكاح دينا ورضيه حكما وأنزله وحيا ليكون سبب المناسبة ألا وإني قد زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى، وأمهرتها أربعمائة درهم اقتداء بسنة رسول الله وانتهاء إلى ما درج إليه السلف والحمد لله رب العالمين(١).

ونتلقَّاه بالشكر الدائم

وقال يحيى بن أكثم للمأمون يذكر حاجةً له قد وعده بقضائها وأغفل ذلك: أنتَ، يا أمير المؤمنين، أكرمُ من أن نعرِّضَ لك بالاستنجاز، ونقابلك بالادِّكار، وأنت شاهدي على وَعْدِك، وأن تأمر بشيء لم تتقدَّمْ أيامه، ولا يقدر زمانه، ونحن أضعفُ من أن يستوليَ علينا صبرُ

(١) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، الناشر: المكتبة العلمية - بيروت، ٣ / ١٣٢، ٣٤٩.

انتظار نعمتك، وأنت الذي لا يؤوده إحسان، ولا يُعْجِزُه كرَم، فعجِّل لنا يا أميرَ المؤمنين ما يزيدك كرماً، وتزدادُ به نعماً، ونتلقّاه بالشكر الدائم، فاستحسن المأمون هذا، الكلام، وأمر بقضاء حاجته[١].

إن درسي كان انتهى إلى ههنا

ورأى يحيى بن أكثم في دار المأمون جماعة من صباح الغلمان فقال: لولا أنتم لكنا مؤمنين؛فرفع ذلك إلى المأمون فعاتبه فقال: إن درسي كان انتهى إلى ههنا [٢].

ولكنه خاف أن أعلم عليه

كان المتوكل يلعب بالنرد مع الفتح بن خاقان، فقيل له: يحيى بن أكثم يستأذن. فأمر برفع النرد، ودخل يحيى، فلما جلس قال له: يا يحيى، إن فتحاً احتشمك وأمر برفع النرد، فقال: يا أمير المؤمنين، لم يكن به احتشامي، ولكنه خاف أن أعلم عليه.

وليس هذا وقتك

حضر يحيى بن أكثم مجلس المتوكل، وتغدى، ثم حضر الشراب والغناء، فقال له المتوكل: يا يحيى، قد كثر التخليط، وليس هذا وقتك. فقال يحيى بن أكثم: ما كنتم إلى قاض قط أحوج منكم إليه إذا كثر التخليط. فضحك وأمر له بمال.

كذا صاحبه يتقدمكم

(١) أبو إسحاق إبراهيم بن علي الحصري القيرواني، زهر الأداب وثمر الألباب، تحقيق يوسف على طويل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧م، ٢ / ٣٩٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٤٠٩، ٤٣٠.

وكان إسماعيل بن إسحاق يصحب يحيى بن أكثم، فركب يحيى يوماً يريد العبور على الجسر على حمار، وإسماعيل معه على حمار له مع أصحابه، فامتنع حمار يحيى من العبور، فتقدم إسماعيل وعبر حماره، وتبعه حمار يحيى وحمير من كانوا معه من أصحابه. فقال إسماعيل: حماري يتقدم حميركم، كذا صاحبه يتقدمكم.

وليس لهم أحد غير الله

أمر يحيى بن أكثم برجل إلى الحبس، فقال: إني معسر. فلم يلتفت إليه، فقال: من لعيالي؟ قال: الله لهم. فقال الرجل: أراني الله عيالك وليس لهم أحد غير الله.

أي دواة لم يلقها قلمه؟

كتب العباس بن المأمون، في رقعة: أي دواة لم يلقها قلمه؟ وألقاها بين يدي يحيى بن أكثم، فقرأها ووقع فيها: دواتك ودواة أبيك.

ما رأيت أتم دهاء ولا أقرب فطنة منكما

وقف أحمد بن أبي خالد بين يدي المأمون وخرج يحيى بن أكثم وجلس على طرفه فقال أحمد: يا أمير المؤمنين؛ إن يحيى صديقي وأخي، ومن أثق به في أمري كله ويثق بي، وقد تغير عما كنت أعهده عليه، فإن رأيت أن تأمره بالعود إلى ما كان عليه. فإني له على مثله. فقال المأمون: يا يحيى؛ إن فساد أمر الملوك بفساد الحال بين خاصتهم. وما يعدلكما عندي أحد. فما هذا النزاع بينكما؟ فقال له يحيى: والله يا أمير المؤمنين إنه ليعلم أني له على أكثر مما وصف، وأني أثق بمثل ذلك منه. ولكنه رأى منزلتي هذه منك فخاف أن أتغير له يوماً، فأقدح فيه عندك، فتقبل قولي فيه فأحب أن يقول هذا لتأمرني بأمر لو بلغ نهاية مساءتي ما قدرت أن أذكره بسوء عندك. فقال المأمون: أكذاك

هو يا أحمد؟ قال: نعم. قال: أستعين الله عليكما. ما رأيت أتم دهاء ولا أقرب فطنة منكما.

هو القاضي نفسه

لما خرج المأمون إلى فم الصلح لينقل بوران بنت الحسن، إذا جماعة على الشط وفيهم رجل ينادي بأعلى صوته: يا أمير المؤمنين؛ نعم القاضي قاضي جبل جزاه الله عنا أفضل ما جزى أحداً من القضاة؛ فهو العفيف النظيف، الناصح الجيب المأمون الغيب. وكان يحيى بن أكثم يعرف قاضي جبل وهو ولاه وأشار به. وإذا هو القاضي نفسه، فقال: يا أمير المؤمنين: إن هذا الذي ينادي ويثني على القاضي هو القاضي نفسه. فاستضحك المأمون واستطرفه وأقره على القضاء.

وقد كان أهل جبل رفعوا عليه وذكروا أنه سفيه حديد يعض رءوس الخصوم فوقع المأمون: يشنق إن شاء الله.

كان يكرهه

وعزل يحيى بن أكثم قاضياً كان له على حمص من أهلها فلما قدم إليه رأى شيخاً وسيماً فقال له: من جالست يا شيخ؟ فقال: أبي. فظن أن أباه من أهل العلم. قال: فمن جالس أبوك: قال: مكحولاً قال: فمن جالس مكحول؟ قال: سفيان الثوري. قال: ما كان يقول أباك في عذاب القبر؟ قال: كان يكرهه [1].

تصدق بربع مالك

(١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٢ / ١٠٨، ١١٠، ١١٢، ١٣٤، ١٤٨، ٤ /٨٠، ٢١٤، ٢١٩.

لما استقضي يحيى بن أكثم جاءه رجل فقال: إني نذرت أن أتصدق بجزء مالي، قال: تصدق بربع مالك بقول الله تعالى:{فَخُذۡ أَرۡبَعَةٗ مِّنَ ٱلطَّيۡرِ فَصُرۡهُنَّ إِلَيۡكَ ثُمَّ ٱجۡعَلۡ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٖ مِّنۡهُنَّ جُزۡءٗا} [البقرة: ٢٦٠] (١).

وأنى لي بمن يذكرني بما أنا إليه صائر

قال يحيى بن أكثم: كنت أرى شيخاً يدخل على المأمون في السنة مرة، وكان يخلو به خلوة طويلة ثم ينصرف فلا نسمع له خبراً، ولا نرى له أثراً، لا نقدم على المسألة عنه فلما كان بعد قال لنا المأمون: واأسفاً على فقد صديق مسكون إليه، موثوق به، يلقى إليه العجر والبجر، ويقتبس منه الفوائد والغرر، قلنا وما ذاك يا أمير المؤمنين؟ قال: أما كنت ترى شيخاً يأتينا في الفرط، ونخلو به من دون الناس؟ قلت: بلى، قال: فإنه قد تأخر عن إبانه، وأظن أنه قد قضى، قلت: الله يمد في عمر أمير المؤمنين، وما في ذلك؟ قال: كان صديقي بخراسان، وكنت أستريح إليه استراحة المكروب، وأجد به ما يوجد بالولد السار المحبوب ولقد كنت أستمد منه رأياً أقوم به أود المملكة، وأصل به إلى رضاء الله في سياسة الرعية، وآخر ما قال لي عند وداعه أن قال: يا أمير المؤمنين إذا استقش ما بينك وبين الله تعالى فابلله، قلت: بماذا يا صاحب الخير؟ قال: بالاقتداء به في الإحسان إلى عباده، فإنه يحب الإحسان إلى عباده، كما تحب الإحسان إلى ولدك من حاشيتك، والله ما أعطاك الله القدرة عليهم إلا لتصر على إحسانك إليهم بالشكر على حسناتهم، والتغمد لسيئاتهم، وأي شيء أوجه لك عند ربك من أن تكون أيامك أيام عدل وإنصاف، وإحسان، وإسعاف، ورأفة، ورحمة، ومن لي يا يحيى بمثل هذا القائل، وأنى لي بمن يذكرني بما أنا إليه

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١ / ٣٤٦، ٢ / ١٥، .

صائر [١].

قد خصك الله تعالى بأخلاق الأنبياء

ومن محاسن الأخلاق ما حكي عن القاضي يحيى بن أكثم قال كنت نائماً ذات ليلة عند المامون فعطش فامتنع ان يصيح بغلام يسقيه وانا نائم فينغص عليَّ نومي فرأيته قد قام يمشي على أطراف أصابعهِ حتى أتى موضع الماء وبينه وبين المكان الذي فيه الكيزان نحو من ثلثمائة خطوة فأخذ منها كوزاً فشرب ثم رجع على أطراف أصابعه حتى قرب من الفراش الذي أنا عليه فخطا خطوات خائفاً لئلا ينبهني حتى صار إلى فراشه ثم رأيته آخر الليل قام يبول وكان يقوم في أول الليل وآخره فقعد طويلاً يحاول أن أتحرك فيصيح بالغلام فلما تحركت وثب قائماً وصاح يا غلام وتأهب للصلاة ثم جاءني فقال لي كيف أصبحت يا أبا محمد وكيف كان مبيتك قلت خير مبيت جعلني الله فداءك يا أمير المؤمنين قد خصك الله تعالى بأخلاق الأنبياء وأحب لك سيرتهم فهناك الله تعالى بهذه النعمة وأتمها عليك فأمر لي بألف دينار فأخذتها وأنصرفت.

قال وبت عنده ذات ليلة فانتبه وقد عرض له السعال حتى غلبه فسعل وأكب على الأرض لئلا يعلو صوته فانتبه.

وكنت معه يوماً في بستان ندور فيه فجعلنا نمر بالريحان فيأخذ منه الطاقتين ويقول لقيِّم البستان أصلح هذا الحوض ولا تغرس في هذا الحوض شيئاً من البقول قال يحيى ومشينا في البستان من أوله إلى آخره وكنت أنا ما يلي الشمس والمأمون مما يلي الظل فكان يجذبني أن أتحول أنا في الظل ويكون هو في الشمس فامتنع من ذلك حتى

(١) أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق، ١ / ١٩.

بلغنا آخر البستان فلما رجعنا قال يا يحيى والله لتكونن في مكاني ولأكونن في مكانك حتى آخذ نصيبي من الشمس كما أخذت نصيبك وتأخذ نصيبك من الظل فقلت والله يا أمير المؤمنين لو قدرت أن أقيك يوم الهول بنفسي لفعلت فلم يزل بي حتى تحولت إلى الظل وتحول هو إلى الشمس ووضع يده على عاتقي وقال بحياتي عليك إلا وضعت يدك على عاتقي مثل ما فعلت أنا فإنه لا خير في صحبة من لا ينصف.

لا يضيع المعروف أين وضع

قال يحيى بن أكثم رحمة الله تعالى عليه: دخلت يوماً على الخليفة هارون الرشيد ولد المهدي وهو مطرق مفكر فقال لي أتعرف قائل هذا البيت:

الخير أبقى وإن طال الزمـــان بـــه ::: والشرُّ أخبثُ ما أوعيتَ مـــن زدا

فقلت يا أمير المؤمنين إن هذا البيت شأنا مع عبيد بن الأبرص فقال عليَّ بعبيد فلما حضر بين يديه قال له أخبرني عن قضية هذا البيت فقال يا أمير المؤمنين كنت في بعض السنين حاجاً فلما توسطت البادية في يوم شديد الحر سمعت ضجة عظيمة في القافلة ألحقت أولها بآخرها فسألت عن القصة فقال لي رجل من القوم تقدم ترَ ما بالناس فتقدمت إلى أول القافلة فإذا أنا بشجاع أسود فأغر فاه كالجذع وهو يخور كما يخور الثور ويرغو كرغاء البعير فهالني أمره وبقيت لا أهتدي إلى ما أصنع في أمره فعدلنا عن طريقه إلى ناحية أخرى فعارضنا ثانياً فعلمت أنه لسبب ولم يجسر أحد من القوم أن يقربه فقلت أفدي هذا العالم بنفسي وأتقرب إلى الله تعالى بخلاص هذه القافلة من هذا فأخذت قربة من الماء تقلدتها وسللت سيفي وتقدمت فلما رآني قربت منه سكن وبقيت متوقعاً منه وثبة يبتلعني فيها فلما رأى القربة

فتح فاه فجعلت فم القربة في فيه وصببت الماء كما يصب في الإناء فلما فرغت القربة تسيب في الرمل ومضى فتعجبت من تعرضه لنا وإنصرافه عنا من غير سوء لحقنا منه ومضينا لحجنا ثم عدنا في طريقنا ذلك وحططنا في منزلتنا تلك في ليلة مظلمة مدلهمة فأخذت شيئاً من الماء وعدلت إلى ناحية عن الطريق فقضيت حاجتي ثم توضأت وصليت وجلست أذكر الله تعالى فأخذتني عيني فنمت مكاني فلما استيقظت من النوم لم أجد للقافلة حساً وقد ارتحلوا وبقيت منفرداً لم أرَ أحداً ولم أهتدِ إلى ما أفعله وأخذتني حيرة وجعلت أضطرب فإذا بصوت هاتف أسمع صوته ولا أرى شخصه يقول:

يا أيها الشخص المضلّ مركبه ::: ما عنده من ذي رشادٍ يصحُبُه
دونك هذا البكر منّا تركبه ::: وبكرك الميمون حقاً تجنبه
حتى إذا ما الليل غاب غيهبه ::: عند الصباح في الفلا تسيّبه

فنظرت فإذا أنا ببكر قائم عندي وبكري إلى جانبي فانختـه وركبته وجنبت بكري فلما سرت قدر عشرة أميال لاحت لي القافلة وانفجر الفجر ووقفت البكر فعلمت أنه قد حان نزولي فتحولت إلى بكري وقلت:

يا أيها البكر قد أنجيت من كرب ::: ومن هموم تضلّ المدلج الهادي
الا تخبّرني بالله خالقنا ::: من الذي جاء بالمعروف في الوادي
وارجع حميداً فقد أبلغتنا مننا ::: بوركت من ذي سنامٍ رائحٍ غادي

فالتفت البكر إلي وهو يقول:

أنا الشجاع الذي ألفيتني رمضاً ::: والله يكشف ضرَّ الحائر الصادي
فجدت بالماء لَّما ضنَّ حامله ::: تكرُّماً منك لم تمنن بإنكاد
فالخير أبقى وإن طال الزمان به ::: والشرُّ أخبثُ من أوعيت من زاد
هذا جزاؤك منيّ لا أمنُّ به ::: فإذهب حميداً رعاك الخالق الهادي

فعجب الرشيد من قولـه وأمر بالقصـة والأبيـات فكتبت عنـه وقـال لا يضيع المعروف أين وضع [١].

اعرض طعامك وابذله لمن دخلا

عن يحيى بن أكثم: دخلت على المأمون وبين يديه طعام في طبق فدعاني إليه، وإذا هو لحم قليل.فقال:

اعرض طعامك وابذله لمن دخـــلا ::: واحلف على من أبى واشكر لمن أكلا
ولا تكن سابري العرش محتشـــماً ::: من القليل فست الدهر محتفلا [٢]

هذا لم يراقبني فيك، كيف أصرفه؟

لما عزل المأمون إسماعيل بن حماد بن أبي حنيفة، استقضى على مدينة المنصور أبا الوليد بشر بن الوليد الكندي.

وكان بشر علماً من أعلام المسلمين، وكان عالماً، ديناً، خشناً في باب الحكم، واسع الفقه، وهو صاحب ابي يوسف، ومن المقدمين عنده، وحمل الناس عنه من الفقه والمسائل ما لايمكن جمعه.

وقال طلحة: حدثني عبد الباقي بن قانع، عن بعض شيوخه: أن يحيى بن أكثم شكى بشر بن الوليد إلى المأمون، وقال: إنه لا نفذ قضائي، وكان يحيى قد غلب على المأمون، حتى كان عنده أكبر من ولده، فأقعده المأمون معه على سريره، ودعا بشر بن الوليد.

فقال له: ما ليحيى يشكوك، ويقول إنك لا تنفذ أحكامه؟ قال: يا أمير المؤمنين، سألت عنه بخراسان، فلم يحمد في بلده ولا في جواره.

فصاح به المامون، اخرج، فخرج بشر.

---

(١) ابن حجة الحموي، ثمرات الأوراق، ص ١٧٣، ١٩١ - ١٩٢.
(٢) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٢٦٤.

فقال يحيى: يا أمير المؤمنين، قد سمعت، فاصرفه.

فقال: ويحك، هذا لم يراقبني فيك، كيف أصرفه؟ ولم يفعل [١].

دع ذا عنك

قال ابن الشاذكوني: ذكر يحيى بْن أكثم عمار بْن مسلم، وأثنى عليه؛ فقلت: أتوثقه؟ فقال: نعم، قلت: فوالله الذي لا إله إلا هو لقد سمعته يرمي حاكماً من حكام المسلمين بأمر يجب عليه فِيْهِ حد من حدود الله، قال: ومن ذلك الحاكم؟ قال: دع ذا عنك، فقد علمت الذي أردت [٢].

كل واحد عمّ الآخر

كان يحيى بن أكثم يمتحن من يريدهم للقضاء، فقال الرجل: ما تقول في رجلين زوّج كل واحد منهما الآخر أمّه فولد لكل واحد من امرأته ولد، ما قرابة ما بين الولدين؟ فلم يعرفهم، فقال له يحيى: كل واحد من الولدين عمّ الآخر لأمه [٣].

هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء

خرج سفيان بن عيينة إلى أصحاب الحديث وهو ضجر فقال: أليس من الشقاء أن أكون جالست ضمرة بن سعيد وجالس أبا سعيد الخدري، وجالست عمرو بن دينار وجالس جابر بن عبد الله، وجالست عبد الله بن دينار وجالس ابن عمر، وجالست الزهري وجالس أنس بن مالك؟! حتى عدد جماعة، ثم أنا أجالسكم، فقال له حدث في المجلس: أتنصف يا أبا محمد؟ قال: إن شاء الله، قال له:

(١) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ١ / ٣٠٢.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /١٦٣.
(٣) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ١ / ٢٧.

والله لشقاء من جالس أصحاب رسول الله ﷺ بك أشد من شقائك بنا، فأطرق وتمثل بشعر أبي نواس.

خـــــل جنبيـــــك لـــــرام ::: وامـــــض عنـــــه بســــلام
مـــت بـــداء الصـــمت خـــير ::: لـــك مـــن داء الكـــلام

فسئل من الحدث؟ فقالوا: يحيى بن أكثم، فقال سفيان: هذا الغلام يصلح لصحبة هؤلاء، يعني: السلطان.

أستغفر الله، نادوا بتحريم المتعة

عن أحمد بن أبي داود ومحمد بن منصور: كنا مع المأمون في طريق الشام، فأمر فنودي بتحليل المتعة، فقال لنا يحيى بن أكثم: بكرا غداً إليه، فإن رأيتما للقول وجهاً فقولا، وإلا فاسكتا إلى أن أدخل، قال: فدخلنا عليه وهو يستاك ويقول، وهو مغتاظ: متعتان كانتا على عهد رسول الله ﷺ وعلى عهد أبي بكر، وأنا أنهى عنهما، ومن أنت يا أحول حتى تنهى عما فعله النبي ﷺ وأبو بكر فأومأت إلى محمد بن منصور ان أمسك، رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن؟ فأمسكنا، وجاء يحيى فجلس وجلسنا، فقال المأمون ليحيى: ما لي أراك متغيراً؟ قال: هو غم يا أمير المؤمنين لما حدث في الإسلام، قال: وما حدث فيه؟ قال: النداء بتحليل الزنا، قال: الزنا؟؟ قال: نعم، المتعة زنى، قال: ومن أين قلت هذا؟ قال: من كتاب الله تعالى وحديث رسول الله ﷺ : قال الله عز وجل:{قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٦﴾ فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾} [المؤمنون: ١ - ٧] ، يا أمير المؤمنين، زوجة المتعة ملك يمين؟ قال: لا. قال: فهي الزوجة التي عنى الله تعالى، ترث وتورث وتلحق الولد

ولها شرائطها؟ قال: لا، قال: فقد صار متجاوز هذا من العادين. وهذا الزهري يا أمير المؤمنين روى عن عبد الله والحسن ابني محمد بن الحنفية عن أبيهما محمد عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه قال: " أمرني رسول الله ﷺ أن أنادي بالنهي عن المتعة وتحريمها بعد أن كان قد أمر بها.

فالتفت إلينا المأمون فقال: أمحفوظ هذا من حديث الزهري؟ قلنا: نعم يا أمير المؤمنين، رواه جماعة منهم مالك. فقال: أستغفر الله، نادوا بتحريم المتعة، فنادوا بها.

إلا أن تؤثر الله على ما سواه

قال مسلم بن حاتم الأنصاري: كنا يوماً عند زهير البابي نعوده، وإذا نحن برجل يقول في الدار: يا جارية، يا غلام، فأشرف عليه بعض من كان يخدمه فقال: من هذا؟ فقال: أخبر أبا عبد الرحمن أن القاضي بالباب، فأخبره، فقال زهير: مالي وللقاضي وما للقاضي ولي قال: وقد كان جاءه قبل ذلك بيوم فحجبه، فقدم إليه رجلين من أمنائه: العيشي وإسحاق بن حماد بن زيد، وقال لهما: إني ذهبت إلى زهير فحجبني، فاغدوا عليه وكونا عنده حتى أجيء فإن أذن لي فذاك وإلا فسهلا أمري، فأقبل عليه العيشي فقال: يا أبا عبد الرحمن، قاضي أمير المؤمنين جاء يعودك إن رأيت أن تأذن له، قال يا عيشي، أنت أيضاً من هذا الضرب؟ ما للقاضي وعبادة زهير فأقبل عليه ابن حماد فقال: يا أبا عبد الرحمن، إن رأيت أن تأذن له فلعله أن يسمع منك كلمة ينفعه الله بها، فما زالا بالشيخ حتى قال: ائذنوا له، فدخل وهو يومئذ كهل، وعليه كسوة عجيبة، قال: فتحسحس جميع من في البيت، وزهير لا يتحرك حتى جلس يحيى، فانكب على رأسه فقبله ثم قال: يا أبا عبد الرحمن، كيف أصبحت؟ كيف تجدك؟ قال: أنا بخير والحمد

لله وأنا في عافية، قال: جعلك الله بخير يا أبا عبد الرحمن، جئتك أمس فمنعتني، وجئتك اليوم، فكدت ألا تأذن لي، بلغك عني أمر تكرهه؟ اشتكاني إليك أحد بظلم أحد من قبلي فأستغفر الله وأرجع وأتوب؟ إلى أن قال في كلامه: والله يا أبا عبد الرحمن ما تركت. فقال زهير: خذوا بيدي، فجلس، فقال: يا يحيى، من لم يدعك؟ ضربت سوطاً قط أخذ من مالك دينار قط حبست يوماً إلى الليل قط قال: لا والله، قال: ولكن ما أرى الله أتى بك من أقاصي مرو وقلدك هذه القلادة لخير يريده بك، قال: فجعل يبكي، ثم قال في آخر كلامه: يا أبا عبد الرحمن، لك حاجة توصي بها؟ قال: مالي إليك حاجة إلا أن تؤثر الله على ما سواه.

يا يحيى اعتبر بما ترى، واتعظ بما تسمع

قال يحيى بن أكثم: كان لي أخ مروزي وكان يكتب إلي في الأحايين، وما كتب إلي إلا انتفعت بكتابه، فكتب إلي مرة: بسم الله الرحمن الرحيم، يا يحيى اعتبر بما ترى، واتعظ بما تسمع، قبل أن تصير عبرة للناظرين وعظة للسامعين. قال: قلت: لقد جمع فيه.

كحية الفخ دقت عنق عصفور

لما ولي يحيى بن أكثم القضاء كتب إليه أخوه عبد الله بن أكثم من مرو وكان من الزهاد:

ولقمة بجريش الملح آكلها ::: ألذ من تمرة تحشى بزنبور[1]
وأكلة قربت للهلك صاحبها ::: كحية الفخ دقت عنق عصفور

قول قاطن وعمل ظاعن

لقي رجل يحيى بن أكثم وهو على قضاء القضاة فقال له: أصلح الله

(١) الزُّنْبورُ، بالضَّمّ: ذُبَابٌ لسَّاعٌ، وهو الدَّبُّور.

القاضي: كم آكل؟ قال: فوق الجوع ودون الشبع. قال: فكم أضحك؟ قال: حتى يسفر وجهك ولا يعلو صوتك. قال: فكم أبكي؟ قال: لا تمل البكاء من خشية الله تعالى، قال: فكم أخفي من عملي؟ قال: ما استطعت؟ قال: فكم اظهر منه؟ قال: ما يقتدي بك البر الخير، ويؤمن عليك قول الناس. فقال الرجل: سبحان الله، قول قاطن وعمل ظاعن[1].

إيش توسمت في؟

جاء رجل يسأل يحيى بن أكثم فقال له: إيش توسمت في؟ أنا قاض، والقاضي يأخذ ولا يعطي، وأنا من مرو، وأنت تعرف ضيق أهل مرو، وأنا من تميم، والمثل إلى بخل تميم.

الحق حبسه، والحق يطلقه

لما قدم يحيى بن أكثم مع المأمون دمشق كان ينظر في أمور الناس، فدخل إليه رجل يوماً فكلمه بكلام لا يصلح، فأمر بحبسه، فركب إليه المشايخ في العشي - قال ابن ذكوان وكان فيهم -: فكلمناه وسألناه يخليه، فقال: ما أنا حبسته، فكأنا أنكرنا ذلك من قوله: قال: الحق حبسه، والحق يطلقه.

أميرنا يرتشي وحاكمنا ::: يلوط والرأس شر ما راس

وكان يحيى بن أكثم أعور. مازح المأمون يحيى بن أكثم وقد مر غلام أمرد فقال: يا يحيى - وأومأ إلى الغلام - ما تقول في مُحرم اصطاد ظبياً؟ فقال: يا أمير المؤمنين، إن هذا لا يحسن بإمام مثلك مع فقيه مثلي، قال: فمن القائل؟

قاض يرى الحد في الزنا ولا ::: يرى على من يلوط من باس

(١) مرتحل.

قال: من عليه لعنة الله، وفي آخر: أو ما تعرف من قاله؟ قال: لا، قال: يقوله الفاجر أحمد بن أبي نعيم الذي يقول:

أنطقني الدهر بعد إخراسي ::: لنائبات أطلن وسواسي
يا بؤس للدهر لا يزال كما ::: يرفع من ناس يحط من ناس
لا أفلحت أمة وحق لها ::: بطول نكس وطول اتعاس
ترضى بيحيى يكون سائسها ::: وليس يحيى لها بسواس
قاض يرى الحد في الزنا ولا ::: يرى على من يلوط من باس
يحكم للأمرد الغرير على ::: مثل جرير ومثل عباس
فالحمد لله كيف قد ذهب الـ ::: ـعدل وقل الوفاء في الناس
أميرنا يرتشي وحاكمنا ::: يلوط والرأس شر ما راس
لو صلح الدين واستقام لقد ::: قام على الناس كل مقياس
لا أحسب الجور ينقضي ::: وعلى الأمة وال من آل عباس

فوجم المأمون وقال: هذا مزاح قد تضمن إسماعاً قبيحاً، وأنشأ يقول:

وكنا نرجي أن نرى العدل ظاهراً ::: فأعقبنا بعد الرجاء قنوط
وهل تصلح الدنيا ويصلح أهلها ::: وقاضى قضاة المسلمين يلوط

زاد في آخر وقال: ينبغي أن ينفى احمد بن أبي نعيم إلى السند [(١)].

إنما حبستهم على التعريض

تولى يحيى بن أكثم ديوان الصدقات على الأضراء [(٢)]، فلم يعطهم شيئاً، فطالبوه، فلم يعطهم، وقال: ليس لكم عند أمير المؤمنين شيء، فقالوا: لا تفعل يا أبا سعيد، فقال: الحبس الحبس، فحبسوا جميعاً، فلما كان الليل ضجوا، فقال المأمون: ما هذا؟ قالوا: الأضراء، حبسهم يحيى بن أكثم، قال: لم حبسهم؟ قال: كنوه فحبسهم، فدعاه، فقال:

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٨ / ١٨٢.
(٢) جمع ضرير وهو من فقد بصره.

حبستهم على أن كنوك؟ فقال: يا أمير المؤمنين، لم أحبسهم على ذلك، إنما حبستهم على التعريض بي قالوا لي: يا أبا سعيد، يعرضون بشيخ يأتي اللواط في الحربية [١].

لولا شيبتك لعذبتك

قال محمد بن سلم الخواص الشيخ الصالح: رأيت يحيى بن أكثم القاضي في المنام، فقلت له: ما فعل الله بك؟ قال: أوقفني بين يديه، وقال لي: يا شيخ السوء، لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه. فلما أفقت قال لي: يا شيخ السوء لولا شيبتك لأحرقتك بالنار، فأخذني ما يأخذ العبد بين يدي مولاه. فلما أفقت قال لي: يا شيخ السوء فذكر الثالثة مثل الأوليين. فلما أفقت قلت: يا رب، ما هكذا حدثت عنك، فقال الله: وما حدثت عني - وهو أعلم بذلك - قلت: حدثني عبد الرزاق بن همام، حدثنا معمر بن راشد عن ابن شهاب الزهري عن أنس بن مالك عن نبيك ﷺ عن جبريل عنك يا عظيم أنك قلت: ما شاب لي عبد في الإسلام شيبة إلا استحييت منه أن أعذبه بالنار. فقال الله: صدق عبد الرزاق، وصدق الزهري، وصدق أنس، وصدق نبيي، وصدق جبريل. أنا قلت ذلك، انطلقوا به إلى الجنة.

زاد في آخر بمعناه: إلا أنك خلطت علي في دار الدنيا وقيل: إن يحيى رئي في المنام فقيل له: إلى أي شيء صرت؟ قال: إلى الجنة، قيل له: إلى الجنة؟! قال: نعم، إني رأيت رب العزة جل وعز فقال لي: يا يحيى، لولا شيبتك لعذبتك، فقلت: يا رب، حدثني عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن أنس بن مالك عن محمد نبيك عن جبريل أنك

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٨ / ١٨٥.

قلت: إني لأستحي أن أعذب أبناء ثمانين.

قال: صدق جبريل، صدق محمد نبيي، صدق أنس بن مالك، صدق قتادة، صدق معمر، صدق عبد الرزاق: إني لأستحي أن أعذب أبناء ثمانين، وكساني حلتين ورداءين وحلة خضراء [١].

ذهب الناس، وبقي النسناس

عن شبيب بن شيبة بن الحارث، قال: قدمت الشحر [٢] على رئيسها، فتذاكرنا النسناس [٣]، فقال: صيدوا لنا منها.

فلما أن رحت إليه، إذا بنسناس مع الأعوان، فقال: أنا بالله ثم بك!

فقلت: خلوه.

فخلوه، فخرج يعدو، وإنما يرعون النبات، فلما حضر الغداء، قال: استعدوا للصيد، فإنا خارجون.

فلما كان السحر، سمعنا قائلا يقول: أبا محمد، إن الصبح قد أسفر، وهذا الليل قد أدبر، والقانص قد حضر، فعليك بالوزر.

فقال: كلي ولا تراعي.

فقالوا: يا أبا محمد، فهرب وله وجه كوجه الإنسان، وشعرات بيض في ذقنه، ومثل اليد في صدره، ومثل الرجل بين وركيه، فألظ به[٤] كلبان، وهو يقول:

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٨ / ١٧٩ - ١٨٥.
(٢) مكان بين عدن وعمان.
(٣) هو خلق في صورة الناس مشتق منهم لضعف خلقهم. وقال في " الصحاح " : هو جنس من الخلق، يثب أحدهم على رجل واحدة وفي " المجالسة " للدينوري، عن ابن قتيبة، عن عبد الرحمن بن عبد الله، أنه قال: قال ابن إسحاق، النسناس خلق باليمن، لأحدهم عين ويد ورجل يقفز بها. وأهل اليمن يصطادونهم.
(٤) أي: الزموا هذا، واثبتوا عليه.

إنكمـــا حـــين تجاريـــاني ::: ألفيتمـــاني خضـــلا عنـــاني
لـــو بي شـــباب مـــا ملكتمـــاني ::: حـــتى تموتـــا أو تفارقـــاني

قال: فأخذاه.

قال: ويزعمون أنهم ذبحوا منها نسناسا، فقال قائل: سبحان الله، ما أحمر دمه!

قال: يقول نسناس من شجرة: كان يأكل السماق [(١)]، فقالوا: نسناس، فأخذوه، وقالوا: لو سكت، ما علم به.

قال: وكان بنو أميم بن لاوذ بن سام بن نوح سكنوا زنار أرض رمل كثيرة النخل، ويسمع فيها حس الجن حتى كثروا، فعصوا، فعاقبهم الله، فأهلكهم، وبقي منهم بقايا للعرب تقع عليهم، وللرجل والمرأة منهم يد أو رجل في شق واحد، يقال لهم: النسناس.

قال الذهبي: هذا كقول بعضهم: ذهب الناس، وبقي النسناس.

يشبهون الناس، وليسوا بناس، ولعل هؤلاء تولدوا من قردة وناس - فسبحان القادر - [(٢)].

إن كان القصد علمي لا خلقي

ذكر الفقيه أبو الفضل عبد العزيز بن علي بن عبد الرحمن الأشنهي في كتاب " الفرائض " في آخر المسائل الملقبات وهي الرابعة عشرة المعروفة بالمأمونية، وهي: أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت

(١) نوع من النبات، من فصيلة البطميات، ينبت في الجبال والمرتفعات، له ثمر حامض، عناقيد فيها حب صغار، وهو شديد الحمرة.

(٢) شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي، سير أعلام النبلاء، ١٢ / ٥ - ١٦.

إحدى البنتين وخلفت من في المسألة، سميت مأمونية لأن المأمون أراد أن يولي رجلاً على القضاء فوصف له يحيى بن أكثم فاستحضره، فلما حضر دخل عليه، وكان دميم الخلق، فاستحقره المأمون لذلك، فعلم ذلك يحيى فقال: يا أمير المؤمنين، سلني إن كان القصد علمي لا خلقي، فسأله عن هذه المسألة فقال: يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة، فعرف المأمون أنه قد عرف المسألة، فقلده القضاء.

وهذه المسألة إن كان الميت الأول رجلاً تصح المسألتان من أربعة وخمسين، وإن كانت امرأة لم يرث الجد في المسألة الثانية شيئاً لأنه أبو أم، فتصح المسألتان من ثمانية عشر سهماً [١].

من كلامه – رحمه الله –:

- القرآن كلام الله، فمن قال: مخلوق يستتاب، فإن تاب، وإلا ضربت عنقه.

- سياسة القضاء اشد من القضاء وقال ان من اهانة العلم ان تجاري فيه كل من جاراك

- لا يفلتنكم جمال النساء عن صراحة النسب، فإن المناكح الكريمة مدرجة الشرف [٢].

- من لم يرج إلا ما هو مستوجب كان قمنا أن يدرك حاجته.

- من عرف ثمار الأعمال فهو جدير ألا يغرس إلا طيباً.

- من صحب الحكماء ظفر بحسن الثناء. من اغتر بالعدو الأريب

(١) أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٦ / ١٤٧ - ١٦٥.
(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٤٠٩، ٤٣٠.

خان نفسه. - من عدم ماله أنكره أهله ومعارفه.

- من جانب هواه صح رأيه.
- من عاقب بريئاً فنفسه عاقب.
- من عرضت له بلية رحم، ومن جناها ذم.
- من لم يجلس في شبيبته حيث يهوى جلس في كبره حيث لا يهوى.
- من لم يركب المصاعب لم ينل الرغائب.
- من كان أغلب خصاله عليه الإحسان اغتفرت زلته، وأقيلت عثرته.
- من عتب على الدهر طالت معتبته.
- من لم يأس على ما فاته تودع بدنه، ومن قنع بما هو فيه قرت عينه.
- من رد الكرامة نصب شركاً وثيقاً للعداوة.
- من بخل بدينه عظم ربحه.
- من قاهر الحق قهر.
- من ترك التوقي فقد استسلم لقضاء السوء.
- من أكدى فكأنه لم يعمل.
- من تياسر عن القصد هجم على الضلال.
- من طلب بالله أدرك.
- من لم تؤدبه المواعظ أدبته الحوادث.
- من تعود الكفاية لم يعرف مقدار الراحة.
- من أمن الزمان ضيع ثغراً مخوفاً.

- من استكفى من يتهمه خان نفسه.

- من أمن مكايد الأعداء لم يعد في العقلاء.

- من لم يعرف قدره أوشك أن يذل، ومن لم يدبر ماله أوشك أن يفتقر.

- من رق وجهه رق علمه.

- من لم يتحرز بعقله من عقله هلك من قبل عقله.

- من حرم العقل فلا خير له ولا للناس في حياته، ومن حرم الجود فلا خير له ولا للناس في سلطانه، ومن حرم الفهم فلا خير له ولا للناس في قضائه.

- من رضي عنه الجميع المختلفون استحق اسم العقل.

- من احتقر ما أعطى فهو تمام ما أعطى، ومن استكثر ما أتى إليه فقد قضى ما عليه.

- من لم يحتمل زلل صديقه عاش بلا صديق.

- من قاده الزمان إلى صداقة عدوه فليكثر تيقظه.

- من حاول صديقاً يأمن زلته، ويدوم اغتباطه به كان كضال الطريق الذي لا يزداد لنفسه إتعاباً إلا ازداد من غايته بعداً.

- من رضي بصحبة من لا خير فيه لم يرض بصحبته من فيه خير.

- من جمع الحرص على الدنيا والبخل بها استمسك بعمودي اللؤم.

- من استثقل أن يقال له الحق كان العمل به عليه أثقل [١].

(١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، دار النشر: دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م، ٢ / ١٠٨، ١١٠،

- السفلة الذي لا يعيبه ما صنع

- ما رأيت العقل قط إلا خادماً للجهل

- نعم لهو المرأة الغزل [١].

- من خالط الناس داراهم، ومن داراهم راءاهم [٢].

ومن شعره – رحمه الله –:

- قال يحيى بن أكثم في رجل من القضاة كان استخف بحقوقه ثم رجع إلى خدمته:

ذهبت بنضـــرة وجهــك الأيــام ::: ولقد مضى زمــن وأنــت إمــام

ما كان ضرك لو ذخرت ذخـــيرة ::: تبقـــى لصـــاحبها يـــد وذمـــام

فاليوم إذ نزل البلا بــك زرتنـــا ::: هيهات ما منـــا عليـــك ســلام

- كتب يحيى بن أكثم إلى صديق له:

جفوت وما فيما مضى كنت تفعل ::: وأغفلت من لم تلفه عنـــك يغفـــل

وعجلت قطع الوصل في ذات بيننا ::: بلا حدث أو كدت في ذاك تعجل

فاصبحت لولا أنـــني ذو تعطـــف ::: عليك بـــودي صـــابر متحمـــل

أرى جفوة أو قسوة من أخي ندىً ::: إلى الله فيهـــا المشـــتكى والمعـــول

فأقسم لـــولا أن حقــك واجـــب ::: علـــي وأني بالوفـــاء موكـــل

لكنت عزوف النفس عن كل مدبر ::: وبعض عزوف النفس عن ذاك أجمل

ولكنني أر عـــى الحقـــوق واســـتحي ::: وأحمل من ذي الود ما ليس يحمل

فإن مصاب المـــرء في أهـــل وده ::: بلاء عظيم عند من كـــان يعقـــل

١١٢، ١٣٤، ١٤٨، ٤ /٨٠، ٢١٤، ٢١٩.

(١) الزمخشري، ربيع الأبرار، ١ / ٢٦٤.

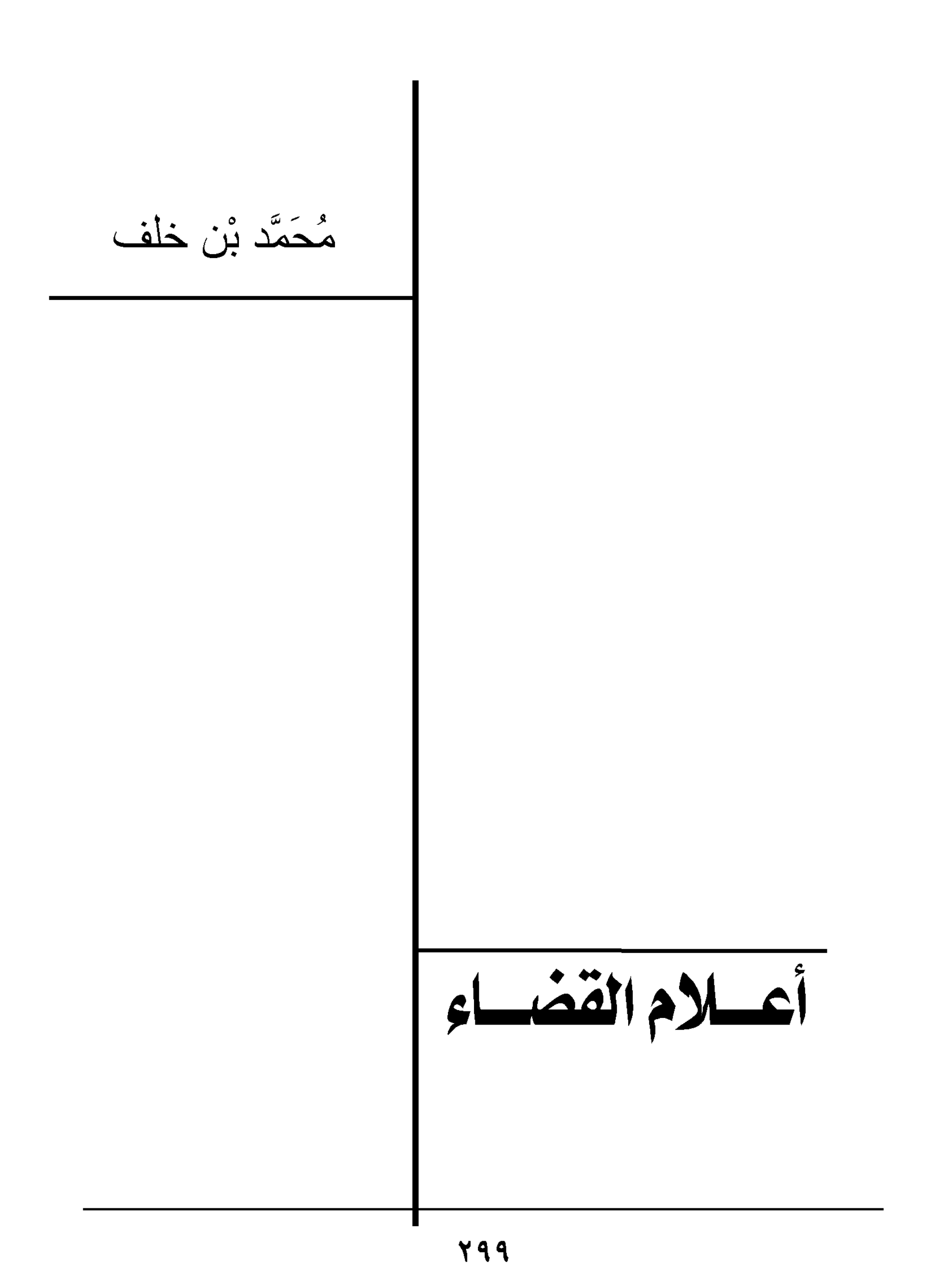
(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٨ / ١٨٢.

- قال ابن أخي دعبل: أنشدني أبي قال: أنشدنا يحيى بن أكثم:

أما ترى كيف طيب ذا اليوم ::: وكيف سألت مدامع الغيم
وكيف يسري الندى بأدمعه ::: فهب نواره من النوم
لو سيم ذا اليوم لاشتراه أخ اللهو ولو كان غالي السوم
ونحن ظامون في صبيحتنا ::: فامنن علينا بشرب ذا اليوم[1]
- لا تغتر بالدهر ::: وإن كان مواتيكا
كما أضحك الدهر ::: كذاك الدهر يبكيكا [2]

* * *

(١) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٨ / ١٨٢.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /١٦٤.


مُحَمَّد بْن خلف
أعــلام القضــاء

الإمام القاضي مُحَمَّد بنْ خلف " وكيع "

الإِمَامِ المُحَدِّثِ القَاضِي أَبي بَكْرٍ مُحَمَّدِ بْنِ خَلَفِ بْنِ حَيَّانَ بْنِ صَدَقَة الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، المُلَقَّب بِـ " وَكِيع " (المتوفى سنة ٣٠٦هـ) يكنى أَبُو بَكْرٍ - وهَذَا هو المشهور - وأَبُو مُحَمَّد.

نسبته: الضَّبِّيُّ البَغْدَادِيّ. نسب إِلَى بغداد لأنه كان يسكن فيها بالجانب الشرقي في درب أم حكيم. وكان يلقب بوكيع ولم يعرف على وجه شهرته بهَذَا اللقب.

ولا بد من التنويه إِلَى أن القاضي وكيع غيرالإمام وكيع بْن الجراح ابْن مليح الرؤاسي الكوفي الحافظ المشهور المتوفى سنة ١٩٧هـ الذي عناه القائل: شكوت إِلَى وكيع سوء حفظي.

توليه القضاء

قالَ: ابن النديم: وكيع القاضي ولي القضاء ببعض النواحي وكان أولا يكتب لأبي عُمَر مُحَمَّد بْن يوسف بْن يعقوب القاضي.

قالَ: الذهبي: وَلِي قضَاءَ كور الأَهْوَاز كُلّهَا. وقيل: كان نائباً لعَبْدان الجواليقي.

ومن نوادره ما ذكره صاحب التذكرة الحمدونية من خبر ولايته لوقف الحَسَن بْن سهل أيام المعتضد.

والقضاة في تلك القرون، لم يكونوا على غرار واحد من المرتبة والمنزلة. فبينما كان القاضي في القرن الأول يعتبر الشخص الأول أو الثاني في المدينة التي يلي قضاءها، أصبح في القرن الثاني مجرد أداة في يد السلطة.

شيوخه

حدث عن: إبراهيم بْن عثمان، ابن رشيد، أبي حُذَافَة السَّهْمِيّ، أَحْمَد

بْن يحيى بْن جابر بْن داود البلاذري صاحب التصانيف، إسحاق ابْن مُحَمَّد بْن احمد بْن أبان أبُو يعقوب النخعي، جعفر بْن مكرم بْن يعقوب بْن إبراهيم أبُو الفضل الدوري التاجر، و الْحَسَن بْن مُحَمَّد الزعفراني، الْحَسَن بْن موسى بْن ناصح بْن يزيد أبُو سعيد الخفاف الرسعني، الحَسَن بن عَرَفَة، الزُّبَيْر بْن بَكَّار، السري بْن مكرم، سعيد ابْن يزيد بْن مروان الخلال، العباس بْن أبي طالب، العلاء بْن سالم، علي بْن مسلم الطوسي، علي بْن شُعَيْب، علي بْن أشكاب، مُحَمَّد بْن أشكاب، مُحَمَّد بْن الوليد البشري، مُحَمَّد بْن عَبْد اللهِ المخرمي، مُحَمَّد بْن عَبْد الرحمن الصيرفي، مُحَمَّد بْن عُثْمَان بْن كرامة، مُحَمَّد بْن علي بْن حمزة بْن الْحَسَن، الهاشمي أبُو عَبْد اللهِ العلوي البغدادي المتوفي سنة ست وثمانين ومائتين، مُحَمَّد بْن إسماعيل بْن موسى بْن جعفر، مُحَمَّد بْن إسحاق الصغاني، مُحَمَّد بْن أزهر أبُو جعفر الكاتب، مُحَمَّد بْن الْحَسَن بْن سعيد أبُو جعفر الأصبهاني، مُحَمَّد بْن عَبْد الرحمن أبُو جعفر الصيرفي، وخلق كثير من أهل العلم أمثالهم، ويمكن استخراج عدد كبير من شيوخه من خلال تصفح كتابه " أخبار القضاة ".

تلامذته ومن روى عنه

روى عنه: أحْمَد بْن كامل القاضي، أبُو جَعْفَرِ بنُ المتيَّم، أبُو القاسم الْحَسَن بْن مُحَمَّد، الْحَسَن بْن مُحَمَّد السكوني، أبُو طالب بْن البهلول الطبراني، أبُو عَلِيٍّ بنُ الصَّوَّاف، علي بْن مُحَمَّد بْن السري الهمداني، أبُو الفَرَجِ الأصبهاني صَاحِبُ(الأغَانِي)، وقد نقل عنه أكثر من (٢٥٠) خبراً، مخلد بْن جعفر، مُحَمَّد بْن أحْمَد بْن الْحَسَن، أبُو بكر مُحَمَّد بْن نصر السامري، مُحَمَّدُ بنُ عُمَرَ الجِعَابِيّ، مُحَمَّد بْن يحيى ابْن زكريا القاضي، مُحَمَّدُ بنُ المُظَفَّر، موسى بْن جعفر بْن

عرفة السمسار، وَآخَرُوْنَ غيرهم.

مؤلفاته وآثاره العلمية

وله مصنفات كثيرة منها:

١ - أخبار القضاة وتاريخهم وأحكامهم

ويعد هذا الكتاب من أقدم ما وصلنا في أخبار القضاة. ويضم تراجم القضاة في جميع الأمصار الإسلامية، في القرون الثلاثة الأولى. مع ذكر مذاهبهم في ولايتهم، وتحقيق أنسابهم وقبائلهم وطرائقهم، ومن روى الحديث منهم، مع ذكر طرف من رواية من لم يشتهر منهم.

قالَ: وكيع: (وكذلك من اشتهر بالفقه منهم، لم أذكر فقهه، واقتصرت على قضاياه).

واشتمل على وثائق رسمية مهمة، حول الدعاوى والقضايا التي تصدرت مواضيع القضاء الإسلامي الأول.

وأول من ترجم لهم من القضاة: علي بْن أبي طالب ☺.

٢ - الشريف " يجري مجرى المعارف لابن قتيبة

٣ - الأنواء

٤ - الغرر من الأخبار

٥ - المسافر

٦ - الطريق ويعرف أيضا بالنواحي ويحتوي على أخبار البلدان ومسالك الطرق ولم يتمه

٧ - التصرف والنقد والسكة

٨ - البحث

٩ - عدد آي القرآن والاختلاف فِيْهِ قالَ: الخطيب البغدادي: بلغني

أن أبا بكر بْن مجاهد سئل أن يصنف كتابا في العدد فقالَ: قد كفانا ذاك وكيع.

١٠ - الرمي والنضال

١١ - والمكاييل والموازين

وكتب أخر سوى ذلك.

ومن المؤسف جدا أنه لم يوفق أحد من تلامذته أو من بعده من أهل العلم أن يدون قضايا شريح أو يسجل أخباره كما كتب هوأخبارَ كثير من القضاة القدامى ودون قضاياهم وسجل نوادر ما جرى لهم أثناء توليهم القضاء مع الحكام وو غرائب ما حدثت لهم مع الخلفاء والعامة.

شعره

كان وكيع أديبا ينظم الشعر، وهو جد الشاعر المشهور (ابن وكيع التنيسي) صاحب كتاب (المنصف) في سرقات المتنبي. وصاحب الأبيات المشهورة: (أبصره عاذلي عليه).

قالَ: حاجي خليفة هو يذكر الكتب: كتاب الرمي لأبي بكرمُحَمَّد بْن خلف المعروف بوكيع الشاعر.

و قالَ: أبُو بكر مُحَمَّد بْن علي كاتب صافي: أنشدنا وكيع مُحَمَّد بْن خلف لنفسه:

إذا ما غدت طلابة العلم تبتغي :: من العلم يوما ما يخلد في الكتب
غدوت بتشمير وجد عليهم ::: ومحبرتي أذني ودفترها قلبي

ثناء العلماء عليه

قالَ: ابن النديم: كان مفننا في جميع الآداب.

و قالَ: الذهبي: أخباري علامة له تصانيف أقل الناس عنه للين شهر به قلت: صدوق إن شاء الله. و قالَ: أيضا: الإِمَامُ، المُحَدِّثُ، الأَخْبَارِيُّ، القاضِي، صَاحِبُ التآلِيف المُفيدَة، أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بنُ خَلَفٍ بن حَيَّانَ بن صَدَقَة الضَّبِّيُّ البَغْدَادِيّ، المُلَقَّب بوَكِيْع، وَ قالَ: الدَّارَقُطْنِيّ: كَانَ نَبِيْلاً، فَصِيْحاً، فَاضِلاً، مِنْ أَهْلِ القُرْآن وَالفِقه وَالنَّحْو، لَهُ تَصَانِيْف كَثِيْرَة.

قالَ: الخطيب البغدادي: كان عالما فاضلا عارفا بالسير وأيام الناس وأخبارهم. وكان حسن الأخبار.

قالَ: أَبُو الحُسَيْنِ بنُ المُنَادِي: أَقَلُّوا عَنْهُ لِلِينٍ شُهِرَ بِهِ.

وفاته

تُوُفِّيَ وَكِيْعٌ بِبَغْدَاد، يوم الخميس، الرابع والعشرين من شهر رَبِيْعِ الأَوَّلِ سَنَة سِتٍّ وَثَلاَثِ مائَةٍ. والموافق الثالث من شهر سبتمبر عام تسعمائة وثمانية عشر الميلادي [(١)].

* * *

(١) انظر مقدمة تحقيق كتاب أخبار القضاة، لأَبُوبَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ خَلَفِ بْن حَيَّانَ بْن صَدَقَة الضَّبِّيّ البَغْدَادِيّ، المُلَقَّب بـ " وَكِيع " (المتوفى سنة ٣٠٦هـ)، للمحقق عبد العزيز مصطفى المراغي، نشر المكتبة التجارية الكبرى،، الطبعة الأولى عام ١٣٦٦هـ-١٩٤٧م، وانظر أيضا: الفهرست لابن النديم: ١٦٦، تاريخ بغداد: ٥ / ٢٣٧ ٢٣٦، المنتظم: ٦ / ١٥٢، الكامل في التاريخ: ٨ / ١١٥، العبر: ٢ / ١٣٣، ميزان الاعتدال: ٥ / ٥٣٨، الوافي بالوفيات: ٣ / ٤٤ ٤٣، البداية والنهاية: ١١ / ١٣٠، طبقات القراء للجزري: ٢ / ١٣٧، لسان الميزان: ٥ / ١٥٧ ١٥٦، النجوم الزاهرة: ٣ / ١٩٥، شذرات الذهب: ٢ / ٢٤٩.

إياس بن معاوية

أعـــلام القضـــاء

إياس بـن معاويـة ـ رحمـه الله ـ

قاضي البصرة العلامة أبو واثلة. هو إياس بْن معاوية بْن قرة بْن إياس بْن هلال بْن رباب بْن عبيد ابن دريد بْن أويس بْن سوأة بْن عَمْرو ابْن سارية بْن ثعلبة بْن ذبيان بْن سليم بْن أوس بْن عَمْرو بْن أد بْن طابخة بْن إلياس بْن مضر، ومزينة بنت كلب بْن وبرة بْن عثمان، وأوس، ابني عَمْرو.

يروي عن أبيه، وأنس، وابن المسيب، وسعيد بن جبير. وروي عنه خالد الحذاء، وشعبة، وحماد بن سلمة، ومعاوية بن عبد الكريم الضائع وغيرهم. وكان يضرب به المثل في الذكاء والدهاء والسؤدد والعقل. قلما روي عنه، وقد وثقه ابن معين، له شيء في مقدمة صحيح مسلم، توفي سنة إحدى وعشرين ومائة كهلا.

وذكر في سبب توليه قضاء البصرة أن عُمَر بْن عَبْد العزيز لما ولي عدي بْن أرطاة البصرة ولي عدي إياس بْن معاوية بْن قرة القضاء. وقد روي أن عُمَر بْن عَبْد العزيز وجه رجلاً إلى البصرة، فأمره بالمسالة عَن إياس بْن معاوية، والقاسم بْن ربيعة الجوشني ويفتشهما عَن أنفسهما ليولي أولاهما بذلك؛ فجمع بينهما؛ فقالَ: إياس للرجل: سل عني، وعنه فقيهي المصر، الْحَسَن البصري، وابن سيرين، فمن أشارا عليك بتوليته وليته، وكان القاسم يجالسهما، وكان إياس لا يفعل؛ فعلم القاسم أنه إن سألهما أشارا به، فقالَ: للرجل: أيها الرجل ليس بك حاجة إلى أن تسأل عني، وعنه، اسمع ما أقول لك، وأحلف عليه؛ والله الذي لا إله إلا هو، ما أنا بصاحب ما تريدني عليه ولإياس أعلم به وأقوى عليه فإن كنت عندك صادقاً فما ينبغي أن تتركه وتوليني، وإن كنت عندك كاذباً فما ينبغي أن تولي كذاباً، فوقف الرجل ودخله شك، وهم بتولية إياس؛ فقال: إنك وقفته بين الجنة

والنار، فخاف على نفسه ففداها بيمين حارثة، يتوب منها ويستغفر ربه وينجو بها من هول ما أردته عليه؛ فقالَ: الرجل: أما إذ فطنت لِهَذَا فأنت أفهم منه، وعزم على توليته [(١)].

ولما تولي إياس بْن معاوية القضاء أتاه الْحَسَن البصري، فبكى إياس؛ فقالَ لَهُ الْحَسَن: ما يبكيك؟ قال: يا أبا سعيد بلغني أن القضاة ثلاثة؛ رجل اجتهد، فأصاب فهو في الجنة، قالَ: الْحَسَن: إن فيما قص الله مربياً داود وسليمان صلى الله عليهما ما يرد قول هؤلاء؛ يقول الله عز من قائل:{ وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ } [الأنبياء: ٧٨ - ٧٩].

فأثنى الله على سليمان، ولم يذم داود؛ ثم قالَ: الْحَسَن: إن الله عز وجل أخذ على العلماء ثلاثاً؛ لا يشترون به ثمناً قليلاً، ولا يتبعون فِيْهِ الهوى، ولا يخشون فِيْهِ أحداً؛ وقرأ هذه الآية:{ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِندَهُمُ ٱلتَّوْرَىٰةُ فِيهَا حُكْمُ ٱللَّهِ ثُمَّ يَتَوَلَّوْنَ مِنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ ۚ وَمَآ أُو۟لَٰٓئِكَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ ۚ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا } [المائدة: ٤٣ - ٤٤].

قال ابن شبرمة: قالوا لإياس بن معاوية: إنك معجب برأيك. قال: لو لم أعجب برأيي لم أقض به.

ولجده صحبة وأمه امرأة من خراسان.

قدم الشام في أيام عبد الملك، ثم قدم على عمر بن عبد العزيز في

(١) أخبار القضاة، ١ /٣١٣.

خلافته، ثم قدم مرة أخرى حين عزله عدي بن أرطاة عن القضاء.

كان إياس قاضياً بالبصرة مرتين، وكان عاقلاً من الرجال فطناً، كان فقيهاً عفيفاً.

قيل لمعاوية بن قرة: كيف ابنك لك؟ قال: نعم الابن، كفاني أمر دنياي، وفرغني لآخرتي.

ذكر إياس بن معاوية عند ابن سيرين، فقال: إنه لفهمٌ إنه لفهمٌ.

قال ابن شوذب: كان يقال: يولد في كل مائة سنة رجل تام العقل.

فكانوا يرون أن إياس بن معاوية منهم (١).

وكان يضرب به المثل في الذكاء، والدهاء، والسؤدد، والعقل (٢).

مواقف من حياته – رحمه الله –:

لولا ثلاث خصال فيك ما كان في الدنيا مثلك

عَن ابن شوذب قال: قيل لإياس بن معاوية لولا ثلاث خصال فيك ما كان في الدنيا مثلك؛ قال: وما هن؟ قيل له: تسرع في القضاء بين الخصمين إذا أدليا إليك؛ قال: وماذا؟ قيل: وتجالس الدون من الناس؛ قال: وماذا؟ قيل: وتلبس الدون من الثياب؛ قال: أما قولكم: تسرع في القضاء بين الخصمين؛ فخمسة أكثر أو ستة؟ قالوا: ستة؛ قال: لقد أسرعتم في الجواب؛ قالوا: ومن يشك في خمسة وستة؟ قال: فأنا لا أشك في ذلك الدقيق، كما تشكون أنتم في هَذا الجليل؛ فمالي أدفعه عَن حقه؟ وأما قولكم: أجالس الدون من الناس فلأن أجالس من يرى

(١) مختصر تاريخ دمشق، ٢ /١٣٩.

(٢) طبقات خليفة ٢١٢، المعارف لابن قتيبة: ٤٦٧، ثمار القلوب: ٧٢، حليه الأولياء ٣ / ١٢٣، الشريشي ١ / ١١٣، وفيات الأعيان ١ / ٢٤٧، ٢٥٠، ميزان الاعتدال ١ / ٢٨٣، البداية ٩ / ٣٣٤، شذرات الذهب ١ / ١٦٠، تهذيب ابن عساكر ٣ / ١٧٨، ١٨٨.

إلى أحب إلي من أن أجالس من لا أرى له، وأما قولكم: ألبس الدون من الثياب فلأن ألبس ثوباً يقيني أحب إلي من أن ألبس ثوباً أقيه بنفسي.

فولي القضاء، وهو كاره

قيل لإياس بْن معاوية يا أبا وائلة اختر لنا قاضياً نوليه القضاء؛ قال: ما أتقلد ذلك، فقيل له: لو وجدت رجلاً ترضاه أكنت تشير علينا به؟ قال: نعم؛ قيل له: أترى أن تلي القضاء؛ قال: نعم، فقيل له أنك حليف رضا فولي القضاء، وهو كاره.

كان ينبغي لكم أن تعلموا أنه أفضل مني

عَن مغيرة قال: ولي عدي إياساً قضاء البصرة، فأبى وقال: بكير المري خير مني فأمر بكيراً بذلك؛ فقال: إياس خير مني؛ قالوا: إنه قد قال: إنك خير منه؛ فقال: لو لم تعلموا من فضله إلا تفضيله إياي عليه كان ينبغي لكم أن تعلموا أنه أفضل مني [1].

فعاقبه بقدر ذنبه ثم خل سبيله

عَن مُحَمَّد بْن عَمْرو؛ قالَ: حَدَّثَنَا إياس بْن معاوية؛ قال: كنت قاضياً لأهل البصرة في زمن عُمَر بْن عَبْد العزيز، فأتيت بجارية، كان على صدرها صبي في عنقه طوق، فجاء إنسان فأخذ الطوق من عنق الصبي، ثم جذبه إليه فصاحت الجارية فأخذ، فكتبت فِيْهِ إلى عُمَر فكتب إلى عُمَر: إن هذه عارية الظهر فعاقبه بقدر ذنبه ثم خل سبيله.

---

(١) أخبار القضاة، ١ /٣١٨.

إِذَا كان الأصل مضموناً، فالفرع مضمون

عَن ابن شُبْرُمَةَ؛ قـال: سـألني إيـاس بْن معاويـة عَن رجل أقر لرجل بوديعة ثم قال: قد دفعتها إليك فقلت: إذَا كان الأصل مضموناً، فالفرع مضمون؛ قال: أحسنت أو أصبت.

أما هذه فترد

عَـن سـلام بيـاع الرقيـق؛ قـال: اشـتريت جاريـة فوجـدتها حمقـاء، فخاصمت فيها إلى إياس بْن معاوية، وهو على قضاء البصرة؛ فقال: ما علمت أنه يرد من حمق؛ فقلت: إنه حمق أشد من جنون، فدعاها، فقال: أي رجليك أطول؟ فمدت اليسرى، فقالت: هذه؛ فقال: أتذكرين ليلة ولدت؛ فقالت: نعم؛ قال: فردها، أما هذه فترد.

ما تقول فِيْهِ؟

قال إبراهيم بْن مرزوق البصري: كنـا عند إيـاس بْن معاويـة قبل أن يستقضي، وكنا نكتب عنه الفراسـة، كمـا نكتب عَن صـاحب الحديث، إذَا جاء رجل فجلس على دكان مرتفع بالمربد فجعل يترصد الطريق فبينا هو كذلك إذ نـزل، فاستقبل رجلاً فنظر في وجهه ثم رجع إلى موضعه، قال: فقالَ: إياس بْن معاوية: قولوا في هَذَا الرجل؛ قالوا: ما تقول فِيْهِ؟ رجل طالب حاجة، قـال: معلم صبيان، قد أبق لـه غلام أعور، فإن أردتم أن تستفهموه، فقوموا فسلوه، فقام إليه بعضنا فسأله؛ فقال: كان لي غلام نساج، وقد زاغ منذ اليوم، فقالوا صف لنا غلامك، وصف لنا موضعك فقال: أما أنـا فـأعلم الصبيان بـالكلأ، وأمـا غلامـي فغلام من صفته كذا وكذا إحدى عينيه ذاهبة، فرجعنـا إليـه فقلنـا: هو كما قلت، ولكن كيف علمت أنه معلم؟ قـال: رأيتـه جـاء فجعل يطلب موضعاً يجلس فيـه، فقلت: إنـه يطلب عادتـه في الجلوس، فنظر إلى

أرفع شيء يقدر عليه فجلس عليه، فنظرت في قدره فإذا ليس قدره قدر المملوك، فنظرت فيمن اعتاد في جلوسه جلوس الملوك فلم أجدهم إلا المعلمين، فعلمت أنه معلم؛ فقلنا له: كيف علمت أنه أبق له غلام أعور؛ قالَ: رأيته يترصد الطريق والمارة فبينما هو كذلك إذ نزل، فاستقبل رجلاً مقبلاً، فعلمت أنه شبهه بغلامه فنظر في وجهه، فلو كان غلامه أعمى لعرفه في ترجحه في مشيته، فعلمت أنه نظر في وجهه إلى عينه، فعلمت أن غلامه أعور قد ذهبت إحدى عينيه.

وكيف علمت؟

قالَ إياس بْن معاوية: إني لأعلم يوم ولدت، قيل له: وكيف علمت؟ قال: خرجت من ظلمة فلم ألبث إلا يسيراً، حتى عدت إلى ظلمة، فذكرت ذلك لأمي، فقالت: يا بني إني لما ولدتك أردت أن أقوم لحاجة فاكفأت عليك الجفنة مخافة أن يأكلك الذئب؛ قال: كانوا في البرية.

لو كان احتلم لقطعته

عَن مطر بْن حمران؛ قال: شهدت إياساً وجيء بغلام قد سرق أكسية الجمالين، فقامت عليه بينة؛ فقال: اكشفوا عنه فكشفوا، فلم يكن احتلم، فقال: لو كان احتلم لقطعته، اذهبوا به حَيْثُ سرق، فسودوا وجهه، وعلقوا في عنقه العظام، واضربوه حتى يدمي ظهره، وطوفوا به، فجاء رجل يسعى؛ فقال: أصلحك الله أنه مملوك لي، فإن فعلت ذاك به كسرت ثمنه؛ فقالَ: إياس: يعمد أحدكم إلى الغلام لم يحتلم، فيكلفه الضريبة، ولا يحسن عملاً يعمله، فإنما يأمره أن يسرق ويطعمه، ويعمد أحدكم إلى الجارية، فيقول لها: اذهبي فأدي الضريبة فإنما يقول لها: اذهبي، فازني وأطعميني.

فلما رأى ذلك جوز البيع

عَن أيوب؛ أن امرأة باعت لزوجها داراً، وهو غائب، فلما قدم أبى أن يجيز البيعة، فخاصمته فيها إلى إياس بْن معاوية، فجعل المشتري يقول: أصلحك الله أنفقت فيها ألفي درهم؛ فقال: ألفاك على فقضى للرجل بداره، وأمر بامرأته إلى السجن، فلما رأى ذلك جوز البيع [(١)].

لا بل يحلف بالله مالك عنده وديعة ولا غيرها

عَن إياس بْن معاوية، أنه تخاصم إليه رجلان استودع أحدهما وديعة، فقالَ: صاحب الوديعة: استحلفه بالله ما استودعته كذا وكذا، فقالَ: إياس: لا بل يحلف بالله مالك عنده وديعة ولا غيرها.

أليس أنت تقطعه؟

سأل يزيد الخياط إياس بْن معاوية؛ قال: استأجر طيلساناً بدرهمين، ثم أقطعه، ثم أؤاجره بواف فقال: أليس أنت تقطعه؟ قلت: بلى، قالَ: لا بأس.

ويحاً له ما أفهمه!

قال عرعرة بْن البرند: كنت عند إياس بْن معاوية إذ أتته امرأتان تختصمان في كبة [(٢)]غزل، ليس معهما بينة، فبعد واحدة، وقرب الأخرى، فقالَ لهَا: على أي شيء كببت غزلك؟ قالت: على كسرة خبز؛ فنحاها، وقرب الأخرى فقال: على أي شيء كببت غزلك؟ قالت: على خرقة، فأمر بالكبة فنقضت فإذا هي على كسرة خبز؛ قال: فأتيت مُحَمَّد بْن سيرين فأخبرته، فقال: ويحاً له ما أفهمه، ويحاً له ما

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٢٢ - ٣٣١.
(٢) كُبَّةُ الغَزْل: ما جُمِعَ منه، مشتقٌّ من ذالك. وفي الصَّحاح: الكُبَّةُ: (الجَرَوْهَقُ من الغَزْل).

أفهمه! [١].

ما أحسن ما سللت عمك منها

قال أَبُو عَبْد اللهِ بْن الأعرابي: تقدم الفرزدق إلى إياس بْن معاوية ليشهد هو وأخر، فقالَ: إياس: أما أَبُو فراس فقد عرفناه، ولكن زدنا شهوداً فقالَ: الفرزدق: ما أحسن ما سللت عمك منها.

اقض بالأثر ولا تقض بالرأي

عَن ابن المبارك، قال: جاء رجل إلى مُحَمَّد بْن سيرين؛ فقال: إني رأيت في النوم كأن إياس بْن معاوية يضرب باليمين في الحر فقال: إيت إياساً فقل له: اقض بالأثر ولا تقض بالرأي [٢].

ما صنعتك؟

عَن حبيب بْن الشهيد، أن إياس بْن معاوية واعده إلى دار خالد بْن زيد، فوافيته، فقام إليه شيخ، فقال: أصلح الله القاضي، إن هَذَا ابني وليس ينفق علي؛ فقال: ما صنعتك؟ فقال: حائك، فحكم عليه بخمسة دراهم.

أنت شيخ قد خرفت

أخْبَرَ حميد الطويل؛ أن معاوية بْن قرة أخذ جارية لابنه إياس؛ فقالَ لَهُ إياس: تأخذ جاريتي؟ فحكما الحَسَن؛ فقالَ: الحَسَن لمعاوية: خذها؛ أنت ومالك لأبيك؛ فقالَ: إياس للحسن: أنت شيخ قد خرفت؛ يأخذ جاريتي؟

وإن صاحبك ليس ممن يرضى من الشهداء.

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٣٣.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٣٥.

عَن أشعث؛ قال: وجاء رجل إلى الحَسَن؛ فقال: يا أبا سعيد؛ إن إياساً رد شهادتي، فانطلق الحَسَن معه، فلقي إياساً؛ فقال: ما حملك على أن رددت شهادة هَذَا؟ أما بلغك أنَّ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ قال: من استقبل قبلتنا، وأكل ذبيحتنا، فذلك المسلم، له ذمة الله، وذمة رسوله، فقالَ لَهُ الآخر: أيها الشيخ إن الله يقول:{مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ} [البقرة: ٢٨٢]، وإن صاحبك ليس ممن يرضى من الشهداء[1].

أختي لأبي وأمي تزعم إنها أحق بميراث أبي مني؟

قال حصين بْن كرار المالكي: كنت عند إياس بْن معاوية فجاءت امرأتان؛ فقالت إحداهما: ألا تعجبون؟ أختي لأبي وأمي تزعم إنها أحق بميراث أبي مني؟ قالَ: إياس: ما أراها إلا صادقة؛ فقالت الأخرى: إني اشتريت أبي وأعتقته، فقالَ: إياس: الثلثان بينكما بالميراث، ولهذه الثلث بالولاء، فأتيت الحَسَن فأخبرته؛ فقال: لا، حق الوالد أعظم من أن يكون ولاء، فأتيت إياساً فأخبرته بقول الحَسَن، فقال: إذا جاء الحَسَن فقل له: يلزم سارية من السواري، فنحن أعلم بالحكم منك.

إيتوني بمشط

عَن إبراهيم بْن مرزوق؛ قال: جاء رجلان إلى إياس بْن معاوية يختصمان في قطيفتين، وهو قاض، إحداهما حمراء، والأخرى خضراء؛ فقالَ: أحدهما:

دخلت الحوض لاغتسل ووضعت قطيفتي، وجاء هَذَا، فوضع قطيفته بجنب قطيفتي، ثم دخل فاغتسل فخرج قبل، فأخذ قطيفتي فمضى بها، ثم خرجت فاتبعته فزعم، أنها قطيفته فقال: لك بينة؟ فقال: لا فقال:

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٣٨.

إيتوني بمشط فأتى بمشط فسرح رأس هَذَا، ورأس هَذَا فخرج من رأس أحدهما صوف أحمر، وخرج من رأس الآخر صوف أخضر، فقضى بالحمراء للذي خرج من رأسه صوف أحمر، وبالخضراء للذي خرج من رأسه صوف أخضر.

فمسح ببلل الماء

عَن حبيب بْن الشهيد؛ قال: توضأ إياس فرأى على عقبه مكاناً لم يصبه الماء، فقيل له يا أبا واثلة: عقبك لم يصبه الماء، فوضع عقبه بين إصبعيه الإبهام والتي تليها فمسح ببلل الماء.

لو علمت لعلوته بالقضيب

وذكر حماد بْن إسحاق، عَن أبيه؛ قال: أتى وكيع بْن أبي سود، إياساً ليشهد؛ فقَالَ لَهُ: ما حاجتك؟ قال: جئت لأشهد، قال: مالك وللشهادة؟ إنما يشهد الموالي والتجار والسفلة؛ قال: صدقت، وانصرف فقالوا لوكيع: خدعك؛ إنه لا يقبل شهادتك، وردك؛ قال: لو علمت لعلوته بالقضيب [١].

اذهب بنا فقد رضيت

عَن سُفْيَان بْن حسين؛ قال: أردت التعريف [٢] بواسط يوم عرفة، فقلت: أمر بإياس بْن معاوية؛ فأتيته، فخرج معي إِلَى المسجد، فلما دخل المسجد قالَ لي: إن أمي خرجت وهي على غضبي، وأنا أكره أن أصير إِلَى التعريف والدعاء، وهي غضبى، فقم لي حتى أسترضيها، فدنا من ظلة أنسنا، وخرجت إليه أمه، فجلس بين يديها،

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٤١.

(٢) التعريف هو التشبُّه بأهل عرفة في غيرها من المواضع وهو أن يَخرُجوا إلى الصحراء المساجد فيدعُوا ويتضرَّعوا وأولُ مَنْ فعل ذلك بالبصرة ابن عباس رضي الله عنهما. وقوله: " ليس عليه أن يُعرّفَ بالهدْي " أي أن يَأتيَ به إلى عرفاتِ.

واضعاً يديه على خديه، منكساً رأسه طويلاً، ثم قام فقالَ لي: اذهب بنا فقد رضيت [١].

ما يبكيك؟

عَن حماد؛ قال: لما ماتت أم إياس بكى؛ فقيل له: ما يبكيك؟ فقال: كان لي بابان؛ فأغلق أحدهما [٢].

يا أبا واثلة ما تقول في المسكر؟

عَن إياس بْن معاوية؛ قال: إسماعيل، عَن عمه إياس؛ قال: شهدت دهقاناً أتاه، فقال: يا أبا واثلة ما تقول في المسكر؟ قال: حرام؛ قال: وما حرمه؟ وإنما هو تمر، وماء، وكشوت؛ قال: فرغت يا دهقان؟ قال: نعم؛ قال: أرأيت لو أخذت كفاً من ماء فضربتك به، كان يوجعك؟ قال: لا قال: أفرأيت لو أخذت كفاً من تراب فضربتك به، أكان يوجعك؟ قال: لا؛ قال: فأخذت كف تبن فضربتك به، أكان يوجعك؟ قال: لا؛ قال: فأخذت التراب، ثم طرحت عليه التبن، وصببت عليه الماء، ثم كمزته كمزاً، وجعلته في الشمس، ثم ضربتك به، أكان يوجعك؟ قال: نعم، ويقتلني؛ قال: فكذاك هَذَا؛ حين جمعت أخلاطه وخمر حرم [٣].

احفظوا عني خصالاً ثلاثاً تنتفعون في تجارتكم

قال صالح بْن سليمان: خرج قوم من أهل واسط من التجار إلى عَبْدِسي؛ فقالوا: نأتي إياس بْن معاوية، فنسلم عليه، فأتوه؛ فقالَ لَهُم: يا

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٤٤.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٤٤.
(٣) أخبار القضاة، ١ /٣٤٩.

معاشر التجار احفظوا عني خصالاً ثلاثاً تنتفعون في تجارتكم؛ لا يشتري الرجل بأكثر من ماله، فإن كانت وضيعة أتت على رأس ماله كله، ولا يشارك إلا شريكاً واحد؛ فإن أكثر، فاثنين؛ فإن الشركاء إذا كثروا تواكلوا، ولا يشتري من رجل له بضاعة ليس له غيرها، فإن التوى أمر أو أصابته نكبة لم يعذره، وألح عليه وحرق به؛ اشتروا من أهل السعة واليسار، فإنهم يؤخرون ويحتملون.

لوجدت بينهما شيئاً بيناً

قالَ الخليل بْن أَحْمَد: قالَ: إياس بْن معاوية: لو أخذت عوداً فقسته بعود حتى يصير ليس بينهما شي، ثم قست الثاني إلى ثالث، والثالث إلى رابع، إلى العاشر، ثم قست العاشر إلى الأول لوجدت بينهما شيئاً بيناً.

في ثلاث لا أصلح معهن لولاية

إياس بْن معاوية؛ قال: أرسل إلي ابن هبيرة، فساكتني، وساكته، حتى فهمت، ثم أعادني من القابلة، ففعل مثلاً؛ ثم قال: إيه؛ قلت: سل عما شئت؛ قال: أتقرأ القرآن؟ قلت: نعم؛ قال: أتعرف من الشعر شيئاً: قلت: نعم؛ قال: هَلْ تعلم من أيام العجم شيئاً؟ قلت أنا بذاك أعلم؛ قال: إني أريد أن أستعين بك؛ قال: قلت: في ثلاث لا أصلح معهن لولاية، أنا دميم، وأنا عي، وأنا سيئ الخلق، قال: أما دميم فإني لا أحاسن بك الناس، وأما عي فإنك تعبر عَن نفسك، وأما سيئ الخلق فالسوط يقومك، وأمر لي بألفي درهم، فهو أول مال تأثلته.

أترد جائزة الأمير؟

قال عون: لما بعث إلى ابن سيرين، والحَسَن وأولئك قدموا على ابن هبيرة قال: فقالَ: مُحَمَّد لما دخل عليه، السلام عليكم، وكان ابن هبيرة متكئاً فجلس، وكان معه أَبُو الزناد، فقالَ لَهُ كيف من تركت؟ قال:

تركت الظلم فيهم فاشياً، فهم به، فجعل أَبُو الزناد يقول له: إنه شيخ، إنه، إنه، قال: فجاء لإياس بْن معاوية بجائزة، فقالَ: لا حاجة لي فيها؛ فقال: أترد جائزة الأمير؟ قال: ولم يعطيني؟ أيتصدق علي؟ فقد أغناني الله، أو يعطيني على علمي أجراً، فلا آخذ عليه أجراً؛ قالَ: الأنصاري وكانت جائزته عشرة آلاف.

أرجو أن يكون قصاصاً

عَن حفص بْن عُمَر بْن حفص بْن عَبْد اللهِ بْن الحارث بْن هشام، قال: كنت غائباً عَن واسط أيام يوسف بْن عُمَر؛ فقدمت فقالَ لي: إني أتيت إياس بْن معاوية؛ قلت: وما له؟ قالَ: ضربه الأمير يوسف؛ أراده على أن يتولى له السوق؛ فأبى فضربه، فأتيته، فوجدت عنده جماعة، جماعة، فقالَ: إلي إلي يا أبا عُمَر ها هنا، فأجلسني إلى جنبه، ثم قال: لقد ضربني الأمير ستة وخمسين سوطاً، فنظرت في ضربي مملوكي فإذا هو ينقص على ضرب يوسف إياي سوطين؛ فقلت: أرجو أن يكون قصاصاً وأن يكون لي فوات السوطين، ثم اقتص ضربه مملوكيه لما ضربهم عليه، فحفظت قصة غلام منهم؛ قال: جئت في يوم بارد فوضعت قلنسوتي، وعمامتي عَن رأسي، ودعوت بالوضوء، فجاء بماء بارد؛ فقالَ: بالفارسية: أصب على رأسك؟ فقلت متعجباً منه: نعم، فصب على رأسي ماءاً بارداً في يوم بارد، فضربته سوطين.

ما المروءة؟

قال سُفْيَان بْن الحسين: قلت لإياس بْن معاوية: ما المروءة؟ قال: أما في بلدك وحَيْثُ تعرف فالتقوى، وأما حَيْثُ لا تعرف فاللباس [1].

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٥٣.

قالَ الحجاج لإياس بْن معاوية: يا أبا إياس من أحب الناس إليك؟قال: الذي يعطيني؛ قال: ثم من؟ قالَ: الذي ينفق عليه.

إنما تنفق بقدر ما يدخل عليك

و قالَ: صالح بْن سليمان: اشتكى أبان بْن الوليد البجلي إلى إياس كثرة نفقته؛ فقالَ لَهُ إياس: أرأيت بيتاً له بابان، وبيتاً له باب، أيهما يدخل إليه الريح أكثر؟ قال: البيت الذي له بابان؛ قال: فكذلك أنت إنما تنفق بقدر ما يدخل عليك.

هَلْ يدخل الريح البيت؟

دخل رجل على إياس بْن معاوية فشكا إليه شدة المئونة، وكثرة الإنفاق؛ فقالَ لَهُ إياس: إن النفقة داعية الرزق، وهو جالس بين بابين؛ فقالَ: للرجل: أغلق هَذَا الباب، فأغلقه، فقال: هَلْ يدخل الريح البيت؟ قال: لا؛ قال: فافتحه، ففتحه، فجعلت الريح تخرق البيت؛ فقال: هكذا الرزق، أغلقت فلم يدخل الريح، وكذلك إذَا أمسكت لم يأتك شيء [١].

يا بني وما أصنع بمال يأكل المال

عَن سعيد بْن هارون؛ قال: قلت لإياس بْن معاوية: يا أبا واثلة مالك لا تشتري دابة؟ أراك تستعير من الناس؛ قال: يا بني وما أصنع بمال يأكل المال [٢].

قالوا: وكيف؟

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن بكر السهمي؛ أن إياس بْن معاوية كان في حلقة وذكروا: الولد أبر أم الوالد؟ فأجمع رأيهم على أن الولد أبر، واشتغل

---

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٥٤.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٥٦.

إياس في شيء، فلما فرغ أقبل عليهم، فأخبروه، فقال: إني أخالفكم، إني أزعم أنهما إذا كانا برين جميعاً فالولد أبر؛ قالوا: وكيف؟ قالَ: لأن بر الوالد لولده طباع يطبعه الله عليه، لا يستطيع إلا ذاك وبر الولد لوالده تشدد منه لما افترض الله عليه من حقه.

إن الثناء من الجزاء

عَن العوام بْن حوشب قال: التقيت أنا وإياس بْن معاوية بذات عرق، فذكرت إبراهيم، يعني التيمي؛ فقال: لولا كرامته علي لأثنيت عليه؛ فقلت: أتعرفه؟ قال: نعم؛ قلت: فلم تكره أن تثني عليه؛ قال: إنه كان يُقَالُ: إن الثناء من الجزاء.

أنت أفلس مني

وبلغني أن إياساً كان على سوق واسط، وكلمه أبان بْن الوليد في درهم يحطه عَن رجل من كراء حانوته، فقال: أنظر إليه، فإن كان يمكنني أن أحط عنه حططت، فنظر إِلَى الحانوت فرآه في باب البصرة؛ فقال: هَذَا في ديباجة الحرم، ليس إِلَى الحط منه سبيل، ثم كلم إياس في كلام أبان بن الوليد في حط مائة ألف من خراج رجل؛ فقال: رددت رجلاً في درهم فأكلمه في مائة ألف؟ ثم اعتزم فكلمه، فَقَالَ لَهُ أبان: إني والله ما أعجب منك، ولكني أعجب ممن تجرمك، رددتني عَن درهم؛ ويكلمني في مائة ألف؛ فَقَالَ لَهُ إياس: فلا تعجب من ذاك، فإني كنت راداً عَن الدرهم من هو فوقك، وكنت مشفعاً في المائة ألف ممن هو دوني، ثم جرى الكلام بينهما، حتى قالَ: له أبان: يا مفلس؛ قال: أنت أفلس مني، قال: وكيف؟ وأنا استغل كذا؟ قال: نعم نفقتك أكثر من غلتك، وغلتي أكثر من نفقتي [1].

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٥٧.

أجلاني أنت؟

و قالَ: مُحَمَّد بْن سلام، عَن سلمة بْن محارب، قالَ: تقدم إلى إياس رجل من عنزة أعمش تخاصمه امرأة كالقلعة، ومعهم نفر فيهم فتى شاب له منظر ورواء، فأقبلت المرأة تكلم الناس بلسان سليط؛ فقالَ لهَا إياس: أجملي في منازعة بعلك؛ فقالت: لو كان لذلك أهلاً فعلت، ولكنه هلباجة [١] نئوم، [٢] لكل معروف عدوم؛ فقالَ: بعلها: أما إذا أبيت، فوالله لا أكتمك خبرها، وأنشده.

نبت عينها عيني وراق فؤادها ::: فتى من بني دحلان رخو المكاسر
فتى لو أجاريه إلَى المجد فتّه ::: وقصّر عَن إدراك حرّ المآثر
رأته جميلاً ذا رواء فأذعنت ::: إليه ورامتني بإحدى القناطر
ودون الذي رامت من الموت عارض ::: على رأسها حمّ كثير الزماجر

فرفع إياس رأسه، فنظر في وجوه القوم؛ فقالَ: للفتى: ما اسمك؟ قالَ: روق بْن عَمْرو؛ قالَ: أجلاني أنت؟ قال: نعم؛ قال: ادن فدنا منه، فأخذ أذنه، وقال: والله لئن بلغني أنك دخلت بينهما لأطيلن حبسك؛ فقالَ: البعل له: أما إذا أظهرت ما كنت أخفي، فهي طالق ثلاثاً؛ فقالَ لهُ إياس إنك لكريم؛ فقالَ: للمرأة انهضي فغير فقيدة ولا حميدة، قبحك الله، وما تاقت إليه نفسك [٣].

أخبرت أنك كنت لا تجيز شهادة الأشراف بالعراق

عَن مُحَمَّد بْن عَبْد الرحمن القرشي؛ قال: قلت لإياس بْن معاوية؛

---

(١) الهلباجُ والهلباجةُ والهُلبجُ والهُلابجُ الأحمق الذي لا أحمق منه وقيل هو الوَخِمُ الأحمق المائِقُ القليل النفع الأكُولُ الشَّرُوب زاد الأزهري الثقيل من الناس.
(٢) نئُومٌ وهو الكثير النوم.
(٣) أخبار القضاة، ١ /٣٥٨.

أخبرت أنك كنت لا تجيز شهادة الأشراف بالعراق، ولا التجار، ولا الذين يركبون البحر؛ فقال: أجل أما الذين يركبون البحر، فإنهم يركبون إلى الهند حتى يغرر بدينهم، ويمكنوا عدوهم منهم، من أجل طمع الدنيا، فعرفت أن هؤلاء إن أعطي أحدهم درهمين في شهادتهم لم يتحرج بعد تغريره بدينه، وأما الذين يتجرون في قرى فارس فإن المجوس يطعمونهم الربا، وهم يعلمون؛ فأبيت أجيز شهاتهم لأجل الربا؛ وأما الأشراف فإن الشريف بالعراق إذا نابت أحداً منهم نائبة أتى سيد قومه، شهد له وشفع.

ما أنت منه؟

قال العلاء، صاحب البصري، أن إياس بْن معاوية جاءته امرأة بصرية فقالت: فلان مولاك مات وترك صرة؛ قال: ما أنت منه؟ قالت: خالته، قال: خذيها فكليها،{وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٍ} [الأنفال: ٧٥].

عرفت ذاك باختلاف الشعرتين.

ورأى إياس بْن معاوية بعض شهوده؛ فقال: حلقت نصف لحيتك؟ قال: نعم؛ أصابني داء، فحلقتها له؛ فقال: عرفت ذاك باختلاف الشعرتين.

يمتحن بها الرمان

ورأى رجلاً؛ فقال: هَذَا يبيع الرمان؛ فقيل: من أين علمت؟ قال: رأيت ظفر إبهامه أطول من سائره، ورأسها أخضر، فعلمت أنه يمتحن بها الرمان.

ورأى معلفاً؛ فقال: معلف بعير أعور؛ قالوا: بم علمت؟ فقال: رأيت

اعتماده في إحدى جنبيه [(١)].

هذه حامل بغلام

ومر إياس تحت ساباط للمغيرة بْن المخادش، فسمع صوت امرأة؛ فقال: هذه حامل بغلام؛ قالوا: كيف علمت؟ قال: سمعت صوتاً مجلجلاً صافياً، وهذه علامة حمل الغلام.وكان إياس يقول: شرقي كل بلد أكثر أهلاً من غربيه، ومن قرب من النهر كان أقل آنية ممن بعد من النهر.

سماهم فأخذوها

وقال: طلب خالد بْن عَبْد اللهِ القمري أموال ابن هبيرة، وقيل له: إن له ودائع عند قوم، فلم يجدوا له شيئاً، ولا أحداً يدلهم على ودائعه، فأخذوا مولاة له، فسألوها فلم يكن عندها علم، ورأوا زنفيلجة [(٢)] في بيتها، فأخذوها فوجدوا فيها شراكاً، فِيْهِ أثار كتاب، فدعا إياس بقصب فجعل يدرج الشراك عليها حتى أدرجه على القصب، فنبش الكتاب، فإذا فِيْهِ ذكر أموال ابن هبيرة، وودائعه، عند أقوام سماهم فأخذوها [(٣)].

فإذا تحتها حية مطوقة

كان خالد بْن عَبْد اللهِ يستثقل إياس بن معاوية، ويمقت إذكانه، فلما بنى قصره الذي أسفل واسط، على دجلة؛ خرج إليه ومعه الناس، وقد فرغ منه وفرش صحنه بالآجر، فرأى في الفرش آجرة ناتئة عَن الفرش، وعليها شبه الدسم؛ فقال: لو كان إياس حاضراً لَقالَ: في هذه الآجرة؛ قالوا: فإنه حاضر؛ قال: فعلي به؛ فجاء؛ فَقالَ لَهُ: ما بال هذه

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦١.
(٢) زنفيلجة وعاء يحمِل فيها الأدوات وهو مثل الكِنْف.
(٣) أخبار القضاة، ١ /٣٦٢.

الآجرة هكذا؟ قال: ينبغي أن يكون تحتها حية؛ قال: وكيف؟ قال: لأنه لم يكن يعمل لك مثل هذه، وهَذَا حادث فيها، وليس في الهوام ما يكون تحتها فيرفعها أقوى من الحية، وهَذَا الدسم نفخها، فدعا خالد بفأس وأعجلهم به، ورجا أن لا يكون كما قالَ: وفقلعها؛ فإذا تحتها حية مطوقة.

إنه ولد بهذه ونشأ بهذه

عَن الحارث بْن مرة الحنفي؛ قال: تقدم إلى إياس بْن معاوية رجلان، وهو على القضاء، وكان معهما غلام؛ فقالَ لَهُ: إني أتأمل هَذَا الغلام منذ قعدتما؛ فأقول أحياناً: إنه من أهل الأهواز، وأحياناً أقول: من أهل إصطخر؛ فقال: إنه ولد بهذه ونشأ بهذه.

فهو لم يرض بالقضاء إِلَّا وهو عاقل

قالَ: الحارث بْن مرة الحنفي؛ قالَ: إياس بْن معاوية: مررت بالكلأ؛ فرأيت رجلين يتنازعان؛ فقالَ: أحدهما لصاحبه: أترضي بصاحب الحمار؟ فقالَ: أحدهم: اشتريت من هَذَا زواً من جذوع فلما انتقيت منها الذي رأيت تغيرت الجذوع علي؛ فقلت لصاحبه: وهو كما قالَ: ؟ قال: نعم؛ قلت: فهو فيما لم ير بالخيار؛ فقالَ لي: بالفارسية: اذهب إلى عملك، ثم وليت القضاء بعد أيام، فكان هو وصاحبه أول من تقدم إلي فجعل صاحبه يقص قصته، وجعل صاحبه يتأملني؛ فقالَ: لصاحبه: أما إذَا كان هَذَا فقد عرفت قضاءه، قم بنا؛قالَ: إياس: فهو لم يرض بالقضاء إلا وهو عاقل [1].

أَخْبَرَنِي عنك أقاض أنت أم عراف؟

أَخْبَرَ حماد بْن إسحاق، عَن أبيه؛ قال: أتاه دهقان ينازع، فتكلم؛ فقالَ:

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦٤.

إياس: اسكت أخبرك ما تريد أن تقول؛ فسكت؛ فقالَ: إياس: تريد أن تقول: كذا وكذا؛ فقالَ: الدهقان: لا تتكلم، وبدا الدهقان؛ فتكلم؛ فقالَ: إياس: أخبرك ما تريد أن تقول؛ تريد أن تقول: كذا وكذا، فلما كانت الثالثة قالَ: له الدهقان بالفارسية: أَخْبَرَنِي عنك أقاض أنت أم عراف؟

ينبغي أن يكون هَذَا هرماً

قال: مر إياس بديك ينقر الحب، ولا يقرقر، فقالَ: ينبغي أن يكون هَذَا هرماً؛ فإن الهرم إذَا ألقى له الحب لم يقرقر ليجتمع إليه الدجاج، والشاب إذَا ألقى إليه الحب قرقر، واجتمعت إليه الدجاج.

ورأيته نشيطاً مرحاً

قال: ونظر إياس يوماً إلى رجل متأبط شيئاً، فقال: معه سكر، وقد ولد له غلام، فاتبعه رجل، فسأله، فوجده كما قال؛ قيل له: ومن أين علمت؟ قال: رأيت الذباب قد أطاف به، فقلت معه سكر، ورأيته نشيطاً مرحاً، فقلت ولد له غلام.

رأيته خفيفاً على يديها

قال: ورأى جارية في المسجد على يديها طبق مغطى بمنديل؛ فقال: في طبقها جراد، فكان كما قيل؛ فسئل فقال: رأيته خفيفاً على يديها.

صاحبكم حي

ونظر إلى جنازة رجل؛ فقال: صاحبكم حي فوضعوا الجنازة فعض الرجل؛ فإذا هو حي، فردوه، فسئل عَن ذلك فقال: رأيت أصابع قدميه منتصبة والميت لا تنتصب أصابع قدميه [1].

---

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦٥.

رأيته ينظر حوله

قال: واستقبل إياس رجلاً بواسط؛ فقال: خذوه فإنه لص سرق، الساعة يـأتيكم مـن يطلبـه، فأخذ فلـم يجـاوز حتـى جـاء قوم يطلبونـه، فأخذوه فسئل عَن ذاك، فقال: رأيته ينظر حوله.

رأيته يحرك رأسه كما يفعل الخياط

نظر إياس بْن معاوية إلـى رجل فـي المسجد الجامع؛ فقـال: ينبغـي أن يكـون خياطـاً، وهـو يخـيط القلانـس، فكـان كمـا قـال، فقيـل لـه: كيـف عرفت؟ قالَ: رأيته يحرك رأسه كما يفعل الخيـاط، ورأيتـه ينظـر إلـى رؤوس الرجال [١].

فكيف علمت أنه ابنه؟

و شكا رجل إلى قوم؛ فقال: إني كنت ببلد بعيد، فتركت به حملاً، فولد لي غلام، وصاررجلاً، وبلغني أنه قد قدم وليس يعرفنـي، ولا أعرفـه، فلست أدري كيف أطلبه، فقالوا لـه: إن كـان لـك عند أحد فرج، فعند إيـاس بْـن معاويـة، فأتـاه فـأخبره قصـته؛ فقـالَ لـهُ: الزمنـا ههنـا، فلزمـه أياماً فقعد في حلقته فـي المسجد الجـامع بالبصـرة، فلمـا كـان ذات يـوم التفت إياس، فقال: الرجل ههنا؟ قيل: نعم؛ قال: قم إلى هَذَا الذي دخـل من بـاب المسجد، فإنـه ابنـك، فقـام فالتقيـا فـي بعض المسـجد، فتواقفـا يتساءلان، ثم اعتنقا، وأقبلا إلى الحلقة فجلسا؛ فقـالَ: إيـاس: هو ابنـك؟ فقال: نعم؛ فقالَ: القوم: يا أبا واثلة: إنا لنتأمله فلا نرى فِيْهِ شبهه؛ قال: أجل ما أبعد شبهه، قالوا: فكيف علمت أنه ابنه؟ قـالَ: هو أشبـه النـاس به طلعة حين طلع ظننته هو حتى رأيته في الحلقـة، فعلمت أنـه شـبهه بطلعته.

---

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦٦.

جئتكم والله من عند أعجب الناس

عَن خلاد بْن يزيد، وغيره، أن إياس بْن معاوية أتى المدينة فصلى في مسجد النبي ﷺ، ثم لبث في مقعده، فنظر إليه أهل الحلقة، فزكنوه حتى صاروا فرقتين فرقة تزعم أنه مصلم، [١]وفرقة تزعم أنه قاض، فوجهوا إليه رجلاً، فجلس إليه يحادثه شيئاً، ثم أخبره خبر القوم، وما صاروا إليه من الظن به؛ فقالَ: قد أصاب الذين ذكروا أنني قاض، ورويداً أخبرك عَن القوم، أما الذي من صفته كذا فهو كذا، وأما الذي يليه فهو كذا، فلم يخطئ في واحد منهم إلا شيخ فإن قال: وأما ذلك الشيخ فإنه نجار، قالوا: فقالَ لَهُ الرجل: في كلهم والله أصبت إلا في هَذَا الشيخ، فإنه شيخ من قريش؛ فقالَ: إياس: وإن كان من قريش فإنه نجار، فقام الرجل إلى أصحابه فقال: جئتكم والله من عند أعجب الناس، لا والله إن منكم واحد إلا أَخْبَرَنِي عَن صناعته، فأصاب، إلا فيك يا أبا فلان فإنه زعم أنك نجار، فأخبرته أنك من قريش، فقال: وإن كان من قريش فإنه نجار؛ قال: صدق والله أني أعمل عند أرجوازي [٢].

ومن أين علمت يا أبا واثلة أنه ابنه؟

قال: وحَدَّثَ خلاد بْن يزيد؛ قال: كان لإياس صديق قد وطئ أمة له، فخرج في بعض حوائجه، فولدت غلاماً فشك فِيْهِ الرجل، فلم يدعه ولم ينكره، وكان على باب الرجل كتاب، وكان الغلام يختلف إلى ذلك الكتاب، فجاء إياس يريد صديقه ذلك، فتصفح وجوه الغلمان، ثم أقبل على ذلك الغلام، فقالَ لَهُ: يا ابن فلان قم إلى أبيك فأعلمه أني بالباب؛

---

(١) مُصلَّم وأصْلَمُ مقطوعُ الأذن ورجل أصْلَمُ إذا كان مُستَأْصَل الأذنين ورجل مُصَلَّم الأذنين إذا اقتُطِعَتا من أصولهما.

(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٦٨.

فقال: معلم الكتاب لإياس: ومن أين علمت يا أبا واثلة أنه ابنه؟ فقال: شبهه فيه؛ فقام المعلم إلى الرجل، فأخبره خبر إياس والرجل، فخرج الرجل بنفسه فرحاً بما أخبره المعلم؛ فقال: يا أبا واثلة أحق ما قالَ لي: المعلم؟ قال: نعم شبهه فيك وشبهك فِيْهِ أبين من ذلك، فادعى الرجل الغلام ونسبه إلى نفسه.

قد فقد حماما لنفسه

وذكر الواسطيون أن سُفْيَان بْن حسين قال: كان إياس جالساً، فنظر إلى رجل دخل المسجد؛ فقال: هَذَا الرجل من أهل البصرة من ثقيف قد أرسل حماماً له فذهب ولم يرجع إليه، فقام رجل فسأل ذلك الرجل؛ فأخبر عَن نفسه بما قالَ: إياس، فسئل إياس فقال: أما معرفة البصري، فلا أَحْمَد عليه، وأما قولي ثقفي، فإن لثقيف هيئة لا تخفي، وأما قولي فقد حماما له، فإني رأيته يتصفح الحمام لا يرى ناهضاً، ولا طائراً، ولا ساقطاً، إلا نظر إليه، فقلت: قد فقد حماما لنفسه.

وسأله الستر عليه

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن مصعب، أن معاوية بْن قرة شهد عند ابنه إياس بْن معاوية مع رجال عدهم على رجل بأربعة ألف درهم، فقالَ المشهود عليه: يا أبا واثلة تثبت في أمري، فوالله ما أشهدتهم إلا بألفين فسأل إياس أباه والشهود؛ أكان في الصحيفة التي شهدوا فيها فضل؟ قالوا: نعم، كان الكتاب في أولها والطينة في وسطها وباقي الصحيفة أبيض؛ قال: أفكان هَذَا المشهود له يلقاكم أحياناً فيذكركم شهادتكم بأربعة ألف؟ قالوا: نعم، كان لا يزال يلقانا فيقول: اذكروا شهادتكم على فلان بأربعة ألف درهم، فصرفهم، ثم دعا المشهود له، فقال: يا عدو الله تغفلت أقواماً صالحين مغفلين، فأشهدتهم على صحيفة جعلت طينتها

في وسطها، وتركت فيها بياضاً في أسفلها، لما ختموا الطينة قطعت الكتاب الذي جعل فِيْهِ ألفان وكتبت في البياض أربعة آلاف فأقر بذلك. وسأله الستر عليه فحكم له بألفين، وستر عليه.

ما أردت غيرهما

و قالَ: إسحاق بْن سويد العدوي لإياس: أَخْبَرَنِي عَن رجلين؛ قالَ: إياس: اسكت فإني أعلم ما تريد أن تسألني عنه، قال: قل؛ قال: تريد أن تقول أَخْبَرَنِي عَن رجلين بالمصر مسلمين صالحين خيرين فاضلين، لا يتزاوران ولا يتلاطفان ولا يلتقيان، الْحَسَن وابن سيرين؛ قالَ: ما أردت غيرهما.

ما تعجبون من الدنيا

وتذاكروا عند إياس الدنيا؛ فقال: ما تعجبون من الدنيا وإنما هي خمس نبات، وخمس حيوان، ثم يعود إلى ثلاث، فالحيوان ذو رجلين، وذو أربع، وخرشة، وسمكة، والنبات شجرة ذات ساق، وغير ذات ساق، وبقلة وزرع، وحشيشة، وتعود إلى ثلاثة ولاد وبيضة ونبات.

كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع بها

و قالَ: المدائني: نظر إياس إلى ثلاث نسوة فزعن من شيء؛ فقال: هذه حامل، وهذه مرضع، وهذه بكر، فقام إليهن رجل فسألهن فوجدهن كما قال؛ فقال: من أين علمت؟ فقال: لما فزعن وضعت كل واحدة منهن يدها على أهم المواضع بها المرضع على ثديها، والحامل على بطنها، والبكر أسفل من ذلك.

لا تقربني يا خائن

قالَ: الموصلي: استودع رجل رجلاً ميراثاً اتأمن مالاً، فجحده فأتى إياساً، فأخبره فقالَ لَهُ إياس: أعلم أنك تأتيني؟ قال: لا؛ قال: أفنازعه أحد؟ قال: لا لم يعلم أحد بهَذَا؛ قال: فانصرف ثم اغد إلي بعد يوم أو يومين، ودعا إياس أمينه فقال: قد اجتمع عندي مال كثير أريد أن أودعكه، أفحصين منزلك؟ قالَ: نعم؛ قال: عد إلي يوم كذا، وأعد موضعاً للمال أو قوماً يحملونه ففعل، فعاد الرجل إلى إياس، فقالَ لَهُ: انطلق إلى صاحبك فاطلب مالك، وإن جحدك فقل له: إني أخبر القاضي، فأتاه فدفع إليه ماله، فرجع إلى إياس، فقالَ: قد أعطاني المال وجاء الأمين إلى إياس لموعده فزجره وأشهره، وقال: لا تقربني يا خائن [1].

قاتلك الله من صبي

قالَ إياس بْن معاوية: إن أول شيء حكي عني أني كنت في مكتب رجل من أهل الذمة، فاجتمع إليه أصحابه؛ فقال: ألا تعجبون من أهل الإسلام أنهم يأكلون في الجنة، ولا يتغوطون، فقلت يا معلم: أليس الدنيا ضرة الآخرة؟ قال: بلى؛ قالَ: كل ما يؤكل في الدنيا يخرج غائطاً؛ قال: لا؛ قلت: فأين يذهب قال: يذهب بعضه غذاء، قلت فما تنكر إذا كان بعضه يذهب في الدنيا غذاء أن يكون كله في الجنة يذهب غذاء؟ قال: فألوى بيده، وقال: قاتلك الله من صبي.

ونام فأصبح ميتاً

عَن حماد، أبيه؛ قال: رأى إياس في المنام أنه لا يدرك الشجر فخرج إلى ضيعته بعَبْدسي، فمات سنة اثنين وعشرين ومائة، ومات معاوية بْن قرة بْن إياس، وهو ابن ست وسبعين سنة، وقال، في العام الذي مات

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٧١.

فيه: رأيت كاني وأبي على فرسين فجرياً جميعاً ولم أسبقه، ولم يسبقني، فعاشا ستاً وسبعين سنة، وأنا فيها، فزوج إياس ابنه؛ فقال: أتدرون أية ليلة هذه؟ هذه ليلة استكملت فيها عُمَر أبي ونام فأصبح ميتاً [(١)].

يا يمامي

عَن الأصمعي، قال: أتى إياساً رجل؛ فقال: يا يمامي؛ قال: لست بيمامي؛ قال: يا أضاخي؛ قال: لست بأضاخي؛ فقالَ: يا ضروي؛ فجاء فسأله عَن نفسه؛ فقال: ولدت باليمامة، ونشأت بأضاخ، ثم تحولت إلى ضرية [(٢)].

إن هذا له امرأة تسيئه الخلق

قال حماد بن زيد: كان إياس بن معاوية والصلت بن دينار في مجلس أيوب فكلما حدث بشيء لم يدعه حتى قطع عليه، فإذا فرغ منه ذهب الصلت يحدث فيقول له اياس: اسكت، وحدث. قال: فقال الصلت: ما تدعني أبلع ريقي وأتنفس. قال فقال اياس: إن هذا له امرأة تسيئه الخلق. قال: فقال: صدقت. فقال اياس: إنما سوء خلقك من ذاك لأنك خرجت ضجراً مغتماً فسوء خلقك من ذلك.

وليس يسلم عليك أخوك هذا؟

عن سفيان بن حسين قال: كنت عند اياس بن معاوية وعنده رجل تخوفت ان قمت من عنده أن يقع في: قال: فجلست حتى قام، فلما قام ذكرته لأياس. قال: فجعل ينظر في وجهي فلا يقول لي شيئاً حتى فرغت. فقال لي: اغزوت الديلم؟ قلت: لا. قال غزوت السند؟ قلت: لا. قال: غزوت الروم؟ قلت: لا. قال: فسلم منك الديلم والسند والهند

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٧٣.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٧٣.

والروم وليس يسلم عليك أخوك هذا؟ فلم يعد سفيان إلى ذلك.

كان أبو إياس يقول: إن الناس ولدوا ابناً وولدت أباً.

حديث عدي بن أرطأة مع إياس بن معاوية فيمن يصلح للولاية من القراء

قال عدي بت أرطاة لإياس بن معاوية: دلّني على قوم من القراء أولّهم. فقال له: القرّاء ضربان: فضرب يعملون للآخرة ولا يعملون لك، وضرب يعملون للدّنيا فما ظنّك بهم إذا أنت ولّيتهم فمكّنتهم منهم؟ قال: فما أصنع؟ قال: عليك بأهل البيوتات الذين يستحيون لأحسابهم فولّهم [1].

والله لا جمعني الله وإياك مجلس أبداً

قال عدي: اجتمع إياس بن معاوية وغيلان عند عمر بن عبد العزيز فقال عمر: أنتما مختلفان، وقد اجتمعتما، فتناظرا تتفقا.

فقال إياس: يا أمير المؤمنين إن غيلان صاحب كلام، وأنا صاحب اختصار، فإما أن يسألني ويختصر أو أسأله وأختصر، فقال غيلان: سل.

فقال إياس: أخبرني ما أفضل شيء خلقه الله عز وجل؟ قال: العقل.

قال: فأخبرني عن العقل، مقسوم أو مقتسم؟ فأمسك غيلان.

فقال له: أجب فقال: لا جواب عندي.

فقال إياس قد تبين لك أمره يا أمير المؤمنين.

إن الله تبارك وتعالى يهب العقول لمن يشاء فمن قسم له منها شيئاً، ذاده به عن المعصية، ومن تركه تهور.

(١) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ١ / ٧، ٢٥، ٣٠، ٣١.

قال الأصمعي: إن إياساً وغيلان اجتمعا، فقال له بعد سؤاله عن العقل وسكوته عن جوابه، قال له: سل عن غير هذا.

فقال له إياس: أخبرني عن العلم قبل أو العمل؟ فقال غيلان: والله لا أجبتك فيها.

فقال إياس: فدعها وأخبرني عن الخلق خلقهم الله مختلفين أو مؤتلفين؟ فنهض غيلان، وهو يقول: والله لا جمعني الله وإياك مجلس أبداً.

قال الأصمعي: ومن حديث عدي أن غيلان قال لعمر: أتوب إلى الله ولا أعود إلى هذه المقالة أبداً، فدعا عليه عمر إن كان كاذباً، فأجيبت دعوته (١).

حتى تتكامل العدتان

قال عمر بن علي: قال رجل لإياس بن معاوية: يا أبا واثلة حتى متى يتوالد الناس ويموتون؟ فقال لجلسائه: أجيبوه.

فلم يكن عندهم جواب، فقال إياس: حتى تتكامل العدتان: عدة أهل النار، وعدة أهل الجنة (٢).

قد أقر لك بحقك فخذه به.

قال أبو محمد القرشي: استودع رجل رجلاً مالاً.ثم طلبه فجحده، فخاصمه إلى إياس بن معاوية، فقال الطالب: إني دفعت المال إليه.

قال: ومن حضرك؟ قال: دفعته إليه في مكان كذا وكذا، ولم يحضرنا أحد.

قال: فأي شيء كان في ذلك الموضع؟ قال: شجرة.

---

(١) مختصر تاريخ دمشق، ٢ /١٤٠.
(٢) مختصر تاريخ دمشق، ٢ /١٤٠.

قال: فانطلق إلى ذلك الموضع، وانظر إلى الشجرة، فلعل الله تعالى يوضح لك هناك ما يبين لك حقك، لعلك دفنت مالك عند الشجرة ونسيت، فتذكر إذا رأيت الشجرة، فمضى الرجل وقال إياس للمطلوب: اجلس حتى يرجع خصمك، فجلس وإياس يقضي وينظر إليه ساعة، ثم قال له: يا هذا أترى صاحبك بلغ موضع الشجرة التي ذكر؟ قال: لا.

قال: يا عدو الله إنك لخائن.

قال: أقلني أقالك الله، فأمر من يحتفظ به حتى جاء الأجل، فقال له إياس: قد أقر لك بحقك فخذه به.

ضرب عشر سنين وخمس سنين

واستودع رجل رجلاً كيساً فيه دنانير وغاب الرجل، فطالت غيبته فلما طال الأمر، فتق المستودع من أسفله، وأخذ الدنانير وجعل في الكيس دراهم وخيطه والخاتم على حاله، فقدم صاحب المال بعد خمس عشرة سنة وطلب ماله، فدفع إليه الكيس بخاتمه فلم يقبله، وقال: هذه دراهم، ومالي دنانير.

قال: هذا كيسك بخاتمك، فرافعه إلى عمر بن هبيرة، فقال لإياس ابن معاوية: انظر في أمر هذين.فقال إياس للطالب: ما تقول؟ قال: أعطيته كيساً فيه دنانير.

قال: مذ كم؟ قال: مذ خمس عشرة سنة.

قال للآخر: ما تقول؟ قال: كيسه بخاتمه.

قال: منذ كم؟ قال: منذ خمس عشرة سنة.

قال: ففضوا الخاتم، ونثروا الدراهم، فوجدوا ضرب عشر سنين

وخمس سنين، فأقر بالدنانير، فألزمه إياها [١].

أتشهد كما تفعل الموالي والعجم؟

وخاصم إلى إياس رجلٌ رجلاً في دينٍ وهو قاضي البصرة، فطلب منه البينة، فم يأته بمقنع، فقيل للطالب: استجر وكيع بن أبي سودٍ حتى يشهد لك، فإن إياساً لا يجترئ على رد شهادته، ففعل، فقال وكيعٌ: فهم إياسٌ عنه فأقعده إلى جانبه، ثم سأله عن حاجته، فقال: جئت شاهداً، فقال له: يا أبا المطرف، أتشهد

كما تفعل الموالي والعجم؟ أنت تجل عن هذا؟ فقال: إذن والله لا أشهد، فقيل لوكيع بعد: إنما خدعك، فقال أولى لابن اللّخناء![٢].

فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه

وذكر الجاحظ أن إياس بن معاوية نظر إلى صدع في أرض فقال تحت هذا دابة فنظروا فإذا حية فقيل له من أين علمت قال رأيت ما بين الآجرتين نديا من بني جميع تلك الرحبة فعلمت أن تحتها شيئاً يتنفس. قال الجاحظ وحج إياس فسمع نباح كلب فقال هذا كلب مشدود ثم سمع نباحه فقال قد أرسل فانتهزوا إلى الماء فسألوهم فكان كما قال فقيل له من أين علمت قال كان نباحه وهو موثق يسمع من مكان واحد ثم سمعته يقرب مرة ويبعد أخرى ومر إياس ليلة بماء فقال اسمع صوت كلب غريب فقيل له كيف عرفته قال بخضوع صوته وشدة نباح الآخرين فسألوا فإذا كلب غريب والكلاب تنبحه [٣].

---

(١) مختصر تاريخ دمشق، ٢ /١٤١.
(٢) الكامل في اللغة والأدب، ٢ /٣٦.
(٣) ابن الجوزي، الأذكياء، ١ / ٢٩، ٣٠، ٩٧.

لم يصلحْ إلاّ للذبح

قال أبو الحسن: كانَ إياسٌ بنُ معاويَة وهو صغيرٌ ضعيفاً دقيقاً دميماً وكانَ له أخٌ أشدُّ حركَةً منْهُ وَأقوى فكان معاويَةٌ أبوه يقدِّمهُ علَى إياس فقال له إياسٌ يَوْماً يا أبتِ إنَّك تقدِّمُ أخي عَلَيّ وسأضربُ لك مثلي ومثلَه: هو مثل الفَرُّوج حين تنفلق عنه البَيضة يخرج كاسياً كافياً نَفْسَهُ يلتقط ويستخفُّه الناس وكلما كبر انتُقص حتى إذا تَمَّ فصار دجاجة لم يصلحْ إلاّ للذبح وأنا مثلُ فَرخ الحمام حين تنفلق عنه البَيضةٌ عن ساقطٍ لا يقدر عَلَى حركة فأبَواه يغذُوانِهِ حتّى يقوى ويثبتَ ريشُهُ ثمَّ يحسُن بعد ذلك ويطير فَيجِدُ به الناس ويكرمونَهُ ويرسل من المواضع البعيدة فيجيء فيُصان لذلك ويُكْرَمُ ويُشْتَرى بالأثمان الغالية فقال أبوه: لقد أحسنت المثل فقدَّمه عَلَى أخيهِ فوجَد عِنْدَهُ أكثرَ مما كانَ يظنُّ فيه (١).

من كلامه – رحمه الله –:

- عَن إياس بْن معاوية؛ قال: لا تزوج المرأة إذا كانت تكلم فتسمع ولا تمشي فتسرع، ولا تزوج صغيرة الرأس، فإن عقلها في رأسها (٢).

- لا خير فيمن لا يعرف عيب نفسه، قيل له: فما عيبك يا أبا واثلة؟ قال: الإكثار، ثم قال: أما والله مع ذاك ما تدبر رجل عاقل قولي إلا وجد فِيْهِ بعض ما ينفعه (٣).

- إنه إن يك في فعال الرجل فضل عَن قوله أجمل من أن يكون في

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، الحيوان، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الجيل، لبنان/ بيروت، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، ٢ / ٧٦، ١٥٢، ٢٧٩، ٥ / ١٠٥.
(٢) أخبار القضاة، ١ /٣٣٣.
(٣) أخبار القضاة، ١ /٣٤٥.

قوله فضل عَن فعاله [١].

- امتحنت خصال الرجال، فوجدت أشرفها صدق اللسان، ومن عدم فضيلة الصدق فقد فجع بأكرم أخلاقه.

- كل ما بني على غير أساس فهو هباء، وكل ديانة أسست على غير ورع فهي هباء [٢].

- ما فقه رجل قط إلا ساء ظنه بالناس [٣].

- قالَ إياس بْن معاوية: لا بد للناس من ثلاثة أشياء؛ لا بد لهم من أن تأمن سبلهم، ويختار لحكمهم حتى يعتدل الحكم بينهم، وأن يقام لهم بأمر البعوث التي بينهم وبين عدوهم؛ فإن هذه الأشياء إذا قام بها السلطان احتملوا الناس ما سوى ذلك من أثرة وكثيراً مما يكرهون.

- كل بنيان بني على أساس أعوج لم يستقم بنيانه[٤].

- إياك وما يستبشع الناس الكلام، وعليك ما يعرف من القضاء[٥].

- لون الشعر الذي هو لونه البياض وإنما السواد قبل إدراكه، كالثمرة قبل إدراكها [٦].

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٥٠.
(٢) مختصر تاريخ دمشق، ٢ /١٤٠.
(٣) أخبار القضاة، ١ /٣٥٤.
(٤) أخبار القضاة، ١ /٣٥٦.
(٥) أخبار القضاة، ١ /٣٥٨.
(٦) أخبار القضاة، ١ /٣٦١.

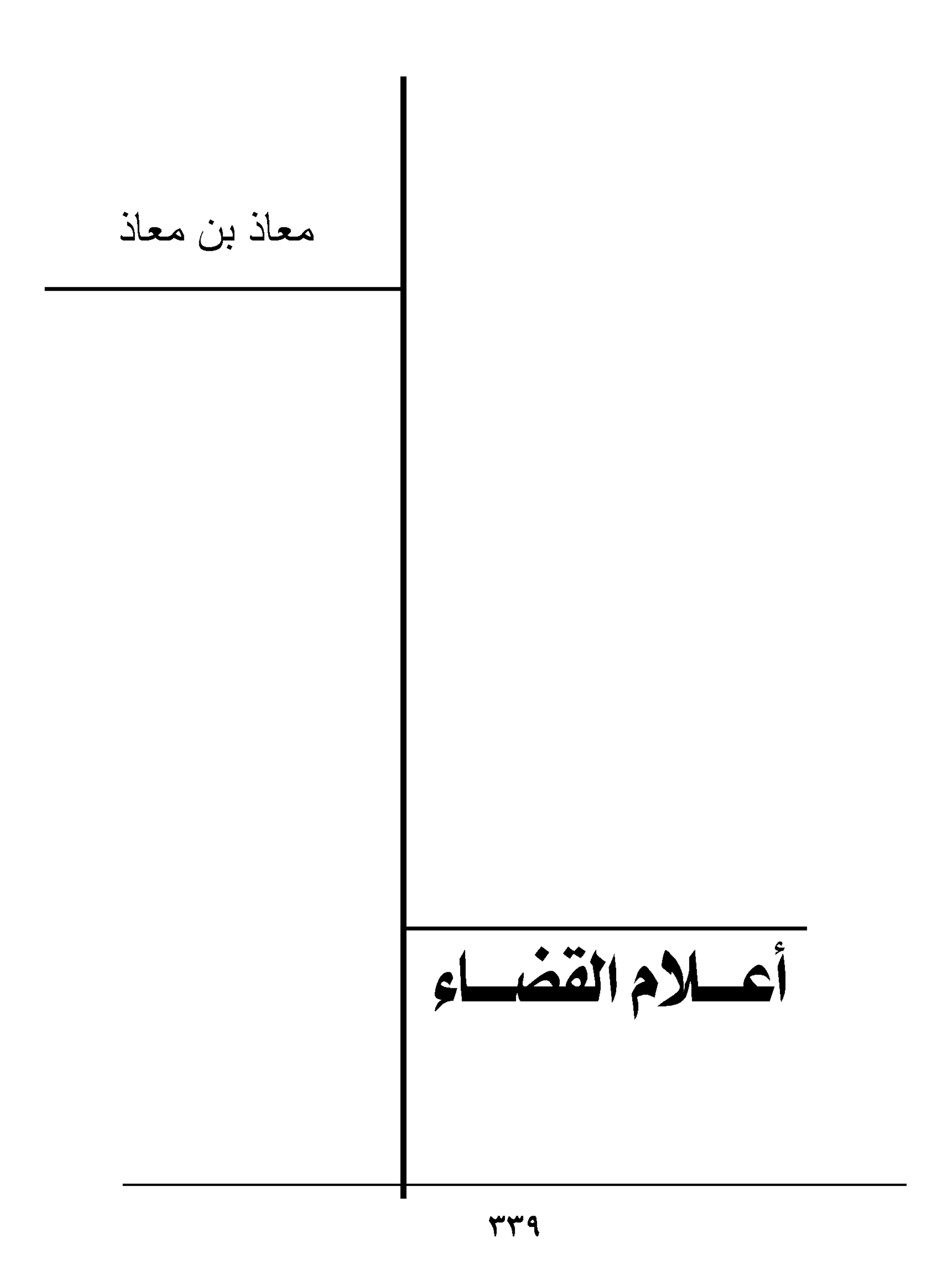
- إياك وما يتتبع الناس من الكلام، وعليك بما تعرفه من القضاء[1].

- وقال إياس بن معاوية: إن الرجل يكون عليه ألف فينفق ألفاً فيصلح فتصلح له الغلة. ويكون عليه ألفان فينفق ألفين فيصلح فتصلح له الغلة. ويكون عليه ألفان فينفق ثلاثة آلاف فيتبع العقار في فضل النفقة[2].

* * *

(١) أخبار القضاة، ١ /٣٦٣.

(٢) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، تحقيق: أحمد العوامري بك - علي الجارم بك، دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ٢ / ٦٤.


معاذ بن معاذ
أعــلام القضــاء

معاذ بن معاذ ـ رحمه الله ـ

معاذ بْن معاذ بْن نصر بْن حسان بْن الحر بْن مالك بْن الحسحاس ابْن جناب ابن الحارث بْن مجفر بْن كعب بْن العنبر بْن عُمَر بْن تميم بْن مر بْن أد بْن طابخة بن إلياس بْن نضر.

أخذ العلم عن: سليمان التيمي، وأشعث بن عبد الملك، وعوف الأعرابي، ومحمد بن عمرو، وأبي كعب صاحب الحرير وكهمس، وقرة بن خالد، والنهاس بن قهم، وابن عون، وحميد الطويل، وحاتم ابن أبي صغيرة، وعمران بن حدير، وشعبة، وعاصم بن محمد العمري، والثوري، وخلق.

ومن تلامذته: أحمد، وإسحاق، ويحيى، وعلي، وبندار، ومحمد بن مثنى، وإسحاق بن موسى الخطمي، وأبو بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن حاتم السمين، وعبد الوهاب بن الحكم الوراق، وأبو خيثمة، وعمرو الفلاس، ومحمد بن يحيى بن سعيد القطان، وأحمد بن سنان القطان، وعبد الله بن هاشم الطوسي، وابناه المثنى وعبيد الله، وسعدان بن نصر، وخلق كثير منهم عبد الرحمن بن أبي الزناد، وهو أكبر منه.

وقد أثني عليه كثير من أئمة الحديث والفقه والقضاء أمثال الإمام أحمد بن حنبل الذي قال عنه: معاذ بن معاذ إليه المنتهى في التثبت بالبصرة، وقال: هو قرة عين في الحديث.

وروى عنه ولده عبد الله بن أحمد أنه قال: ما رأيت أفضل من حسين الجعفي، وسعيد بن عامر، ولا رأيت أعقل من معاذ بن معاذ كأنه صخرة.

وقال الكوسج عن يحيى بن معين، وأبو حاتم الرازي: ثقة.

وقال عثمان الدارمي: قلت لابن معين: أيهما أحب إليك أزهر السمان في ابن عون، أو معاذ بن معاذ؟ قال: ثقتان. قلت: فمعاذ أثبت في شعبة أو غندر؟ قال: ثقة وثقة.

وقال النسائي: معاذ ثقة ثبت.

وقال يحيى بن سعيد: ما بالكوفة ولا البصرة ولا الحجاز أثبت من معاذ بن معاذ، وما أبالي إذا تابعني من خالفني، وقد كان شعبة يحلف: لا يحدث، فيستثني معاذا وخالدا.

وورد أن يحيى بن سعيد قال في سجوده مرة: اللهم اغفر لخالد بن الحارث، ومعاذ بن معاذ، ثم قال: حدثنا شعبة، عن معاوية بن قرة، قال أبو الدرداء: إني لأستغفر لسبعين من إخواني في سجودي أسميهم بأسماء آبائهم.

وقال محمد بن عيسى بن الطباع: ما علمت أحدا قدم بغداد إلا وقد تعلق عليه في شيء من الحديث إلا معاذا العنبري، ما قدروا أن يتعلقوا عليه بحديث مع شغله بالقضاء.

وقال ابن سعد: كان ثقة.

وولد معاذ بن معاذ في سنة تسع عشرة ومائة في آخرها، ومات سنة ست وتسعين ومائة.

وقد أكره علي تولي القضاء رغما عنه فقبله علي مضض فيروي أنه لما أعفى الخليفة هارون الرشيد القاضي عُمَر بْن عُثْمَان التيمي عَن القضاء، كتب إِلى مُحَمَّد بْن سليمان بْن علي باختيار رجل للقضاء، فسمى له عَبْد الوهاب بْن عَبْد الحميد، ومعاذ بْن معاذ، ومُحَمَّد بْن عَبْد اللهِ الأنصاري، فقال: ومن معاذ بْن معاذ؟ فقيل: ابن عم سوار، وعبيد الله، فقال: هَذَا فأرسل إليه، فقال: إني أريد توليتك القضاة،

فقال: لا أحسنه، قال: لا بد لك من ولايته، قال: إني والله ما أحسنه، وما يحل لك أن تولينيه صادقاً كنت، أو كاذباً، قال: أسألك بقرابتك من رسول الله إما أعفيتني، قال: قد سأل سوار أبا أيوب بْن سليمان ابن علي بمثل ما سألتني، فأعفاه ثم ظهر منه على مثل ما ظهر عليه فولاه، فولى.

وقد ولي قضاء البصرة لهارون الرشيد مرتين وكان صليباً في ولايته الأولى لا يخشي في الله لومة لائم، ودخل في صراع مع حماد بْن موسى الذي كان يعمل كاتباً لوالي البصرة محمد بن سليمان فعزله، وولى عَبْد الرحمن بْن مُحَمَّد المخزومي، وكانت مدة ولاية معاذ الأولي سنة.

وكان ولي معاذ بن معاذ قضاء البصرة سنة اثنتين وسبعين وكان له محل ومنزلة فلم يحمد أهل البصرة امره وكثر الكارهون له والرفائع عليه فلما صرف عن القضاء أظهر أهل البصرة السرور به ونحروا الجزور وتصدقوا بلحمها واستتر في بيته خوف الوثوب. ثم إنه ذهب إلي الرشيد واسترضاه واعتذر منه، وقبل الرشيد عذره وأعطاه ألف دينار.

وولى معاذ ولايته الثانية في رجب سنة إحدى وثمانين ومائة.

و قال أبان بْن عَبْد الحميد اللاحقي لما ولى معاذ بْن معاذ:

يا معاذ بْن معاذ الخير يا خيرحكيم	::	اتق الله فقد أصبحت في أمر عظيم
لا تولى الدهر من أنت به جدعليم	:	قد همّا اللاحقيون وإبنا تميم
شمّروا القمص وحلوا موضع السجد بثوم	:::	لزموا مسجدنا مع ضيعته أي لزوم
صام من أجلك من لم يك منهم ليصوم	:::	وهو ذئب يرقب الغرّة في الليل البهيم

كلهم يأمل أن يودعه مال يتيم

و قالَ: آخر لما عزل بْن حبيب وولى معاذ:

يــا مــن لــدهر أتــى بحاجتنــا ::: أعقبنــا ريبــه ومنقلبــه
أعقبنــا مــن قضــاتنا رجــلاً ::: كــالثور مسترســل لــه غببــه
كنا نشق الجيــوب مــن عُمَــر ::: حتى ابتلينــا بمــن خــلا عجبــه
يــا شــوم قــوم أتــوا خليفتنــا ::: هم أشــاروا بــه وهــم سببه
مــا وفقــوا للســداد فِيْــهِ ولا ::: أفلح مــن ســاقه ومــن جلبــه
أحــول مثــل الــبعير جثتــه ::: لا عقلــه يرتجــى ولا أدبــه

وطالت ولاية معاذ الثانية، وتخونته السن، وساء بصره، وغلب عليه جلساؤه في الحكم فكان يسند إليهم الكثير من الفصل في القضايا لضعفه عن النظر فيها، وهذا ما أخذه عليه المتخاصمون.

فقد قال عَبْدُ الرحمن بْن عَبْد الوهاب النميري: وقفت امرأة، من الأعراب، على معاذ بْن معاذ وقد حبس ابنا لها، فقالت: قد اكتنفك هَذَان الذئبان، يكتبان ويمليان، وأنت جالس تتثاءب كأنك حمار، أو كأنك آكل حيسة، قد ختم سمنها على فؤادك، فأنت أهيم لا تفقه، والله ولا تنقه، خبرني عَن ابني فيم حبسته؟ فوالله ما كان يشرب الزينبية، ولا يأتي الأبله، ولا يلعب بالنرد بين أنثييه بعبيد الله بن الْحَسَن الأقيحب البشتبان.

و قالَ: بشر بْن شبيب، يذكر اكتناف الذراع:

سليمان يقضي ثم يمضــي قضــاؤه ::: وليس لقاضينا قضاء سوى الخــثم
إذا جاءه الخصمان حــرك رأســه ::: وروح إبطيه وبحــث في الحكــم
يحد الــذي يــزني بقطــع يمينــه ::: ويقضي على اللص المثبت بالرجم

و قالَ: آخر:

عـــاق الســـجل دنـــانير مهيـــاة ::: صبت من الجعل للـــذراع ســـتونا
ظللت يابن على حـــين تبصـــرها ::: من حبها ساجداً حـــيران مفتونـــا
قنعـــت أخـــوة القاضـــي مخائلـــه ::: بالهرقليـــات ممـــا حـــاز اليونـــا
فالحاكم الغمر بـــالقرنين مشـــتغل ::: والجالبون مـــن الـــذراع مليونـــا

و قالَ: آخر:

أكثـــــروا في ابـــــن المـــــث ::: ىن عليـــــــاً أو أقللـــــــوا
لـــــيس يـــــا قـــــوم يعقـــــل ::: أي رجليـــــــه أطـــــــول
لا ولا بـــــــين تمـــــــروتي ::: ن لـــــدى الحكـــــم يفصـــــل
ابتلـــى وابتلـــى بـــه الـــن ::: اس والأمـــــــر معضـــــــل
مـــن يكـــن للقضـــا وللـــح ::: كـــــم ممـــــن يعجـــــل
فمعـــاذ والحمـــد للـــــه ::: ممـــــــن يطـــــــول
قـــــل لقســـــامنا هـــــن ::: يـــاً هنيـــاً لكـــم كلـــوا
لكـــــم الشـــــأن كلـــــه ::: فـــــانظروا أن تـــــأثلوا
أســـــرعوا فِيْـــــهِ أســـــرعوا ::: بـــــادروا قبـــــل يعـــــزل
قـــد نـــرى مـــن يلـــي مـــس ::: ائلـــــه قـــــد تمولـــــوا

و قالَ: آخر:

إذا رأوا هامـــــة الشـــــي ::: خ أســـود كلـــهم ضـــاري
ســـليمان شـــبيه القـــر ::: د منـــهم وابـــن ســـيار
وذاك البيـــدق الجـــرم ::: ي عفـــر مـــن الأعفـــار
فـــذا يقضـــي وذا يقضـــي ::: وقاضـــينا بـــذي قـــار

وكثـرت شـكاية النـاس لمعـاذ، وسـعت عليـه المعتزلـة، وكـان قـد رد شـهادتهم، ورفـع عليـه عنـد أميـر المـؤمنين، فكتـب يـأمر بإشخاصـه، وإشخاص نفر معه،

منهم مُحَمَّد بْن حرب الهلالي، ومُحَمَّد بْن عَبْد اللهِ الأنصاري، وعُمَر

بْن حبيب، وعَبْد اللهِ بْن سوار، فشخصوا فظن الناس أنهم أشخصوا ليختار منهم رجلاً للقضاء، فوافوا أمير المؤمنين بالنهروان، وهو يريد خراسان، فرد معاذاً قاضياً وأجازه، وكان الفضل بْن الربيع يقوم بأمره ويحوطه،

فَقالَ: بعض الشعراء:

قد قلت في الخمس الأولى ظعنوا ::: أمسى ليختار منهمو رجل
قولاً سيرويه عدة عرفوا ::: تصديق قولي وعدة جهلوا
أما الهلالي فالثغور به ::: أولى إذَا ما تحصل العمل
مجرب سيد له شرف ::: لكل ما حملوه محتمل
ولست أخشى عليه إن فحصوا ::: جهلاً بحكم إذَا هم سئلوا
وابن حبيب وليس في عُمَر ::: عيب ولا فِيْهِ إن ولى فشل
لكنه مترف مجانبه اللي ::: ن إذَا ما تقدم الجدل
فإن يعد عاد قاضياً مرناً ::: له رجال جماعة نبل
وهو أهل لها لسابقة ::: كانت له في القضاء إن فعلوا
فإن ينلها مُحَمَّد فه ::: م أنصار دين الاله لم يزلوا
وهو على كل ما يريد من الع ::: لم بفصل الأحكام مشتمل
ولا عيي بفصل عرفهم ::: والجهل في الحكم ليس يحتمل
لكننا قد نخاف حدته ::: والحد فِيْهِ الفساد والخبل
وحبه قومه يخوفنا ::: فكلنا مشفق له وجل
والعنبري الذي بوالده ::: سوار في الناس يضرب المثل
إن لم يعب عائب حداثته ::: صار إليه القضاء والجدل
وحق فِيْهِ لقومه أمل ::: وربما أخطأ الفتى الأمل
فإن ينلها ينال ذو فهم ::: من معسر طالما بلوا وولوا
أما معاذ فليس من أحد ::: إلا به القلب منه مشتغل
أما محب يحب رجعته ::: أو مبغض شامت ومبتهل

فإن تعد والقضاء مضطرب ::: حتى يوافي بموته الأجل
فهذه حالهم في الصفات حالهم ::: فانظر إِلَى من تصيران رحلوا
وسوف يأتيك بعد عاشره ::: أنباء أخبارهم إِذَا وصلوا
وخلفوا سادساً قد أكرمه ::: ه الله ولو كان فيهمو بطلوا
أعني ابن بكر عَبْد الاله أخا ::: سهم فشم القصاب والنبل

وقد شخص أمير المؤمنين إِلَى النهروان ليلقى علي بْن عيسى، وقد أقبل من خراسان، فصار معاذ إِلَى الفضل بْن الربيع، فذكره صنيعة عنده وسأله استتمامها، فأرسل الفضل إِلَى القوم، فقال: أحب ألا تذكروا معاذاً بسوء، فجلسوا ينتظرون الإذن، فخرج عليه معاذ، قد أذن له قبلهم، فقال: خرجت من عند أبر الناس، وأعطفهم، أمير المؤمنين، أطال الله بقاءه، وقد ردني على عملي، وأمر لي بعشرين ألفاً، وعشرين ثوباً، فقالَ لَهُ الأنصاري: إن كان قد ردك فاتق الله، فإن أصحابك قد غابوا، وأذن للقوم، فدخلوا فأقبل أمير المؤمنين على الأنصاري، فقال: من أنت؟ قالَ: مُحَمَّد بْن عَبْد اللهِ الأنصاري، قال: أنت فقيه البصرة، قال: قد قالَ: ذا بعضهم، فأقبل على مُحَمَّد بْن حرب، فقال: فأنت؟ قالَ: أنا مُحَمَّد بْن حرب الهلالي، وبنو هلال أخوالك يا أمير المؤمنين، وقد كان آباؤه وسلفه يرعون ذلك، ويحفظونه، قال: صدقت، ثم أقبل على عُمَر بْن حبيب، فقال: أما أنت فأعرفك فما خلفك عَن باب أمير المؤمنين، قالَ: الضيعة يا أمير المؤمنين والعيال، قال: فالزم باب أمير المؤمنين، ثم أقبل على بن سوار، فقال: فأنت من أنت؟ فقال: عَبْد اللهِ بْن سوار، قال: يرحم الله سواراً، ثم قال: إني وليت معاذاً على الاختيار له، ثم بلغني عنه أمور أحببت لها أن أسأل عنه، فأخبروني عنه فأومأ إِلَى الأنصاري، فقال: خير له وللمسلمين ألا يلي عليهم، وقالَ: ابن حرب: قد كان على ما

ذكر أمير المؤمنين، ثم ظهرت له بطانة أفسدته، وقالَ: عُمَر بْن حبيب: يا أمير المؤمنين القاضي بين حامد له وذام، فأقبل على ابن سوار، فقال: ما تقول أنت في ابن عمك؟ فقال: على ما ذكر أمير المؤمنين حتى ظهرت له أشياء من أصحابه، وفساد في بصره مع سنه، فقال: إن فساد البصيرة قد يكون في الرجل الشاب، فقال: أجل يا أمير المؤمنين فنحتمل ذلك في غير القضاء، فأما في القضاء فلا، فقال: صدقت، ثم أقبل على الفضل، فقالَ: ادفع إلى كل رجل منهم خمسة ألف درهم، ونهضوا، فقالَ: الأنصاري يا أمير المؤمنين إني خلفت ضيعة وعيالاً يحتاجون إلى قربي منهم فإن رأى أمير المؤمنين أن يأذن لي، فقال: قد أذنت لك، فقالَ الفضل: ولجماعتهم يا أمير المؤمنين، قال: ولجماعتهم، فقالَ لهُم الفضل: انحدروا حتى يلحق بكم جوائزكم، فانحدروا وخلف معاذ مُحَمَّد بْن عَمْرو بْن جبلة، على جائزته حتى قبضها، ودخل القوم على الفضل بْن الربيع لوداعه، ومعاذ عنده، فأقبل الفضل على معاذ، فقال: قد والله ذمك القوم جميعاً، وودع الفضل الجماعة، وانحدروا ومعاذ معهم، حتى صاروا إلى البصرة

فقالَ: أبان بْن عَبْد الحميد يرد على الشعراء الذين هجوا معاذاً:

يا أيها الشعراء لا تتعرضوا ::: لليث دون عرينه المتشمر
من رام عرض أبي المثنى فاعلموا ::: أني له مثل الشجا في الحنجر
من قَالَ: خيراً فليقله مصدقاً ::: والشيخ بالشتم الكذوب المفتري
عندي لكم إن شئت عدة شاعر ::: فطن بأَبُوا النجاة مظفر
كذبت ظنون المرجفين وصرحت ::: عَن فاضح مثل الصباح المشهر
خابوا وفاز أَبُو المثنى دونهم ::: بالجاه عند وجوه أهل العسكر
وأتاه من عند الإمام المصطفى ::: بالبكت للأعداء كل مبشر

يدعى بباب الفضل أول داخل ::: ويخلف الباقون أخبث مؤخر
وحباه هارون الإمام بكسوة ::: وحباه منه بألف جعد أصفر
ورآه أولى حين قيّس أمره ::: بالحكم ممن ذمه في المنحر
فقفى برغم يا قبائل واعلمي ::: أن الحكومة بيتها في العنبري

وتوفي بالبصرة في ربيع الآخر سنة ست وتسعين ومائة وهو بن سبع وسبعين سنة وصلى عليه محمد بن عباد بن عباد المهلبي (١).

مواقف من حياته – رحمه الله –:

هَذَا يوم مطير لا يجيء فِيْهِ الناس

وقَالَ معاذ بْن معاذ لابنه، في يوم مطير، إي بني امضي بنا نجلس للناس، فقَالَ لَهُ ابنه: يا أبت هَذَا يوم مطير لا يجيء فِيْهِ الناس، فقال: يا بني امض بنا فبم نستحل أن نأخذ كل يوم كذا وكذا درهماً، وخرج فجلس (٢).

فاغرورقت عيناه وخرج

وزعم بندار بْن يسار، قَالَ: لما ولى معاذ أتاه المعتمر بْن سليمان، فقال: يا أبا المثنى أوليت القضاء؟ فلم يكلمه حتى أدخله بيته، فنظر إلى فراشه في الشتاء فوجده حصيراً، وإلى دثاره فوجده كساء،

(١) محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا عميرات، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م، ١ / ٢٣٧، تاريخ ابن معين: ٥٧٢، طبقات ابن سعد ٧ / ٢٩٣، طبقات خليفة ت ١٩١٧، تاريخ خليفة: ٤٦٦، التاريخ الكبير ٧ / ٣٦٥، التاريخ الصغير ٢ / ٢٧٨، المعارف: ٥١٢، الجرح والتعديل ٨ / ٢٤٨، مشاهير علماء الأمصار: ت ١٢٧٠، تاريخ بغداد ١٣ / ١٣١، تهذيب الكمال: ١٣٣٩، تذهيب التهذيب ٤ / ٤٨ / ١، العبر ١ / ٣٢٠، الكاشف ٣ / ١٥٤، دول الإسلام ١ / ١٢٤، تهذيب التهذيب ١٠ / ١٩٤، طبقات الحفاظ: ١٣٦، خلاصة تذهيب الكمال ٣٨٠، شذرات الذهب ١ / ٣٤٥.

(٢) أخبار القضاة، ٢ /١٣٨.

وسمل قطيفة، فاغرورقت عيناه وخرج [(١)].

نحن أشقى من ذاك

قالَ يزيد بْن مُحَمَّد بْن المهلب: كان معاذ يؤتى كل يوم ظهراً بثريد، ولحم، وله ابن أهوج، يأكل معه، فكان إذا فرغ من الطعام أخذ وسط رغيف، فجمع عليه ما وجد من لحم وبصل، وغير ذلك ثم يلفه ويعتزل ناحية، ويقول: هَذَا زادي؛ فيقول معاذ: نحن أشقى من ذاك[(٢)].

استرها فإنها هفوة

- شهد رجل من الزيدية عند معاذ بْن معاذ بشهادة، فأدناه منه؛ فقال: أليس خرجت مع إبراهيم؛ قال: وأنت قد خرجت معه؛ قال: أنا خرجت على غير دابة، وأنت خرج على دابة، فقالَ لَهُ الرجل: فأنت أسوأ حالاً مني، بل سفكت دماء المسلمين على غير دابة؛ فقالَ لَهُ معاذ: استرها فإنها هفوة، وأجاز شهادته [(٣)].

* * *

(١) أخبار القضاة، ٢ /١٣٨.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /١٣٩.
(٣) أخبار القضاة، ٢ /١٤٠.

سوار بْن عَبْد اللهِ

أعــلام القضــاء

سوار بْن عَبْد اللهِ بْن قدامة

ابن عنزة بْن الحارث بْن عَمْرو بْن الحارث بْن مجفر بْن كعب بْن العنبر بْن عَمْرو بْن تميم.

الإمام العلامة القاضي، أبو عبد الله التميمي العنبري البصري، قاضي الرصافة من بغداد من بيت العلم والقضاء كان جده قاضي البصرة.

تتلمذ على عبد الوارث التنوري، ويزيد بن زريع، ومعتمر بن سليمان، وبشر بن المفضل، ويحيى بن سعيد القطان، وعدة.

ومن تلامذته أبو داود، والترمذي، والنسائي، وعبد الله بن أحمد، ويحيى بن صاعد، وعلي بن عبدالحميد الغضائري، وآخرون.

قال عنه النسائي: ثقة.

وكان من فحول الشعراء فصيحا مفوها، وكان وافر اللحية.

وسوار أول من ولى القضاء من قبل الخلفاء منذ لدن عُثْمَان بْن عفان إلى وقته.

وكان عفيفا عن أموال الخلفاء والأمراء علي قلة في يده فيروي عن ابنه عَبْدُ اللهِ بْن سوار القاضي؛ قال: قلت لأبي: يا أبت أينا أغنى نحن، أو أمير المؤمنين؛ قال: أمير المؤمنين أكثر مالاً ونحن أغنى أنفساً.

وكان سوار أول من تشدد في القضاء، وعظم أمره، واتخذ الأمناء، وأجرى عليهم الأرزاق، وأدخل الناس إلي القاضي بالقرعة، ومنع الوقوف، وأدخل على الأوصياء الأمناء، ودون الأحكام في السجلات، ودعا الناس بأسمائهم لم يكنهم، وكان حليماً بطيئ الغضب

متحرياً للخير.

وقد كانت لـه مكانـة كبيـرة لـدي العامـة والخاصـة وكـان أَبُـو جعفر المنصور قد عرفه قبل أن يوليه القضـاء، وذلك أن المنصـور هم أن يردم نهر ابن عُمَر، فوفد إليه وفد من أهل البصـرة، فيهم سوار، وداود بْن أبي هند، وسعيد بْن أبي عَمْرويه، فكلموه فقَالَ: سوار: يا أمير المؤمنين إنـي أحذرك أهل البصـرة، فقَالَ: يا سوار: أتخوفني بأهل البصرة؟ لهممت أن أوجه إليهم بقائد يجثم علـى أكبـادهم، حتـى يـأتي علـى آخرهم؛ قـال: يـا أمير المؤمنين. لـم أذهب حَيْثُ ذهبت، ولكن خوفتك دعوة اليتيم، والأرملة، ومن لا حيلة له فأحسن الرجوع وأضرب عما كان عزم عليه.وقال: اكتبوا عهده على القضاء [(١)].

و قـالَ: عَبْد اللهِ بْن سوار: اغتسل أبـي غداة يوم النحر، وهو أمير قـاض، ثـم خـرج فـإذا نفـر مـن بنـي تمـيم قـد اجتمعـوا ليركبـوا معـه فضـربهم، ثـم قـال: لـو أردت هَذَا الأمـر لأمـرت ابـن دعلـج فسـار بالحربة بين يدي، فلم يركب معه إلا مُحَمَّد بْن قريش، والحكم، فلما كان بأعلى سكة بني مازن غمره البول، وكان به الحصاة، فدخل دار أبي عَمْرو بْن العلاء، فبال فيها ثم مضـى إلـى المصلى، وكـان يـأمر بفسطاط فيضرب هنالك، ويجعل فِيْهِ قمقم من ماء، فاغتسل، وصلى بالناس وانصرف، فاشتكى وكان النحر يوم السبت.توفي يوم السبت الذي يليه لثلاث عشرة بقيت من ذي الحجة، وهو أربع سبعون، ولم يستخلف على البصرة أحداً، وصلى عليه سعيد بْن دعلج، وكان سعيد بْن أسعد الأنصاري إمام المسجد، فلم يزل يصلي بالنـاس حتـى جاء عهد عبيد الله بْن الحَسَن على الصلاة والقضاء.

---

(١) أخبار القضاة، ٢ /٥٨.

و قالَ: أبُو صفية:

إن يك سوار مضى لسبيله ::: فقد كان أمنا للعراق من الذّعر
وإن يك سوار مضى لسبيله ::: فقد كان فكاك العناة من الأسر
وإن يك سوار مضى لسبيله ::: فقد كان كنزاً لليتامى من الفقر

و قالَ: سلمة بْن عباس بْن نبيه:

جزى الله سوّار بأحسن سعيه ::: وثوّبه عنّا الجنان العواليا
خبرنا وجربنا الولاة فلم نجد ::: له مثل سوار من الناس واليا
أعف وأرضى سيرة في رعية ::: وأكرم معروفاً وأَحْمَد جاريا
وأجدر أن يرضى ويسمع مثنياً ::: عليه ولا يلفى له الدهر شاكيا
سقى قيره نوء الربيع فجاده ::: وأسقى لسقياه القبور الصواديا

و قالَ: أبان بْن عَبْد الحميد اللاحقي:

نفّر نومي الخبر الساري ::: إذ صرّح النّعي بسوار
هد له ركني وكضّ الحشا ::: كأنما يشعل بالنار

وقال:

جاء البريد غداة السبت يخبرنا ::: أن الأمير عبيد الله قد ماتا[1]

وقال كلام ابن أبي مطيع: دخلت على سوار فجعلت أتوجع لما أرى منه، وكانت به زمانة في البول؛ قال: فقالَ لي: . يا سلام اذكر المطرحين في الطرق.

---

(١) التاريخ الصغير ٢ / ٣٨٣، تاريخ الطبري ٩ / ٢١٣، الجرح والتعديل ٤ / ٢٧١، تاريخ بغداد ٩ / ٢١٠، ٢١٢، اللباب ٢ / ٣٦٠، العبر ١ / ٤٤٤، تهذيب التهذيب ٤ / ٢٨٦، ٢٦٩، النجوم الزاهرة ٢ / ٣٢١، خلاصة تذهيب الكمال: ١٥٩، شذرات الذهب ٢ / ١٠٨.

مواقف من حياته – رحمه الله –:

وبيده ريح الغمر

قال مالك بْن أنس: كتب أَبُو جعفر إلى قاضي له يُقَالُ لَهُ: سوار، وكان صالحاً يطعم الناس، فعمد إلى ذلك الذي أمره أن يطعم الناس ففرقه في القبائل، فقيل له: لو أطعمت الناس كان أجمل بك يا سيد الناس؛ فقال: لا أريد أن يذهب رجل إلى أهله وبيده ريح الغمر (١) ولم يطعم أهله شيئاً (٢).

يا أبا عَبْد الله يشهدون على ماذا؟

قال الأصمعي: حَدَّثَنِيْ أبي أن عقبة بْن سلم الهنائي، عامل أَبُو جعفر على معونة البصرة، وذكر من عتوه واجترائه على الله وإقدامه على دماء المسلمين وأموالهم أمراً منكراً، وأنه أخذ رجلاً قدم بجوهرة من البحر، فأخذ منه الجوهرة، وحبسه في السجن فجاءت زوجته إلى سوار بْن عَبْد اللهِ، وهو قاضي أهل البصرة، فقالت: أنا بالله ثم بالقاضي؛ أن الأمير عقبة بْن سلم أخذ زوجي، وقدم بجوهرة فاغتصبه إياها، وحبسه في السجن، فبعث إليه سوار يخبره بما رفعت المرأة عليه عنده، فإن كان حقاً فأطلق الرجل ورد جوهرته، فلما أخبر عقبة ابن سلم برسالة سوار زجرهم، وشتم سواراً شتماً قبيحاً، فجاء الرسول إلى سوار فأخبره بجوابه، فوجه إليه سوار بأمنائه ليسمعوا منه قوله، وما يرد من الجواب، فأعوه فرد عليهم من الرد والشتم أمراً قبيحاً، فأتوه فأخبرهم فأرسل إليه سوار، فقال: والله

(١) الغمر: الدسم واللحم والسمن.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /٥٨.

لئن لم تطلق الرجل وترد عليه جوهرته لأتينك في ثياب بياض ماشياً، ولأدمرن عليك بغير سلاح ولا رجال، ولأقتلنك قتلة يتحدث الناس بها، فلما سمع من بحضرته رسالة سوار قالوا له: أيها الأمير إنه يفعل بك ما أرسل به إليك، وهو سوار قاضي أمير المؤمنين؛ وهو تميم ومضر، وبلعنبر، وكلها مسلحة له، وأنت رجل من أهل اليمن، وليس بالبصرة من كبير أحد، فافعل أمرك به فوجه إليه بالرجل وبالجوهرة، ووجه إليه رجالاً يشهدون عليه بقبض الرجل والجوهرة، فصاح بهم سوار وقال: يا أبا عَبْد اللهِ يشهدون على ماذا؟ يطلق الرجل وترد عليه جوهرته [1].

إنما عدل سوار مصاف إليك

كتب أبُو جعفر المنصور أمير المؤمنين إلى سوار في شيء كان عنده خلاف الحق فلم ينفذ سوار كتابه، وأمضى الحكم عليه، فاغتاظ أمير المؤمنين عليه وتوعده، فقيل له: يا أمير المؤمنين إنما عدل سوار مصاف إليك وتزيين خلافتك، فأمسك.

أما أمرتك أن تقعد

عَن علي بْن مُحَمَّد بْن سليمان قال: حَدَّثَنِيْ أبي وعمي، قالا: كتب أبُو جعفر إلى سوار أن يوليه صلاة البصرة، وشرطتها مع القضاء فحول إلى دار الامارة وجعل على شرطته شبيب بْن شيبة، وكان شبيب فصيحاً من أخطر الناس فولى تسعة أيام خرج فيها عبيد من عبيد أهل البصرة نحواً من عشرين عَبْداً، وركبوا من دواب مواليهم وأتوا حوض داود، ؟ وأجلبوا وأظهروا الخلع وإنما أرادوا أن يعفوا، فأرادوا أن يخلطوا طمعاً في ذلك، فجلس سوار وأرسل إلى وجوه

(١) أخبار القضاة، ٢ /٦٠.

أهل البصرة، فحضروه فأرسل إلينا، وإلى أهلها فحضرناه، وأمر الناس أن يجلسوا في المقصورة، وقالَ: لشبيب: اجلس في المقصورة مع الناس في السلاح، ولا تحدثن شيئاً حتى يأتيك أمري، وبعث يسأل عَن العبيد فبينما نحن إذ جاءه شبيب مسرعاً حتى وقف بين يديه..

فقال: أيها الأمير جاء من يخبر أنهم بلغوا مكان كذا وكذا، وهو مرعوب: فقالَ: يا شبيب أما أمرتك أن تقعد، ولا تحدث شيئاً حتى يأتيك أمري ففعل ذلك ثلاثاً، فلما كان في الثالثة، وأمر من كان بحضرته في السلاح أن يمضوا إليهم فيقاتلوا من غير أن يسألهم عَن شيء، ولا شيئاً منهم، فمضوا ونحن جلوس فما شعرنا إلا بتسعة رؤوس، قد أتى بها من رءوس العبيد، وخبر أن باقيهم هرب فلم يكتب بذلك فتحاً، فبلغ ذلك المنصور، فاستحسنه من فعله ولم يلبث قبل ورود الخبر على المنصور أن أتاه العزل.

وفقك الله لما يحب يا أمير المؤمنين وأرشدك لما يرضى

أَخْبَرَ إبراهيم بْن أبي عثمان، عَن شيخ من بني تميم، يُقَالُ: له يحيى، قال: دخل سوار على المنصور؛ فقال: السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته؛ قال: وعليك السلام ورحمة الله ادن أبا عَبْد اللهِ، فقال: يا أمير المؤمنين أدنو على ما مضى عليه الناس أو ما أحدثوا؟ قال: بل على ما مضى عليه الناس، فدنا فصافحه، ثم جلس، فقال: أبا عَبْد اللهِ قد عزمت على أن أدعو أهل البصرة بسجلاتهم، وأسرتهم فانظر فيها..

فقال: يا أمير المؤمنين أناشدك الله أن تعرض لأهل البصرة، فقال: أيا سوار أباهل البصرة تهددني؟ والله لهممت أن أوجه إليهم من يأخذ

بـأفواه سككهم وطرقهم ثـم يضـع فيهم السيف حتـى يفنيهم، فقـال: يـا أمير المؤمنين ذهبت إلى غير ما ذهبت إليه، إنما كرهت أن تعرض للأرملة واليتيم والشيخ الفاني، والحدث الضعيف، فقال: يا أبا عَبْد اللهِ أنا للأرمل بعل، ولليتيم أب، وللشيخ أخ، وللضعيف عم، وإنما أريد أن أنظر في سجلاتهم وأسرتهم ليستخرج ما في أيدي الأغنياء مما أخذوه بقوتهم وجاههم من حقوق الضعفاء، والفقراء، فقال: وفقك الله لما يحب يا أمير المؤمنين وأرشدك لما يرضى.

أتزعمون أن هَذَا يحابى؟

قال النضر بْن عُمَر: دخل سوار على أبي جعفر المنصور، فجلس ولم يقبل يده، وعطس أَبُو جعفر فلم يحمد الله، فلم يشمته، ثم عطس فحمد الله فشمته، ثم نهض سوار فأتبعه أَبُو جعفر بصره فقال: أتزعمون أن هَذَا يحابى؟ والله ما حابى في عطسة.

أَخْبَرَنَا أَبُو سعيد الحارثي عَبْد الرحمن بْن مُحَمَّد؛ قال: حَدَّثَنَا أبي، قال: بشر بْن المفضل، قال: حَدَّثَنَا سوار بْن عَبْد اللهِ، قال: ما تركت في نفسي شيئاً إلا كلمت به أبا جعفر، قال: قلت له: يا أمير المؤمنين إن الْحَسَن كان يقول: إن تصديق القول العمل، فمن صدق عمله قوله فذاك، ومن لا فقد هلك أو كما قَالَ: الْحَسَن؛ فقَالَ: أَبُو جعفر؛ صدق الْحَسَن [(١)].

هَذَا عملك

واستعدى نبطي على زينب بنت سليمان، فأرسل سوار إليها يعلمها لتحضر، فامتنعت فكتب إلى الهيثم بْن معاوية فأمره بإحضارها، فكتب إليه الهيثم: إنها بنت سليمان بْن علي، فكتب إليه سوار: فهي

(١) أخبار القضاة، ٢ /٦١ - ٦١.

أولى من أعطى الحق من نفسه إذ كانت بهَذَا الموضع السني، فلما ولي إسماعيل على البصرة أتاه سوار مسلماً، فعظمه إسماعيل، ورفعه في المجلس، فأقبل جعفر بْن سليمان على إسماعيل، فقالَ: لابن التركية تعظم وترفع، وقد أراد إثبات؟ أختك على كذا وكذا وآذى سواراً، فأقبل سوار على إسماعيل؛ فقال: أصلح الله الأمير أنه ذكر أمي وقال: ابن التركية، وإنا معشر العرب قدمنا من هذه البادية، وفي ألواننا سواد وفي أبداننا نحف وقلة، فنظرنا إلى هذه الأعاجم فإذا هي أمد منا أجساماً، وأشد منا بياضاً وأظهر منا حالاً فرغبنا فيهم، فاتخذنا منهم السندية والهندية، والخراسانية، والبربرية، فولدن فينا فمددن من أجسامنا وبيضن من ألواننا وحسن من وجوهنا، ثم نهض فقالَ: إسماعيل لجعفر: هَذَا عملك أنت أسمعتني، قد والله ذكر أمي وأم أبيك وأم أمير المؤمنين [(١)].

جباية السوق

أَخْبَرَ أَبُو خالد المهلبي عَن أبيه، قال: بعث عقبة بْن سلم إلى سوار بْن عَبْد اللهِ برزقه في كيس مكتوب عليه، جباية السوق فرده، فقالَ: عقبة: لم رده؟ قيل لأن عليه جباية السوق، فقال: يا غلام هات كيساً لأكتب عليه، فأتى به فقلبت الدراهم فِيْهِ فبعث بها إلى سوار فقبل.

كان مُحَمَّد بْن سيرين يأمر مثلك أن يهرب

قال مثنى بْن معاذ بْن معاذ: شهدت سواراً، تقدمت إليه امرأة فقالت: إن زوجي يطلقني في السر ويجحدني في العلانية، فقالَ لَهَا: ألك بينة؟ قالت: لا؟ قال: فاستحلفه، ثم قالَ: لها: ليس لك بينة، وقد حلف؛

(١) أخبار القضاة، ٢ /٦٢.

كان مُحَمَّد بْن سيرين يأمر مثلك أن يهرب [(١)].

وفي استقامة أنت ذهبت

عَن سليمان بْن منصور الخزاعي، قال: شهد عند سوار رجل، فقالَ: المشهود عليه إنه محدود، فقالَ الشاهد: إنما حدني عباد بْن منصور على الفتنة، فقالَ لَهُ سوار: وفي إستقامة أنت ذهبت، وأبطل شهادته. وكان عباد قاضياً لإبراهيم بْن عَبْد اللهِ بْن حسن.

- العرب تجتاز بالإعراب اجتيازاً.

- كلام القلب يقرع القلب، وكلام اللسان يمر على القلب صفحاً[(٢)].

لو رأيت الملائكة لسفلت عَن ذلك

عَن الأصمعي؛ قال: أَخْبَرَنِي شيخ مسن، قال: قالَ: أبُو عَمْرو بْن العلا: شهدت بشهادة عند سوار، فقلت: لو رأيت الملائكة لشهدت بها، فقالَ: سوار: لو رأيت الملائكة لسفلت عَن ذلك [(٣)].

ما كنت قائلاً؟

قال سوار: بلغني أن ميمون بْن مهران كان جالساً، وعنده رجل من قرى أهل الشام، فقال: إن الكذب في بعض المواطن خير من الصدق، فقالَ: الشامي: لا، الصدق في كل موطن أحب؛ قالَ: ميمون: أرأيت لو رأيت رجلاً يسعى وآخر يتبعه بالسيف ودخل الدار، فانتهى إليك، فقال: أنت الرجل! ما كنت قائلاً؟ قالَ: كنت أقول: لا قال: فذاك [(٤)].

(١) أخبار القضاة، ٢ /٦٣.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /٦٤.
(٣) أخبار القضاة، ٢ /٦٤.
(٤) أخبار القضاة، ٢ /٦٦.

لئن عاد إِلَى مثلها ليجدني أغضب لدين الله

عَن مُحَمَّد بْن سلام قال: كان حماد بْن موسى الغالب على أمر مُحَمَّد بن سليمان، فحبس سوار رجلاً فبعث حماد، فأخرجه من الحبس، فركب سوار حتى دخل على مُحَمَّد بْن سليمان، وهو قاعد للناس، والناس على مراتبهم، فجلس حَيْثُ يراه مُحَمَّد، ثم دعا بقائد، فقال: أسامع أنت مطيع؟ قال: نعم، قال: اجلس ههنا فأقعده عَن يمينه، ثم دعا آخر ففعل ذلك بجماعة من القواد، قال: انطلقوا إِلى حماد بْن موسى، فضعوه في الحرس، فنظروا إِلى مُحَمَّد، فأشار إليهم أن افعلوا ما يأمركم، فانطلقوا فوضعوا حماد بْن موسى في الحبس، فانصرف سوار فلما كان العشى أراد مُحَمَّد بْن سليمان الركوب إِلى سوار، فبلغه فقال: أنا أحق بالركوب إِلى الأمير فركب إليه، فقال: يا أبا عَبْد اللهِ كنت على المجيئ إليك، فقال: أنا أحق أن أركب إليك، فقال: قد بلغني ما صنع هَذَا الجاهل، فأحب أن تهب له ذنبه، قال: قد فعلت أن رد الرجل إِلى الحبس، قال: يرده بالصغار والقماء، فوجه إِلى الرجل فحبسه وأخرج حماداً، وكتب بذلك إِلى المهدي، فكتب إِلَى سوار يخبره بالخبر، ويحمده على ما صنع، وكتب إِلى مُحَمَّد بْن سليمان بكلام غليظ يذكر فِيْهِ حماداً، ويقول: الرافضي الرافضي، والله لولا أن الوعيد أمام العقوبة ما أدبته إلا بالسيف ليكون عظة لغيره، ونكالاً، يفتات على قاضي المسلمين في رأيه، ويركب هواه لموضعه منك، ويعرض بالأحكام استهانة بأمر الله وإقداماً على أمير المؤمنين، وما قالَ: إلا بك، ولما أرخيت من رسنه، وبالله لئن عاد إِلى مثلها ليجدني أغضب لدين الله، وانتقم لأولياء الله من أعدائه،

والسلام[١].

قم يا رافضي

قال معاذ بْن سعيد الحصري: شهد السيد عند سوار بشهادة، فقالَ لهُ: ألست إسماعيل بْن مُحَمَّد الذي يعرف بالسيد؟ قال: نعم قال: قم يا رافضي، قال السيد: والله ما شهدت إلا بحق، فأمر بوطئ عنقه، فكتب رقعة فيها هجاء سوار فطرحها في الرقاع، فأخذها سوار، فلما قرأها خرج إلى أبي جعفر، وكان قد نزل الجسر الأكبر وسبقه السيد، فشكا إليه سواراً وأنشد:

يا أمين الله يا منصـ :: ـور يا خير الولاة
إن سوار بْن عَبْد الله :: من شر القضاة
نعثلي جملي :: لكم غير مواتي
جده سارق عنز :: فجرة من فجرات
والذي كان ينادي :: من وراء الحجرات
يا هناه اخرج إلينا :: إننا أهل هنات
فاكفنيه لا كفاه الله :: شر الطارقات
سن فينا سنناً :: كانت مواريث الطغاة
أطعم أموال اليتامى :: قومه والصدقات

وقال:

قل للامام الذي ينجى بطاعته :: يوم القيامة من بحبوحة النار
لا تستعين جزاك الله صالحة : يا خير من دبّ في حكم بسوار

(١) أخبار القضاة، ٢ /٦٨.

لا تستعن بخبيث الرأي ذي صلف ::: جم العيوب عظيم الكبر جبار
يضحى الخصوم لديه من تجبره ::: ما يرفعون إليه طرف أبصار
زهواً وكبراً ولولا ما رفعت له ::: من ضبعه كان عين الجائع العاري
و قَالَ: جد له أني أرى رجلاً ::: فرداً وحيداً ويعدو بين أطمار
قالوا له فيما يدعى رجل ::: يأتيه من ربه وحي بأخبار
إنا لنحسب شعراً ما يجي به ::: وقول كاهنة أو قول سحار
من أهل مكة خلته عشيرته ::: عنها فآوى إلَى خزر وأنصار
له حلوب فمنها جل عيشته ::: فَقَالَ: أني لكم في ذبحها ساري
فاحتال كفواً عليه من تجبره ::: واستق عتر رسول الخالق الباري
واستل ملحفة من جوف حجرته ::: فازداد خبثاً ووقراً بعد أوقار
:::

فضحك أبُو جعفر وقال: بعثتك قاضياً وأصلح بينهما، وقال: امتدحه كما هجوته فقال:

إني امرؤ من حمير أسرتي :: بحَيْثُ تحوي سروها حمير
اليت لا أمدح ذا نائل : له شباب وله مفخر
إلا من الغر بني هاشم ::: إن لهم عندي يداً تكثر
إن لهم عندي يداً شكرها ::: حق وإن أنكرها منكر
يا أَحْمَد الخير الذي إنما ::: كان علينا نعمة تنشر
حمزة والطيار في جنة ::: فحيثما ما شاء رعى جعفر
منهم وهادينا الأمام الذي ::: كان على أعدائه ينصر
لما دجا الدين ورق الهدى ::: وجار أهل الأرض واستكبروا
ذاك علي بْن أبي طالب ::: ذاك الذي دانت له خيبر
دانت وما دانت له عنوة ::: حتى تدهدى عرشها الأكبر
ويوم سلع إذ أتى عانياً ::: عَمْرو بْن عَبْد مصلياً يخطر
يخطر بالسيف مدلاً كما ::: يخطر فحل الصّرمة الدّوسر

إذ جلل السيف على رأسه ::: أبيض عضباً حده مبتر
فخر كالجذع وأوداجه ::: يبعث منها حلب أحمر
يبعث من قان دماً معجلاً ::: كأنما قاطره العصفر
:::

فقالَ: أبُو جعفر: فامتدحني أنا فقال:

أنا الشاعر السيد الحميري ::: أقد القوافي قداً سويا
أقول فأحسن وصف النشيد ::: ولا أنحل المدح إلا عليا[1]

تتجرأ تشهد عندي وأنا أعرف عداوتك السلف؟

حَدَّثَنَا إسحاق بْن مُحَمَّد النخعي؛ قال: حَدَّثَنَا هاشم بْن صيفي أبُو زيد الأسدي، عَن الهيثم بْن واقد، قال: شهد السيد عند سوار بشهادة؟ فقالَ لهُ سوار: تتجرأ تشهد عندي وأنا أعرف عداوتك السلف؟ فقالَ: السيد.

أعاذني الله من ذلك وإنما هو شيء لزمني، ثم نهض فقال:

وما تغنى الشهادة عند وغد ::: جهول بالحكومة والخصام
له بالمصر أعوام تباعاً ::: تمام العشر أو فوق التمام
وما أجدى على أحد بخير ::: ولا فصل القضاء بالانفصام
إذا حضر الخصوم يغض طرفاً ::: وشنج وجهه فعل اللئام
سموع للخصوم إذَا لقوه ::: ولا يقضي بحق في الذمام
جهول بالقضاء حليف بول ::: وكور للأثام وللحرام
إذا لم يقض بين الخصم يوماً ::: وبين مخاصميه من الأنام
فلم يأخذ عطا المنصور فِيْهِ ::: عطاء من عطاياه العظام
وأجزل في الذي يقضى على ما ::: فعلت الضرب بالسيف الحسام[2]

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧١.
(٢) أخبار القضاة، ٢ /٧٢.

عَن إسماعيل بن الساحر قال: لما مات سوار دفن في موضع كان كنيفاً مرة، فعفا، فلما حفروا طهروا الكنيف تبادروا به فدفنوه لعلة كانت به، ومات بقربه عباد بْن حبيب المهلب، فهجاه السيد، ودفع القصيدة إلى نوائح الأزد فحفظتها النوائح فكانوا إذَا رثوا عباد بْن حبيب أنشدوا هجاء سوار وهي:

عدي بسوار في أخلاق أطمار ::: من داره ظاعناً عنها إلَى النار
يا شرحى ثوى في الأرض لعلمه ::: ممن براه الإله الخالق الباري
لا قدس الله روحاً أنت هيكله ::: وهل تقدس رجس بين كفار
توى ببرهوت في بلهوت محتبساً ::: ملعناً بين أطفاش وفجار
أبان فيك إله الناس معجبة ::: لما قضى ربنا فيكم بمقدار
في جرم جسمك إذ دليت في رحم ::: في بقعة بين أحشاش وأقذار
في مخرج وكنيف قد أعد لكم ::: فِيْهِ الثواء باذلال وإصغار
تشنا علياً أمير المؤمنين ولا ::: تقول فِيْهِ بقول الصادق الباري
يوم الغدير ووكل الناس قد حضروا ::: من كنت مولاه في سر وإجهار
هَذَا أخي ووصيي في الأمور ومن ::: يقوم فيكم مقامي عند تذكاري
هَذَا وليي فوالوه على ثبت ::: لا تفشلوا عَن مواعيظي وتسطاري
يا رب عاد الذي عاداه من بشر ::: واركسه في دركات الخزي والعار
فكنت أنت ومن واليت من أمم ::: في خلع ما قَالَ: من نقض وادبار
فاللّه يخزيك يا سوار مخزية ::: في جاحم النار من غسلينها الجاري
في كل من حاد عَن دين المليك ومن ::: نعا لأَحْمَد الظهر من حي وأنشار
مع ما خبثت بجمع المسلمين وما ::: منعت من حقهم في حكمك الساري
حكم لَعَمْرُك لا يرضاه خالقنا ::: ولا الرسول لدى النزاع والجاري
فاذهب عليك من الرحمن بملته ::: لما كساك سواد الوجه كالقار
لنعمت العترة الصيد المطهرة ::: خير البرية أطهاراً لأطهار

هَذَا يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه

قال الحارث بْن عَبْد اللهِ الربعي: كنت جالساً في مجلس للمنصور وهو بالحبس الأكبر، وسوار عنده، والسيد ينشده:

إن الإله الذي لا شيء يشبهه ::: آتاكم الملك للدنيا وللدين

آتاكم الله ملكاً لا زوال له ::: حتى يقاد إليكم صاحب الصين

وصاحب الهند مأخوذ برمته ::: وصاحب الترك محبوس على هون

حتى أتى على القصيده والمنصور مسرور، فقالَ: سوار: هَذَا يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، والله أن القوم الذين يدين بحبهم غيركم، وأنه لينطوي على عداوتكم فقالَ: السيد: والله إنه لكاذب، وأني في مدحك لصادق، ولكنه حمله الحسد إذ رآك على هذه الحال، وإن انقطاعي ومودتي لكم أهل البيت وخلافي لرأي أبُويه ومعاندتي لهما لم تساير من أنصرف عنكم، وإن هَذَا وقومه لأعداؤكم في الجاهلية والاسلام، وقد أنزل الله عز وجل على نبيه عليه السلام في أهل بيته: { إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ } [الحجرات: ٤]، فقالَ: المنصور: صدقت، فقالَ: سوار: إنه يقول بالرجعة فقال: أما قوله: إنه يقول بالرجعة فإن الله عز وجل يقول:{رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ} [غافر: ١١]، وقال:{فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِاْئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ} [البقرة: ٢٥٩]، وقال:{فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ } [البقرة: ٢٤٣]، إنما قلت مثل هَذَا، ولكنه يرجع بعد الموت كلباً، أو قرداً، أو خنزيراً، أو ذرة لأنه متجبر، وقد قالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ : يحشر المتكبرون في صورة الذر يوم القيامة وفي حديث آخر في صورة القردة والخنازير يغشاهم الذل من كل مكان ثم قال:

جاثيت سواراً أبا شملة :: عند الإمام الحاكم العادل

فَقَالَ: قولاً خطل كله : عند الورى الحافل والشاغل

ما دب عما قلت من وصمة ::: في أهله بل لج في الباطل

وبان للمنصور صـــدقي حكمـــاً ::: بـــان صـــدق الأَبُـــولي الجاهـــل
بغض ذا العرش ومـــن يصـــطفى ::: مـــن غلـــه بـــالبين الفاصـــل
ويعتـــدي في الحكـــم في معشـــر ::: أدوا حقـــوق الرســـل للراســـل
فتـــبر الله مـــن أوثقـــه ::: فصـــار مثـــل الهـــائم الهامـــل
:::

وأنشدني إسحاق بْن مُحَمَّد، عَن معاذ بْن سعد في سوار:

أَبُوك ابـــن ســـارق عـــتر الـــنبي ::: وأنـــت ابـــن بنـــت أبي جحـــدر
ونحن على رغمـــك الرافضـــون ::: لأهـــل الضـــلالة والمنكـــر[1]

لا تبدأه حتى لا يهجوك

عَن إسماعيل الساحر، قالَ لي: السيد بْن مُحَمَّد، لما بلغني خبر سوار وأنه تكلم في: قلت:

قـــولاً لســـوار أخـــي عضـــلة ::: يـــا ريســـاً في البـــول والعـــار
ما قلت فيما قلـــت مـــن مثلـــب ::: حـــتى روى في جمـــع أخبـــار
وأنـــت يـــا ســـوار رأس لهـــم ::: في كـــل خـــزي خـــزي ســـوار
تعيـــب مـــن آزره أَحْمَـــد ::: مـــن بـــين أصـــحاب وأحـــوار

فكتب سوار بهَذَا الشعر إِلَى أبي جعفر، وهو على دجلة البصرة في موضع الجسر الأكبر، فأحضرت فسألني،، فقلت يا أمير المؤمنين: البادي أظلم، يكف عني حتى أكف عنه؛ فكتب إليه أَبُو جعفر فتكلم بكلام فِيْهِ نصفة؛ لا تبدأه حتى لا يهجوك.

يدفع عنه لمثله إِلَى بني هاشم

عَن الحارث بْن صفوان قال: قالَ: السيد: غاظ سوار بْن عَبْد اللهِ جودة شعرى في قصيدة قلتها فقال: اطلبوا عليه شهادة بغير هَذَا

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧٤.

لجناية في مال، أو دفع حق؛ فإني رأيت هَذا وأشار إِلى أبي جعفر يدفع عنه لمثله إِلى بني هاشم: فأنشدت أقول:

يا لقوم لشوهة الأشوار ::: ولأمر بداه من سوار
قاضي العدل في الحساب لدى الن ::: اس وتقويم حكمة الأثار
جار في حكمهم على جهارا ::: في شهود تعمدوا أوزاري
حاد عَن دينه ليبلغ مني ::: لده واللّه لي خير جار
قال: يا قومي فاطلبوا لي شهوداً ::: يشهدون الغداة عندي بعار
فاقدمه للحكومة اقطعه ::: ه فيا لذي ظفرت بشاري
هو أهل السراق بالأب والجد ::: وأعمام شوهة أشرار
سرقوا ملحف النبي وعتراً ::: يجتلبها للضيف والزوار
كيف لم يردد المظالم فيما ::: قد جنى أولوه في الأدهار
وهو مما جنوه في غاية العلم ::: وحسب العرفان والتذكار
جار فيهم ولاية الله بدأ ::: وانثنى يعتدي بجد الكبار
يعتدى طالباً على لأني ::: حطت آل النبي بالمدح سار
فتوقفت ثم قلت إلهي ::: والعلا والسّنا والإكبار
وعلي وأَحْمَد أوليائي ::: وبنو أَحْمَد خيار الجار
وبهم اعتصمت من شر سوار ::: أخي الفاحشات والأعوار[1]

اقسم بيننا أموالنا

عَن أَحْمَد بْن معاوية، قال: حَدَّثَنِيْ بعض المحدثين، قال: مات هميم بْن عياض بْن سعد العنبري، وترك ثلاث بنين؛ من أم ولد له صقلابية [2]، وابناً من بنت عم له، وابنة وكان ابن المهيرة [3] يسمى

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧٥.
(٢) الصقالبة جنس من البشر يسكنون أواسط القوقاز وأوروبا ومنهم كان يجلب العرب الرقيق ويستكثرون.
(٣) المَهيرَةُ: الحُرّةُ والمَهائِرُ الحرائِرُ وهي ضِدُّ السَّرائر.

عياضاً، وكان أكبرهم فقالوا له: اقسم بيننا أموالنا فقالَ لي: نصيبان، ولكم نصيب، فأَبُوا وأتوا سواراً فهو أول يوم جلس فِيْهِ للقضاء، فقالَ: أكبر الثلاثة وهو جهور:

قـولاً لسـوار بـني عنـبر ::: أنت امرؤ تقضي بفصـل القضـا
مـات أَبُونـا ولـه لهـوة ::: مـن نعـم دثـر كـبير وشـا
فاقسـم هـداك الله ميراثنـا ::: إن عياضـاً فـاجر ذوعنـا
يظلمنـا ميراثنـا جهـده ::: وأنـت قاضـينا فمـاذا تـرى

فقالَ لهُ سوار: كم ترك أَبُوك من الولد؟ قال: ثلاثة لأم ولد، وواحداً لمهيرة قال: فهل من وارث غيركم؟ قال: لا، إلا ابنة له من أمة سوداء؛ فقالَ: سوار: القسم بينكم سواء؛ للرجل مثل حظ الأنثى مرتين، فقالَ: عياض: بالله ما رأيت كاليوم قط يأخذ بنو الأمة كما آخذ؛ قال: بذلك نزل كتاب الله، قال: وتأخذ بنت السوداء كما آخذ؟ فقال:

نبئـت سـواراً قضـى أنثـى ::: وجهـوراً فيمـا ورثنـا سـوا
فقلـت مهـلاً لـيس ذا هكـذا ::: أخطأت يا سـوار فهـم القضـا
سـيان حـر أمـه حـرة ::: وقينـة أمهـم ملأمـا
أبي أَبُـوهم وأَبُـوهم أبي ::: وخـالهم أحمـر عَبْـد العصـا
نحـن لا ميـز فقـل بيننـا ::: مقالـة يرضـى بهـا ذو التقـى
لا تجعلـن مـن أمّـه حـرة ::: وخالـه أبـيض رحـب الفنـا
كـأحمر الخـال قليـل الجـدا ::: سقلالب تنميـه إذَا مـا انتمـى
أخـوالهم صـفر لهـم أوجهـه ::: يكرههـا الله وأهَـل السـما

فقالَ لهُ سوار: لم بنياه ولكن سمعته؛ انهض يا عياض، فكتاب الله قضى عليك؛ قال: والله لا أرضى بما تقول، وما في كتاب الله أن

أجعل سواء وبنى الحمراء؛ قال: إياك إن تعدو ما آمرك به، فأجعل السجن لك داراً؛ قال: والله ما رأيت قاضياً أشد تعصباً منك للحمرة والشقرة؛ فقالَ لهُ جهور: ويلك يا عياض لو كان ذا تعصباً لم تعط بنت نسحة شيئاً يعني أختهم؛ قال: والله لا نعطيها شيئاً ولو جهد جهداً، وما نرى ذلك لها، فقالَ: جهور: بلى والله أليس كذلك قلت يا أخا بني العنبر؟ قال: سوار: بلى والله قاله، ثم أمر بعض إخوانه فقسم بينهم فقالَ: عياض:

قضيت بغير الحــق ســوار بيننــا ::: وسويت بين الزّنج والشّقر والعرب
نسيت قضاء الناس حــين وليتــه ::: وما شيت نصّاً صيّر الرأس كالذنب
أسأت أيا سوّار صــيرت ماجــداً ::: كريم المحيا فاضل الــرأي والأدب
وأشقر صفياناً وســوداء جعــدة ::: محددة الأنياب مأفونــة الحســب
فواللّه ما وفقت للحق في الــذي ::: قضيت ولكن جيت واللّه بالكذب[1]

ويلك! البيت البيت

عَن مُحَمَّد بْن صالح العدوي؛ قال: حَدَّثنِيْ شيخ من أهل البصرة، كان يجالس سوار بْن عَبْد اللهِ كثيراً، قال: كان رجل من هو، يُقالُ: له جليلان، وكان سوار القاضي قد صلى المغرب في مسجده، فهو يريد أن يصير إلى منزله، وقد جاءت السماء بالمطر، وبينه وبين منزله غدير ماء، فهو قائم على درجة المسجد يروى كيف يعبر، وأقبل جليلان وهو سكران، فلما نظر إليه قال: القاضي؟ فداك أبي، أنت بعد، إني أراك واقفاً تريد العبور، امرأته طالق ثلاثاً، إن جزت إلى الدار إلا وأنت على ظهري، فقالَ لهُ: مالك قبحك الله ثم أقبل عليه، فقال: أفرق بينه وبين أهله؟ لا والله ما أرى ذلك تعال حتى أصعد فوق ظهرك؛ قال: فحبا، وحمله فوق ظهره، وأقبل يغوص الماء

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧٦.

وترك طريق منزله، فقال: ويحك أين تريد؟ قالَ: أجنبك قليلاً أصلحك الله، قال: لا حاجة لي في هَذَا، ويلك! البيت البيت، قالَ: الشيخ: فلو رأيتنا نناشده الله، ويقول القاضي حتى أدخله منزله.

زلة ولعلها امرأته

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْن سوار، قال: كان أبي يغدو من داره، فيصلي الغداة بأهل المسجد الجامع، ثم يقيم في دار الإمارة، ويصلي الصلوات بالناس، حتى إذَا صلى العتمة جاء إلَى منزله، فبات فِيْهِ ثم يغدو بغلس [1]، قال: فغدا يوماً ومعه خادمه حيان، فلما كان في زقاق الأزرق، إذَا هو برجل قد تغشى امرأة، فلما غشيها وثب الرجل فسعى، وسعى حيان في أثره ليأخذه، فصاح به أبي فرده، وقال: مالك؟ زلة ولعلها امرأته، لعلها أمة لقوم، قد شغلوها عنه فهو لا يقدر عليها، إلا في هَذَا الوقت.

فلم يرض حتى عفا عنه

عَن عامر بْن صالح، قال: تقدم إلَى سوار إعرابي تزوج امرأة من بني العنبر، وفرض لها سوار عليه نفقة، فقال:

جزى الله سوار النِّسَاء ملامة	كما منع الفتيان خير الحلائل
تقول لي الفيجاء عجل بكاره	مطينة مما تثير الغرابل
يشرط عنها ملحفاً وقطيفة	وجزعاً جديداً للحصان المراسل
ألا ليت سواراً بأقصى مدينة	من الصين يرعى كل سكاء حافل

وحكم سوار على أعرابي بحكم فجاءه يوماً وهو جالس فقال:

(١) الغلسُ: ظلام آخِر اللَّيْل. وغلَّسْنا: سِرْنا بغلس.

رأيــــت رؤيــــا ثم عبرتهـــا :: وكنــــت للأحــــلام عبــــارا
رأيـــتني أحبـــق في نــــومتي :: ضــبا فكــان الضــب ســوارا

ثم انقض عليه ليخنقه، فأخذ الأعرابي، فلم يهجه سوار وبلغ خبره المغيرة ابن سُفْيَان بْن معاوية المهلبي، وهو يومئذ خليفة أبيه على البصرة، فأمر بالأعرابي فأتى به ليؤدبه، وبلغ سواراً فأتاه بنفسه، فسأله أن يصفح عنه؛ فقال: هَذَا شديد على الأمر أن يكون له عاقبة أكرهها، فلم يرض حتى عفا عنه وسلم إليه الأعرابي، فأطلقه (١).

مجانين أنتم؟

عَن أبي عدي النمري، قال: رأينا هلال شوال، فأتينا سواراً لنشهد عنده؛ فقالَ: لنا حاجبه: مجانين أنتم؟ الأمين لم يختضب بعد ولم يتهيأ، والله لئن وقعت عينه عليكم ليضربنكم مائتين مائتين، فانصرفنا وصام الناس يوم الفطر (٢).

فمن شربه؟

قال الحر بْن مالك بْن الخطاب: دخلت على سوار، وهو موجوع من بطنه من طعام أكله، فقلت له: عندي نبيذ بسر قد اشتد، فقال: إيتني منه بقدح، فأتيته فقال: ضعه، واخرج إلى الحكم، فقل له: كذا وكذا، فخرجت ثم دخلت والقدح فارغ، فقلت له: أتيتك بقدح، فبعثتني في حاجة ثم رجعت، والقدح فارغ، وليس في البيت غيرك فمن شربه؟ فقال: أما أنت فلا تشهد على أنك رأيتني شربته.

و كان سوار لا يجيز شهادة من يشرب النبيذ، وأنشد لبعضهم:

(١) أخبار القضاة، ٢ /٧٩.
(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، ص ١٠٦.

لا تشهدن على صك إذَا حضروا	من الشـــهادة إلا رهـــط عمـــار
ويتركـــون رجـــالاً في مجالســـهم	ذوي أنـــاة وأحَـــلام وأخطـــار
أما النبيذ فـــإني لســـت تاركـــه	ولا شهادة لي في حكـــم ســـوار

ما أشد ما طعن عليه

وزعم عَبْد الواحد بْن غياث، عَن عَمْرو بْن حيان؛ قال: صلينا المغرب في مسجد بلعنبر، فإذا بغل سوار، وحمار قد جاء به سوار معه؛ فقال: ادع لي معاذ بْن معاذ، فدعوته فركب الحمار، ثم انطلق معه؛ قال: فحَدَّثَنِيْ معاذ بعده؛ قال: انطلقنا ناحية الأزد، فأظلمنا قبل أن نبلغ حَيْثُ أراد.

ثم بلغنا إِلَى باب فأشار إليه، فقَالَ: ادن، فسل عَن فلان، فإذا خرج إليك، فقل: ههنا رجل يريدك؛ قال: فخرج الرجل فقَالَ لَهُ: ما تقول في فلان؟ قال: لا أعلم إلا خيراً فإني به لعالم فانصرف سوار، ثم أتى باباً آخر، ففعل برجل مثل ذلك، ثم قَالَ لَهُ: انظر فقد اختلف علينا فيه، ففكر ثم قال: ما أعلم إلا خيراً، فانصرفنا فلم نتباعد حتى رجع، فناداني يا صاحب الحمار، فالتفت فإذا الرجل؛ فقلت لسوار؛ فوقف فقال: إني فكرت فلم أعلم شيئاً إلا أن له أرضاً في الصدقة، وأرضاً في الخراج، فربما حول ممر أرضه التي في الخراج، إِلَى أرض الصدقة فقَالَ لي: سوار: ما أشد ما طعن عليه [1].

يا فتى أتعييني

قال سوار بْن عَبْد اللهِ بن سوار القاضي: حَدَّثَنِيْ أبي؛ قال: جاء رجل إِلَى سوار الأكبر بالبصرة؛ فقال: رجل جاء من خراسان يسألك عَن

(١) أخبار القضاة، ٢ /٨٣.

مسألة ليس من حلال ولا حرام، فأذن له فدخل فقال: اختلفنا في المروءة، ما هي، ونحن بخراسان، فقالوا لي: أنت تريد الحج فاجعل طريقك بالبصرة، وإيت سوار بْن عَبْد اللهِ، فاسأله، فقالَ لَهُ سوار بْن عَبْد اللهِ: قد سألت، فإذا أردت الخروج فأتني، فأتاه حين أراد الخروج، وقالَ: له. يا فتى أتعييني؛ المروءة إنصافك الناس من نفسك.

يا سوار ما تقول في هَذَا؟

عَن المدائني قال: شهد سوار عند بلال بْن أبي بردة، ومعه رجل آخر، فقالَ: بلال: يا سوار ما تقول في هَذَا؟ قال: إنما جئت شاهداً، ولم أجىء مزكياً، قال: أفحضر معك هذه الشهادة؟ قال: نعم فأجاز شهادته.

قال معاذ بْن معاذ: خاصم عَمْرو بْن أبي زائدة إلى سوار بالبصرة، وكان له شاهد واحد، فأبى سوار أن يقضي بشاهد ويمين، فغضب عَمْرو وهجاه فقال:

سفّهني ولم أكن سفيهاً ::: ولا لقوم سفهوا شبيها
لو كان هَذَا قاضياً فكيهاً ::: لكان مثلي عنده وجيها

فكشفت عَن وجهها

و عَن عفان، قال: تقدمت امرأة إلى سوار، فجعل يقول: لها غطى يدك، فتغطى، ثم يقول أيضاً: غطى، فيبدو أطراف أطراف أصابعها، فأكثر فقالت: إنك أكثرت، قالَ الله عز وجل:{وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا} [النور: ٣١]، وهو الوجه والكف، فكشفت عَن وجهها، وحسرت عَن كفها [(١)].

(١) أخبار القضاة، ٢ /٨٧.

إنه دعاء بالأسحار.

أمر المنصور أبو جعفر بأشخاص سوار بن عبد الله القاضي إليه من البصرة بعد قتل إبراهيم ابن عبد الله بن حسن، فلما قدم عليه قال له: يا سوار! ضربني أهل البصرة بمائة ألف سيف من غير جناية، لأفعلن بهم ولأفعلن. فقال له سوار: يا أمير المؤمنين! إن لأهل البصرة سلاحاً لا تطيقه. قال: أبسلاحهم تخوفني لا أم لك يا أمير المؤمنين: إنه دعاء بالأسحار [١].

إنا بعثناك قاضيا لا ساعيا

وكتب سوار بن عبد الله القاضي إليه أن عندنا رجلا شديد الترفض يدعى السيد الحميري، فوقع في كتابه: إنا بعثناك قاضيا لا ساعيا [٢].

هب أنك مكره على القضاء هل أكرهت على أخذ الأجرة؟

شهد معلم عند سوّار فقال: لا أجيز شهادتك. قال: ولمَ؟ قال: لأنك تأخذ على كتاب الله تعالى الأجرة، فقال: وأنت تأخذها على القضاء، فقال: أنا أكرهت! فقال: هب أنك مكره على القضاء هل أكرهت على أخذ الأجرة؟ فأجاز شهادته [٣].

إنما جئتُ شاهداً لا مُزكِّياً

شهد سوَّارُ بن عبد الله العَنبري عند بلال بشهادة، وشهدَ معه رجلٌ أخرُ ليس بذاكٍ. فقال بلالٌ: يا سوَّارُ، ما تقولُ في هذا الرجل؟ قال: إنما جئتُ شاهداً لا مُزكّياً.

---

(١) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ٦٨، ٢٣٣.
(٢) أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، خاص الخاص، تحقيق: حسن الأمين، دار مكتبة الحياة - بيروت / لبنان -، ١ / ٨٨.
(٣) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ١ / ٩٢.

إنك جديرٌ بالبُكاءِ، حقيقٌ بطُول الحُزن ما أقمت في الدنيا

ودخل سوَّارُ بن عبد الله على المنصور - والمصحفُ من حجره، وعيناهُ تهملان - فقال السلام عليكم. يا أمير المؤمنين فقال يا سوَّارُ، ألاَ مرةً على المؤمنين؟؟ هدمتَ ديني، وذهبت بآخرتي، وأفسدت ما كان من صالح عملي. قال سَّوارُ: فانتهزتُها فُرصةً، وطلبتُ ثواب الله في عظته فقلت: يا أمير المؤمنين، إنك جديرٌ بالبُكاءِ، حقيقٌ بطُول الحُزن ما أقمت في الدنيا. وقد استرعاك اللهُ أمر المسلمين، واستحفظك أموالهم، يسألك عما عملت فيما أسترعاك في اليوم الذي أعلمت في كتابه، فقال:{يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا۟ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ} [الزلزلة: ٦ - ٨]. فازداد بُكاءً، وقال:{يَٰلَيْتَنِى مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا } [مريم: ٢٣]. ثم قال يا سوَّارُ إني أُعالج نفسي، وأُعاتبها منذ وليتُ أمور المسلمين على حمل الدِّرّة على عُنقي، والمشي في الأسواق على قدمي، وأن أسدَّ بالجريش من الطعام جوْعتي، وأواريَ بأخشن الثِّياب عورتي، وأضعَ قدر من أراد الدُّنيا، وأرفع قدْر من أراد الآخرة، وسعى لها، فلم تُطْعني، وعصتْني، ونفرتْ نُفوراً شديداً [(١)].

لأنّي بحظّي أوثق مني بعقلي

تقدّم إلى سوّار بن عبد الله ثلاثة إخوة في قسمة ميراثٍ فقال: اجعلوا لأكبركم خير المواضع، فال أحدهم: لا أفعل حتى تقرع بيننا، قال: ويحك لم؟ قال: لأنّي بحظّي أوثق مني بعقلي، فأقرع فخرج

(١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، ٥ /٩٩، ١٠٤.

خيرها له [١].

ملئت الأرض بك عدلاً

كتب المنصور إلى سوار بن عبد الله القاضي في مال كان له على سلمة بن سعيد، لما مات سلمة، وكان عليه ديون للناس وللمنصور، فكتب إليه: استوف لأمير المؤمنين دينه، وفرق ما يبقى بين الغرماء. فلم يلتفت إلى كتابه وضرب للمنصور بسهم من المال كما ضرب لواحد من الغرماء، ثم كتب إليه: إني رأيت أمير المؤمنين غريماً من الغرماء. فكتب إليه المنصور: ملئت الأرض بك عدلاً.

الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به

قال سوار بن عبد الله القاضي: دخلت بعض حمامات البصرة، فقلت لصاحب الحمام فيه أحد؟ قال لا، إلا شيخ موسوس. فدخلت فإذا شيخ فقلت يا شيخ! ما حرفتك! قال أنا أبيع الكعاب والدوامات من الصبيان فقلت في نفسي مع من وقعت. فقال لي الشيخ فما حرفتك؟ قلت لا أُخبرك قال والله ما أنصفتني سألتني عن حرفتي فأخبرتك، وسألتك عن حرفتك فلم تخبرني. فقلت أنا أنظر فيما بين الناس، وأمنع الظالم من المظلوم. قال الشيخ: ويقبلون منك، قلت من لم يقبل حبسته وأدبته، قال ومنك ذلك قلت نعم إن معي أعواناً من السلطان. قال الشيخ: الحمد لله الذي عافاني مما ابتلاك به. قال سوار فتصاغرت إلي نفسي [٢].

أفجائز العدالة هو؟

تقدم رجل إلى سوّار بن عبد الله يدّعي داراً، وامرأةٌ تدافعه وتقول

(١) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١ / ٣٩٢.
(٢) ابن حبيب، عقلاء المجانين، ص ٤٩.

لسوّار: إنها والله داري وليس معي دليل. فأتى المدعي بشاهدين يعرفهما سوّار، فشهدا له بالدار، وجعلت المرأة تنكر إنكاراً يعضده التصديق، ثم قالت: سل عن الشهود، فإن الناس يتغيرون، فردّ المسألة، فأثني الناس علي الشاهدان. فلم يزل يريّث أمولاهم، ويسأل الجيران، فكلّ يصدّق المرأة، والشاهدان قد ثبتا، فشكا ذلك إلى عبيد الله. فقال له أخوه عبيد الله: أنا أحضر مجلس الحكم معك فآتيك بالجليّة إن شاء الله تعالى، فقال للشاهدين: ليس للقاضي أن يسألكما كيف شهدتما، ولكن أنا أسألكما. قال: فقالا: أراد هذا أن يحجّ فأدارنا على حدود الدار من خارج، وقال: هذه داري، فإن حدث بي حادث فلتبع ولتقسم على سبيل كذا، قال: أفعندكما غير هذه الشهادة؟ قالا: لا، فقال: الله أكبر!وكذا ولو أدرتكما دارعلى سوّار، وقلت لكما مثل هذه المقالة، أكنتما تشهدان بها لي؟ ففهما أنهما قد اغترّا، فكان سوّار إذا سأل عن عدالة الشاهد يتبع المسألة أن يقول: أفجائز العدالة هو؟ فظننت أن عبيد الله رأى في الشاهد غفلة فاختبره بهذا وما أشبهه [١].

وعن أبي علي النميري قال تراءينا هلال شوال فاتينا سوار بن عبد الله لنشهد عنده فقال حاجبه أنتم مجانين الامير لم يختضب بعد ولم يتهيأ ولئن وقعت عينه عليكم ليضربنكم مائتين انطلقوا فانصرفنا وصام الناس يوم الفطر.

لو شهد عندي الذي يغني بها لجزت شهادته

قال الجرمي: دخلتُ حماماً في درب الثلج، فإذا فيه سوار بن عبد الله القاضي في البيت الداخل قد استلقى وعليه المئزر، فجلست بقربه فساكتني ساعة ثم قال: قد أحشمتني يا رجل، فإما أن تخرج أو

(١) الكامل في اللغة والأدب، ٢ /٣٧.

أخرج فقلت: جئت أسألك عن مسألة، فقال: ليس هذا موضع المسائل، فقلت: إنها من مسائل الحمام، فضحك وقال: هاتها، فقلت: من الفتى الذي يقول:

سلبتِ عظامي لحمها فتركتها :: عَواريَ مما نالها تتكسرُ
وأخليتها من مخها فتركتها : قوارير في أجوافها الريح تصفرُ
إذا سمعتْ ذكرَ الفراق تراعدت ::: مفاصلها خوفاً لما تتنظرُ
خذي يدي ثم اكشفي الثوب فانظري ::: بلى جسدي لكنني أتستر :::

فقال سوار: أنا والله قلتها. قلت: فإنه يغني بها ويجود، فقال: لو شهد عندي الذي يغني بها لجزت شهادته.

إذ افتتح القضاء بأعورين

وولى يحيى بن أكثم إسماعيل بن سماعة القضاء بغربي بغداد، وولى سوار بن عبد الله شرقيها، وكانا أعورين، فكتب فيه محمد بن راشد الكاتب:

رأيت من العجائب قاضيين ::: هما احدوثة في الخافقين
هما فال الزمان بهلك يحيى ::: إذ افتتح القضاء بأعورين
فلو جمع العمى يوماً بأفق ::: لكانا للزمانة خلتين
تحسب منهما من هز رأساً ::: لينظر بزاله من فرد عين [(١)]

مالك أيتم الله أولادك وأبتلاهم بحاكم مثلك

قال أحمد بن الحسين حدثني من شهد مجلس سوار بن عبد الله القاضي وقد أتته امرأة فقالت تعدني في النهار أن تقطع أمري وتنفذ القضاء فاذا جاء الليل اشتمل عليك فلان وفلان فعددت رجالاً من

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ٤١، ١٢٢.

أصحاب سوار كانوا يغلبون عليه فلفتوك عن أمرك وغلبوك على حكمك مالك أيتم الله أولادك وأبتلاهم بحاكم مثلك قال فما رد عليها جواباً ولا قال لها شيئاً [١].

ومن شعره – رحمه الله –:

قال أحمد بن المعذل الفقيه: كان سوار بن عبد الله قد خامر قلبه وجد فقال: سلبت عظامي مخها فتركتها ::: عـــواري في أجلادهـــا تتكســـر

وأخليـــت منـــها مخهـــا فكأنهـــا ::: قوارير في أجوافها الـــريح تصـــفر

خذي بيدي ثم اكشفي الثوب وانظري ::: بلـــى جســـدي لكـــنني أتســـتر

وليس الذي يجري من العين ماؤها ::: ولكنها روحي تذاب فتقطـــر [٢]

- كتب سوار بن عبد الله بن سوار القاضي إلى محمد بن عبد الله ابن طاهر:

لنا حاجةٌ والعـــذر فيهـــا مقـــدَّمٌ ::: خفيفٌ معنَّاها مضـــاعفة الأجـــر

فإن تقضـــنها فالحمـــد لله ربِّنـــا ::: وإن تكن الأخرى ففي أوسع العذر

على أنَّه الـــرَّحمن معـــطٍ ومـــانعٌ ::: وللرِّزق أسبابٌ إلى قـــدرٍ تجـــري

فأجابه محمد بن عبد الله بن طاهر:

فسلها تجـــدني موجبـــاً لقضـــائها ::: سريعاً إليهـــا لا يخـــالطني فكـــر

شكورٌ بإفضـــالي عليـــك بمثلـــها ::: وإن لم تكن فيمـــا حوتـــه شـــكر

فهذا قليـــلٌ لّلـــذي قـــد رأيتـــه ::: لحقِّك لا منٌّ من لديّ ولا فخر [٣]

فخـــــــــــــــــــــــــــر [٣]

* * *

(١) ابن طيفور، بلاغات النساء، ص٨٠.
(٢) تاريخ بغداد " ٩ / ٢١٠، ٢١١.
(٣) ابن عبد البر، بهجة المجالس وأنس المجالس، ١ / ٦٨، ٢٣٣.

بلال بن أبي بردة

أعــلام القضــاء

بلال بن أبي بردة ـ رحمه الله ـ

أبو بردة عامر بن أبي موسى عبد الله بن قيس الأشعري؛ كان أبوه صاحب رسول الله ﷺ، قدم عليه من اليمن في الأشعريين، فأسلموا. وأبو بردة كان قاضياً على الكوفة، وليها بعد القاضي شريح، وله مكارم ومآثر مشهورة.

وكان أبو موسى الأشعري تزوج في عمله على البصرة طنية بنت دمون، وكان أبوها رجلاً من أهل الطائف، فولدت له أبا بردة، وسماه أبو موسى عامراً، فلما شب كساه أبو شيخ ابن الغرق بردتين وغدا به إلى أبيه فكناه أبا بردة، فغلب عليه اللقب.

وكان ولده بلال قاضياً على البصرة، وهم الذين يقال في حقهم: ثلاثة قضاة في نسقٍ واحد؛ لأن أبا موسى رضي الله عنه قضى لعمر رضي الله عنه بالبصرة ثم قضى بالكوفة في زمن عثمان رضي الله عنه. وبلال هذا هو ممدوح ذي الرمة وله فيه غر المدائح.

وكان بلال بن أبي بردة أمير البصرة وقاضيها. كان راوية فصيحاً أديبا. ولاه خالد القسري سنة ١٠٩ هـ فأقام إلى أن قدم يوسف بن عمر الثقفي سنة ١٢٥ هـ فعزله وحبسه، فمات سجينا. كان ثقة في الحديث، ولم تحمد سيرته في القضاء.وكان يقول: إن الرجلين ليختصمان إلي فأجد أحدهما أخف على قلبي فأقضي له! وقد أكثر ذي الرمة الشاعر من مدحه ولما وقيل لذي الرمة: لم خصصت بلال بن أبي بردة بمدحك؟ قال: لأنه وطأ مضجعي، وأكرم مجلسي، وأحسن صلتي، فحق لكثير معروفه عندي أن يستولي على شكري[١].

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ البصري، المحاسن والأضداد، مكتبة الخانجي -

حدث عن: أبيه، وعلي بن أبي طالب، والزبير بن العوام، وحذيفة ابن اليمان، وعبد الله بن سلام، وأبي هريرة، وآخرين.

حدث عنه: حفيده؛ أبو بردة يزيد بن عبد الله بن أبي بردة، وابنه؛ بلال بن أبي بردة الأمير، وثابت البناني، وقتادة، وبكير بن الأشج، وأبو إسحاق الشيباني، وابنه؛ سعيد بن أبي بردة، وطلحة بن يحيى، وحكيم بن الديلم، وأبو يوسف، وحميد بن هلال، وأبو حصين، وعبد الأعلى بن أبي المساور، وخلق سواهم.

وكان من أوعية العلم، حجة باتفاق.

وكانت وفاة أبي بردة في سنة ثلاث ومائة بالكوفة.

وكان بلال يخاف مرض الجذام، فوصف له السمن يستنقع به، فكان يقعد فيه ثم يبيعه؛ فترك أهل البصرة أكل السمن وشراءه إلا ممن كان يصنعه في بيته.

وكان بلال موصوفاً بحب الطعام واشتهر بنهمته على الطعام [(١)].

وفي ذلك يقول الحسن ﷺ: يتكى على شماله ويأكل غير ماله حتى إذا كظه الطعام يقول ابغوا لي هاضوماً. وقيل: وهل تهضم إلا دينك؟ [(٢)].

القاهرة / مصر - ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، ص ٢٥.

(١) طبقات ابن سعد ٦ / ٢٦٨، طبقات خليفة ٦٨، تاريخ خليفة ٣٣٠، الجرح والتعديل ٦ / ٣٢٥، تاريخ ابن عساكر ٣٧١، ٣٩٢، وفيات الأعيان ٣ / ١٠، ١٢، تهذيب الكمال ١٥٧٨، تذكرة الحفاظ ١ / ٩٥، تذهيب التهذيب ٤ / ١٩٩، تاريخ الإسلام ٤ / ٢١٦، دول الإسلام ٧٣، العبر ١ / ١٢٨، الوافي بالوفيات ٤ / ١٤٢، تهذيب التهذيب ١٢ / ١٨، النجوم الزاهرة ١ / ١٩٩، ٢٥٢، خلاصة تذهيب الكمال ٤٤٣، تهذيب ابن عساكر ٧ / ١٦٨، سير أعلام النبلاء، ٥ /٦.

(٢) الراغب الأصفهاني، محاضرات الأدباء، ٢٩٠/١.

و يحكى عن قصاب [١] أنه قال: جاءني رسول بلال سحراً فأتيته وبين يديه كانون عليه جمر، وفي داره تيس ضخم، فقال: دونك هذا التيس فاذبحه، فذبحته وسلخته، فقال: أخرج هذا الكانون إلى الرواق، فأخرجته، فقال: دونك اللحم فكببه. ودعا بخوان، فجعلت أشرح اللحم وألقيه على الجمر، فإذا استوى قدمته إليه فيأكل، حتى لم يبق من التيس إلا العظام، ثم دعا بنبيذ فشرب خمسة أقداح، وقد بقيت قطعة من اللحم على الجمر، فقال: كلها فأكلتها، وقال: اسقوه. فناولوني قدحاً من النبيذ فشربته. وجاءت جارية ببرمة عليها قصعة فيها ناهضان، ودجاجتان وأرغفة، فأكل ذلك كله، ثم جاءت جارية أخرى معها قصعة مغطاة لا أدري ما فيها، فضحك إلى الجارية وقال: ويحك. ليس في بطني موضع لهذا الذي جئتني به، ولكن ضعي القصعة على رأسي، فضحكت الجارية ورجعت، فقال لي: الحق بأهلك. فرجعت وقد طلع الفجر، وأنا أجد دبيباً في رأسي من القدح الذي شربته [٢].

وروي: أن بلالاً إنما قتله دهاؤه فقد روي أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج وكان يعذبه وكان كل من مات من الحبس رفع خبره إلى الحجاج فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله فقال بلال للسجان خذ مني عشرة آلاف درهم واخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى فإذا أمرك بتسليمي إلى أهلي هربت في الأرض فلم يعرف الحجاج خبري وإن شئت أن تهرب معي فافعل وعلى غناك أبداً فأخذ السجان المال ورفع اسمه في الموتى فقال: الحجاج مثل هذا لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى رآه هاته فعاد إلى

(١) جزار.
(٢) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، ١٨١/٢، ٩٨/٥، ٧٠/٧، ١٤٢.

بلال فقال اعهد قال وما الخبر قال: إن الحجاج قال كيت وكيت فإن لم أحضرك إليه ميتاً قتلني وعلم أني أردت الحيلة عليه ولا بد أن أقتلك خنقاً فبكى بلال وسأله ألاً يفعل فلم يكن إلى ذلك طريق فأوصى وصلى فأخذه السجان وخنقه وأخرجه إلى الحجاج، فلما رآه ميتاً وقال: سلمه إلى أهله فأخذوه وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم ورجعت الحيلة عليه [١].

و كان بلال بن أبي بردة جلدا فحينما عزل عن القضاء أحضره يوسف بن عمر في قيوده لبعض الأمر وهم بالحيرة فقام خالد بن صفوان فقال ليوسف: أيها الأمير إن عدو الله بلالا ضربني وحبسني ولم أفارق جماعة ولا خلعت يدا من طاعة، ثم التفت إلى بلال فقال: الحمد لله الذي أزال سلطانك وهد أركانك وأزال جمالك وغير حالك فوالله لقد كنت شديد الحجاب مستخفا بالشريف مظهرا للعصبية فقال بلال يا خالد إنما استطلت علي بثلاث هن معك على الأمير مقبل عليك وهو عنى معرض وأنت مطلق وأنا مأسور وأنت في طينتك وأنا غريب فأفحمه.

وكان سبب ضرب بلال خالدا في ولايته أن بلالا مر بخالد في موكب عظيم فقال خالد: سحابة صيف عن قليل تقشع فسمعه بلال فقال والله لاتقشع أو يصيبك منها شيء من برد وأمر بضربه وحبسه[٢].

وكان يقال أعرق الناس في القضاء بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري ﷺ كان بلال قاضيا على البصرة وأبو بردة قاضيا على

(١) ابن الجوزي، الأذكياء، ص ٥٣.
(٢) أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ٤٢٧/٢.

الكوفة وأبو موسى قاضيا لأمير المؤمنين عمر ☺ [١].

مواقف من حياته – رحمه الله –:

فسكت أبو بردة على غيظ

و جلس أبو بردة يوماً يفتخر بأبيه ويذكر فضائله وصحبته لرسول الله ﷺ، وكان في مجلس عام وفيه الفرزدق الشاعر، فلما أطال القول في ذلك أراد الفرزدق أن يغض منه فقال: لو لم تكن لأبي موسى منقبة إلا أنه حجم رسول الله ﷺ لكفاه، فامتعض أبو بردة من ذلك ثم قال: صدقت، لكنه ما حجم أحداً قبله ولا بعده، فقال الفرزدق: كان أبو موسى والله أفضل من أن يجرب الحجامة في رسول الله ﷺ، فسكت أبو بردة على غيظ.

لا تقشع والله حتى يصيبك منها شؤبوب

وحكى غرس النعمة بن الصابئ في بعض تصانيفه أن أبا صفوان خالد بن صفوان التميمي المشهور بالبلاغة كان يدخل على بلال بن أبي بردة فيحدثه فيلحن في كلامه، فلما كثر ذلك على بلال قال له: يا خالد، تحدثني أحاديث الخلفاء وتلحن لحن السقاءات - يعني النساء اللواتي يسقين الماء للناس - فصار خالد بعد ذلك يأتي المسجد ويتعلم الإعراب، وكف بصره، فكان إذا مر به موكب بلال يقول: من هذا فيقال: الأمير، فيقول خالد: سحابة صيف عن قليل تقشع، فقيل ذلك لبلال فقال: لا تقشع والله حتى يصيبك منها شؤبوب [٢]، وأمر به فضرب مائتي سوط [٣].

(١) أحمد بن علي القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشا، تحقيق: د. يوسف علي طويل، دار الفكر - دمشق، الطبعة الأولى، ١٩٨٧، ٤٩٩/١.
(٢) شُؤبوب: وابلٌ من المَطر المُنهمِر.
(٣) وفيات الأعيان، ٣ /١١، أبو العرب محمد بن أحمد بن تميم بن تمام التميمي، المحن، تحقيق د عمر سليمان العقيلي، نشر دار العلوم، السعودية، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص

لا يسعى بالناس إلا ولد زنى

جاء رجلٌ إلى بلال بن أبي بردة، فسعى برجل؛ فقال لصاحب شرطته: سل عنه، فسأل عنه فقال: أصلح الله الأمير، إنه ليقال فيه، فقال: الله أكبر، حدثني أبي عن جدي أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ :﴿**لا يسعى بالناس إلا ولد زنى**﴾.

وعلى بابك أكثر من مائتين يدعون عليك!

دخل مالك بن دينار على بلال بن أبي بردة فقال له: يا أبا يحيى ادع الله لي، فقال له: ما ينفعك دعائي لك وعلى بابك أكثر من مائتين يدعون عليك!.

وإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه

قال محمد بن واسع: دخلت على بلال بن أبي بردة فقلت له: يا بلال إن أباك حدثني عن أبيه، عن النبي ﷺ قال:﴿**إن في جهنم وادياً يقال له: هبهب، حقاً على الله أن يسكنه كل جبار**﴾. وإياك يا بلال أن تكون ممن يسكنه.

الحق بأهلك

قال المدائني: أرسل بلال إلى قصابٍ في جواره في السحر، قال: فدخلت عليه وبين يديه كانون، وفي صحن الدار تيسٌ ضخم، فقال: أخرج الكانون واذبح التيس واسلخه وكبب لحمه، ففعلت، ودعا بخوانٍ فوضع بين يديه، وجعلت أكبب اللحم، فإذا استوى منه شيء وضعته بين يديه يأكله حتى تعرقت له لحم التيس، فلم يبق إلا بطنه وعظامه، وبقيت بضعةٌ على الكانون فقال لي: كلها، فأكلتها، وجاءت

٣٤٠ - ٣٤٢، ٣٦٥.

جارية بقدر فيها دجاجتان وناهضتان، ومعه صحفةٌ مغطاة لا أدري ما فيها، فقال: ويحك ما في بطني موضع، فضعيها على رأسي، فضحك إلى الجارية وضحكت إليه ورجعت، ثم دعا بشرابٍ فشرب منه خمسة أقداح، وأمر لي منها بقدح فشربته، ثم قال: الحق بأهلك.

إنما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين

قال ابن سلام: أمر بلال بن أبي بردة بالتفريق بين رجلٍ وامرأته، فقالت: يا آل أبي موسى، إنما خلقكم الله للتفريق بين المسلمين، أرادت ما حكم به أبو موسى الأشعري من التفريق بين عليٍّ بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان.

ما أبردك وأثقلك يا أبا علقمة!

قال أبو زيد الأنصاري: دعا ابن أبي بردة أبا علقمة، فلما دخل عليه قال: تدري لم أرسلت إليك؟ قال: لا، قال: لأسخر بك، فقال أبو علقمة: لئن فعلت ذلك لقد سخر أحد الحكمين بصاحبه، فلعنه ابن أبي بردة وأمر بحبسه، فمكث أياماً ثم أخرجه يوم السبت، فلما وقف بين يديه قال له: يا أبا علقمة ما هذا الذي في كمك؟ قال: طرف من طرف السجن، قال: أفلا تهب لنا منه؟ قال: هذا يوم لا نأخذ فيه ولا نعطي، فقال له، ما أبردك وأثقلك يا أبا علقمة! قال: أبرد مني وأثقل مني من كانت جدته يهوديةً من أهل السواد، وكانت لبلال أم أم يهودية من أهل سورا [(١)].

ألا جلست إليهم

قال أبو بهز بن أبي الخطاب السلمي: كان زريع أبو يزيد بن زريع

---

(١) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الظراف والمتماجنين، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم - بيروت - الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، ص ١٠٠.

على عسس بلال بن أبي بردة قال فقال له بلغني أن أهل الأهواء يجتمعون في المسجد ويتنازعون فاذهب فتعرف ذلك قال فذهب ثم رجع إليه فقال ما وجدت فيه إلا أهل العربية حلقة حلقة فقال له: ألا جلست إليهم حتى لا تقول حلقة حلقة قال أبو سليمان وإنما هي الحلقة حلقة القوم وحلقة القرط [(١)].

أنا مسكين لمن يعرفني

وقال المدائني: وقع بين العريان بن الهيثم النخعي وبين بلال بن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري كلامٌ بين يدي خالد بن عبد الله القصري وخالدٌ يومئذٍ على العراق - وكان متحاملاً على بلال، وكان العريان على شرطة خالد - فقال العريان لبلال: إني والله ما أنا بأبيض الراحتين، ولا منتشر المنخرين، ولا أروح القدمين، ولا محدد الأسنان، ولا جعدٍ قطط، فقال بلال: يا عريان أتعنيني بهذا؟ قال: لا والله، ولكن كلامٌ يتلو بعضه بعضاً. فقال بلال: يا عريان، أتريد أن تشتم أبا بردة وأشتم أباك، وتشتم أبا موسى وأشتم جدك، هذا والله ما لا يكون، فقال العريان: إني والله ما أجعل أبا موسى فداء الأسود، ولا أبا بردة فداء الهيثم، فمثلي ومثلك في ذلك كما قال مسكينٌ الدارمي:

أنا مسكينٌ لمن أنكرني ::: ولمن يعرفني جد نطق
لا أبيع الناس عرضي إنني ::: لو أبيع الناس عرضي لنفق [(٢)]

وما حاجته إلى ذكره، وأنا عارف به؟

---

(١) تاريخ دمشق، ١٠ /٥١٣.
(٢) تاريخ دمشق، ١٠ /٥١٧، أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي. الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م، ١ / ٤٩٥، ٥٠٠

ويقال أن بلال بن أبي بردة أول قاض جار في القضاء فيروي أن رجلاً قدم إلى بلال رجلاً في دين له عليه، فأقر الرجل به، - وكان بلال يعنى بالرجل - فقال المدعي: يعطيني حقي أو نحبسه بإقراره، قال القاضي: إنه مفلس، قال: لم يذكر إفلاسه، قال: وما حاجته إلى ذكره، وأنا عارف به؟ فإن شئت أحبسه فالتزم نفقة عياله، قال: فانصرف الرجل وترك خصمه وكان بلال معروفاً بالجور.

ليس هذا مما يرمى له الحصاة

عن أبي عمرو الضرير قال: أمر بلال داود بن هند أن يحضره عند تقدم الخصوم إليه، فإن حكم بخطأ رمي بحصاة فيرجع بلال قال: فتقدم إليه مولى له ينازع رجلاً، فحكم لمولاه ظلماً، فرمى داود بحصاة فلم يرجع، ثم بأخرى فقال له بلال: ليس هذا مما يرمى له الحصاة، هذا مولاي.

وهل ألقاني في الزنبيل غيرك؟

عن أبي زيد قال: لما حبس يوسف بن عمر صالح بن كريز في دين عليه، وجمع الحبس بينه وبين بلال، فقال له بلال: إن على العذاب رجل اسمه سالم، ويلقب بزنبيل، فإياك أن تقول له يا زنبيل فإنها تغضبه: وجعل يكرر زنبيل حتى علقها، فعذبه سالم، فنسي اسمه وكنيته، وجعل يقول: اتق الله يا زنبيل! فيزداد له ضربا، فلما خلى سبيله قال له بلال: ألم أنهك عن قول كلمة زنبيل؟ فقال له: وهل ألقاني في الزنبيل غيرك؟ أنا لم أعرف ما زنبيل لولاك، وما تدع شرك في سراء ولا ضراء [1].

(١) العسكري، الأوائل، ص ١١٢ - ١١٣.

قول مالك بن دينار لبلال بن أبي بردة

عن مالك بن دينار أنه دخل على بلال بن أبي بردة وهو أمير البصرة فقال: أيها الأمير، إني قرأت في بعض الكتب: " من أحمق من السلطان ومن أجهل ممن عصاني ومن أعزّ ممن أعزّني. أيا راعي السوء دفعت إليك غنماً سماناً سحاحاً فأكلت اللحم وشربت اللبن وائتدمت بالسمن ولبست الصوف وتركتها عظاماً تتقعقع.

بين بلال بن أبي بردة وخالد بن صفوان

قال أبو عبيد ة: اختصم خالد بن صفوان مع رجل إلى بلال بن أبي بردة، فقضى للرجل على خالد، فقام خالد وهو يقول: سحابة صيف عن قليل تقشّع فقال بلال: أما إنهم لا تقشّع حتى يصيبك منهم شؤبوب برد. وأمر به إلى الحبس، فقال خالد: علام تحبسني؟ فوالله ما جنيت جناية ولا خنت خيانة. فقال بلال: يخبرك عن ذلك بابٌ مصمت وأقيادٌ ثقال وقيّمٌ يقال له حفص.

ابن طرنوبة

عن الأصمَعيّ قال: كان عيسى بنُ عُمَر لا يَدَعُ الإعرابَ لشيء. وخاصم إلى بلال بن أبي بردةَ في جارية اشتراها مُصَابةً، فقال: لأن يذهبَ بعضُ حَق هذا أحبّ إليه من أن يَلْحَنَ؛ فقال له: ومَن يعلم ما تقول. فقال: ابن طرنوبة.

طعام عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر

وعن الجارود بن أبي سبرة قال: قال لي بلال بن أبي بردة: أتحضر طعام هذا الشيخ؟ - يعني عبد الأعلى بن عبد الله بن عامر -؛ فقلت: أيّهاً والله؛ فقال: حدثني عنه. فقلت: نأتيه وكان سكّيتاً، إن حدثنا أحسن الحديث، وإن حدّثناه أحسن الإستماع، فإذا حضر الغداء جاء

خبّازه فمثل بين يديه؛ فيقول: ما عندك؟ فيقول: بطّةٌ بكذا، ودجاجةٌ بكذا وكذا. قال: وما يريد بذاك؟ قلت: كي يحبس كلّ إنسانٍ نفسه إلى ما يشتهي، فإذا وضع الخوان خوّى تخوية [١] الظليم [٢] فما له إلا موضع متّكئه فيجدّ ويهزل، حتى إذا رآهم قد فتروا وكلّوا أكل معهم الجائع المقرور حتى ينشّطهم بأكله [٣].

ما العروب من النساء؟

عن شعيب بن صحير قال: قال بلال بن أبي بردة لجلسائه: ما العروب من النساء؟ [٤] قال: فماجوا؛ وأقبل إسحاق بن عبد الله بن الحارث النوفلي، فقال: قد جاءكم من يخبركم، فسألوه، فقال: الخفرة[٥] المتبذلة [٦] لزوجها، وأنشد:

يعرين عند بعولهن إذا خلوا ::: وإذا هم خرجوا فهن خفار [٧]

سابق الشعراء والمصلّي والثّالث والرّابع [٨]

قال الأصمعيّ: قال بلال بن أبي بردة لجلسائه ذات ليلة: خبّروني

(١) وخَوَى خَوىً، وخَواءً: تتابع عليه الجُوع. وتخْوية خَمُصَتْ بُطونُها، والمقصود جاع جوع.
(٢) الظليم هو الذكر من النعام.
(٣) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص ٢٢، ٣٣، ١٩٨، ٣٥١.
(٤) العروب من النساء هي المَرْأةِ المُتحَبّبةِ إلى زَوْجها أو العاشِقةِ لهُ أو المُتحَبِّبَةِ إليه المُظْهِرةِ له ذلك.
(٥) الخَفِرَةُ الطّويلةُ السُّكوتِ الخافِضةُ الصَّوْتِ المُتستِّرَةُ.
(٦) التبذل يقصد به التبرج والتزين للزوج.
(٧) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٢ / ٥٩.
(٨) هذه الأسماء مقتبسة من أسماء الخيل في السباق فأولها المجلى وهو السابق والمبرز أيضا ثم المصلي وهو الثاني ثم المسلي وهو الثالث ثم التالي وهو الرابع ثم المرتاح وهو الخامس ثم العاطف وهو السادس ثم الحظي وهو السابع ثم المؤمل وهو الثامن ثم اللطيم وهو التاسع ثم السكيت وهو العاشر.

بسابق الشعراء والمصلّي [١] والثّالث والرّابع. فسكتوا. ثم قالوا له: إن رأى الأمير أصلحه الله أن يخبرنا بذلك فعل. قال: سابق الشعراء قول المرقش:

من يلق خيراً يحمد النّاس أمره ::: ومن يغو لا يعدم على الغيّ لائماً

والمصلّي قول طرفة:

ستبدي لك الأيّام ما كنت جاهلاً ::: ويأتيك بالأخبار من لم تزوّد

والثّالث قول النّابغة:

ولست بمستبق أخاً لا تلمّه ::: على شعث، أيّ الرّجال المهذّب؟

والرّابع قول القطاميّ:

قد يدرك المتأنّ بعض حاجته ::: وقد يكون مع المستعجل الزّلل [٢]

إلى الله إلى الله

ودخل بلال بن أبي بردة على الفرزدق في مرضه الذي مات وفيه وهو يقول

أروني مَنْ يقومُ لكم مقامي ::: إذا ما الأمر جلّ عن الخطاب

البيتين فقال بلال: إلى الله إلى الله [٣].

فقد أكثر الله لك منه

قال الأصمعي: دخل درست بن رباط الفقيمي على بلال بن أبي بردة وهو في الحبس فعلم بلال أنه شامت به فقال بلال: ما يسرني

(١) المصلى من خيل السباق الذي يتلو السابق ويستعار للإنسان إذا كان تاليا للأول في أي عمل كان.

(٢) ابن منظور، مختصر تاريخ دمشق، ٢ / ٥٩، ٤ / ٢٣٠، ٤٣٣، ٣٦٧/٥، ١٢٠/٦، ٢٥٦. ٢٥٦.

(٣) أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، ٢/ ١٦٩، ٦ / ١٩٨، ٣٥٨/١٠، ٣٦٥، ٣٨٧، ٣٦/١٨، ٢٤ / ١٧٨.

بنصيبي من الكره حمر النعم فقال درست فقد أكثر الله لك منه.

فلا تتشاغل به واقصد بحجتك

وقال الأصمعي خاصم عيسى بن عمر النحوي الثقفي رجلا إلى بلال بن أبي بردة فجعل عيسى يشبع الأعراب وجعل الرجل ينظر إليه فقال له بلال: لئن يذهب بعض حق هذا أحب إليه من ترك الأعراب فلا تتشاغل به واقصد بحجتك [(١)].

قاتله الله!

المدائني قال: كان بلال بن أبي بردة ملازماً لباب خالد بن عبد الله القسري، فكان لا يركب خالد إلا رآه في موكبه، فبرم به، فقال لرجل من الشرط: إئت ذلك الرجل صاحب العمامة السوداء فقل له: يقول لك الأمير: ما لزومك بابي وموكبي! إني لا أوليك ولاية أبداً. فأتاه الرسول فأبلغه. فقال له بلال: هل أنت مبلغ عني الأمير كما بلغتني عنه؟ قال: نعم. قال: قل له: والله لئن وليتني لا عزلتني. فأبلغه ذلك. فقال خالد: قاتله الله! إنه ليعد من نفسه بكفاية. فدعاه فولاه [(٢)].

إنما استعرته من رجل من الأشعريين

عُرض على بلال بن أبي بردة الجند، فمر به رجل من بني نمير معه رمح قصير، فقال له بلال: يا أخا بني نمير، ما أنت كما قال الشاعر:

لعمرك ما رماح بني نمير ::: بطائشة الصدور ولا قصار

فقال أصلح الله الأمير، ماهو لي، إنما استعرته من رجل من

(١) أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق: المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨، ١/١٩٧، ٣٢٢، .
(٢) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، ١ /٢٣.

الأشعريين [١].

أتانا بدينه يطلب دنيا لا تبقى له

سمعت القاضي أبا حامد يقول: دخل بلال بن أبي بردة مسجد دمشق ولزم سارية، وكان يحسن صلاته وتسبيحه حتى عرف بهديه، فرآه عمر ابن عبد العزيز فهم بأن يجعل إليه من أمور المسلمين شيئاً فقال له خادم: يا أمير المؤمنين، في الأناة خير كثير، وفي العجلة ندم، فأرسلني إليه واسألني عنه أعرض عليك ضميره، فإن كان على ما تحلى به في ظاهره كنت من تقديمه وتوليته على يقين، وإن كان بخلاف ذلك كفيت نفسك الاهتمام به، والمسلمين الفتنة، فقال له عمر: خذ فيما ألهمك الله، فجاء الخادم إلى بلال بن أبي بردة وصلى بجنبه، وسلم عليه وأنسه، وأخذ في شجون الحديث يستنزله، وألقى إليه في عرض الحديث ذكر الولاية، وعرفه ما فيها من العز في الدنيا وعرض الجاه ومعونة المسلمين، فقبل ذلك بلال وهش له، فقال الخادم: فما لي إن شرعت في ذلك؟ قال بلال: عشرة آلاف درهم، فوافقه وانصرف إلى عمر وعرفه الحال وحكى الصورة، فقال عمر: لحاه الله، أتانا بدينه يطلب دنيا لا تبقى له [٢].

فإما عطاء جزيل، أو رد جميل

أقام رجل بباب بلال بن أبي بردة شهراً لا يصل إليه، فكتب إليه رقعة وتلطف حتى ولصلت، فقرأها بلال وتبسم، فقيل له في ذلك فقال: ما أرفق كاتبها، قيل: ما كتب؟ قال: كتب: حسن الآمال وثناء الرجال وقفاني عليك، والصبر مع العدم لون من ألوان الخرق

(١) أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، ١٨١/٢، ٩٨/٥، ٧٠/٧، ١٤٢.
(٢) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، ١٨٤/١، ٢١/٢.

والحرمان، ومنتجع الكرام مراح الأحرار، فإما عطاء جزيل، أو رد جميل؛ فوجه إليه بعشرة آلاف درهم.

بلال بن أبي بردة يبحث عن حتفه بكفه

قال المحسن: وقد روي قديماً مثل هذا: أن بلال بن أبي بردة بن أبي موسى الأشعري كان في حبس الحجاج، وكان يعذبه.

و كان كل من مات في الحبس، رفع خبره إلى الحجاج، فيأمر بإخراجه وتسليمه إلى أهله.

فقال بلال للسجان: خذ مني عشرة آلاف درهم، وأخرج اسمي إلى الحجاج في الموتى، فإذا آمرك بتسليمي إلى أهلي، هربت في الأرض، فلم يعرف الحجاج خبري، وإن شئت أن تهرب معي، فافعل، وعلي غناك أبداً.

فأخذ السجان المال، ورفع اسمه في الموتى، فقال الحجاج: مثل هذا، لا يجوز أن يخرج إلى أهله حتى أراه، هاته. فعاد إلى بلال، فقال: أعهد، قال: وما الخبر؟

قال: إن الحجاج قال: كيت وكيت، فإن لم أحضرك إليه ميتاً، قتلني، وعلم أني أردت الحيلة عليه، ولا بد أن أقتلك خنقاً.

فبكى بلال، وسأله أن لا يفعل، فلم يكن إلى ذلك طريق، فأوصى وصلى، فأخذه السجان، وخنقه، وأخرجه إلى الحجاج ميتاً.

فلما رآه ميتاً، قال: سلمه إلى أهله.

فأخذوه، وقد اشترى القتل لنفسه بعشرة آلاف درهم، ورجعت الحيلة عليه [1].

---

(١) القاضي التنوخي، نشوار المحاضرة، ٣٤٦.

من كلامه – رحمه الله –:

- كان بلال بن أبي بردة يقول: يا معشر الناس، لا يمنعكم سوء ما تعلمون منا أن تقبلوا أحسن ما تسمعون (١).

- وقال بلال بن أبي بردة: رأيت عيش الدنيا في ثلاثة: امرأة تسرك إذا نظرت إليها، وتحفظ غيبك إذا غبت عنها؛ ومملوكٌ لا تهتم بشيءٍ معه وقد كفاك جميع ما ينوبك، فهو يعمل على ما تهوى، كان قد علم ما في نفسك؛ وصديقٌ قد وضع مؤنة الحفظ عنك فيما بينك وبينه، فهو لا يتحفظ في صداقتك ما يرصد به عداوتك، يخبرك بما في نفسه، وتخبره بما في نفسك (٢).

- إن الله جواد لا يبخل وصدوق لا يكذب ووفي لا يغدر وحليم لا يعجل وعدل لا يظلم. وقد أمرنا بالجود ونهانا عن البخل وأمرنا بالصدق ونهانا عن الكذب وأمرنا بالحلم ونهانا عن العجلة وأمرنا بالعدل ونهانا عن الظلم وأمرنا بالوفاء ونهانا عن الغدر.

فلم يأمرنا إلا بما اختار لنفسه ولم يزجرنا إلا عما لم يرضه لنفسه. وقد قالوا بأجمعهم: إن الله أجود الأجودين وأمجد الأمجدين كما قالوا: أرحم الرحمين وأحسن الخالقين. وقالوا في التأديب لسائليهم والتعليم لأجوادهم: لا تجاودوا الله فإن الله - جل ذكره - أجود وأمجد. وذكر نفسه - جل جلاله وتقدست أسماؤه - فقال:{ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ} [البقرة: ١٠٥] ، و:{ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ} [غافر: ٣]، وقال:{ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ} [الرحمن: ٢٧]. وذكروا النبي ﷺ فقالوا: لم يضع درهماً على درهم ولا لبنة على لبنة. وملك جزيرة العرب فقبض الصدقات

(١) ابن قتيبة الدينوري، عيون الأخبار، ص ١٨٦.
(٢) تاريخ دمشق، ١٠ /٥١٣.

وجبيت له الأموال ما بين غدران العراق إلى شحر عمان إلى أقصى مخاليف اليمن. ثم توفي وعليه دين ودرعه مرهونة. ولم يسأل حاجة قط فقال: لا. وكان إذا سئل أعطى وإذا وعد أو أطمع كان وعده كالعيان وإطماعه كالإنجاز [١].

* * *

(١) أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البخلاء، تحقيق: أحمد العوامري بك - علي الجارم بك، دار النشر: دار الكتب العلمية - لبنان / بيروت - ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م، ١/ ١٢٩ - ١٣٠، ٢ /٨٦، ٩٥.

أبي بكر بن العربي

أعــلام القضــاء

القاضي أبي بكر بن العربي

هو محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد المعافري الأشبيلي المالكي.

ولد في سنة ٢٢ شعبان سنة ٤٦٨هـ، ٣١ مارس ١٠٧٦م، بمدينة أشبيلية، في أحضان أسرة كانت لها حظوة لدى المعتمد بن عباد في عصر دول الطوائف.

مكانته العلمية، وثناء العلماء عليه:

- قال الشيخ صديق حسن خان (١): " إمام في الأصول والفروع، سمع ودرس الفقه والأصول، وجلس للوعظ والتفسير، وصنف في غير فن، والتزم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، حتى أوذي في ذلك بذهاب كتبه وماله، فأحسن الصبر على ذلك كله ". أهـ.

وقال الشيخ العلامة أحمد بن محمد الشهير بالمقري من كتابه " نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ": " علم الأعلام، الطاهر الأثواب، الباهر الأبواب، الذي أنسى ذكاء إياس، وترك التقليد للقياس، وأنتج الفرع من الأصل، وغدا في الإسلام أمضى من النصل " أهـ، من التاج المكلل.

فوائد منقولة عنه:

١ - **قوله:** قال علماء الحديث: ما من رجل يطلب الحديث إلا كان على وجهة نضرة؛ لقول النبي ﷺ :**﴿نضر الله امرءًا سمع مقالتي فوعاها فأداها كما سمعها..﴾** (٢).

---

(١) " التاج المكلل ": ٢٨٠/٣٠٨.

(٢) أخرجه الترمذي رقم ٢٦٥٩، وابن ماجه ٨٤/١ من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وإسناده صحيح، وقال الترمذي: حسن صحيح، وفي الباب عن زيد بن ثابت،

قال: وهذا دعاء منه ﷺ لحملة علمه، ولابد بفضل الله تعالى من نيل بركته ".

٢ – ومنها أيضًا:

قوله: " تذاكرت بالمسجد الأقصى مع شيخنا أبي بكر الفهري حديث أبي ثعلبة المرفوع: " إن من ورائكم أيامًا للعامل فيها أجر خمسين منكم، فقالوا: منهم؟ فقال: بل منكم، لأنكم تجدون على الخير أعوانًا، وهم لا يجدون عليه أعوانًا " [(١)]، وتفاوضنا كيف يكون أجر من يأتي من الأمة أضعاف أجر الصحابة مع أنهم قد أسسوا الإسلام وعضدوا الدين، وأقموا المنار، واقتحموا الأمصار، وحموا البيضة، ومهدوا الملة.

وقد قال ﷺ في الحديث الصحيح في البخاري:﴿**لو أنفق أحدكم كل يوم مثل أحد ذهبًا ما بلغ أحدهم ولا نصيفه**﴾ [(٢)] فتراجعنا القول وتحصل ما أوضحناه في شرح الصحيح، وخلاصته أن الصحابة كانت لهم أعمال كثيرة لا يلحقهم فيها أحد، ولا يدانيهم فيها بشر، وأعمال سواها من فروع الدين يساويهم فيها في الأجر من أخلص إخلاصهم، وخلصها من شوائب البدع والرياء بعدهم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر باب عظيم هو ابتداء الدين، والإسلام، وهو أيضًا انتهاؤه؛

عند الترمذي وابن ماجة، وصححه ابن حبان، وعن جبير بن مطعم عند أحمد وابن ماجة. قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٦٧٦٣ في صحيح الجامع.

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/١٥، ومسلم (٢٦٧٢)، والترمذي (٢٢٠٠)، وابن ماجه (٤٠٥١)، وأبو عوانة - كما في " إتحاف المهرة " ٣٠/١٠ - من طريق أبي معاوية، بهذا الإسناد. قال الألباني: (صحيح) انظر حديث رقم: ٢٢٣٣ في صحيح الجامع.

(٢) أخرجه لطيالسى، وأحمد، وابن أبى شيبة، وعبد بن حميد، والبخارى، ومسلم، وأبو داود، والترمذى، وابن حبان عن أبى سعيد. مسلم، وابن ماجه عن أبى هريرة قال الألباني: صحيح الترمذي (٤١٣٤).

وقد كان قليلًا في ابتداء الإسلام صعب المرام؛ لغلبة الكفار على الحق؟ وفي آخر الزمان أيضًا يعود كذلك؛ لوعد الصادق ﷺ بفساد الزمان وظهور الفتن وغلبة الباطل واستيلاء التبديل والتغيير على الحق من الخلق وركوب من يأتي من سنن من مضى من أهل الكتاب، كما قال ﷺ : " لتركبن سنن من قبلكم شبرًا بشبر وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب خرب لدخلتموه ".

وقال ﷺ : " بدأ الإسلام غريبًا وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء ". رواه مسلم.

فلابد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الإسلام إلى واحد كما بدأ من واحد، ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف، وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء إليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنًا منه، معانًا عليه بكثرة الدعاة إلى الله تعالى، وذلك قوله: " لأنكم تجدون على الخير أعوانًا، وهم لا يجدون عليه أعوانًا " حتى ينقطع ذلك انقطاعًا تامًّا؛ لضعف الدين، وقلة اليقين.

كما قال ﷺ : " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله: الله " رواه مسلم، ويروى برفع الهاء ونصبها؛ فالرفع على معنى: لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل؛ والنصب على معنى: لا يبقى آمر بمعروف، وناهٍ عن منكر.

٣ – ومن فوائده أيضًا:

أنه قال: كنت بمجلس الوزير العادل أبي منصور بن جهير؛ فقرأ القارئ:{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ} [الأحزاب: ٤٤]، وكنت بظهر أبي الوفاء بن عقيل إمام الحنبلية بمدينة السلام، وكان معتزلي الأصول، فلما

سمعت الآية، قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري: هذه الآية دليل على رؤية الله تعالى في الآخرة، فإن العرب لا تقول: لقيت فلانًا إلا إذا رأته، فصرف أبو الوفاء وجهه مصرعًا إلينا؟ وقال: ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله لا يرى في الآخرة، فقد قال تعالى: { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ } [التوبة: ٧٧]، وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة، وقد شرحنا وجه الآية في المشكلين وتقدير الآية: فأعقبهم هو نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه؛ فيحتمل ضمير{يَلْقَوْنَهُ } أن يعود إلى ضمير الفاعل في{ فَأَعْقَبَهُمْ} المقدر بقولنا " هو "، ويحتمل أن يعود إلى النفاق مجازًا على تقدير الجزاء ". اهـ.

فلابد والله تعالى أعلم بحكم هذا الوعد الصادق أن يرجع الإسلام إلى واحد كما بدأ من واحد، ويضعف الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر حتى إذا قام به قائم مع احتواشه بالمخاوف، وباع نفسه من الله تعالى في الدعاء إليه كان له من الأجر أضعاف ما كان لمن كان متمكنًا منه، معانًا عليه بكثرة الدعاة إلى الله تعالى، وذلك قوله: " لأنكم تجدون على الخير أعوانًا، وهم لا يجدون عليه أعوانًا " حتى ينقطع ذلك انقطاعًا تامًّا؛ لضعف الدين، وقلة اليقين.

كما قال ﷺ : " لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض الله: الله " رواه مسلم، ويروى برفع الهاء ونصبها؛ فالرفع على معنى: لا يبقى موحد يذكر الله عز وجل؛ والنصب على معنى: لا يبقى آمر بمعروف، وناهٍ عن منكر.

٤ – ومن فوائده أيضًا:

أنه قال: كنت بمجلس الوزير العادل أبي منصور بن جهير؛ فقرأ

القارئ:{تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ} [الأحزاب: ٤٤]، وكنت بظهر أبي الوفاء بن عقيل إمام الحنبلية بمدينة السلام، وكان معتزلي الأصول، فلما سمعت الآية، قلت لصاحب لي كان يجلس على يساري: هذه الآية دليل على رؤية الله تعالى في الآخرة، فإن العرب لا تقول: لقيت فلانًا إلا إذا رأته، فصرف أبو الوفاء وجهه مصرعًا إلينا؟ وقال: ينتصر لمذهب الاعتزال في أن الله لا يرى في الآخرة، فقد قال تعالى: { فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِى قُلُوبِهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ يَلْقَوْنَهُۥ } [التوبة: ٧٧]، وعندك أن المنافقين لا يرون الله تعالى في الآخرة، وقد شرحنا وجه الآية في المشكلين وتقدير الآية: فأعقبهم هو نفاقًا في قلوبهم إلى يوم يلقونه؛ فيحتمل ضمير{يَلْقَوْنَهُۥ } أن يعود إلى ضمير الفاعل في{ فَأَعْقَبَهُمْ} المقدر بقولنا " هو "، ويحتمل أن يعود إلى النفاق مجازًا على تقدير الجزاء ". اهـ.

مؤلفاته:

للإمام القاضي أبي بكر بن العربي مؤلفات كثيرة لم يصلنا أغلبها، وقد قضى أربعين سنة في الإملاء والتدريس، وفي بث ما حصله من العلوم، ونستطيع أن نصنف أسماء مصنفاته حسب موضوعاتها.

أما التصنيف حسب تاريخ تأليفها فمن الصعب القيام به؛ لأنه يحيل إلى كتبه في أماكن كثيرة من مصنفاته، مما يدل على أنه يملي في وقت واحد عدة كتب، وأنه لا يقتصر على كتاب واحد حتى يفرغ منه، ثم يبدأ في غيره[١].

---

(١) د. عمار طالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ١/٥.

أ – علوم القرآن:

١ – أحكام القرآن

لا شك في نسبة هذا الكتاب إلى أبي بكر بن العربي؛ لأنه قد ذكره في كتابه: " شرح صحيح الترمذي " المسمى بـ " عارضة الأحوذي " [(١)]. وذكره في " سراج المريدين " [(٢)].

ونسبه إليه تلميذه أبو بكر بن خير الأشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه، ونسبه إليه ابن فرحون في " الديباج ".

٢ – أنوار الفجر

هو أعظم كتاب له، كان كثيرًا ما يفتخر به، ويشيد بأهميته في مختلف كتبه، ذكر أنه ألفه في مدة عشرين عامًا، وأن به ثمانين ألف ورقة، ولم يصل إلينا شيء منه فيما نعلم.

٣ – قانون التأويل

ذكر أبو بكر بن العربي أنه ألفه في سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة، وصرح بذلك في مقدمة كتابه " عارضة الأحوذي وذكره المقرئ في " نفح الطيب.

٤ – الناسخ والمنسوخ

ذكره في كتابه " سراج المريدين " وتحدث عنه في عدة مواضع من " أحكام القرآن "، وذكره ابن خير والمقري، وابن فرحون في " الديباج ".

(١) ١/ ٢٠٤، ١٢٤، ١١٦، ٥٩، ٥١.
(٢) ص ٢٣٧.

٥ - المقتبس في القراءات

نسبه إليه حاجي خليفة في " كشف الظنون " [1].

ب - الحديث:

١ - عارضة الأحوذي في شرح الترمذي

ذكره بهذا العنوان ابن خلكان في " وفيات الأعيان وسماه في كتابه " سراج المريدين "، بشرح الترمذي.

وذكره المقري في " نفح الطيب ". وطبع الكتاب في ثلاثة عشر مجلدًا.

٢ - شرح الحديث

ذكر المؤلف هذا الكتاب في أحكام القرآن في ثلاثة مواضع، ويحتمل أن يكون هو نفس كتاب شرح صحيح الترمذي.

٣ - كتاب النيرين في الصحيحين

وسماه أحيانا شرح الصحيحن كما فعل في كتابه " أحكام القرآن "، وذكره في كتابه " العواصم من القواصم ".

واقتصر أحيانًا على تسميته " بالنيرين " كما فعل في كتابه " عارضة الأحوذي ".

٤ - الأحاديث المسلسلات

نسبه إليه أبو بكر بن خير الأشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه.

٥ - الأحاديث السباعيات

نسبه إليه أبو بكر بن خير الأشبيلي، ودرسه عليه.

(١) آراء أبي بكر بن العربي الكلامية، ١/ ٦٧.

٦ - **شرح حديث أم زرع**: نسبه إليه المقري " نفح الطيب ".

٧ - **شرح حديث الإفك**: نسبه إليه المقري " نفح الطيب ".

٨ - **شرح حديث جابر في الشفاعة**: نسبه إليه المقري " نفح الطيب ".

٩ - **الكلام على مشكل حديث السبحات والحجاب**: ذكره المقري " نفح الطيب ".

١٠ - **كتاب مصافحة البخاري ومسلم**: أخذه عنه أبو بكر الأشبيلي.

ج - مشكل القرآن والحديث:

يدخل تحت هذا القسم كتاب واحد وهو كتاب " المشكلين "، ذكره في " أحكام القرآن "، ونص عليه في " عارضة الأحوذي.

د - أصول الدين أو علم الكلام:

١ - **العواصم من القواصم**

وهو كتابنا هذا.

وقد أشار المؤلف نفسه إلى كتابه في عدة كتب من تأليفه كسراج المريدين، وعارضة الأحوذي ونسبه إليه المقري في " نفح الطيب.وابن فرحون في " الديباج ". والشاطبي في " الاعتصام، والذهبي في " تذكرة الحفاظ ".

١ - **الدواهي والنواهي**

ذكره في كتبه كأحكام القرآن والعواصم من القواصم. ونسبه إليه المقري " نفح الطيب " وذكره حاجي خليفة " كشف الظنون.

٢ - **رسالة الغرة**

ذكرها المؤلف في العواصم من القواصم وبين أنه كتبها ردًّا على

رسالة لابن حزم تسمى " برسالة الدرة في الاعتقاد ".

٣ - الأمد الأقصى بأسماء الله الحسنى وصفاته العليا: نوه بكتابه هذا في عدة مواضع من مصنفاته كشرح الترمذي وأحكام القرآن.ونسبه المقري في " نفح الطيب ".

قال الدكتور عمار طالبي، حفظه الله: " وقد عثرنا على الكتاب مخطوطًا في خزانة الوثائق بالرباط سنة ١٩٦٧، ووقفنا عليه، وهو يقع تحت رقم ق٤ ".

٤ - كتاب المتوسط في معرفة صحة الاعتقاد، والردُّ على من خالف السنة، وذوي البدع والإلحاد: ذكره في كتابه " عارضة الأحوذي ".ذكره أبو بكر بن خير الأشبيلي في فهرست ما رواه عن شيوخه، ونسبه إليه المقري في " نفح الطيب ".

٥ - كتاب المقسط في شرح المتوسط

ذكره في كتابه " أحكام القرآن "، ونص عليه في غير ما كتاب من مؤلفاته.

ونسبه إليه أبو بكر بن خير في فهرست ما رواه عن شيوخه.

٦ - نزهة الناظر وتحفة الخواطر: وسماه أحيانا " نزهة المناظر وتحف الخواطر "، ذكره في " العواصم من القواصم من طبعه د. عمار طالبي ولم يذكره المقري ولا ابن خير.

هـ - كتب الزهد:

١ - سراج المريدين في سبيل المهتدين، كاستنارة الأسماء والصفات في المقامات والحالات الدينية والدنيوية، بالأدلة العقلية والشرعية القرآنية والسنية:

هو الكتاب الذي سماه " القسم الرابع من علوم القرآن في التذكير "، ذكره مؤلفه في كتابه: " شرح صحيح الترمذي عارضة الأحوذي، وحاجي خليفة " كشف الظنون " نقلا عن تذكرة القرطبي.

ونسبه إليه ابن فرحون " الديباج المذهب.

ويوجد هذا الكتب كاملًا مصورًا في دار الكتب المصرية تحت رقم " ٢٠٣٤٨ب "، وهو مأخوذ عن نسخة الشيخ أحمد بن الصديق الغماري المغربي.

وتوجد نسخة أخرى منه في مكتبة الكتاني بخط أندلسي واضح.

٢ - سراج المهتدين:

نسبه إليه ابن فرحون " الديباج والمقري في " نفح الطيب

٣ - مراقي الزلفي

٤ - كتاب العقد الأكبر للقلب الأصغر

٥ - تفصيل التفصيل بين التحميد والتهليل

و - أصول الفقه:

١ - كتاب المحصول في أصول الفقه

٢ - كتاب التمحيص

ز - كتب الفقه " الفروع " :

١ - المسالك في شرح موطأ الإمام مالك

بني هذا الكتاب على أساس المسائل الفقهية فهو كتاب حديث وفقه في آن واحد، ولكن اخترنا أن نعتبره من كتب الفقه؛ لاهتمام أبي بكر بن العربي في شرحه بمسائل الفقه، ولمعارضته فيه للظاهرية، ونقده لها

أعنف النقد فيما يتعلق بالرأي عند الإمام مالك.

٢ - القبس على موطأ مالك بن أنس [١].

ويوجد للكتاب سبعة نسخ متفرقة في مكتبات الجزائر والمغرب وتركيا.

٣ - شرح غريب الرسالة

وهو شرح للألفاظ اللغوية والفقهية الغربية من رسالة ابن أبي زيد القيرواني المالكي ٣٨٩ هـ.

٤ - تبيين الصحيح في تعيين الذبيح

٥ - كتاب ستر العورة

٦ - كتاب التقصي

ويبدو أنه في الفقه لإشارة المؤلف إليه في أحكام القرآن بصدد مسألة في الوضوء.

٧ - تخليص التخليص

٨ - خليص الطريقتين

ذكره في كتابه " أحكام القرآن "، ويبدو أنه كتاب في الفقه؛ لأنه لأحال إليه في مسألة فقهية تتعلق بالتسمية في الذبح.

ح - الجدل والخلافات:

١ - لكافي في أن لا دليل على النافي

٢ - الإنصاف في مسائل الخلاف

يقع هذا الكتاب في عشرين مجلدًا، أشار إليه مؤلفه في بعض مصنفاته، وسماه " كتاب المسائل ".

(١) د. عمار طالبي، آراء أبي بكر بن العربي الكلامية: ١/ ٧٨.

ط – اللغة والنحو:

١ - رسالة له في النحو واللغة أطلق عليها " ملجئة المتفقيهن إلى معرفة غوامض النحويين، واللغويين ".

٢ – رده على ابن السيد البطليوسي

رد أبو بكر بن العربي علي أبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي " ٥٢١ هـ " في شرحه على ديوان أبي العلاء المعري المسمى بلزوم ما لا يلزم، ورد ابن السيد على رد أبي بكر بن العربي بكتاب سـماه

" الانتصار عمن عدل عن الاستبصار ".

وقد نسب هذا الرد إلى أبي بكر بن العربي تلميذه أبو بكر بن خير الأشبيلي، فهرست ما رواه عن شيوخه.

ى – تاريخ:

١ – ترتيب الرحلة للترغيب في الملة

٢ – أعيان الأعيان

٣ – فهرست شيوخه

ألف أبو بكر بن العربي كتابًا ترجم فيه لشيوخه، سماه تلميذه أبو بكر بن خير الأشبيلي " بكتاب فيه جملة من شيوخ الحافظ أبي بكر بن العربي "، وذكر أنهم واحد وأربعون رجلًا، خرَّج عن كل واحد منهم حديثًا، وأنه قرأه عليه " فهرست ما رواه عن شيوخه ".

وأخيرًا فإن أبا بكر ذكر أن له كتابًا يسمى " بالأمالي " ذكر لك في كتاب " سراج المريدين ".

وذكر أبو بكر بن العربي أن له كتابًا سماه " بالعوض المحمود "،

غير أن هذا الكتاب محير لا نعرف أين نضعه غير أنه أشار إلى أنه تحدث فيه عن مسألة الرؤيا، وبين اسم جزء من أجزاء هذا الكتاب وسماه " محاسن الإنسان.

وفاته:

أتاه أجله " بمغيلة " قرب مدينة " فاس " في ربيع الأول سنة ٥٤٣ هـ، ودفن في " فاس " خارج باب المحروق، على مسيرة يوم من " فاس " غربًا منها.

وصلى عليه صاحبه أبو الحكم بن حجاج، ودفن يوم الأحد ٧ ربيع الأول سنة ٤٥٣ هـ.

وبموته انطفأت شعلة من الذكاء متقدة، وأفل نجم طلعة متوثبة، وسكنت روح ذات طموح غالب، وخمد ذهن نافذ كان ينير للناس ظلمات حالكة، ويذهب بإشكالات معضلة.

وفاضت نفس تواقة إلى تحقيق العدل، وإشاعة مبادئ الأخلاق والدين في الواقع الاجتماعي، وإلى بث الروح العلمية النافذة الفاحصة، وإلى تكوين جيل جديد على أسس تربوية جديدة.

أقبل صاحب هذه الروح من المشرق ليغرسها في المغرب، وكفاه أنه ما فارق الوجود حتى بذل جهده، وحقق بعض الذي كان يتوق إليه.

رحمه الله رحمة واسعة (١).

* * *

(١) د. عمار طالبي: آراء أبو بكر بن العربي الكلامية: ١/٨٨، مقدمة كتاب العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الإشبيلي المالكي، للمحقق: محب الدين الخطيب - ومحمود مهدي الاستانبولي، من نشر دار الجيل بيروت - لبنان، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

القاضي عياض

أعـــلام القضـــاء

القاضي عياض

هو عياض بن موسى بن عياض بن عمرون، أبو الفضل اليحصبيّ السبتي الغرناطي الأندلسي القاضي الإمام العلاّمة.

ولد بمدينة سبتة في شهر شعبان سنة ستّ وتسعين وأربعمائة ٤٩٦هـ؛ لذا فهو أندلسي الأصل، قال ابنه محمد: " كان أجدادنا في القديم بالأندلس ثم انتقلوا إلى مدينة فاس، وكان لهم استقرار بالقيروان، لا أدري قبل حلولهم بالأندلس أو بعد ذلك، وانتقل عمرون إلى سبتة بعد سكنى فاس.

في سبيل العلم رحل عياض إلى الأندلس سنة تسع وخمسمائة ٥٠٩هـ طالبا للعلم، فأخذ بقرطبة عن مجموعة غير قليلة من العلماء، وأجاز له بعضهم، ثم انتقل إلى المشرق فأخذ عن مجموعة أخرى من العلماء؛ فهو بذلك جمع إلى جانب علم المغاربة علوم المشارقة حيث نهل من المنبع والمصبّ معا.

وتذكر المصادر القديمة عشرات الشيوخ والأساتذة الذين تلمذ لهم الرجل؛ ففي قرطبة أخذ عن القاضي أبي عبد الله محمد بن علي بن حمدين، كما أخذ عن أبي الحسين بن سراج وأبي محمد بن عناب وغيرهم، وأجاز له أبو علي الغساني.

وفي المشرق: أخذ عن القاضي أبي علي حسين بن محمد الصدفي، وأخذ أيضا عن أبي عبد الله المازني، وأجاز له الشيخ أبو بكر الطرطوشي، وذكر ولده محمد مجموعة أخرى من الشيوخ منهم: أحمد ابن بقي، وأحمد بن محمد بن محمد بن مكحول، وأبو الطاهر أحمد ابن محمد السلفي، والحسن بن محمد بن سكره وغيرهم، وقال صاحب الصلة البشكوالية - بعد

أن ذكر بعض شيوخه -: وقد اجتمع له من الشيوخ بين من سمع منه وبين من أجاز له مائة شيخ.

وكانت الحصيلة العلميّة التي استقاها من هؤلاء العلماء كبيرة جدّا؛ يقولون: إنه صار إمام وقته في الحديث وعلومه، والتفسير وعلومه، كما صار من أهل التفنن في العلم، واليقظة والفهم، حتى إنه بعد عودته من رحلاته العلمية أجلسه أهل سبتة للمناظرة في المدوّنة وهو ابن ثلاثين سنة أو ينيف عنها، ثم أُجلس للشورى، ثم ولي قضاء بلده مدة طويلة، حمدت سيرته فيها، ثم نقل إلى قضاء غرناطة في سنة إحدى وثلاثين وخمسمائة ٥٣١هـ.

ولقد أشارت المصادر القديمة بمكانته العلميّة؛ فقالت إنه كان فقيها أصوليا، عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيرا بالأحكام، عاقدا للشروط، بصيرا حافظا لمذهب مالك، ريّانا في علم الأدب، خطيبا بليغا.

كما تحدثت عن كريم أخلاقه، فقالت إنه كان صبورا حليما، جميل العشرة، جوادا سمحا كثير الصدقة، دؤوبا على العمل، صلبا في الحقّ.

ونظراً لمكانته الدينية والعلمية قرّبه الموّحدون، حكّام المغرب في عصره، حيث رحل إلى أميرهم بمدينة سلا؛ فأجزل له العطاء وأوجب برّه، وظلّ عياض في رحابهم إلى أن اضطربت أمور الموحّدين عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة ٥٤٣هـ، حيث رحل إلى مراكش مشرّدا، بعيدا عن وطنه، فكانت بها وفاته في شهر جمادى الثانية، وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة ٥٤٤هـ، ودفن في باب

أيلان. رحمه الله.

وصنّف القاضي عياض مجموعة ضخمة من المصنفات أهمها:

١ - الإعلام بحدود قواعد الإسلام.

٢ - الإلماع في ضبط الرواية وتقييد السماع.

٣ - ترتيب المدارك وتقريب المسالك، لمعرفة أعلام مذهب مالك.

٤ - الشفا بتعريف حقوق المصطفى.

٥ - مشارق الأنوار في تفسير غريب حديث الموطأ والبخاري ومسلم.

٦ - المعلم في شرح مسلم.

وللأسف الشديد ضاع معظم مؤلفاته التي تقدر بعشرين مؤلفا، ولم يبق منها إلا النّزر اليسير، وأهمّ الكتب التي أفلتت من يد الزمن (كتاب الشفا) الذي يبرز عقليّة الرجل ومنهجه في الفهم وطريقته في التأليف[(١)].

وكان لما ظهر أمر الموحدين بادر إلى المسابقة بالدخول في طاعتهم ورحل إلى لقاء أميرهم بمدينة سلا، فأجزل صلته، وأوجب بره، إلى أن اضطربت أمور الموحدين عام ثلاثة وأربعين وخمسمائة فتلاشت حاله، ولحق بمراكش مشردا به عن وطنه فكانت بها وفاته.

كان مولد القاضي عياض بسبتة في شهر شعبان سنة ست وتسعين وأربعمائة، وتوفي بمراكش في شهر جمادى الأخيرة وقيل في شهر رمضان سنة أربع وأربعين وخمسمائة، وقيل إنه مات مسموما سمه يهودي.

---

(١) د. أحمد جمال العمري، القاضي عياض ومفهومه للإعجاز القرآني، مجلة الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ١٤ /١٦٥.

ودفن رحمه الله تعالى بباب إيلان داخل المدينة.

وقيل أنه ه قتل بالرماح لكونه أنكر عصمة ابن تومرت.

وكان القاضي - رحمه الله - أبو الفضل إمام وقته في الحديث وعلومه، عالما بالتفسير وجميع علومه، فقيها أصوليا عالما بالنحو واللغة وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم، بصيرا بالأحكام، عاقدا للشروط، بصيرا حافظ لمذهب مالك رحمه الله تعالى، شاعرا مجيدا ويا نا من علم الأدب، خطيبا بليغا صبورا حليما جميل العشرة، جوادا سمحا كثير الصدقة، دؤوبا على العمل، صلبا في الحق.

وكان لا يخطب إلا بإنشائه، وله شعر كثير حسن رائق فمنه قوله:

يا من تحمل عني غير مكترث ::: لكنه للضنى والسقم أوصى بي
تركتني مسهام القلب ذا حرق ::: أخا جوى وتباريح وأوصاب
أراقب النجم في جنح الدجى سمرا ::: كأنني راصد للنجم أو صابي

وله رحمه الله تعالى:

الله يعلم أني منذ لم أركم ::: كطائر خانه ريش الجناحين
ولو قدرت ركبت الريح نحوكم ::: فإن بعدكم عني جنى حيني

وله من أبيات:

إن البخيل بلحظه أو لفظه ::: أو عطفه أو رفقه لبخيل

وله في خامات الزرع بينها شقائق النعمان:

انظر إلى الزرع وخاماته ::: تحكي وقد ماست أمام الرياح
كتيبة خضراء مهزومة ::: شقائق النعمان فيها جراح

وله في لزوم ما لا يلزم:

إذا ما نشرت بساط انبساطٍ ::: فعنه فديتك فاطو المزاحا
فإن المزاح على ما حكاه ::: أولو العلم قبلي عن العلم زاحا

ومدحه أبو الحسن ابن هارون المالقي الفقيه المشاور بقوله:

ظلموا عياضاً وهو يحلم عنهم ::: والظلم بين العالمين قديم

جعلوا مكان الراء عيناً في اسمه ::: كي يكتموه فإنه معلوم

لولاه ما ناحت أباطح سبتةٍ ::: والروض حول فنائها معدوم

خطبة القاضي عياض التي ضمنها سور القرآن

وخطب القاضي أبو الفضل عياض خطبة ضمنها سور القرآن فقال:

الحمد لله الذي فتتح بالحمد كلامه وبين في سورة البقرة أحكامه ومد في آل عمران والنساء مائدة الأنعام ليتم إنعامه وجعل في الأعراف أنفال توبة يونس وألر كتاب أحكمت آياته بمجاورة يوسف الصديق في دار الكرامة وسبح الرعد بحمده وجعل النار بردا وسلاما على إبراهيم ليؤمن أهل الحجر أنه إذا أتى أمر الله سبحانه فلا كهف ولا ملجأ إلا إليه ولا يظلمون قلامة وجعل في حروف كهيعص سرا مكنونا قدم بسببه طه على سائر الأنبياء ليظهر إجلاله وإعظامه وأوضح الأمر حتى حج المؤمنون بنور الفرقان والشعراء صاروا كالنمل ذلا وصغارا لعظمته وظهرت قصص العنكبوت فآمن به الروم وأيقنوا أنه كلام الحي القيوم نزل به الروح الأمين على زين من وافى يوم القيامة وأوضح لقمان الحكمة بالأمر بالسجود لرب الأحزاب فسبأ فاطر السماوات أهل الطاغوت وأكسبهم ذلا وخزيا وحسرة وندامة وأمد يس بتأييد الصافات فصاد الزمر يوم بدره وأوقع بهم ما أوقع صناديدهم في القليب مكدوس ومكبوب حين شالت بهم النعامة وغفر غافر الذنب وقابل التوب للبدريين : ما تقدم وما تأخر حين فصلت كلمات الله فذل من حقت عليه كلمة العذاب وأيس من السلامة ذلك بأن أمرهم شورى بينهم وشغلهم زخرف الآخرة عن دخان الدنيا فجثوا أمام الأحقاف بقتال أعداء محمد يمينه وشماله وخلفه وأمامه

فأعطوا الفتح وبوئوا حجرات الجنان وحين تلوا ق والقرآن المجيد وتدبروا جواب قسم الذاريات والطور لاح لهم نجم الحقيقة وانشق لهم قمر اليقين فنافروا السآمة ذلك بأنهم أمنهم الرحمن إذا وقعت الواقعة.

واعترف بالضعف لهم الحديد وهُزم المجادلون وأخرجوا من ديارهم لأول الحشر يخربون بيوتهم بأيديهم وأيدى المؤمنين حين نافروا السلامة أحمده حمد من امتحنته صفوف الجموع في نفق التغابن فطلق الحرمات حين اعتبر الملك وعامه وقد سمع صريف القلم وكأنه بالحاقة والمعارج يمينه وشماله وخلفه وأمامه وقد ناح نوح الجن فتزمل وتدثر فرقا من يوم القيامة وأنس بمرسلات النبأ فنزع العبوس من تحت كور العمامة وظهر له بالانفطار التطفيف فانشقت بروج الطارق بتسبيح الملك الأعلى وغشيته الشهامة فورب الفجر والبلد والشمس والليل والضحى لقد انشرحت صدور المتقين حين تلوا سورة التين وعلق الإيمان بقلوبهم فكل على قدر مقامه يبين ولم يكونوا بمنفكين دهرهم ليله ونهاره وصيامه وقيامه إذا ذكروا الزلزلة ركبوا العاديات ليطفئوا نور القارعة ولم يلههم التكاثر حين تلوا سورة العصر والهمزة وتمثلوا بأصحاب الفيل:{فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾} [قريش: ٣ - ٤]، أرأيتهم كيف جعلوا على رؤوسهم من الكور عمامة فالكوثر مكتوب لهم والكافرون خذلوا وهم نصروا وعدل بهم عن لهب الطامة وبسورة الإخلاص قروا وسعدوا وبرب الفلق والناس استعاذوا فأعيذوا من كل حزن وهم وغم وندامة وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله شهادة تنال بها منازل الكرامة صلى الله تعالى عليه وعلى آله وأصحابه ما غردت في الأيك حمامة (١).

* * *

(١) قلائد العقيان: ٢٢٢، الصلة ٢ / ٤٥٣، ٤٥٤، الخريدة في ١٢ / ١٧٣ - ١٧٥، بغية الملتمس رقم (١٢٦٩)، إنباه الرواة ٢ / ٣٦٣، ٣٦٤، التكملة لابن الابار: ٦٩٤، معجم ابن الابار: ٣٠٦ - ٣١٠، تهذيب الأسماء واللغات ٢ / ٤٣، ٤٤، وفيات الأعيان ٣ / ٤٨٣ - ٤٨٥، المختصر ٣ / ٢٢، تاريخ الإسلام: وفيات ٥٤٤، دول الإسلام ٢ / ٦١، العبر ٤ / ١٢٢، ١٢٣، تذكرة الحفاظ ٤ / ١٣٠٤ - ١٣٠٧، معجم الوادي آشي: ٢١١ - ٢١٤، تتمة المختصر ٢ / ٧٨، البداية والنهاية ١٢ / ٢٢٥، الاحاطة في أخبار غرناطة ٤ / ٢٢٢ - ٢٣٠، المرقبة العليا للنباهي: ١٠١، الديباج المذهب ٢ / ٤٦ - ٥١، طبقات ابن قنفذ: ٢٨٠، النجوم الزاهرة ٥ / ٢٨٥، طبقات الحفاظ للسيوطي: ٤٨٠، مفتاح السعادة ٢ / ١٤٩، جذوة الاقتباس: ٢٧٧، أزهار الرياض في أخبار القاضي عياض للمقري، نفح الطيب ٧ / ٣٣٣ - ٣٣٥، كشف الظنون ١٢٧، ١٥٨، ٢٤٨، ٣٩٥، ٥٧٧، ١٠٥٢، ١١٨٦، ١٢١١، ١٧٧٩، ١٩٦١، شذرات الذهب ٤ / ١٣٨، ١٣٩، تاج العروس ١ / ٢١٦ (حصب)، أجلى المساند: ٣١، روضات الجنات ٥٠٦، ٥٠٧، هدية العارفين ١ / ٨٠٥، إيضاح المكنون ٢ / ٢٤٣، ٢٤٤، سلوة الانفاس ١ / ٥١، فهرس الفهارس ٢ / ١٨٣ - ١٨٩، معجم المطبوعات: ١٣٩٧، شجرة النور الزكية ١ / ١٤٠، ١٤١، الفهرس التمهيدي: ٣٨٦، تاريخ الفكر الأندلسي: ٢٨٣، تاريخ بروكلمان ٦ / ٢٦٦ - ٢٧٥، سير أعلام النبلاء، ٢٠ /٢١٧، جمهرة خطب العرب، ٣ /٢٢٠.

مُحَمَّد بْن عَبْد الرحمن بْن
أبي ليلى

أعــلام القضـــاء

مُحَمَّد بْن عَبْد الرحمن بْن أبي ليلى

محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى يسار - ويقال داود بن بلال بن أحيحة بن الجلاح الانصاري الكوفي - وكان من أصحاب الرأي، وتولى القضاء بالكوفة وأقام حاكما ثلاثا وثلاثين سنة، ولي لبني أمية ثم لبني العباس وكان فقيها مفننا، وقال: لا أعقل من شأن أبي شيئا غير أني أعرف أنه كانت له امرأتان، وكان له حبان أخضران، فينبذ عند هذه يوما وعند هذه يوما. وتفقه محمد بالشعبي، وأخذ عنه سفيان الثوري، وقال الثوري: فقهاؤنا ابن أبي ليلى وابن شبرمة. وقال محمد:

دخلت على عطاء فجعل يسألني، فأنكر بعض من عنده وكلمه في ذلك فقال: هو أعلم مني [١].

وكانت بينه وبين أبي حنيفة ☺ وحشة يسيرة، وكان يجلس للحكم في مسجد الكوفة، فيحكى انه انصرف يوما من مجلسه، فسمع امرأة تقول لرجل: يا ابن الزانيين، فأمر بها فأخذت ورجع إلى مجلسه، وأمر بها فضربت حدين وهي قائمة. فبلغ ذلك أبا حنيفة فقال: أخطأ القاضي في هذه الواقعة في ستة أشياء: في رجوعه إلى مجلسه بعد قيامه منه، ولا ينبغي له أن يرجع بعد أن قام منه، وفي ضربه الحد في المسجد، وقد نهى رسول الله ﷺعن إقامة الحدود في المساجد، وفي ضربه المرأة قائمة، وإنما تضرب النساء قاعدات كاسيات، وفي ضربه إياها حدين، وإنما يجب على القاذف إذا قذف جماعة بكلمة واحدة حد واحد، ولو

---

(١) ترجمته في طبقات ابن سعد ٦: ٣٥٨ والمعارف: ٤٩٤ وطبقات الشيرازي: ٨٤ والفهرست: ٢٠٢ والوافي ٣: ٢٢١ وتذكرة الحفاظ: ١٧١ وميزان الاعتدال ٣: ٦١٣ وغاية النهاية ٢: ١٦٥ وتهذيب التهذيب ٩: ١٠٣ والشذرات ١: ٢٢٤، وفيات الأعيان، ٤ /١٧٩.

وجب أيضا حدان لا يوالي بينهما، بل يضرب أولا ثم يترك حتى يبرأ من ألم الأمل، وفي إقامة الحد عليها بغير طالب. فبلغ ذلك محمد بن أبي ليلى، فسير إلى والي الكوفة وقال: ها هنا شاب يقال له أبو حنيفة يعارضني في أحكامي ويفتي بخلاف حكمي ويشنع علي بالخطأ، فأريد أن تزجره عن ذلك، فبعث إليه الوالي ومنعه عن الفتيا، فيقال إنه كان يوما في بيته وعنده زوجته وابنه حماد وابنته، فقالت له ابنته: إني صائمة وقد خرج من بين أسناني دم وبصقته حتى عاد الريق أبيض لا يظهر عليه أثر الدم، فهل أفطر إذا بلعت الآن الريق فقال لها: سلي أخاك حمادا فإن الأمير منعني من الفتيا. وهذه الحكاية معدودة في مناقب أبي حنيفة وحسن تمسكه بامتثال إشارة رب الأمر، فإن إجابته طاعة، حتى إنه أطاعه في السر، ولم يرد على ابنته جوابا، وهذا غاية ما يكون من امتثال الأمر.

وكانت ولادة محمد بن أبي ليلي في سنة أربع وسبعين للهجرة، وتوفي سنة ثمان وأربعين ومائة بالكوفة، وهو باق على القضاء، فجعل أبو جعفر المنصور ابن أخيه مكانه، رضي الله عنه.

وقد أثني عليه معاصروه من الفقهاء والعلماء فعَن أبي ليلى قال: دخلت على عطاء فجعل يسألني، فأنكر بعض من كان عنده! فقال: ما تنكرون! هو أعلم مني.

عَن سليمان بْن سافري قال: سألت منصور بْن المعتمر: من أفقه أهل الكوفة؟ قال: قاضينا هَذَا، يعني ابن أبي ليلى.

قَالَ ابن داود،: سمعت سُفْيَان يقول: فقهاؤنا ابن أبي ليلى وابن شُبْرُمَة.

عَن يزيد بْن أبي زياد، قال: ذكرت لعَبْد اللهِ بْن الحارث بن أبي ليلى،

فقال: أشتهي أن تجيئني به، فجئت به، فذاكره، فقالَ عَبْد اللهِ: ما ظننت أنه بقي في الناس مثل هَذَا؟

قالَ عَبْد اللهِ بْن الحارث: ما شعرت أن النِّسَاء يلدن مثل هَذَا؟ كأنه يريد ابن أبي ليلى [1].

مواقف من حياته – رحمه الله –:

من المفاخرة بين المدن

عن أبي بكر الهذلي، قال: كنت بباب أبي العباس حين ولي الخلافة فخرج آذنه فأدخل من كان بالباب من أهل الكوفة، فدخل عليه محمد ابن عبد الرحمن بن أبي ليلى، والحجاج بن أرطأة، والحسن ابن زياد، وأدخل من كان من أهل البصرة، فقال محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: نحن أكثر من أهل البصرة خراجاً وأوسع منهم أنهاراً، فقال لي: ما تقول يا أبا بكر؟ قال: قلت: معاذ الله من ذلك يا أمير المؤمنين، وكيف يكونون كذلك ولنا كرمان ومكران وفارس والأهواز والسند والهند والقرص والقرص، افتتحناها بالبيض القواضب، حتى ربطنا أعنة الخيل بأصول القنا بأرض الفلفل، قال: فقال محمد بن عبد الرحمن: نحن أكثر منكم علماً وفقهاً، قال: فما تقول يا أبا بكر؟ قال: قلت: بل هم أعظم كبرياء وأقل أتقياء وأكثر أنبياءً كان منهم المغيرة الخبيث السريرة، وبيان وأبو بيان، والله يا أمير المؤمنين، ما رأيت شيئاً قط أكثر بدناً مصلوباً ولا رأساً منصوباً من أهل الكوفة، وما لنا إلا نبي واحد ﷺ، قال: فتبسم أبو العباس، فقال الحسن بن زياد: أتشتم أصحاب علي؟ وقد سرتم إليه لتقتلوه، فإن قلت: نحن والله أصحاب علي سرنا إليه لنقتله فكف الله

---

(١) المعافى بن زكريا، الجليس الصالح والأنيس الناصح، ١ / ٢٥٦.

تعالى شوكتنا وسلاحنا عنه حتى أخرجه من بين أظهرنا، فقتله أهل الكوفة من بين أظهركم فأينا أعظم ذنباً، فقال الحجاج بن أرطأة: بلغني أن أهل البصرة كانوا يومئذٍ ثلاثين ألفاً وأهل الكوفة تسعة آلاف فلما التقت حلقتا البطان، وتناهد النهدان، وأخذت الرجال أقرانها، ما كانوا إلا كرمادٍ اشتدت به الريح في يوم عاصف، قال: ما تقول يا أبا بكر؟ قلت: معاذ الله تعالى من ذلك يا أمير المؤمنين، ومن أين كنا ثلاثين ألفاً وقد خرجت ربيعة تعين علينا، وخرج الأحنف بن قيسٍ في سعدٍ والرباب وهم الشام الأعظم والجمهور الأكبر، ولكن سلهم كم كان عددنا يوم استغاثوا بنا؟ فلما التقت حلقتا البطان، وتناهد النهدان، وأخذت الرجال أقرانها، شدخ منهم في صعيدٍ واحد تسعة آلاف وذبحوا ذبح الحملان، قال: فقال محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى: يا أمير المؤمنين نحن أكثر منهم أشرافاً، وأكرم منهم أسلافاً، قال: ما تقول يا أبا بكر؟ قلت: معاذ الله يا أمير المؤمنين، هل كان في تميم الكوفة مثل الأحنف بن قيس الذي يقول فيه الشاعر:

إذا الأبصار أبصرت ابن قيسٍ ::: ظللن مهابة منه خشوعا

وهل كان في قيس عيلان الكوفة مثل قتيبة بن مسلم الذي يقول فيه الشاعر:

كل يوم يحوي قتيبة نهباً ::: ويزيد الأموال مالاً جديداً

باهلي قد عصب التاج حتى ::: شاب منه مفارقٌ كن سواد

ويروى: كل يوم يجري قتيبة نهباً، وهل كان في بكر بن وائل الكوفة مثل مالك بن مسمع الذي يقول له الشاعر

إذا ما خشينا من أميرٍ ظلامةً ::: دعونا أبا الأيتام يوماً فعسكرا

وهل كان في أزد الكوفة مثل المهلب بن أبي صفرة الذي يقول له الشاعر:

إذا كان المهلب من ورائي ::: هدا ليلي وقر له فؤادي
ولم أخش الدنية من أناسٍ ::: ولو صالوا بقوة قوم عاد

وهل كان في عبد قيس الكوفة مثل الحكم بن المنذر بن الجارود، الذي يقول له الشاعر:

يا حكم بن المنذر بن الجارود ::: أنت الجواد ابن الجواد المحمود
سرادق المجد عليك ممدود

أصابتنا يد في الجاهلية

بعث يوسف بْن عُمَر إِلَى ابن أبي ليلى يستقضيه على الكوفة وكانوا لا يولون إلا عربياً أو مولى، فقَالَ لَهُ: أعربي أو مولى عُمَر بْن أبي ليلى؟ فقَالَ: أصابتنا يد في الجاهلية، فقال: لو كذبتني في نفسك ما صدقتك في غيرك، لم يزل العرب يصيبها في الجاهلية، فقد وليتك القضاء بين أهل الكوفة وأجريت عليك مائة درهم في الشهر، فاجلس لهم بالغداة والعشي فإنما أنت أجير للمسلمين.

أراد أن يخبر الناس أنه مجنون

قَالَ يوسف بْن عُمَر قَالَ لمقرن: اطلب لي رجلاً يصلح للقضاء وليكن عاقلاً صليتاً قَالَ: فحَدَّثَنِيْ مقرن قال: سألت فماوجدت الخير يصح إلا على مُحَمَّد بْن عَبْد الرحمن بْن أبي ليلى والقاسم بن الوليد الهمداني فبعثت إليهما فقلت: إن الأمير سألني رجلاً للقضاء، وقد وقع الخير عليكما فما رأيكما؟ فبكيا وقالا: أعفنا من هَذَا، فقلت: إنما كنت أرى هَذَا معروفاً، فأما إِذَا وقع منكما على الخوف وانصرفا فلما كان من الغد جاءني ابن أبي ليلى فقال: فكرت فيما قلت ولي عيال، وقد رأيت أن

أرحل فيه، قالَ: قلت: اغد إلى الحيرة فإني غاد إلى الأمير، فحضر، فلما دخلت على يوسف قالَ لي: أين الرجل؟ قلت: بالباب، قالَ: أدخلوه، وكان ابن أبي ليلى جميلاً فصيحاً، فقالَ لَهُ يوسف: ممن الرجل؟ قال: من اليمن، قال: من أي بطن؟ قال: من الأنصار، قال: فأنت موضع لحاجتنا، ما رأيك في القضاء؟ فقلت: أعمل بما رأيت، قال: وقد وليتك قضاء الكوفة وأجريت عليك مائتي درهم، واقعد للناس بالغداة والعشي، إلا أن يستغنوا، قال: فإن رأى الأمير أن يبعث معي حرساً حتى يقعدني في المسجد الأعظم ليراه الناس فيكون أجل لي، قال: يا فلان اركب معه. قالَ مقرن: ثم قالَ لي: أراد ابن أبي ليلى أن يخبر الناس أنه مجنون، قال: فأسر يونس بناحية ابن أبي ليلى وقربه(١).

لا بأس اكتبوا شهادته

عَن عطاء بْن مسلم قالَ: كنت عند ابن أبي ليلى فشهد عنده رجل بشهادة فقالَ: اكتبوا شهادته ثم نظر إلى شعره مصففاً على جبينه فقالَ: تصفف شعرك؟ ردوا شهادته، فقال: إن لي عذراً، قال. وما عذرك؟ قال: إن برأسي سجاع فأنا أفاديها بهَذا الشعر. قال: لا بأس اكتبوا شهادته، ثم نظر فإذا أظفاره فيها آثار الحناء فقالَ لَهُ: تخضب يدك بالحناء؟ ردوا شهادته، فقال: إن لي عذراً، قال: وما هو؟ قالَ: إن لي أباً شيخاً فأنا أخضبه، قال: لا بأس اكتبوا شهادته، ثم ولى فنظر في قفاه فإذا ثوبه يجره فقالَ لَهُ: تجر ثوبك؟ ردوا شهادته، قال: إن لي

---

(١) أخبار القضاة، ١٣١/٣.

عذراً، قال: وما عذرك؟ قال: إنا ثلاثة إخوة في حالنا بعض الضعف وإنا قطعنا هَذا القميص على أوسطنا يتجمل به إذا خرج وإني إذا لبسته أنا أجره، قال: لا بأس اكتبوا شهادته (١).

فخذها ولا تعد يا أبا دلامة تشهد

قالَ ابن براد: تقدم أبُو دلامة الشاعر إلى ابن أبي ليلى يشهد عنده فقالَ أبُو دلامة:

إن الناس غطوني تغطيت عندهم ::: وإن بحثوا عني ففيهم مباحث
وإن حفروا بئري حفرت بآرهم ::: ليعلم قوم كيف أصل النبائث

فقالَ المشهود له: كم لك عليه؟ قالَ: كذا وكذا قال: وجه إلينا العشية فخذها ولا تعد يا أبا دلامة تشهد (٢).

فما قلت؟

قال المعلى بْن هلال: بعث المنصور إلى ابن أبي ليلى ليكتب له مقاتلة أهل الكوفة وفرسانهم من أهل الشرف فأتاه رجل من بني سهل فقالَ لهُ ابن ليلى: أقم البينة على نفسك فغضب وقالَ: لا يُقالُ هَذا لمثلي وولى، فقيل لابن أبي ليلى: إنه شاعر وإنا لا نأمنه عليك فبعث في أثره فرد فقالَ: قد عرفت نسبك فهل قلت شيئاً؟ قالَ: نعم ولم أذكر نسباً ولا حرمة، قالَ: فما قلت؟ قالَ: قلت:

فإن يك قاضينا خفيفاً دماغه ::: فما شحمه في بطنه بقليل

لقد أكل الشيخ عندنا أكلة لا يفلح بعدها أبداً

(١) أخبار القضاة، ١٣٧/٣.
(٢) أخبار القضاة، ١٣٩/٣.

قالَ مُحَمَّد بْن عَبْد الرحمن بْن أبي ليلى: تغديت عند أبي جعفر وقد ولاني الفتيا، فأتى بصحفة مصبية فيها مثال رأس فقالَ لي: خذ أيها الرجل من هَذا، فجعلت أضرب بيدي إلى الشيء فإذا وضعته في فمي لم أحتج إلى مضغه بسيل، فلما فرغنا جعل يلعق بيده الصحفة ويلحسها، فقال: يا مُحَمَّد، تدري ما تأكل؟ قلت: لا يا أمير المؤمنين! قالَ: هَذا مخ الثنيتان معقود بالسكر الطبرزد؛ تدري بكم تقوم الصحفة؟ قلت لا يا أمير المؤمنين! قال. بثلثمائة وبضعة عشر، أتدري لم لحستها؟ هذه صفحة رسول ﷺ إنما أطلب البركة بذلك، فلما خرج ابن أبي ليلى من عنده، رفع رأسه إلي مع الحاجة فقال: يا ربيع، لقد أكل الشيخ عندنا أكلة لا يفلح بعدها أبداً (١).

* * *

(١) أخبار القضاة، ١٤٣/٣.

الخاتمــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

الحمد لله رب العالمين حمداً طيباً مباركاً فيه كما يحب ربُّنا ويرضى، وكما ينبغي لكرم وجهه وعزِّ جلاله، غير مَكْفِيٍّ ولا مكفورٍ ولا مودَّع ولا مستغني عنه ربُّنا، ونسأله أن يوزعنا شكر نعمته، وأن يوفّقنا لأداء حقه، وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يرزقنا الشهادة في سبيله، وأن يجعل ما قصدنا له في هذا الكتاب وفي جميع أقوالنا وأفعالنا خالصاً لوجهه الكريم، ونصيحة لعباده. فيا أيها القاريءُ له، لك غُنْمُه وعلى مؤلفه غُرْمُه، لك ثمرتُه وعليه تَبِعَتُه، فما وجدتَ فيه من صوابٍ وحقٍ فاقبله ولا تلتفت إلى قائله، بل انظر إلى ما قال لا إلى من قال وقد ذمَّ الله تعالى من يَرُدَّ الحقَّ إذا جاء به مَن يبغضه، ويقبله إذا قاله من يحبه فهذا خُلُقُ الأمة الغضبية أي: اليهود. فقد قال ابن القيم رحمه الله: "‌: اقبل الحق ممن قاله وإن كان بغيضاً، ورُدَّ الباطل على من قاله وإن كان حبيباً.

وقرر أنه لا يردُّ كل قول من أخطأ جملة، بل لا بد من تمييز الحق من الباطل، فقال: " فلو كان كل من أخطأ أو غلط ترك جملة، وأهدرت محاسنه، لفسدت العلوم والصناعات ".

وقال أيضًا: ".. فإن كل طائفة معها حق وباطل، فالواجب موافقتهم فيما قالوه من الحق، ورد ما قالوه من الباطل، ومن فتح الله له بهذه الطريق فقد فتح له من العلم والدين كل باب، ويسر عليه من الأسباب " (١).

(١) طريق الهجرتين وباب السعادتين، ص٣٧٨.

وما وجد القاريئ فيه من خطأ فإن قائله لم يألُ جهد الإصابة، ويأبى الله إلا أن يتفرد بالكمال، كما قيل:

والنَّقْصُ في أصلِ الطبيعةِ كامنٌ ::: فَبَنُو الطبيعةِ نَقْصُهم لا يُجْحَدُ

وكيف يُعْصَمُ من الخطأ من خُلق ظلوماً جهولاً، ولكن من عُدَّت غلطاتُه أقربُ إلى الصوابِ ممن عُدَّت إصاباتُه، وعلى المتكلم في هذا الباب وغيره أن يكون مصدر كلامه عن العلم بالحق، وغايته النصيحة لله، ولكتابه، ولرسوله، ولإخوانه المسلمين، وإن جعلَ الحقَ تبعاً للهوى: فسَدَ القلبُ والعملُ والحالُ والطريقُ.. والحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على خاتم المرسلين محمدٍ وعلى آله أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

الفقير إلى عفو ربه ومغفرته ورضوانه

المصادر والمراجع

- محمد بن سعد بن منيع أبو عبد الله البصري الزهري، الطبقات الكبرى، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت، الطبعة: ١ - ١٩٦٨ م.

- عبد الرحمن بن علي بن محمد أبو الفرج ابن الجوزي: صفة الصفوة، تحقيق: محمود فاخوري - د.محمد رواس قلعه جي، دار المعرفة - بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩٩ - ١٩٧٩.

- أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، المحقق: إحسان عباس، دار صادر - بيروت.

- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- ابن قتيبة الدينوري: عيون الأخبار.

- الشعراني: الطبقات الكبرى.

- خليفة بن خياط أبو عمر الليثي العصفري، الطبقات، تحقيق: د. أكرم ضياء العمري، الناشر: دار طيبة - الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٠٢ - ١٩٨٢.

- محمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبو عبدالله البخاري الجعفي، التاريخ الكبير، تحقيق: السيد هاشم الندوي، دار الفكر.

- ابن قتيبة الدينوري: المعارف.

- أبو يوسف يعقوب بن سفيان الفسوي ت: ٢٧٧هـ، المعرفة والتاريخ، المحقق: د أكرم العُمَري، الناشر: مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨١.

- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة الرابعة، ١٤٠٥.

- أبو إسحاق الشيرازي، طبقات الفقهاء، هذبهُ: محمد بن جلال الدين المكرم (ابن منظور)، المحقق: إحسان عباس، دار الرائد العربي، ١٩٧٠، بيروت - لبنان.

- شمس الدين أبوعبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايْماز الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ).

١ - تذكرة الحفاظ، الناشر: صحح عن النسخة القديمة المحفوظة في مكتبة الحرم المكي تحت اعانة وزارة معارف الحكومة العالية الهندية دار احياء التراث العربي.

٢ - تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام. تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري.دار الكتاب العربي.لبنان/ بيروت. الطبعة: الأولى. ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣ - سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت - الطبعة التاسعة ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م.

٤ - العبر في خبر من غبر، المحقق: أبو هاجر محمد السعيد بن بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية – بيروت.

٥ - ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تحقيق: علي محمد البجاوي، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت - لبنان.

٦ - العلو للعلي الغفار، تحقيق أبو محمد أشرف بن عبدالمقصود، الناشر: مكتبة أضواء السلف - الرياض، الطبعة الأولى.

- أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، البداية والنهاية، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، طبعة جديدة محققة الطبعة الاولى ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.

- أبو المحاسن بن تغربردي: النجوم الزاهرة.

- السيوطي: طبقات الحفاظ.

- الحنبلي: شذرات الذهب.

- د/ عبد الرحمن رأفت الباشا: صور من حياة التابعيين.

- محمد بدر الدين: سعيد بن المسيب.

- تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن ابن الصلاح، طبقات الفقهاء الشافعية، تحقيق محيي الدين علي نجيب، دار البشائر الإسلامية، ١٩٩٢م، بيروت.

- البلاذري: أنساب الأشراف.

- الإمام أحمد بن حنبل: الزهد.

- أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية – بيروت.

- ابن عساكر: تاريخ ابن عساكر.

- اليافعي: مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان

- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت.

- محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، نشر: دار الفكر العربي - القاهرة، الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- ابن رجب الحنبلي، جامع العلوم والحكم بشرح خمسين حديثا من جوامع الكلم، المحقق: ماهر ياسين فحل.

- محمد بن إسحاق أبو الفرج النديم، الفهرست، دار المعرفة - بيروت، ١٣٩٨ - ١٩٧٨.

- ياقوت بن عبد الله الحموي أبو عبد الله، معجم البلدان، دار الفكر - بيروت.

- محمد بن محمد أبو شهبة، الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة، الطبعة الرابعة.

- السلمي: طبقات الصوفية.

- يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ٦٥٤ - ٧٤٢، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠.

- الحافظ الفقيه صفي الدين أحمد بن عبد الله الخزرجي الأنصاري اليمني، خلاصة تذهيب تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة، الناشر مكتب المطبوعات الإسلامية/دار البشائر، مكان النشر حلب / بيروت، سنة النشر ١٤١٦ هـ.

- اليافعي: روض الرياحين.

- أحمد بن علي بن محمد ابن حجر العسقلاني ت: ٨٥٢هـ، تهذيب التهذيب، مطبعة دائرة المعارف النظامية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٢٦هـ.

- ابن الشجري، الأمالي الشجرية.

- ابن حمدون: التذكرة الحمدونية.

- ابن عبد ربه، العقد الفريد.

- أبو حيان علي بن محمد بن العباس التوحيدي، البصائر والذخائر، تحقيق: د. وداد القاضي، دار صادر - بيروت / لبنان - ١٤١٩هـ - ٩٩٩ م، الطبعة الرابعة.

- محمد بن يزيد المبرد، أبو العباس (المتوفى: ٢٨٥هـ)، الكامل في اللغة والأدب، المحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي

- القاهرة، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.

- أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، معجم الأدباء أو إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الناشر دار الكتب العلمية، سنة النشر ١٤١١ هـ - ١٩٩١م، بيروت.

- أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م الطبعة: الأولى.

- كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة الثانية، - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- أبي عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق المحامي فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٨.

- هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي أبو القاسم، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، تحقيق د. أحمد سعد حمدان، الناشر: دار طيبة - الرياض، ١٤٠٢.

- أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن المصعب الزبيري، نسب قريش، تحقيق ليفي بروفسال، دار المعارف - القاهرة.

- أحمد بن حنبل أبو عبدالله الشيباني، العلل ومعرفة الرجال، تحقيق وصي الله بن محمد عباس، المكتب الإسلامي، دار الخاني - بيروت، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ - ١٩٨٨.

- ابن الكلبي: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الثالثة، - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- محمد بن محمد العواجي، مرويات الإمام الزهري في المغازي، الطبعة: الأولى ١٤٢٥هـ/٢٠٠٤م.

- الحسين بن مسعود البغوي، شرح السنة - للإمام البغوى، تحقيق: شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، المكتب الإسلامي - دمشق - بيروت، الطبعة: الثانية، - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.

- الطرطوشي، سراج الملوك.

- تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب بن مطيع القشيري، المعروف بابن دقيق العيد (المتوفى: ٧٠٢هـ)، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، المحقق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.

- يوسف بن الزكي عبدالرحمن أبو الحجاج المزي ٦٥٤ - ٧٤٢، تهذيب الكمال مع حواشيه، المحقق: د. بشار عواد معروف، نشر مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٠ - ١٩٨٠، ٥/ ٣٩٢.

- العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي

- أبو القاسم الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري، عقلاء المجانين.

- شهاب الدين محمد بن أحمد أبي الفتح الأبشيهي، المستطرف في كل فن مستظرف، تحقيق د.مفيد محمد قميحة، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٦.

- الشيخ بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الأولى، - ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- عبد الرحمن بن عبد السلام بن عبد الرحمن بن عثمان الصفوري، نزهة المجالس ومنتخب النفائس، تحقيق: عبد الرحيم مارديني، دار المحبة - دار آية - بيروت - دمشق - ٢٠٠١ /

٢٠٠٢.

- أبوبكر محمد بن الحسين بن عبدالله الاجري، أخلاق العلماء، تحقيق ومراجعة: اسماعيل بن محمد الأنصاري وعبدالله بن عبدالطيف آل الشيخ، رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد بالمملكة العربية السعودية، الطبعة: ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

- محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة الفضلاء،، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

- أبو عبد الله محمد بن علي الحكيم الترمذي، الأمثال من الكتاب والسنة، تحقيق: د.السيد الجميلي، دار إبن زيدون - بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٥.

- محمد بن أحمد بن جميع الصيداوي أبو الحسين، معجم الشيوخ، تحقيق د. عمر عبد السلام تدمري، مؤسسة الرسالة، دار الإيمان، مكان النشر بيروت، طرابلس، سنة النشر ١٤٠٥.

- محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، مشاهير علماء الأمصار، تحقيق: م. فلايشهمر، دار الكتب العلمية - بيروت، - ١٩٥٩.

- ابن أبي الدنيا، مجابو الدعوة.

- محمد بن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، المحقق: إحسان عباس: دار صادر - بيروت.

- ابن أبي الدنيا، الأولياء، المحقق: محمد السعيد بن بسيوني زغلول، مؤسسة الكتب الثقافية - بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣.

- أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي الخطيب، المنتخب من كتاب الزهد والرقائق، تحقيق د. عامر حسن صبري، دار البشائر الإسلامية،

مكان النشر بيروت / لبنان، سنة النشر ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م.

- عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد، التوابين، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٤٠٣ - ١٩٨٣.

- ابو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبارالظراف والمتماجنين، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجاني، دار ابن حزم - بيروت - ١٩٩٧م.

- ابن الملقن، طبقات الأولياء.

- بهاء الدين محمد بن حسين العاملي، الكشكول، تحقيق: محمد عبد الكريم النمري، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان، الطبعة: الأولى ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م.

- محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة: الثانية، - ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

- أبو سعد منصور بن الحسين الآبي، نثر الدر، تحقيق: خالد عبد الغني محفوظ، الطبعة: الأولى، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

- بلوغ الأرب بتقريب كتاب الشعب، (تهذيب لكتاب شعب الإيمان للبيهقي)، هذبه: محمد خلف سلامة.

- أبو حيان علي بن محمد ابن العباس التوحيدي، الإمتاع والمؤانسة، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان الطبعة الأولى - ١٤٢٤ هـ ٢٠٠٣ م.

- المشتولي، سلوة الأحزان للاجتناب عن مجالسة الأحداث والنسوان.

- أبو الحسين ابن أبي يعلى، طبقات الحنابلة، المحقق: محمد حامد

الفقي، دار المعرفة - بيروت.

- أبو عبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد بن موسى بن خالد الأزدي، طبقات الصوفية، حقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٩هـ ١٩٩٨م.

- إبراهيم البيهقي، المحاسن والمساوئ.

- ابن الكلبي، أنساب الخيل.

- الثعالبي، اللطف واللطائف.

- الصولي، أشعار أولاد الخلفاء وأخبارهم.

- أبو حيان التوحيدي، الصداقة والصديق.

- أحمد زكي صفوت، جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، المكتبة العلمية - بيروت.

- كمال الدين محمد بن موسى بن عيسى الدميري، حياة الحيوان الكبرى، تحقيق: أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

- عبد الرحمن بن أبي حاتم محمد بن إدريس أبو محمد الرازي التميمي، الجرح والتعديل، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة الأولى، ١٢٧١ - ١٩٥٢.

- أبو عبيد البكري، فصل المقال في شرح كتاب الأمثال، تحقيق: د.إحسان عباس ود.عبدالمجيد عابدين، مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣.

- شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الأولى ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.

- محمد بن حبان البستي أبو حاتم، روضة العقلاء ونزهة

الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

- ابن الحداد، الجوهر النفيس في سياسة الرئيس.

- عائض القرني، سلسلة دروس القمم لأهل الهمم الصوتية.

- الدكتور عبد الله العبد المحسن التركي: أصول مذهب الإمام أحمد.

- عبد الحليم الجندي: أحمد بن حنبل إمام أهل السنة.

- أحمد عبد الجواد الدومي: أحمد بن حنبل بين محنة الدين ومحنة الدنيا.

- ولتر م. باتون: أحمد بن حنبل والمحنة، ترجمة عبد العزيز عبد الحق.

- أحمد عبد الرحمن البنا الساعاتي: الفتح الرباني وشرحه بلوغ الأماني.

- ابن الجوزي: مناقب الإمام أحمد.

- عبد الله بن عبد العزيز بن عقيل، أحمد بن حنبل، مجلة البحوث الإسلامية.

- طه جابر فياض العلواني، أدب الاختلاف في الاسلام.

- محمد بن حبان البستي أبو حاتم، وضة العقلاء ونزهة الفضلاء، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية - بيروت، ١٣٩٧ - ١٩٧٧.

- أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي، معجم السفر، تحقيق: عبدالله عمر البارودي، المكتبة التجارية - مكة المكرمة.

- الصفدي، أعيان العصر وأعوان النصر.

- محمد بن أحمد بن سالم السفاريني الحنبلي، غذاء الألباب شرح منظومة الآداب، تحقيق: محمد عبد العزيز الخالدي، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - الطبعة: الثانية، ١٤٢٣ هـ - ٢٠٠٢ م.

- إبراهيم بن إسحاق الحربي، رسالة في أن القرآن غيرمخلوق، تحقيق: علي بن عبد العزيز بن علي الشبل، دار العاصمة - الرياض، الطبعة الأولى، ١٩٩٥.

ابن كنان، يوميات شامية.

- الإمام النووي، تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مكتب البحوث والدراسات في دار الفكر، دار النشر دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى سنة النشر ١٩٩٦.

- سعيد بن علي بن وهف القحطاني، الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ.

- الوطواط، غرر الخصائص الواضحة.

- عبد الله بن عبد المحسن التركي، مجمل اعتقاد أئمة السلف، وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، ١٤١٧هـ.

- اليوسي، زهر الأكم في الأمثال والحكم.

- زَيْنُ العَابِدِيْنَ بْنِ إِبْرَاهِيْم بْنِ نُجَيْمٍ (٩٢٦ - ٩٧٠هـ)، الأَشْبَاهُ وَالنَّظَائِرُ عَلَى مَذْهَبِ أَبِيْ حَنِيْفَةَ النُّعْمَانِ، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤٠٠هـ=١٩٨٠م.

- القاضي أبي عبد الله حسين بن علي الصيمري، أخبار أبي حنيفة وأصحابه، عالم الكتب، سنة النشر ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.

- التقي الغزي، الطبقات السنية في تراجم الحنفية.

- أبي الفرج الأصفهاني، الأغاني، تحقيق: سمير جابر، دار الفكر - بيروت، الطبعة الثانية.

- الصفدي، صرة الثائر على المثل السائر.

- محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، إعلام الموقعين عن رب العالمين دراسة وتحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الكليات الأزهرية، مصر، القاهرة، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

- أبو البركات بدر الدين محمد بن محمد الغزي، المراح في المزاح، تحقيق بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم، بيروت ١٤١٨ هـ١٩٧٧م.

- أبوالفواء الحلبي الطرابلسي، الكشف الحثيث، مكتبة النهضة العربية، بيروت، ٢٢١/١.

- أبو الحسن الماوردي:

١ - الأحكام السلطانية والولايات الدينية.

٢ - أدب الدنيا والدين.

- الوشاء: الموشى.

- ابن الأبار، إعتاب الكتاب

- أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تحقيق: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية - بيروت / لبنان - ١٤١٨ هـ - ١٩٩٨ م.

- أبو الحسن بن عبد الله بن الحسن النباهي المالقي الأندلسين، تاريخ قضاة الأندلس (المرقبة العليا فيمن يستحق القضاء والفتيا)، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي في دار الآفاق الجديدة، دار الآفاق الجديدة - بيروت / لبنان - ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.

- المرزباني، نور القبس.

- أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أخبار الحمقى والمغفلين، الناشر: المكتب التجاري - بيروت.

- أبو هلال العسكري، كتاب الصناعتين.
- العبدلكاني الزوزني، حماسة الظرفاء
- أبو منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري: لباب الآداب، دار الكتب العلمية - تحقيق أحمد حسن لبج ظنالطبعة الأولى، بيروت / لبنان - ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
* * *

الفهـرس

* * *

المؤلف في سطور

الدكتور/ رجب محمود إبراهيم بخيت

- ولد في محافظة البحيرة بجمهورية مصر العربية عام (١٣٩٣هـ / ١٩٧٣م).

- حصل على ليسانس الآداب من جامعة طنطا (تخصص تاريخ) في عام ١٩٩٦ م.

- حصل علي دبلوم الدراسات العليا (تخصص تاريخ وحضارة إسلامية) عام ١٩٩٧م.

- نال درجة الماجستير في التاريخ والحضارة الإسلامية (تخصص آسيا الوسطي والقوقاز) من جامعة طنطا - كلية الآداب - عام ٢٠٠١ م.

- نال درجة الدكتوراه في التاريخ والحضارة الإسلامية (تخصص آسيا الوسطي والقوقاز) من جامعة عين شمس - كلية الآداب - عام ٢٠٠٦ م.

* * *